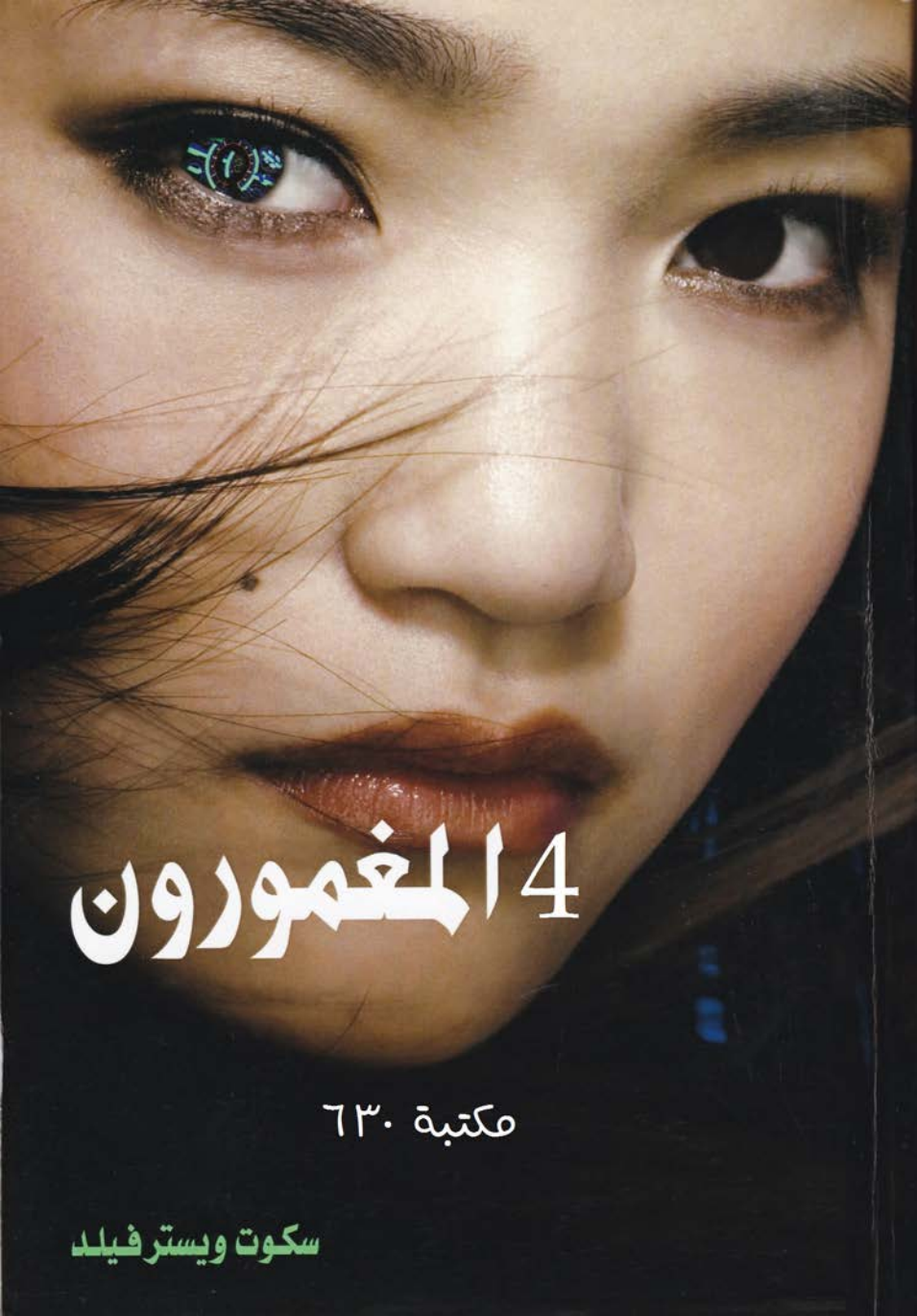

4 المغمورون

مكتبة ٦٣٠

سكوت ويسترفيلد

المغمورون

مكتبة 630

المغمورون

Extras

سكوت ويسترفيلد

Scott Westerfeld

مكتبة
t.me/t_pdf

الطبعة الأولى ٢٠١٣م
رقم إيداع ٢٠١٢/١٣٣٧٢
جميع الحقوق محفوظة للناشر كلمات عربية للترجمة والنشر
(شركة ذات مسئولية محدودة)

كلمات عربية للترجمة والنشر
إن كلمات عربية للترجمة والنشر غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبّر الكتاب عن آراء مؤلفه
ص.ب. ٥٠، مدينة نصر ١١٧٦٨، القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفون: ٢٢٧٠٦٣٥٢ ٢٠٢ + **فاكس:** ٢٢٧٠٦٣٥١ ٢٠٢ +
البريد الإلكتروني: kalimat@kalimat.org
الموقع الإلكتروني: http://www.kalimat.org

ويسترفيلد، سكوت.
المغمورون/تأليف سكوت ويسترفيلد . - القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر، ٢٠١٢.
٣٩٠ص، ١٦,٠×٢٣,٠سم
تدمك: ٦ ٣٠ ٥١٧١ ٩٧٧ ٩٧٨
١-القصص الإنجليزية
أ-العنوان

٨٢٣

الغلاف: تصميم هاني ماهر.

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية، ويشمل ذلك التصوير الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مضغوطة أو استخدام أية وسيلة نشر أخرى، بما في ذلك حفظ المعلومات واسترجاعها، دون إذن خطي من الناشر.

Arabic Language Translation Copyright © 2013 Kalimat Arabia.
Extras
Original English Language edition Copyright © 2007 by Scott Westerfeld.
Published by arrangement with Simon Pulse, an imprint of Simon & Schuster Children's Publishing Division.
All rights reserved. No part of this book may be reproduced or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage and retrieval system, without permission in writing from the Publisher.

المغمورون

مكتبة 630

تأليف
سكوت ويسترفيلد

ترجمة
مروة عبد الفتاح شحاتة

مراجعة
هاني فتحي سليمان
إيناس المغربي

كلمات

المحتويات

إهداء	٩
الجزء الأول: شاهدوا هذا!	١١
البائسون	١٣
مهاويس التكنولوجيا	١٩
تحت سطح الأرض	٢٧
اختبار قبول	٣٣
الشقيق الأكبر	٣٩
فريز	٤٩
الفتيات الماكرات	٥٧
اعتلاء سطح القطار	٦٥
النفق	٧١
الإنقاذ	٧٩
الصدق المطلق	٨٧
الانضمام إلى الفتيات الماكرات	٩٧
اضطرابات هوائية	١٠٣
الجبل	١١١
كشف المخبوء	١١٧
الفرار	١٢٣
ممر الهواء	١٢٧
ضغط الهواء	١٣٣

ملكة الوحل ١٣٩
ناقل الكتل المعدنية ١٤٧

الجزء الثاني: الأسلحة الفتاكة بالمدن ١٥٥
الحظر ١٥٧
الاختبار ١٦١
السقوط في الممر ١٦٩
نزهة جنونية ١٧٣
نشر القصة ١٨١
الانحراف عن الحقيقة ١٩١
هوس المدونات ١٩٧
ذعر وحصار ٢٠٥
هروب واختباء ٢١١
حكمة الجماعة ٢١٩
مصورو المشاهير ٢٢٩
القصر المتحرك ٢٣٧
الجارحون ٢٤٣
العضوية الشرفية بجماعة الجارحين ٢٤٩
الخطة ٢٥٥

الجزء الثالث: الرحيل عن الوطن ٢٦١
الأسر ٢٦٣
المستوى المتقدم للغة الإنجليزية ٢٧١
أودزير ٢٧٧
هبوط عنيف ٢٨٣
الغابة ٢٩١
الأطلال ٢٩٧
المعادن ٣٠٥
التشبه بالقردة ٣١١
الركام المعدني ٣١٧

المكان المعتاد	٣٢٣
فرصة أخرى	٣٢٩
رحلة ليلية	٣٣٥
الإنتاج الكمي	٣٤١
الصواريخ	٣٤٩
المطاردة	٣٥٣
صديق قديم	٣٥٧
ضرب عصفورين بحجر واحد	٣٦١
حريق هائل	٣٦٧
إعادة نشر القصة	٣٧٣
حفل الشخصيات الألف الأكثر شهرة	٣٧٩
نبذة عن المؤلف	٣٨٩

إهداء

إلى كلِّ من راسَلَني ليوضِّح المعنى الحقيقي لكلمة «ثلاثية».

الجزء الأول

شاهدوا هذا!

جميعكم تقولون إنكم تحتاجون إلينا، ربما يكون هذا صحيحًا لكنكم لا تحتاجون إلى مساعدتنا، فلديكم ما يكفي من المساعدة بفضل إفاقة ملايين العقول الجديدة التي على وشك أن يُطلق لها العنان، ولأن جميع المدن أفاقت أخيرًا. إن اتحدتم فستتمكنون من تغيير العالم بدوننا.

لذا من الآن فصاعدًا، سأكون أنا وديفيد هنا لنقف في طريقكم.

تعلمون أن الحرية أحيانًا تؤدي إلى التدمير.

تالي يانج بلود

البائسون

مكتبة
t.me/t_pdf

قالت آيا هامسة: «موجل، أمستيقظة أنت؟»

تحرك شيء في الظلام وصدر حفيف عن كومة من أردية مسكن الطلاب، وكأن حيوانًا صغيرًا تحرك أسفلها. ثم تسلل شيء من بين ثنايا الأردية الحريرية والقطنية، وارتفع في الهواء وحلَّق في اتجاه فراش آيا. حدقت عدسات صغيرة في وجه آيا الممتلئ فضولًا ويقظة، عاكسة ضوء النجوم القادم من النافذة المفتوحة.

ابتسمت آيا ابتسامة عريضة وهي تقول: «أمستعدة للذهاب إلى العمل؟»

ردت موجل على سؤال آيا بوميض من أضوائها الليلية.

أغمضت آيا عينيها بقوة، وقالت: «أوه، لا تفعلي ذلك! فهذا يكاد يعمي بصري!»

استلقت آيا من جديد على الفراش برهة من الوقت في انتظار تلاشي بقع الضوء، فمسَّت الكاميرا الطائرة كتفها على سبيل الاعتذار.

همست آيا قائلة: «لا بأس يا موجل-تشان، أتمنى فقط لو أني أقدر على الرؤية بالأشعة تحت الحمراء.»

إن كثيرًا ممن في عمر آيا يتمتعون بالقدرة على الرؤية بالأشعة تحت الحمراء، لكنَّ والديها كانا يمقتان عمليات التجميل. لقد أحبا أن يتظاهرا بأن العالم لا يزال عالقًا في عصر الحسن، حينما كان على كل فرد أن ينتظر حتى يتم عامه السادس عشر كي يتمكن من تغيير شكله. كم يفتقر كبار السن إلى الإحساس بالموضة!

هكذا اضطرت آيا إلى احتمال أنفها الكبير — الذي لا شك في قبحه — وإبصارها العادي. وعندما انتقلت آيا من منزلها إلى مسكن الطلاب، كان والداها قد سمحا لها بالحصول على عدسة عين ذات شاشة وجهاز استشعار جلدي، لكنهما لم يفعلا ذلك إلا كي يتمكنا من التواصل معها وقتما شاءا. وعلى كل حال، كان ذلك أفضل من لا شيء. ثنت آيا إصبعها فأومضت شبكة اتصال المدينة أمام ناظريها.

قالت آيا لموجل: «يا إلهي! شارفنا على منتصف الليل.»

لم تذكر آيا أنها غفت قليلًا، ولا بد أن حفل «مهاويس التكنولوجيا» قد بدأ بالفعل، ولعله مزدحم بالحاضرين الآن، ومكتظ بعدد كبير من «قردة جراحات التجميل» و«رءوس المانجا» حتى إن أحدًا لن يلاحظ وجود شخص قبيح مغمور يتطفل على الحاضرين.

هذا إلى جانب أن آيا فيوز كانت خبيرة في التخفي، وكان ترتيب شهرتها خير دليل على ذلك؛ إذ ظل قابعًا في زاوية بصرها عند ٤٥١٣٩٦.

أطلقت آيا تنهيدة طويلة؛ ففي مدينة تضم مليون شخص، كان ذلك الرقم لا قيمة له. كانت آيا قد أنشأت مدونتها منذ نحو عامين، ونشرت بها قصة رائعة منذ أسبوع فقط، ومع ذلك فهي لا تزال مجهولة.

على كل حال، ستشهد هذه الليلة تغيير ذلك أخيرًا.

همست آيا: «لنذهب يا موجل.» وغادرت فراشها مُسرعة.

كان هناك رداء رمادي متكوم عند قدميها في شكل غير محدد المعالم، فارتدته فوق رداء مسكن الطلاب وربطته عند خصرها، ثم جلست فوق عتبة النافذة واستدارت ببطء لتواجه سماء الليل مرخية في تلك الأثناء ساقيها واحدة تلو الأخرى في الهواء البارد.

ثم ارتدت السوارين الواقيين من الصدمات سريعًا، مختلسة نظرة خاطفة إلى الأرض التي تبعد عنها بخمسين مترًا.

– «هذا يصيبني بالدوار.»

على الأقل لم تكن هناك أي أجهزة مراقبة تتسلل خلسة، وكان ذلك هو الجانب المدهش في غرفة الطابق الثالث عشر؛ فليس من المتوقع أن يخرج أحدهم من النافذة متسللًا.

كانت السحب الكثيفة تتدلى من السماء على ارتفاع منخفض، عاكسة أضواء كشافات العمل القادمة من موقع الإنشاءات على الجانب الآخر من البلدة. وكانت لبرودة الجو رائحة أوراق الصنوبر والأمطار، وتساءلت آيا هل ستتجمد من البرودة في زيها التنكري. لكنها لم تكن تستطيع ارتداء سترة مسكن الطلاب الخاصة بها فوق ردائها دون أن تتوقع ألا يلاحظ الناس ذلك.

– «أتمنى أن تكوني على استعداد تام يا موجل، فقد حان وقت الهبوط.»

تحركت الكاميرا الطائرة من وراء كتف آيا إلى خارج النافذة، ثم استقرت بالقرب من صدرها. كانت الكاميرا الطائرة في نصف حجم كرة القدم وكانت مكسوة بالبلاستيك الصلب ودافئة الملمس. لفت آيا ذراعيها حول موجل، وشعرت باهتزاز السوارين نتيجة التصاقهما بمجال التيارات المغناطيسية لروافع الكاميرا الطائرة.

أغمضت آيا عينيها، وقالت: «أمستعدة أنت؟»

ارتجفت موجل بين ذراعي آيا.

دفعت آيا بنفسها في الفضاء وهي متشبثة بالكاميرا الطائرة بكل قوتها.

لقد أصبح الخروج أيسر بكثير هذه الأيام.

عندما بلغت آيا عامها الخامس عشر، عدَّل رين ماتشينو — الصديق الحميم لشقيقها الأكبر — الكاميرا موجل. لم تطلب منه آيا سوى أن يجعل الكاميرا سريعة بما يكفي للحاق بلوحها الطائر، لكن رين تباهى بما يستطيع إضافته من تعديلات، شأنه شأن معظم مهاويس التكنولوجيا، فجعل موجل الجديدة مضادة للماء والصدمات وقوية لدرجة تؤهلها لحمل راكب في حجم آيا في الهواء.

يكفي هذا، على أية حال. وبينما كانت تطوق الكاميرا الطائرة بذراعيها، سقطت بسرعة لا تزيد عن سرعة سقوط زهرة كرز على الأرض في شكل لولبي. كان ذلك أيسر كثيرًا من سرقة سترة قفز مطاطية. وفيما عدا لحظة الوثب المثيرة للتوتر، كان الأمر ممتعًا بدرجة ما.

شاهدت آيا وميض النوافذ أثناء مرورها بها؛ ثمة غرف موحشة تمتلئ بشخصيات نمطية. لم يكن أحد من المشاهير يعيش في مبنى «أكيرا هول»؛ إذ لا يوجد به سوى أعداد هائلة من المغمورين النكرات الذين يرتدون ملابس عادية. جلس عدد قليل من المدونين يتحدثون أمام الكاميرات، دون أن يشاهدهم أحد. كان متوسط ترتيب الشهرة هنا ستمائة ألف، وهي رتبة مثيرة للإحباط والشفقة.

إنها ضآلة الشأن بكل ما تحمله من ذعر.

طاف بخيال آيا ما كان عليه الأمر في عصر الحسن عندما كان المرء يطلب ملابس رائعة أو لوحًا طائرًا جديدًا، وحينها كان ينبثق ما أراده من الكوة الذكية في حائط الحجرة مثل السحر. لكن هذه الأيام، لن تقدم الكوة الذكية أي شيء مرضٍ للمرء إلا إذا كان يتمتع بالشهرة أو يملك نقاط استحقاق ليستخدمها. وكي يحصل

المرء على نقاط الاستحقاق، يجب أن يتلقى دروسًا أو يؤدي مهام، أو يفعل أي شيء تقره «لجنة المواطن الصالح» في الأساس.

اتصلت روافع موجل بالشبكة المعدنية أسفل الأرض، وثنت آيا ركبتيها وتدحرجت وهي تصطدم بالأرض، وانسحق العشب المبتل أسفلها مثل إسفنج مشبع بالماء، ناعم لكنه بارد على نحو يثير الرجفة.

تركت آيا موجل، واستلقت دقيقة على الأرض المشبعة بالأمطار تاركة ضربات قلبها تهدأ. «هل أنت بخير؟»

وأومضت موجل أضواءها الليلية ثانية.

– «ربَّاه ... هذا الأمر لا يزال يعمي بصري.»

كان رين قد عدَّل أيضًا من عقل الكاميرا الطائرة. صحيح أن الذكاء الاصطناعي لا يزال غير مشروع، إلا أن موجل الجديدة كانت أكثر من مجرد مجموعة من الدوائر الكهربية والروافع. فمنذ تعديل رين لها، تعلمت الكاميرا الزوايا المفضلة لآيا، ومتى تدور، ومتى تكبِّر من حجم الصورة التي تعرضها، بل كيف تتعقب عينَيْ آيا من أجل تلقي الإشارات اللازمة.

لكن لسبب ما، لم تتمتع بخاصية الرؤية الليلية التامة.

أبقت آيا عينيها مغمضتين، وهي تصغي جيدًا بينما تتلاشى نقاط الضوء البراق، لكن لم يكن هناك أصوات أقدام أو طنين لأجهزة المراقبة. لم يكن هناك أي شيء سوى صوت الموسيقى المكتوم الصادر من مسكن الطلاب.

نهضت آيا، ونفَضت رداءها، ليس خشية أن يلحظ أحد ما علق بها من العشب المبتل؛ فقد كان «مفجرو الشهرة» يرتدون ملابس تتيح لهم التواري. كان الرداء مزودًا بغطاء للرأس وليس له شكل محدد، وهو بهذا الزي التنكري المثالي لحضور الحفلات دون دعوة.

بعد أن طوت آيا أحد سواريها الواقيين من الصدمات ارتفع لوح طائر من مخبئه بين الشجيرات، وعندما صعدت آيا عليه واجهت الأنوار المتلألئة من «مدينة الحسان».

من الغريب أن الجميع لا يزالون يطلقون على المدينة هذا الاسم، حتى وإن لم يعد معظم قاطنيها يتمتعون بالحسن، لا سيما بالمعنى القديم على أي حال. كانت «مدينة الحسان» ممتلئة بأصحاب البشرة البكسلية، وقردة جراحات التجميل، وعدد وافر من المولعين بالموضة والصيحات الجديدة الغريبة. كان للمرء أن يختار ما

بين مليون شكل من الجمال أو الغرابة، أو أن يحتفظ بوجهه الطبيعي الذي خلق به طوال حياته. أما في هذه الأيام، فإن «الحُسْن» يعني أي شيء يجعلك ملحوظًا للآخرين.

لكن شيئًا واحدًا في «مدينة الحسان» ظل كما هو، وهو أنك إذا لم تبلغ عامك السادس عشر، فليس من المفترض أن تذهب إلى هناك، لا سيما ليلًا حينما تحدث كل الأشياء الرائعة.

بالأخَصِّ إذا كنت مغمورًا فاشلًا لا يعرفك أحد.

عندما حدقت آيا في المدينة غمرها عجزها عن الظهور للآخرين. إن كل ضوء من الأضواء المتلألئة للمدينة يرمز لشخص واحد من بين المليون شخص الذين لم يسمعوا بآيا فيوز قط، ولن يسمعوا بها على الأرجح.

تنهدت آيا، ودفعت لوحها الطائر إلى الأمام.

لطالما ذكرت مدونات الأخبار الحكومية أن «عصر الحسن» قد ولَّى إلى الأبد محررًا الإنسانية من قرون غلب عليها تشوش العقل. لقد ادعت أن الفروق بين القبحاء والحسان وكبار السن تلاشت جميعها، وأن السنوات الثلاث الماضية أطلقت العنان لعدد كبير من التقنيات الجديدة التي حرَّكت المستقبل مرة أخرى.

لكن من وجهة نظر آيا، لم تغير ثورة العقول كل شيء ...

فلا تزال تشعر بالضيق البالغ لأن سنها خمسة عشر عامًا فقط.

مكتبة
t.me/t_pdf

مهاويس التكنولوجيا

همست آيا: «هل تلتقطين هذا؟»

كانت موجل تلتقط الصور بالفعل، ووميض الألعاب النارية الآمنة ينعكس من عدساتها. تأرجحت مناطيد الهواء الساخن فوق القصر، وصاح المحتفلون وهم يقفزون من أعلى سطوح المنازل مرتدين السترات المطاطية. بدا الأمر كحفلات الماضي: حيث الحفلات المفعمة بالإثارة والملذات.

على الأقل هذا ما كان شقيق آيا الأكبر يصف به دومًا عصر الحسن، فآنذاك كان الجميع يخضعون في عيد ميلادهم السادس عشر لعملية جراحية كبيرة تجعل المرء جميلًا، لكنها تغير من شخصيته سرًّا، تاركة إياه مشوش العقل وسهل الانقياد.

لم يستمر هيرو مشوش العقل طويلًا؛ إذ أتم عامه السادس عشر قبل حدوث ثورة العقول وتماثل الحسان للشفاء بشهور قليلة فقط. كان هيرو يحب أن يزعم أن تلك الشهور كانت مروعة، كما لو أن شعور السطحية والتفاهة كان عسيرًا عليه، إلا أنه لم ينكر أبدًا أن الحفلات كانت رائعة.

هذا لا يعني أن هيرو سيحضر الحفل الليلة؛ فرتبة شهرته كانت مرتفعة للغاية. راجعت آيا عدسة عينها ووجدت أن متوسط ترتيب الشهرة للحاضرين بالداخل كان نحو عشرين ألفًا. هؤلاء الأشخاص ليسوا سوى مجموعة من المغمورين تمامًا مقارنة بأخيها الأكبر.

ومع ذلك عند مقارنتهم بواحدة من القبحاء يصل ترتيبها إلى نصف المليون، كانوا بمنزلة شخصيات أسطورية.

همست آيا: «توخي الحذر يا موجل، فوجودنا هنا ليس مرغوبًا فيه.»

رفعت آيا غطاء رأسها، وخرجت من مخبئها.

كان المكان بالداخل يمتلئ بالكاميرات الطائرة، بدءًا من الكاميرات التي في حجم موجل ووصولًا إلى أسراب الكاميرات الصغيرة التابعة لمصوري المشاهير التي لا يزيد حجمها عن سدادة زجاجة شمبانيا.

كان هناك دومًا الكثير من الأشياء المثيرة في حفلات مهاويس التكنولوجيا، فكانت تمتلئ بالمهَوَّسين وبالأجهزة الجديدة والمثيرة. ربما لا يكون الناس بنفس مستوى الحسن المعهود في عصر الحسن، لكن الحفلات كانت أكثر إمتاعًا إلى حد بعيد؛ هناك الكثير من قردة جراحات التجميل الذين تتخذ أصابعهم شكل الأفاعي وخصلات شعرهم شكل قنديل البحر، وأيضًا الملابس المصنوعة من مادة ذكية تتموج وكأنها أعلام ترفرف في نسيم الهواء، والألعاب النارية الآمنة التي تمر بخفة وسرعة فوق الأرض، متحاشية الأقدام ومصدرة صوت أزيز أثناء مرورها.

كرَّس مهاويس التكنولوجيا حياتهم للاهتمام بالتقنيات الجديدة، فقد أحبوا التباهي بأحدث حيلهم، وأحب المدونون نشرها في مدونات الأخبار المعلوماتية الخاصة بهم. كانت الدائرة المفرغة للإبداع والشهرة ترفع من ترتيب شهرة كل من بالحفل، وهكذا يشعر الجميع بالرضا.

أو بالأحرى جميع المدعوين إلى الحفل.

أصدرت كاميرا طائرة صوت أزيز بالقرب من آيا وكانت على ارتفاع منخفض يكفي لأن تختلس النظر إلى وجهها. نكست آيا رأسها واتجهت نحو مجموعة من «مفجري الشهرة». على الملأ يحرص مفجرو الشهرة على ارتداء أغطية رءوسهم، وكأنهم مجموعة من الرهبان البوذيين فيما قبل العصور القديمة. كانوا في تلك الأثناء يقومون بعملهم، فكانوا يرددون اسم فرد عشوائي من الجماعة، في محاولة منهم لإقناع شبكة الاتصال الخاصة بالمدينة برفع رتبة شهرته.

أومأت آيا برأسها للمجموعة، وانضمت إليهم مع حرصها على إخفاء وجهها القبيح.

الفكرة الأساسية من ترديد اسم ما لتعزيز شهرته هي تحليل خوارزميات الشهرة في المدينة؛ كم عدد المرات التي يُذكر فيها اسمك كي يدخل ضمن قائمة الألف شخص الأوسع شهرة؟ وما مدى سرعة تدهور رتبتك إذا توقف الجميع عن الحديث عنك؟ كانت تلك الجماعة مثل تجربة كبيرة منظمة، وهذا يفسر سبب ارتداء أفرادها جميعًا الزي نفسه.

لكن آيا اكتشفت أن معظم مفجري الشهرة لا يعبئون بالرياضيات، فهم مجموعة من المخادعين المغمورين المثيرين للشفقة الذين يسعون وراء الصيت. كان

الأمر أشبه بالطريقة القديمة التي صنعوا بها المشاهير؛ حيث يروِّج عدد قليل من مدونات الأخبار لقلة من الحمقى وتتجاهل الباقين جميعًا.

ما الفائدة إذن من اقتصاد الشهرة لو أن أحدًا سيخبرك بالشخص الذي عليك أن تتحدث عنه؟

رددت آيا الاسم كأنها واحدة من المجموعة مع تركيزها في الوقت نفسه على عدسة عينها لتتابع المشهد من عدسات موجل. تحركت الكاميرا الطائرة فوق الحشد، وأخذت تلتقط صورًا للوجوه التي قابلتها واحدًا تلو الآخر.

لا بد أن الجماعة السرية التي اكتشفتها آيا موجودة هنا في مكان ما؛ ذلك أن مهاويس التكنولوجيا هم القادرون دون غيرهم على تنفيذ خدعة كتلك ...

كانت آيا قد اكتشفت تلك الجماعة منذ ثلاث ليال عندما كان أفرادها يركبون فوق سطح أحد القطارات المغناطيسية المعلقة الجديدة أثناء سيره بسرعات جنونية عبر المنطقة الصناعية؛ كانت السرعة عالية للغاية حتى إن اللقطات التي أخذتها موجل كانت غير واضحة المعالم، ومشوشة بدرجة تجعل من الصعب الاعتماد عليها.

يجب على آيا أن تعثر عليها مرة أخرى؛ فمن يسجل خدعة جنونية كالركوب فوق سطح قطار مغناطيسي معلق سيصير مشهورًا على الفور.

لكن موجل كانت شاردة تشاهد مجموعة من «ذواقة الأطعمة الجديدة» وهم يقفون أسفل فقاعة زهرية اللون تهيم في الهواء، ويشربون منها بماصات يبلغ طولها مترًا، مثلما يفعل رواد الفضاء عندما يسترجعون كوبًا مسكوبًا من الشاي.

لم يكن «ذواقة الأطعمة الجديدة» بالشيء الجديد، فقد نشر هيرو قصة عنهم الشهر الماضي. إنهم يأكلون عيش الغراب المنقرض الذي ينمو من بذور قديمة، ويصنعون الآيس كريم من النيتروجين السائل، ويضفون النكهات على أنواع غريبة من الأشياء. وكانت الفقاعة الزهرية التي تعلوهم تشبه الهلام الغازي؛ كانت طعامًا تماثل كثافته كثافة فقاعة الصابون.

انفصلت فقاعة صغيرة ومرت هائمة، فقطبت آيا جبينها عندما شمَّت رائحة الأرز والسلمون. قد يكون تناول المرء للمواد الغريبة طريقة رائعة لتعزيز ترتيب شهرته، لكن آيا فضَّلت تناول السوشي الأثقل في الكثافة عن فقاعات الهواء.

سعدت آيا بوجودها وسط مهاويس التكنولوجيا، حتى وإن كان عليها التخفي؛ فمعظم سكان المدينة لا يزالون عالقين في الماضي، يسعون لإعادة اكتشاف قصائد شعر الهايكو الياباني والدين وسلوكيات تناول الشاي؛ تلك الأشياء التي اختفت

في «عصر الحسن» عندما كان الجميع يتعرضون لإتلاف العقول، لكن مهاويس التكنولوجيا كانوا يبنون المستقبل ويعوضون ثلاثة قرون من التقدم المفقود.

كان ذلك أفضل مكان للبحث عن القصص.

حينئذ أصدرت عدستها وميضًا يفيد تعرفها على شخص ما.

همست آيا: «سجلي ذلك يا موجل، استديري نحو اليسار.»

كان هناك وجه مألوف خلف «ذواقة الأطعمة الجديدة» يراقبهم بسرور وهم يلاحقون الفقاعات الصغيرة الشاردة.

– «هذه الفتاة واحدة من أفراد الجماعة! كبري الصورة يا موجل.»

كانت الفتاة تبلغ من العمر نحو ثمانية عشر عامًا، وتمثل نموذجًا تقليديًّا لفتاة أجرت عملية جراحية للتحول إلى الحسان الجدد، ولها عينان واسعتان تشبهان عيون شخصيات المانجا الكارتونية. كانت ترتدي زي لاعبي الكرة الطائرة وتطفو برشاقة فوق أرضية الحجرة بمسافة عشرة سنتيمترات. لا بد أنها شهيرة؛ فقد أحاطت بها هالة من الشهرة ضمَّت صديقاتها ومعجباتها اللاتي التففن حولها لمنع المغمورين من الاقتراب منها.

همست آيا: «اقتربي بدرجة تمكنني من سماعهن.» اقتربت موجل بهدوء من حافة تلك الهالة، وسرعان ما التقطت أجهزة تسجيل الصوت المزودة بها اسم الفتاة، فتدفقت البيانات على عدسة عين آيا ...

كانت إيدن مارو لاعبة كرة طائرة، والجناح الأيسر لفريق «سوالوز» الذي فاز ببطولات المدينة في العام الماضي، وكانت شهيرة جدًّا لما أضافته من تعديلات إلى روافع لوحها الطائر.

وطبقًا لما ورد في جميع مدونات الأخبار المعلوماتية، تركت إيدن لتوها صديقها بسبب «اختلاف الطموح بينهما.» كان ذلك بالطبع تعبيرًا دقيقًا لكونها «أكثر شهرة منه.» لقد وصلت رتبة شهرة إيدن بعد البطولة إلى عشرة آلاف، أما صديقها — أيًّا كان اسمه — فكانت رتبته لا ترتفع عن ربع مليون. وعرف الجميع أنها تحتاج إلى أن تكون على علاقة بشخص يضاهيها في مستوى شهرتها.

لكن لم تذكر أي من الشائعات شيئًا عن جماعة إيدن التي تركب فوق سطح القطارات المغناطيسية المعلَّقة الجديدة. لا بد أنها تحتفظ بذلك الأمر سرًّا وتنتظر اللحظة المناسبة للكشف عن هذه الخدعة التي تقوم بها.

إذا سبقتها آيا في نشر هذا الخبر في مدونتها، فستحقق لنفسها الشهرة بين عشية وضحاها.

أمرت آيا موجل قائلة: «تعقبيها.» ثم عادت مرة أخرى لترديد الاسم الذي كان يردده «مفجرو الشهرة».

بعد نصف ساعة غادرت إيدن مارو المكان.

سعدت آيا بالابتعاد عن مفجري الشهرة سعادة بالغة، فقد رددت اسم «يوشيو نارا» نحو مليون مرة، وتمنت أن يتمتع يوشيو نارا بارتفاع رتبة شهرته، لأنها لم ترغب في سماع اسمه مجددًا.

من زاوية رؤية موجل على مسافة تبعد قليلًا عن الأرض، رأت آيا إيدن مارو وهي تتسلل خارجة من الباب وحدها.

لا بد أنها في سبيلها لمقابلة جماعتها السرية.

قالت آيا بصوت خفيض أجش بعد أن جفَّ حلقها إثر ترديدها لاسم «يوشيو نارا»: «تتبعيها عن كثب يا موجل.» وحينئذ رأت آيا صينية مشروبات تمر بجانبها، فقالت: «سألحق بك سريعًا.»

انتزعت آيا كأسًا بطريقة عشوائية وتجرعتها سريعًا، فأثار الكحول رجفة في جسدها. لم يكن ذلك ما تحتاج إليه آيا على وجه التحديد، فانتزعت كأسًا أخرى بها الكثير من مكعبات الثلج وشقت طريقها نحو الباب.

اعترضت مجموعة من «أصحاب البشرة البكسلية» سبيل آيا، وكانت أجسادهم تتموج بالألوان كالحرابي الثملة. انسلت آيا بينهم وتعرفت على وجوه بعضهم من مدونات قردة جراحات التجميل. حينئذ شعرت آيا برجفة خفيفة تسري في جسدها إثر تفكيرها في الشهرة.

بينما كانت آيا تقف عند درج القصر، سكبت الشراب من بين أصابعها واحتفظت بمكعبات الثلج، ثم ردت الكأس مرة أخرى نحو فمها وبدأت في جرش الثلج بأسنانها. يا لروعة جرعة من الثلج بعد هذا الحفل حار الأجواء!

قال أحد الأشخاص: «جراحة تجميلية مثيرة للاهتمام.»

تجمدت آيا في مكانها ... وسقط غطاء رأسها إلى الوراء كاشفًا عن وجهها القبيح.

قالت بصوت خافت: «أشكرك.» ثم تجرعت آيا كسرات الثلج الباردة، وارتطم نسيم الهواء بوجهها المتصبب عرقًا، وأدركت كم يفتقر وجهها لمواكبة أحدث الصيحات.

تبسم الفتى، وقال: «من أين أتيت بفكرة هذا الأنف؟»

هزت آيا كتفيها، إذ صارت عاجزة عن الكلام فجأة. شاهدت إيدن مارو في عدسة عينها وهي تحلق بالفعل عبر المدينة، لكن كان من المستحيل أن تحيد بنظرها عن الفتى؛ فقد كان من جماعة رءوس المانجا بعينيه الواسعتين البراقتين ووجهه الرقيق الذي ينم عن جمال غير عادي، وقرعت أظافره الطويلة المستدقة وجنته الخالية من العيوب وهو يحملق بها.

كان الفتى يحملق فيها، وهو ما كان أمرًا غريبًا للغاية.

كان فائق الجمال بينما هي قبيحة.

قال: «دعيني أخمِّن، هل استوحيتِ الفكرة من لوحة ترجع إلى ما قبل العصر القديم؟»

مست آيا أنفها، وقالت وهي تبتلع الكسرات القليلة الأخيرة من الثلج: «في الواقع لا ... أعتقد أنني اكتسبت هذا الأنف عشوائيًّا.»

قال الفتى: «بلا أدنى شك، فهو فريد في نوعه حقًّا.» وأحنى رأسه، ثم أردف قائلًا: «فريز ميزونو.»

وبينما كانت آيا تحني رأسها ردًّا عليه، أظهرت عدسة عينها رتبة شهرته وهي ٤٦١٢، فسرت رجفة في جسدها إثر إدراكها أنها تتحدث إلى شخص ذي شأن، على علاقة بأشخاص مهمِّين.

كان فريز ينتظر أن تفصح آيا عن اسمها، ولكن حالما تفعل ذلك، سيعرف رتبة شهرتها وعندئذ سيحول نظرته المحدقة الرائعة عنها إلى مكان آخر أكثر إثارة. حتى وإن كان قد أُعجب بوجهها القبيح إعجابًا يفتقر إلى المنطق وينم عن ثورة عقله، فإن كونها مغمورة أمر مثير للشفقة.

هذا إلى جانب أن أنفها كان كبيرًا جدًّا.

طوت آيا أحد سواريها الواقيين من الصدمات كي تستدعي لوحها الطائر، وقالت: «اسمي آيا. لكنني ... مضطرة للذهاب الآن.»

أحنى الفتى رأسه: «بالطبع، هناك أناس عليك مقابلتهم، وأشخاص عليك تعزيز شهرتهم.»

ضحكت آيا وهي تنظر إلى ردائها، ثم قالت: «آه، تقصد هذا الرداء، في الواقع لست كذلك ... أنا متنكرة.»

قال وابتسامة فاتنة تعلو وجهه: «متنكرة؟ أنت غامضة للغاية.»

حينئذ ارتفع لوحها الطائر إلى جوار درج السلم. حدقت آيا في اللوح الطائر وهي في حالة من التردد. كانت موجل تبعد عنها بالفعل نصف كيلومتر منشغلة بتعقب إيدن مارو عبر الظلام بسرعة عالية، ولكن كان هناك صوت بداخل آيا يناشدها أن تمكث.

ذلك أن فريز كان لا يزال يحملق فيها.

قالت: «لا أحاول أن أكون غامضة، لكن الأمور تسير على هذا النحو فحسب.»

ضحك فريز، وقال: «أريد أن أعرف لَقَبَك يا آيا. أعتقد أنك تتعمدين عدم إخباري.»

قالت بصوت قصير حاد وهي تخطو فوق اللوح: «آسفة، لكن يجب علي ملاحقة إحدى الفتيات، وهي ... تبتعد عني.»

أحنى الفتى رأسه وابتسامته تتسع، ثم قال: «استمتعي بالمطاردة.»

مالت آيا إلى الأمام، وانطلقت في الظلام وضحكته تتردد في أذنيها.

تحت سطح الأرض

كانت إيدن مارو تعرف كيف تطير.

كانت أجهزة الرفع التي تغطي الجسم بأكمله هي اللباس المعتاد للاعبي الكرة الطائرة، لكن لم يجرؤ معظم الناس قط على ارتدائها. كان لكل جزء في الجسم رافعة خاصة به، كالوسادات الواقية لقصبة الساق والمرفقين، حتى إنه يوجد رافعة للأحذية طويلة الساقين في بعض الأجهزة. وقد تتسبب ارتجافة واحدة خاطئة يصدرها المرء بأصابعه في تشتيت كل القوى المغناطيسية في اتجاهات مختلفة، مما قد يؤدي إلى خلع كتفه أو دفعه في حالة من الدوران لترتطم رأسه بأحد الجدران. وعلى عكس السقوط من فوق اللوح الطائر لن تتمكن الأساور الواقية من الصدمات من إنقاذ المرء لو تصرف على نحو أخرق.

لكن يبدو أن أيًّا من هذا لم يثر قلق إيدن مارو، فظهرت في عدسة عين آيا، وهي تنطلق عبر موقع الإنشاءات الجديد في مسار متعرج متخذة من المباني غير المكتملة ومصارف مياه الأمطار المفتوحة مضمارًا للحواجز.

حتى موجل المزودة بالكثير من الروافع كانت تجد صعوبة في مواكبة حركة إيدن، على الرغم من أن عرضها لا يزيد على العشرين سنتيمترًا.

حاولت آيا التركيز في قيادتها للوحها الطائر، لكنها كانت لا تزال شبه غائبة الوعي بسبب الفتى فريز ميزونو الذي أذهلها باهتمامه بها. فمنذ أن أزالت ثورة العقول الحواجز بين المراحل العمرية للأفراد، استطاعت آيا أن تتحدث إلى الكثير من الحسان، لأن الأمر لم يعد كما كان في السابق؛ حيث لم يكن بوسعك أن تتحدث إلى أصدقائك قط بعد خضوعهم للجراحة التجميلية. ومع ذلك لم ينظر إليها أحد من الحسان بمثل هذه الطريقة قط.

هل كانت آيا تخدع نفسها؟ لعل نظرة فريز الحادة تبث هذا الشعور في أي شخص؛ فقد كانت عيناه واسعتين للغاية، كما في اللوحات القديمة التي اعتمد عليها رءوس المانجا في تحديد ملامحهم.

كانت آيا متلهفة لسؤال شبكة اتصال المدينة عنه؛ فهي لم تره من قبل في مدونات الأخبار المعلوماتية، ولكن في ضوء رتبة شهرة فريز التي تقل عن خمسة آلاف، فلا بد أنه يشتهر بشيء آخر بخلاف جماله الفتان.

لكن في الوقت الحاضر ثمة قصة على آيا تعقبها، وشهرة عليها أن تصنعها. فلو أرادت أن ينظر فريز إليها هكذا مرة أخرى، فلا يُفترض بها أن تبقى مغمورة إلى هذه الدرجة.

بدأت عدسة عينها تومض. كانت إشارة موجل تخفت تدريجيًّا، بعد أن أصبحت خارج نطاق شبكة المدينة وهي تتعقب إيدن مارو تحت سطح الأرض.

ومضت الإشارة بقدر من التشويش، ثم أظلمت العدسة ...

توقفت آيا بلوحها الطائر، وشعرت برجفة تسري في جسدها؛ ففقدها لموجل كان يثير أعصابها دومًا، مثلما ينظر المرء أسفله في يوم مشمس ليجد أن ظله قد اختفى.

حدقت آيا في آخر صورة أرسلتها الكاميرا الطائرة، حيث كانت داخل أحد مصارف المياه، وكانت الصورة غير واضحة المعالم ومشوهة تحت تأثير الأشعة تحت الحمراء، وفيها تظهر إيدن مارو وهي في وضع انحناء محكم، وكأنها قذيفة بشرية تنطلق بسرعة داخل حدود النفق وتتجه نحو أغواره، حتى إن جهاز إرسال موجل لم يستطع الوصول إلى السطح مرة أخرى.

كانت الطريقة الوحيدة للعثور على إيدن مرة أخرى هي ملاحقتها عبر النفق.

مالت آيا إلى الأمام، كي تحث لوحها الطائر على الحركة مرة أخرى، وظهر موقع الإنشاءات الجديد من حولها بما فيه من عشرات الهياكل الحديدية والفجوات الفاصلة بينها.

بعد ثورة العقول، لم يرغب أي شخص في العيش في مباني «عصر الحسن» التي تفتقر إلى مواكبة أحدث صيحات البناء. لم يرد هذا أي شخص مشهور على أيه حال. لذا كانت المدينة تتوسع بلا حدود، وكان سكانها يستولون على المعادن من أطلال المدينة القديمة القريبة، حتى إن الشائعات ترددت عن خطط المدينة

لتنقيب الأرض بحثًا عن طبقات حديدية كما فعل سكان العصر القديم الذين شاع عنهم تدمير الأرض منذ ثلاثة قرون.

مرت بجانبها الأبراج غير مكتملة البناء كالوميض، واهتز لوحها الطائر بسبب إطاراتها الفولاذية. فمع أن الألواح الطائرة كانت تحتاج إلى معادن أسفلها كي تتمكن من التحليق في الهواء، يؤدي وجود مجالات مغناطيسية كثيرة للغاية إلى اهتزازها. هدأت آيا من سرعتها وهي تفتش عن موجل مرة أخرى.

لكنها لم تجد شيئًا؛ فلا تزال الكاميرا الطائرة تحت سطح الأرض.

ظهرت في مجال رؤيتها حفرة ضخمة هي أساس إحدى ناطحات السحاب التي سيتم إنشاؤها في المستقبل، وعلى طول أرضيتها الموحلة امتدت برك من مياه أمطار الظهيرة التي عكست السماء المضاءة بالنجوم وكأنها شظايا متلألئة لمرآة.

في زاوية تلك الحفرة لاحظت آيا مدخل نفق؛ وهو مدخل لشبكة مصارف مياه الأمطار أسفل المدينة.

كانت آيا قد نشرت منذ شهر قصة عن جماعة جديدة للنقش على الجدران، تتألف من مجموعة من القبحاء يتركون أعمالًا فنية للأجيال القادمة، إذ كانوا يرسمون على الجدران الداخلية للأنفاق وقنوات المياه غير المكتملة ليخفوا أعمالهم وكأنها صناديق مقتنيات تاريخية تدفن لتُخلد؛ إذ لن يتمكن أحد من الاطلاع عليها إلا بعد انهيار المدينة بوقت طويل، وذلك عندما يعاد اكتشاف أطلالها على يد حضارة مستقبلية. كان ذلك من خصائص ثورة العقول؛ وفيه تأمل لمدى الضعف الشديد الذي كان عليه عصر الحسن الأبدي، والذي فاق كثيرًا ما بدا عليه.

لم تعزز تلك القصة من شهرة آيا؛ فلم تكن الأخبار المتعلقة بالقبحاء تعزز من شهرة أي فرد قط، لكنها قضت هي وموجل أسبوعًا يمارسان فيه لعبة الغميضة داخل موقع الإنشاءات، من ثم لم تكن آيا خائفة من الوجود تحت سطح الأرض.

وبينما تركت آيا لوحها الطائر يتجه إلى أسفل، أحنت رأسها وهي تمر مسرعة أسفل آلات ودعامات رافعة معطلة واتجهت بقوة نحو فوهة النفق، ثم ثنت ركبتيها وضمت ذراعيها إلى جانبيها واندفعت نحو ظلام دامس ...

ومضت عدسة عينها مرة واحدة، لا بد أن الكاميرا الطائرة كانت على مقربة منها.

كانت رائحة مياه الأمطار والوحل القديم نفاذة، ولم يكن هناك أي صوت سوى صوت قطرات مياه الصرف. وبينما خبت الأضواء خلف آيا حتى أصبحت

وهجًا باهتًا برتقالي اللون، أبطأت من سرعة لوحها الطائر ليماثل الزحف في حركته، وأرشدت نفسها داخل النفق بيدها التي كانت تنزلق على جدار النفق.

عاد وميض إشارة موجل مرة أخرى ... واستمر.

كانت إيدن مارو واقفة منتصبة القامة وقد ثنت ذراعيها. كانت في مكان فسيح خيم عليه الظلام الحالك في ضوء الأشعة تحت الحمراء ويمتد لأقصى مسافة استطاعت عدسات موجل أن تراها.

ماذا يوجد هناك؟

لمع مزيد من الأجسام البشرية في الظلام الدامس، كانت تهيم فوق الأرض المنبسطة السوداء وتلألأت تحت أقدامها ألواح طائرة على شكل معينات.

تبسمت آيا؛ لقد وجدتهن، وجدت أولئك الفتيات المجنونات اللاتي ركبن القطارات المغناطيسية المعلقة.

همست: «تحركي إلى الأمام وأنصتي جيدًا.»

وبينما كانت موجل تقترب منهن، تذكرت آيا مكانًا كان القبحاء من جماعة النقش على الجدران يتباهون باكتشافه، وهو خزان مياه ضخم تخزن فيه المدينة المياه الفائضة من موسم الأمطار، كان أشبه ببحيرة حالكة الظلام تحت سطح الأرض.

وعبر ميكروفونات موجل نمت إلى سمعها أصداء كلمات قليلة:

– «شكرًا لوصولك إلى هنا سريعًا.»

– «لقد قلت دومًا إن رتبة شهرتك العالية يا إيدن ستقحمك في المشكلات.»

– «حسنًا، من المفترض ألا يستغرق الأمر وقتًا طويلًا، فهي خلفي مباشرةً.»

تجمدت آيا في مكانها، من ذا الذي يقف مباشرة خلف إيدن؟ نظرت آيا خلفها.

لم تجد شيئًا سوى وميض المياه التي تتساقط في النفق.

وبعدها تلاشت إشارة عدسة عينها مرة أخرى، دمدمت آيا ببعض عبارات السباب وهي تثني بنصرها؛ من أجل إيقاف وتشغيل موجل ... لكن رؤيتها ظلت معتمة.

همست: «موجل!»

لم يظهر أي وميض على عدسة عينها ولا أي استجابة. حاولت آيا الوصول إلى الإعدادات المميزة للكاميرا الطائرة، وقناتها الصوتية وأجهزة التحكم في الطيران عن بعد، لكن لم يُجدِ أي شيء.

لكن موجل كانت على مقربة شديدة منها، فكانت تبعد عنها عشرين مترًا على الأكثر، لماذا إذن يتعذر عليها الاتصال؟

حثت آيا لوحها الطائر على التقدم إلى الأمام ببطء، وهي تصغي بصعوبة إلى ما يدور من حديث، محاولة اختراق الظلام ببصرها. انزلق الجدار الذي كانت تلامسه عن يدها فترددت حولها أصداء دخولها إلى مكان فسيح. وفيه كانت قطرات مياه الأمطار تتدفق من العشرات من مصارف المياه، وبعثت رطوبة الخزان برودة في الجو جعلتها تشعر برجفة تسري في جسدها.

كانت في أمس الحاجة لأن ترى ما حولها ...

عندئذ تذكرت آيا لوحة تحكم لوحها الطائر، ففي هذه الظلمة الحالكة قد يحدث وميض الضوء البسيط فارقًا كبيرًا.

جثت آيا على ركبتيها وشغلت لوحة التحكم، فكشف وميضها الأزرق الخافت عن وجود جدران ضخمة من الطوب القديم، مكسوة في أجزاء صغيرة منها بخزف حديث ومادة ذكية، وأعلى هذه الجدران كان هناك سقف حجري كبير وكأنه قبو لكاتدرائية تقع تحت الأرض.

لكن لا أثر لموجل.

اتجهت آيا ببطء عبر الظلام، تاركة تيارات الهواء اللطيفة تدفع لوحها الطائر وهي تصغي بتركيز إلى ما حولها، وعلى بعد أمتار قليلة أسفل لوحها الطائر امتدت بحيرة ساكنة من المياه المعتمة.

سمعت آيا بعد ذلك شيئًا ما على مقربة منها. حبست أنفاسها لحظة، ثم استدارت ...

وفي الوميض الأزرق الخافت ظهر وجه قبيح كان يحدق بها. وقفت الفتاة على لوح طائر وهي تحمل موجل بين ذراعيها، وابتسمت ابتسامة فاترة في وجه آيا.

– «ظننا أنك قد تأتين في إثر هذه.»

قالت آيا: «يا إلهي! ماذا فعلتن في ...»

برزت قدم من الظلام وركلت لوح آيا الطائر ودفعته إلى حالة من الارتجاج.

صاحت آيا: «انتبهن!»

دفعتها أيادٍ قوية، فخطت خطوتين مضطربتين إلى الوراء، وغيّر لوحها الطائر مساره محاولًا البقاء أسفل قدميها، فبسطت آيا ذراعيها وتمايلت كطفل صغير ينتعل حذاء التزلج على الجليد.

– «توقفن عن ذلك! ما الذي تفعلنه ...»

ظهرت أيادٍ أخرى من جميع الاتجاهات تزج بها وتدفعها بقوة، وأخذت آيا تدور حول نفسها باضطراب شديد عاجزة عن الرؤية والدفاع عن نفسها، ثم اندفع لوحها الطائر بعيدًا وسقطت آيا بسرعة في الهواء.

وارتطم الماء بوجهها بصفعة قاسية باردة.

اختبار قبول

خيم ظلام المياه من حولها وتردد هديرها في أذنيها كصوت الرعد، ونزعت قوة الاصطدام أي إحساس داخلها بتغير حركتها ما بين الصعود والهبوط، فلم تخلف سوى شعورها بالترنح والبرد القارس في المياه المضطربة من حولها. تراخت ذراعاها وقدماها وملأت المياه فتحتي أنفها وفمها، وكانت تضغط على صدرها ...

ثم برز رأس آيا من سطح الماء، وأخذت تلهث وتلفظ الماء من فمها وتضرب الماء بيديها باحثة عن شيء صلب في الظلام.

– «مهلًا! ما خطبكن؟»

دوى صياحها في الفضاء الفسيح مرسلًا أصداءه في الفضاء المظلم، لكن لم يأت رد على سؤالها.

أخذت آيا تحرك يديها وقدميها في الماء وهي تلتقط أنفاسها محاولة أن تنصت لأي شيء.

– «مرحبا ...؟»

حينئذ امتدت يد لتمسك برسغها ووجدت آيا نفسها ترتفع في الهواء إلى أعلى. استقرت على هذا الوضع المعلق وقدماها متدليتان، والماء يتساقط من ردائها كالشلال إثر رجفاتها.

– «ماذا ... ماذا يحدث؟»

أجابها صوت قائلًا: «نحن لا نحب مدوني الأخبار؟»

كان هذا ما توقعته آيا: إنهن يردن نشر قصة ركوبهن فوق سطح القطارات بأنفسهن، ومن ثم يحتفظن بالشهرة لأنفسهن.

ربما حان الوقت لقدر من الانحراف عن الحقيقة: «لكنني لست مدونة!»

زمجرت إحداهن بغضب ثم قال صوت قريب من أذنيها: «لقد تتبعتني إلى هنا من تلك الحفلة، أو كاميرتك الطائرة هي التي فعلت على أي حال، كنت تبحثين عن قصة.»

– «لم أكن أبحث عن قصة، كنت أبحث عنك.» وارتعدت آيا مرة أخرى وجاهدت نفسها كي تمنع أسنانها من أن يصطك بعضها ببعض. كان عليها إقناعهن بألا يقمن بإسقاطها في البحيرة المعتمة مرة أخرى.

– «لقد رأيتكن تلك الليلة.»

قال الصوت الأقرب إليها: «أين رأيتنا؟» وأُحكمت القبضة حول رسغها، لا بد أن هذه الفتاة هي إيدن؛ لا أحد يستطيع حملها إلى أعلى بهذه الطريقة دون مساعدة من أحد أجهزة رفع الكرة الطائرة.

– «رأيتكن فوق قطار مغناطيسي معلق. كنتن تركبن فوق سطحه، وحاولت أن أعرف هويتكن، لكن لا يوجد أي ذكر لكن في مدونات الأخبار المعلوماتية.»

قال الصوت الأول: «هذا هو ما نرغب فيه.»

قالت آيا: «حسنًا، فهمت! هل ستبقينني معلقة هكذا؟»

سألتها إيدن: «هل ترغبين في أن أسقطك؟»

– «بالطبع لا، كل ما هنالك أن هذا ... الوضع يؤلم رسغي إلى حد ما.»

– «استدعي لوحك الطائر إذن.»

– «أوه ... حسنًا.» لقد نسيت آيا تمامًا لوحها الطائر في غمرة الذعر الذي اجتاحها، فبسطت ذراعها الحرة وطوت سوارها الآخر الواقي من الصدمات، وبعد ثوان قليلة مس اللوح الطائر قدميها برفق وأطلقت القبضة الحديدية سراحها.

تمايلت آيا لحظة فوق اللوح الطائر، وهي تدعك رسغها، ثم قالت: «شكرًا لك، على ما أظن.»

مرة أخرى جاء صوت الفتاة الذي سمعته أولًا: «أتقولين إنك لست مدونة أخبار؟» ربما تكون هذه هي المرأة القبيحة التي لمحتها. تردد صوتها في الظلام بنبرة خفيضة وغليظة، وكأنها أجرت عملية جراحية على حلقها كي يبدو صوتها مخيفًا.

– «في الواقع نشرت بضعة أخبار على مدونة أخباري كما يفعل الجميع.»

قالت إحداهن: «هل نشرت صورًا لقطتك؟» ثم ضحكت ضحكة ساخرة مكتومة.

سألتها إيدن: «إذن أتذهبين دائمًا للحفلات وأنت متنكرة في زي مفجري الشهرة وبصحبتك كاميرا طائرة؟»

لفت آيا ذراعيها حول جسدها؛ إذ كان رداؤها المشبع بالماء ملتصقًا بجلدها، وأسنانها كانت على وشك أن يصطك بعضها ببعض في أي لحظة جراء شعورها بالبرودة الشديدة، ثم ردت عليها قائلة: «أصغي إلي، لقد أردت أن أنضم إلى جماعتكن، ومن ثم كان علي تعقبكن. وموجل خير عون لمثل هذه المهمة.»

سألتها صاحبة الصوت المزعج: «من موجل؟»

– «أوه ... إنها كاميرتي الطائرة.»

– «أتطلقين على كاميرتك الطائرة اسمًا؟»

دوت أصوات الضحكات من كل اتجاه، فأدركت آيا أن هناك عددًا أكبر من الفتيات أكثر مما ظنت، ربما اثنتا عشرة فتاة مختبئة في الظلام.

جاء صوت إيدن: «انتظري قليلًا، كم عمرك؟»

– «إممم ... خمسة عشر عامًا.»

حينئذ ومض ضوء مصباح يدوي، وسطع في الظلام الحالك حاجبًا رؤية من حوله.

فأغمضت آيا عينيها بشدة وقالت متألمة: «آه!»

حينئذ أردفت الفتاة التي كانت تحمل المصباح اليدوي: «خلت أن هذا الأنف كبير الحجم، حتى في ضوء الأشعة تحت الحمراء.»

وحين تكيفت عينا آيا مع ضوء المصباح، بدأت تتبين الوجوه، فبدت الفتيات من حولها مثل فتيات جماعة «الفتيات البسيطات»، وهي جماعة للفتيات اللاتي لا يردن أن يكن حسناوات أو لافتات للنظر، واللاتي يردن فقط أن يكن فتيات عاديات، كما لو كان هذا المفهوم لا يزال موجودًا. وباستثناء هيئة إيدن مارو مفتولة العضلات الممتلئة، بدت الأجسام الطائرة حول آيا متماثلة، أجسام ذات هيئة واحدة يسهل لها التخفي وسط أي حشد من الناس. وبقدر ما استطاعت آيا رؤية ما حولها، بدا لها أن جميع من حولها من الفتيات يشبهن ما رأته في تلك الليلة وهن يركبن سطح القطار المغناطيسي المعلق.

قالت إيدن: «أنت تحبين إذن التسلل إلى الخارج ليلًا؟»

– «أعتقد ذلك، فهذا يتيح لي الفرار من الجلوس في مسكن الطلاب.»

بصوتها الغليظ قالت الفتاة الأخرى متشدقة: «أتشعرين بالضجر بسهولة؟ ربما ينبغي لك أن تركبي فوق القطار أحيانًا.»

ابتلعت آيا ريقها متسائلة: «أركب فوق القطار؟ أتقصدين أنه يمكنني أن أركب معكن؟»

انبعثت أصوات التذمر عبر الظلام الذي كسا النفق.

قالت الفتاة التي تحمل المصباح اليدوي: «لكنها لا تزال في الخامسة عشرة فقط.»

قالت الفتاة ذات الصوت الغليظ: «هل ما زلت تعيشين في عصر الحسن؟ من يأبه بعمرها؟ لقد اقتحمت مدينة الحسان وشقت الطريق إلى هنا بمفردها. لعلها أكثر شجاعة من أغلبيتكن.»

قالت إيدن: «ماذا لو أن الكاميرا الطائرة نشرت قصة عنا؟ سنجد الحراس يحيطون بنا من كل جانب.»

قالت الفتاة ذات الصوت المزعج: «لا يزال بإمكانها أن تستدعي الحراس إذا أرادت أن تفعل ذلك.» واقتربت بلوحها الطائر من آيا حتى صار أنفها على بعد سنتيمترات قليلة فقط من أنف آيا: «إذن إما أن نتركها هنا إلى الأبد أو نجندها في صفنا.»

ابتلعت آيا ريقها في ذعر وهي ترمق البحيرة المعتمة المتلألئة أسفلها.

– «إممم، هل لي رأي في الأمر؟»

قالت الفتاة: «لا أحد يقرر الأمر غيري.» ثم ابتسمت وقالت: «لكن ماذا عن تلك؟ عليك أن تتخذي قرارًا.»

– «يا إلهي!»

أمسكت الفتاة موجل على امتداد ذراعها، ورأت آيا مقبض الإغلاق المثبت على سطح موجل، والتي كانت متجمدة ومتوقفة توقفًا تامًّا إلى أن ينزع أحد هذا المقبض.

– «إما أن تأخذي كاميرتك الطائرة وترحلي، أو أن أسقطها في المياه الآن وتنعمي بفرصة الركوب فوق القطار معنا.»

طرفت آيا عينيها مصغية إلى المياه الباردة التي كانت قطراتها لا تزال تتساقط من ردائها. لقد زعم رين أنه جعل موجل مضادة للماء، لكن هل ستتمكن من العودة مرة أخرى إلى هذه البقعة بالتحديد؟

– «إلى أي مدى يشكل هذا الأمر أهمية لك، أن تخرجي من مسكن الطلاب الصغير المثير للضجر؟»

ابتلعت آيا ريقها وقالت: «مهم جدًّا.»

– «إذن يجب أن يكون الاختيار سهلًا، أليس كذلك؟»

– «الأمر فقط هو أن ... هذه الكاميرا كلفتني الكثير من نقاط الاستحقاق.»

– «إنها مجرد دمية للّهو، شأنها شأن رتبة الشهرة ونقاط الاستحقاق، لا تعني شيئًا إذا لم تتخلِ عنها.»

هل شهرة الفرد لا تعني شيئًا؟ كانت هذه الفتاة حمقاء، لكنها كانت محقة بشأن أمر واحد، وهو أنه لا شيء أهم من الخروج من مبنى أكيرا هول الممل الكئيب.

ربما يساعدها رين في إيجاد طريق العودة إلى هنا ...

أغمضت آيا عينيها وقالت: «حسنًا، أريد أن أنضم إليكن، أسقطيها.»

أحدث صوت الارتطام دويًّا كالصفعة.

– «أحسنت الاختيار، فهذه الدمية ليست ما تحتاجين إليه بالفعل.»

فتحت آيا عينيها، وكانتا ممتلئتين بدموع حبيسة.

قالت الفتاة وهي تنحني لها: «اسمي جاي.»

بادلتها آيا الانحناءة وقالت: «أنا آيا فيوز.» وكانت عيناها تنظران إلى أسفل نحو التموجات متزايدة الاتساع أسفلهما. لقد ضاعت موجل بالفعل.

قالت جاي: «حسنًا سنراك مجددًا في القريب العاجل.»

– «ترينني في القريب العاجل؟ لقد قلتن ...»

– «أعتقد أنك حظيت بقدر كافٍ من المتعة لليلة واحدة، لفتاة تبلغ من العمر خمسة عشر عامًا.»

– «لكنكن وعدتنني!»

– «وأنت قلت إنك لست مدونة أخبار، أريد أن أتحقق مما إذا كنت تحيدين عن الحقيقة في هذا الأمر.»

بدأت آيا في الاحتجاج على الأمر، لكن تلاشت كلماتها في فمها؛ فلا مغزى من الجدال الآن، فقد ضاعت موجل بالفعل.

– «لكنني لا أعرف حتى من أنتن.»

ابتسمت جاي وقالت: «نحن «الفتيات الماكرات»، وسوف نتصل بك. هيا بنا يا فتيات، هناك قطار علينا اللحاق به!»

أدارت الفتيات ألواحهن الطائرة للتحرك بها، والتففن حول آيا، ليمتلئ النفق الموجود تحت سطح الأرض بأصداء الهدير والصياح. انطفأت أضواء المصابيح

اليدوية، وسمعتهن وهن ينطلقن بعيدًا واحدة تلو الأخرى، وقد ابتلعت فوهات مصرف مياه الأمطار صرخاتهن.

وجدت آيا نفسها في الظلام بمفردها وهي تحاول أن تكبت دموعها.

لقد تخلت عن موجل دون مقابل. وما إن تتحقق الفتيات الماكرات من مدونتها الإخبارية، فسيعرفن كل شيء عن قصصها. وإذا أدركن أن أخاها واحد من أشهر مدوني الأخبار في المدينة، فلن يثقن بها مجددًا أبدًا.

تذمرت آيا قائلة: «ذلك الأحمق هيرو.» فما كانت لتجد هذه الصعوبة الشديدة في أن تكون من المغمورين لو لم يتصف هيرو بالشهرة الواسعة. وما كانت لتضطر لإثبات نفسها.

وما اضطرت لمقايضة موجل ... مقابل لا شيء.

أطبقت آيا قبضتيها بقوة وتركت لوحها الطائر ينخفض حتى سمعت الصوت الطفيف لمرور روافعه فوق الماء. وبينما جثت على ركبتيها مدت يدها في الظلام وخفضت راحتها وبسطتها فوق سطح الماء برفق. كانت لا تزال تشعر بانتشار التموجات من المكان الذي ارتطمت فيه موجل بالماء.

قالت آيا هامسة: «أنا آسفة، سأعود إليك في القريب العاجل.»

الشقيق الأكبر

مرت قصور فسيحة بجوار آيا، وكانت ضخمة وساطعة بأضواء المشاعل. وفي ضوء الصباح الباكر، كانت المشاعل متقدة في الهواء الطلق في كل مكان، مطلقةً كميات هائلة من الكربون في السماء. وفوق رأسها تحركت حمامات السباحة؛ وكانت عبارة عن فقاعات طائرة من المياه مشكَّلة بفعل خطوط قوى غير مرئية. وبينما كانت آيا تحلق بلوحها الطائر أسفلها، لمحت أشخاصًا يتسكعون فوق عوامات وهم يحدقون في الفجر أثناء بزوغه.

كان المبنى الذي يعيش فيه هيرو يشق السماء بارتفاع ثلاثمائة متر، وكان برجًا طويلًا من الزجاج والحديد البراق. وكي لا يسأم قاطنوه المناظر المحيطة به، كان المبنى بالكامل يدور بسرعة عقرب الساعة. رفعت الدعامات الرافعة ثقل المبنى، فلم يلامس أي شيء فيه الأرض سوى ممر وحيد للمصعد، فبدا المبنى وكأنه راقصة باليه ضخمة تدور ببطء شديد على إصبع واحد.

كانت جميع المباني في هذا الجوار متحركة ومعلقة تتحول وتفعل أشياء أخرى مذهلة سئمها جميع قاطنيها.

كان هيرو يعيش في الجزء المشهور من المدينة.

وبينما اقترب لوح آيا الطائر من سلم المبنى، تذكرت حال شقيقها خلال تلك الشهور التي انقضت أثناء عصر الحسن، فقد كان جميلًا وقنوعًا ومهذبًا. لا شك أنه حضر جميع الحفلات، لكنه كان يأتي إلى موطنه لقضاء كل إجازة، ودائمًا ما كان يحضر الهدايا لآيا ولكبار السن.

لقد غيرت ثورة العقول كل هذه الأشياء، باستثناء وجهه الجميل.

وفي العام الأول الذي تلا علاجه من تلف المخ الذي أحدثته عملية التجميل، تنقل هيرو بين الجماعات، فمن جماعة المولعين بالجراحات المفرطة إلى فريق الكرة

الطائرة بالمدينة حتى إنه تدرب كحارس غابة في البرية. لم يستقر طويلًا في أي جماعة، بل كان ينتقل بين الجماعات دون هدف غير قادر على فهم معنى الحرية.

لا شك أن الاضطراب اجتاح الكثيرين في ذلك العام الأول الذي غابت عنه العقلانية والمنطق، فقرر البعض بالفعل مناهضة ثورة العقول، ولم يكن ذلك مقصورًا على كبار السن فحسب، بل صغار الحسان والحسناوات أيضًا، حتى إن هيرو تحدث عن رغبته في العودة إلى حالة التشوش العقلي.

كانت الأنباء قد ترددت منذ عامين عن تعرض الاقتصاد لأزمة؛ ففي عصر الحسن فيما مضى، كان بإمكان أصحاب العقول المشوشة طلب أي شيء يريدونه، من دمى وملابس للحفلات، وكان ما يطلبونه يخرج من الكوة الذكية دون الحاجة لإبداء الأسباب. لكن اتضح فيما بعد أن المبتكرين أصحاب العقول المتحررة كانوا أكثر نهمًا من أصحاب العقول المشوشة؛ فقد وجه عدد هائل من الموارد للهوايات العشوائية والمباني الجديدة والمشروعات الكبيرة مثل القطارات المغناطيسية المعلقة، ولم يعد هناك من يتطوع للقيام بالوظائف الصعبة.

أراد بعض الناس الرجوع إلى استخدام «المال» الذي استخدمه سكان العصر القديم، وما يصاحبه من دفع للإيجارات والضرائب والتعرض لمجاعة إذا لم يستطع الفرد دفع ثمن الطعام، لكن مجلس المدينة لم يفقد صوابه إلى هذه الدرجة، فقد صوت أعضاؤه لمصلحة الاقتصاد المعتمد على الشهرة بدلًا من ذلك. فمن تلك اللحظة فصاعدًا، صارت نقاط الاستحقاق ورتبة الشهرة هما اللتان تحددان من يحصل على أفضل المباني وأعلى نسبة مسموح بها من انبعاثات الكربون وأعلى امتيازات للكوة الذكية. كانت نقاط الاستحقاق تُمنح للأطباء والمعلمين والحراس وصولًا إلى الصغار ممن يؤدون الواجبات المدرسية والمهام اليومية المنوطة بهم، أي كل فرد يحافظ على تقدم المدينة حسبما تقرر لجنة المواطن الصالح. أما درجات رتبة الشهرة، فكانت تُمنح لباقي أفراد المجتمع من الفنانين إلى نجوم الرياضة وحتى العلماء. وكان بإمكان الفرد استخدام جميع الموارد التي يريدها ما دام يعتنق المعتقدات الجماعية للمدينة.

ولكي يتم الحفاظ على العدالة في إطار تقديم رتبة الشهرة للمواطنين، كان يخصص لكل مواطن أكبر من سن الطفولة مدونة خاصة به، تضم ملايين الأخبار المتناثرة لمساعدته على فهم ثورة العقول.

لم يكن مسمى «مدون أخبار» قد صُك بعد، لكن هيرو استوعبه بالغريزة، فعرف كيف يُكسب جماعة ما الشهرة بين عشية وضحاها وكيف يقنع الجميع بالسعي وراء اختراع جديد، وفوق هذا وذاك كيف يجعل من نفسه شخصًا أسطوريًّا في تلك الأثناء.

وعندما هبطت آيا أمام باب المصعد خارج المبنى، أطلقت تنهيدة بهدوء، لقد صار هيرو ذكيًّا للغاية منذ أن عولج تلف عقله ...

ليت كل هذه الشهرة التي يحظى بها لم تحوله إلى شخص متغطرس وأناني.

– «ماذا تريدين يا آيا-تشان؟»

– «أريد أن أتحدث إليك.»

– «الوقت مبكر للغاية.»

تأوهت آيا، فدون وجود موجل لن تتمكن من الوصول إلى نافذة غرفتها؛ لذا كان عليها الانتظار حتى بزوغ الفجر كي تعود إلى مسكن الطلاب. وها هو هيرو يظن أنه متعب، فماذا عنها هي؟

لا يمكن أن يكون قد مر بليلة أسوأ من تلك التي مرت بها، وظلت تتخيل صورة موجل وهي في أعماق البحيرة الممتدة تحت سطح الأرض، حيث ترقد هامدة شاعرة بالبرودة.

– «أرجوك يا هيرو؟ لقد أهدرت لتوي مجموعة من نقاط الاستحقاق لتغيير مواعيد فصولي الصباحية كي أتمكن من المجيء لرؤيتك.»

علا صوت متذمر: «عودي خلال ساعة.»

حملقت آيا بغضب في باب المصعد، فلا يمكنها حتى الصعود وقرع نافذته، فالمباني في هذا الجزء الشهير من المدينة لا تسمح لأحد بالطيران بالقرب منها.

– «حسنًا، أيمكنك على الأقل إطلاعي أين رين الآن؟ فجهاز تحديد المواقع الخاص به مغلق.»

– «رين؟» صدرت ضحكة خافتة من خلف الباب. وأردف: «رين مستلق على أريكتي.»

تنهدت آيا بارتياح؛ إذ يسهل التعامل مع هيرو كثيرًا عندما يكون أقرب أصدقائه موجودًا بالقرب منه: «إذن أيمكنني التحدث إليه ... رجاءً؟»

لم يصدر أي صوت عبر الباب مدة طويلة حتى إن الشك ساور آيا بأن هيرو عاد إلى النوم، ولكن جاء صوت رين في النهاية.

– «مرحبا آيا-تشان، تفضلي بالدخول!»

انفتح الباب، ودخلت آيا عبره.

كانت غرف هيرو مزدانة بملايين من الأكاليل التي اتخذت شكل طيور الكركي.

كان هذا الأمر عادة قديمة تعود إلى ما قبل العصر القديم، وهي من العادات القليلة التي ظلت باقية في عصر الحسن، فعندما تبلغ الفتاة سن الثالثة عشرة، تصنع سلسلة مخيطة تضم آلافًا من أشكال الطيور الورقية، وتقضي أسابيع في طي القصاصات الورقية على شكل أجنحة ومناقير وذيول، ثم تحيك الفتاة ما صنعته معًا مستخدمة خيطًا وإبرة عتيقة الطراز.

وبعد حدوث ثورة العقول انتهج عدد قليل من الفتيات اتجاهًا جديدًا، وهو أن يرسلن سلاسل الطيور الورقية التي صنعنها إلى الفتية ذوي رتب الشهرة العالية الذين صاروا حسانًا حديثًا، أو بعبارة أخرى أشخاص مثل هيرو.

شعرت آيا بوخز في أصابعها لدى رؤيتها سلاسل طيور الكركي الورقية؛ فقد ذكرتها بآلاف الطيور التي صنعتها بيديها. وكانت سلاسل الطيور الورقية متدلية في كل مكان في الجناح، عدا كرسي هيرو الخاص بمشاهدة المدونات الذي يحتل لديه مرتبة مقدسة.

كان هيرو يجلس هناك مسترخيًا، مرتديًا قميصًا خاصًّا بلعبة الكرة الطائرة، ويفرك عينيه. كان الشاي الأخضر يتدفق من الصنابير المثبتة بالكوة الذكية في الحائط، ليعبق الهواء برائحتي العشب المقطع والكافيين.

سألها: «هل يمكنك إحضار أكواب الشاي؟»

أجابته: «صباح الخير لك أيضًا.» وانحنت أمامه بأسلوب تهكمي وذهبت لإحضار الشاي. وبالطبع أحضرت كوبين، له ولرين، ولم تحضر كوبًا من الشاي لنفسها، إذ لم تكن تحب الشاي الأخضر على الإطلاق.

ألقى عليها رين التحية بصوت ناعس وهو مستلق فوق الأريكة قائلًا: «صباح الخير يا آيا-تشان.» ثم نهض إلى وضع الجلوس لينفصل عن ظهره سرب من طيور الكركي الورقية التي سحقها بظهره بعد أن التصقت به. وكانت الزجاجات الفارغة مبعثرة في كل مكان، بينما كانت آلة التنظيف تجتذب إليها بقايا الطعام والشمبانيا المنسكبة.

قدمت آيا كوب الشاي لرين ثم تساءلت: «هل كنتما تحتفلان بشيء ما أم كنتما تستعيدان أيام التشوش العقلي؟»

ضحك رين وقال: «ألا تعلمين؟ حسنًا، يجدر بك أن تقدمي التهاني لهيرو-سنسي.»

– «هيرو-سنسي؟ ماذا؟»

أومأ رين برأسه وقال: «هذا صحيح، لقد نجح شقيقك أخيرًا في الانضمام إلى قائمة الشخصيات الأكثر شهرة.»

طرفت آيا عينيها ثم قالت: «الشخصيات الأكثر شهرة ذات الألف درجة، هل تمزح؟»

قال هيرو وهو يحدق في الشاشة الجدارية: «ترتيبي في هذه اللحظة ثمانمائة وستة وتسعون.» رأت آيا الرقم على الشاشة، وهو ٨٩٦، كان مكتوبًا في صورة أعداد يبلغ طول الواحد منها مترًا. أردف هيرو: «بالطبع شقيقتي تتجاهلني، أين كوب الشاي الخاص بي؟»

قالت آيا: «لكنني لم ...» وللحظة تحول شعورها بالإجهاد إلى شعور بالدوار. كان هذا الصباح هو أول صباح منذ زمن بعيد لم تتفقد فيه آيا رتبة شهرة هيرو. وقد وصل ترتيبه إلى الألف درجة! وإذا تمكن من الحفاظ على هذا الترتيب، فسيدعى إلى حفل نانا لاف الذي سيُعقد الشهر التالي للشخصيات الألف الأكثر شهرة.

كان هيرو، شأنه شأن معظم الفتية، مفتونًا للغاية بنانا لاف.

– «أنا آسفة ... لقد كنت منشغلة للغاية ليلة أمس. لكن هذا رائع!»

بسط هيرو أحد أصابعه في خمول وأشار إلى كوب الشاي الذي تحمله بيدها.

قدمت آيا إليه الشاي وهي تنحني أمامه انحناءة احترام حقيقية وقالت: «هنيئًا لك يا هيرو.»

نبهها هيرو قائلًا: «هيرو-سنسي.»

أدارت آيا عينيها استهجانًا، وقالت: «لست مضطرة إلى أن أدعو أخي بلقب «سنسي» يا هيرو، بصرف النظر عن علو رتبة شهرته. حسنًا، ما القصة التي نشرتها؟»

– «لن تثير اهتمامك على ما يبدو.»

– «بالله عليك يا هيرو! أنا أتابع كل القصص التي تنشرها ... لم يفتني سوى ليلة أمس.»

قال رين: «كانت القصة عن مجموعة من هؤلاء الأشخاص كبار السن.» ثم استرخى على الأريكة وأردف: «هم أشبه بجماعة قردة جراحات التجميل، عدا أنهم لا يعبئون بالجمال أو التعديلات الجسدية الغريبة، فكل ما يهتمون به هو إطالة العمر، كإجراء جراحة لعلاج تلف الكبد كل ستة أشهر وزرع قلب مستنسخ جديد مرة كل عام.»

قالت آيا: «إطالة العمر؟ لكن القصص المتعلقة بكبار السن لا تلقى رواجًا كبيرًا.»

قال رين: «هذه القصة تحمل جانبًا من المؤامرة، فهؤلاء الأشخاص كبار السن يعتقدون أن الأطباء يعلمون كيف يبقون على الناس أحياء إلى الأبد ويخفونه سرًّا. يقولون إن السبب الوحيد لموت أي فرد طاعن في السن هو الحفاظ على ثبات عدد السكان، الأمر أشبه بعملية تشويش العقل التي كانت تُجرى في الماضي في عصر الحسن، فالأطباء يخفون الحقيقة!»

تمتمت آيا قائلة: «هذا الأمر شديد الإثارة.» وشعرت برجفة تسري في عمودها الفقري. كان من السهل تصديق المؤامرات، بعد أن جعلت الحكومة جميع الأفراد مشوشي العقول على مدار قرون.

قصة عن البقاء إلى الأبد؟ حتى الصغار قد يهتمون بهذا الأمر.

قال هيرو: «لقد أغفلت الجزء الأهم يا رين، وهو أن هؤلاء الأشخاص كبار السن يخططون لمقاضاة المدينة ... للمطالبة بالخلود، كما لو أنه حق من حقوق الإنسان أو شيء من هذا القبيل. يريد الناس تحقيقًا في الأمر! عليك التحقق من ذلك.»

لوح هيرو بيده، فاختفت رتبة شهرته من على الشاشة الجدارية وحلت محلها شبكة من مسارات تناقل الخبر، وهي رسم بياني ضخم يوضح كيف انتشرت القصة عبر شبكة اتصال المدينة طوال الليل. فانبثقت من مدونة هيرو موجات هائلة من الجدال والخلاف والنقد اللاذع غير المتحفظ، فقد انضم ما يزيد عن ربع مليون شخص إلى النقاش.

هل الخلود فكرة زائفة؟ هل من الممكن أن يبقى العقل مشوشًا إلى الأبد؟ إذا لم يمت أحد، فأين بحق الجحيم سيمكث الجميع؟ هل سينتهي الحال بالتوسع إلى التهام الكرة الأرضية؟

شعرت آيا بالدوار مرة أخرى لدى قراءتها للسؤال الأخير، فقد تذكرت ذلك اليوم في المدرسة عندما عرضت صور ملتقطة بالأقمار الصناعية ترجع إلى العصر القديم، قبل تنظيم عدد السكان. كانت المدن المنتشرة عشوائيًّا ضخمة للغاية بدرجة تسمح برؤيتها من الفضاء، كانت مدنًا تضم مليارات المغمورين المتزاحمين على الكوكب الذين يعيش معظمهم في حالة من الانعدام التام للشهرة.

صاح هيرو: «انظرا إلى ذلك! الجميع ينصرفون عن قصتي بالفعل. لقد هبطت رتبتي ووصلت إلى تسعمائة، يا لهم من سطحيين.»

قال رين وهو يبتسم لآيا: «ربما صار الخلود موضوعًا قديمًا.»

قال هيرو: «يا إلهي! من يستولي على مقلتيَّ؟»

حرك هيرو يده بسرعة مرة أخرى، فانقسمت الشاشة الجدارية إلى اثنتي عشرة لوحة، فظهرت الوجوه المألوفة لأفضل اثني عشر مدونًا تكنولوجيًّا في المدينة. لاحظت آيا أن هيرو قفز إلى رقم أربعة.

كان هيرو منحنيًا نحو الأمام وهو جالس فوق كرسيه وقد استبد به القلق في استعراض المدونات بعينيه لاكتشاف من الذي ذهبت إليه تقديراته ورتبته.

أطلقت آيا تنهيدة، فهذا ما اعتادته من هيرو، فقد نسي بالفعل أنها جاءت للتحدث إليه، لكنها جلست هادئة، منكمشة فوق الأريكة بجوار رين، وهي تحاول ألا تتسبب في تجعد عدد كبير من الطيور الورقية الصغيرة الحزينة. ولعله لا ضير أن تصبر على هيرو حتى يحل أمر مدونته قبل الاعتراف له بأنها تركت كاميرتها الطائرة في قاع بحيرة.

لم تعترض آيا على الانشغال في تلك الأثناء بأمر مدونته، فقد هدأت الأصوات المألوفة من روعها، إذ غمرها شعور بالراحة وكأنها تتجاذب أطراف الحديث مع أصدقاء قدامى.

كانت وجوه الناس قد اختلفت كثيرًا منذ حدوث ثورة العقول، فقد صار من غير الممكن التنبؤ بالبدع والجماعات والابتكارات الجديدة إلى حد بعيد، وهذا أدى إلى غياب المنطق عن المدينة أحيانًا. وكان المشاهير من الناس بمنزلة علاج لتلك العشوائية، على نحو مماثل لتجمع الناس فيما قبل العصر القديم حول النار كل ليلة يستمعون إلى من يكبرونهم سنًّا؛ فالناس يحتاجون إلى وجود وجوه شهيرة من حولهم للشعور بالراحة والألفة، حتى لو تمثل ذلك فحسب في قيام المشاهير ذوي الأنا المرتفعة أمثال نانا لاف بالتحدث عما تناولته في وجبة الإفطار.

في أعلى يمين الشاشة، كان جاما ماتسوي ينشر قصة عن اكتشاف تكنولوجي عقائدي جديد. فقد طبقت جماعة تاريخية برنامجًا حسابيًّا تناسبيًّا على أمهات الكتب الروحانية، وقامت ببرمجته بحيث يقدم أحكامًا أشبه بالأحكام الإلهية.

ولسبب ما حظر البرنامج تناول لحم الخنزير.

تساءلت آيا: «من قد يفعل ذلك من الأساس؟»

قهقه رين وقال: «أليست الخنازير منقرضة، لقد كانوا جديًّا بحاجة إلى تحديث هذا الحكم.»

قال هيرو: «إن الأحكام الدينية غير مواكبة تمامًا لروح العصر.»

كانت قضية إعادة إحياء الأديان القديمة قد اندلعت بعد ثورة العقول مباشرة، حينما كان الناس جميعًا لا يزالون في سعيهم إلى التوصل إلى ما تعنيه كل هذه الحريات الجديدة، لكن أعيد اكتشاف الكثير من الأشياء الأخرى في هذه الأيام، مثل حفلات لم شمل العائلة، والجريمة، وشخصيات المانجا الكارتونية، ومهرجان تفتح الكرز. وباستثناء القليل من أتباع طوائف يانج بلود، كان معظم الناس منشغلين لدرجة تمنعهم من البحث عن شخصيات إلهية خارقة.

قال هيرو وهو يغير الصوت إلى مدونة أخرى: «ما الذي يحاول هذا النكرة فعله؟»

ولفظة «النكرة» هي الاسم الذي كان يطلقه كل من هيرو ورين على توشي باناما، وهو أكثر المشاهير حماقةً في المدينة. كان ناقدًا أكثر من كونه مدونًا تكنولوجيًّا حقيقيًّا؛ فدائمًا كان يهاجم الجماعات أو البدع الجديدة، ويشعل نار الكراهية ضد أي شيء غير مألوف. لقد رأى أن ثورة العقول كانت كارثة، فقط لأن الهوايات والأفكار الجديدة التي تستحوذ على عقل المرء قد تكون مشوشة وغريبة بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

لم يتلفظ هيرو ورين باسمه أبدًا، وكانا يغيران لقبه كل بضعة أسابيع، وذلك قبل أن تكتشف شبكة اتصال المدينة الشخص الذي يعنيانه باللقب، فحتى الاستهزاء بالناس ساعد في رفع إحصائيات رتبة شهرتهم. ففي اقتصاد المدينة القائم على الشهرة، تكمن الطريقة الوحيدة الفعلية للإساءة إلى أي شخص في تجاهله تمامًا. كان من الصعب للغاية تجاهل شخص استثار سخطك الشديد، كان هذا الشخص «النكرة» إما محل مقت أو إعجاب كل فرد في المدينة تقريبًا، مما جعل رتبة شهرته تقارب المرتبة المائة تقريبًا.

هذا الصباح كان هذا الشخص «النكرة» ينتقد الاتجاه الجديد لأصحاب الحيوانات الأليفة وتجاربهم المروعة في تربية الحيوانات. أظهرت المدونة الإخبارية كلبًا مصبوغًا باللون الوردي تنبت فوق رأسه خصلات غزيرة من الفراء على شكل قلب. رأت آيا أن شكله لطيفًا نوعًا ما.

صاح رين وهو يقذف بوسادة في اتجاه الشاشة الجدارية: «إنه مجرد كلب بودل، أيها الغبي المزيف للحقائق!»

قهقهت آيا، فعمل تصفيفات شعر مضحكة للكلاب ليس بأمر بدائي تمامًا، كصنع السترات من الفراء أو تناول لحم الخنازير.

قال رين: «إنه شخص تافه، أخفه من الشاشة!»

خاطب هيرو الغرفة قائلًا: «لتستبدلي به الشخص الأعلى مرتبة الذي يليه.» فاختفى الوجه الغاضب للشخص «النكرة».

تحركت عينا آيا عبر الشاشات، فلا يبدو أي شيء مثيرًا مثل الركوب فوق قطار مغناطيسي معلق، لا بد أن قصة الفتيات الماكرات ستجلب شهرة أكبر من قصص كلاب البودل وأكل الخنازير وشائعات الخلود.

يتعين على آيا التأكد فحسب من أنها أول مدون ينشر هذه القصة على مدونته.

رأت بعد ذلك الشخص الذي حل محل ذلك «النكرة» أعلى يسار الشاشة الجدارية، فاتسعت عيناها.

همست آيا بصوت خفيض: «مهلًا، من هذا الشخص؟»

لكنها كانت تعلم بالفعل اسم الفتى الفاتن صاحب العينين الواسعتين لشخصية المانجا الكارتونية ...

إنه فريز ميزونو.

فريز

همهم هيرو قائلًا: «ذلك الأحمق احتل المرتبة الثالثة عشرة بين المدونين التكنولوجيين الأكثر شهرة؟ لقد تحقق ذلك سريعًا.»

قالت آيا: «شغل صوته.»

قال هيرو: «مستحيل! إنه مثير للاشمئزاز للغاية.»

لوح هيرو بيده وحلت مدونة أخرى محل وجه فريز.

– «هيرو!»

مال رين ليصير أكثر قربًا منها على الأريكة ثم قال: «فريز هو مؤسس هذه الجماعة الجديدة، جماعة الصدق المطلق. وهيرو غاضب لأن فريز قرر أن يؤسس الجماعة بنفسه بدلًا من السماح لنا بمساعدته في ذلك.»

قطبت آيا جبينها وقالت: «ماذا قلت؟»

– «الصدق المطلق» وأشار رين إلى صدغه، فدارت عدستا عينيه، إذ امتلك رين عدسة في كل عين شأنه شأن أي فرد في جماعة المبدعين التكنولوجيين. أردف قائلًا: «ابتكر فريز عملية جراحية جديدة للمخ، كما كان في عصر الحسن، غير أن العملية لا تجعل الشخص مشوش العقل، بل تُغير العقل بحيث لا يصبح بمقدور الشخص الكذب.»

تمتم هيرو وهو جالس على كرسيه قائلًا: «أجل، من المفترض أن تكون هذه العملية الجراحية الأفق الجديد الجريء للتفاعل الإنساني، بيد أنهم يثرثرون بحماقة فحسب بالحديث عن مشاعرهم على مدار اليوم.»

قال رين: «كان صديق لي قد جرب هذه العملية مدة أسبوع، ويقول إنها قاتلة للملل للغاية، واتضح أنه عندما لا يكذب المرء أبدًا هناك دائمًا من يغضب منه.»

ضحك هيرو ورين، وعاد كلاهما إلى تحليل المدونات الأخرى ومتابعة صعود وهبوط رتب المدونين. كانت العقيدة البرمجية قد منيت بالفشل إذ فقد جاما-سنسي رتبته الرفيعة طوال الصباح، بينما كان كلب البودل يحقق نجاحًا، كما تفعل دائمًا الحيوانات ذات المظهر المضحك، الأمر الذي أدى إلى رفع رتبة شهرة الشخص «النكرة» حتى بلغت ثلاثة وستين، وهو بذلك يتفوق بدرجة واحدة على عمدة المدينة.

ظلت آيا صامتة، تحدق في زاوية الشاشة التي شغلتها مدونة فريز فترة وجيزة، وحاولت أن تتذكر كل كلمة نطق بها، لقد قال إن أنفها المكتسب عشوائيًّا يروقه، وإنه يعتقد أنها غامضة، وإنه أراد أن يعرف اسمها بالكامل.

لم يكن يكذب حيال أي من ذلك.

بالطبع، عندما يكتشف أنها لم تهتم بالأنوف المكتسبة عشوائيًّا، وأنها ولدت به فحسب، لأنها قبيحة ومغمورة تقتحم الحفلات دون سابق دعوة، ما الذي قد يقوله آنذاك؟ إنه ما كان حتى ليتحدث إليها بأسلوب مهذب، وكانت العملية الجراحية التي تمد المرء بالصدق المطلق ستجعله يظهر خيبة أمله حيال اختلافهما في الطموح ... إلا إذا لم تكن مغمورة وقتها.

سألت آيا بهدوء: «رين، هل سبق أن تسللت لتصوير شخص ما من قبل؟»

– «هل تقصدين مثل هواة انتقاد الموضة؟ لم أفعل ذلك قط، فهذا أمر غير مثير للاهتمام.»

– «كلا، أنا لا أقصد صورًا للمشاهير، بل أقصد التخفي لتتبع قصة.»

قال رين وقد علت وجهه نظرة عدم ارتياح: «لست متأكدًا من ذلك.» كان رين مدونًا تكنولوجيًّا؛ تكتظ مدونته بتصميمات لمكونات الأجهزة ونماذج معدلة من شبكة الاتصال أكثر من قصص الأشخاص، أردف قائلًا: «فأعضاء مجلس المدينة يغيرون آراءهم حيال ذلك باستمرار، إنهم لا يريدون أن يتكرر ما حدث في العصر القديم وأن يكون لدى الأشخاص معلومات ومقدرة على فعل الأشياء، ولكن لا أحد يحب مثل هذه المدونات التي تظهر أشخاصًا يخونون أزواجهم، أو هواة انتقاد الموضة الذين يسخرون من الملابس وجراحات التجميل.»

– «أجل، الكل يكره هذه المدونات، باستثناء الأعداد الضخمة من الناس الذين يشاهدونها.»

– «أعتقد أنه يجدر بك على الأرجح سؤال هيرو عن ذلك، فهو يتابع هذه الأمور.»

رمقت آيا بعينيها أخاها الذي كان غارقًا حتى أذنيه في نشوته لمتابعة المدونات، إذ كان يتابع بعينيه الشاشات الاثنتي عشرة في آن واحد، فلا شك أنه يخطط للتطور الجديد لقصته المثيرة المتعلقة بالخلود. وليس هذا هو الوقت المناسب لذكر قصتها الجديدة، لا سيما أن هذا سيعني إحضار كاميرا طائرة ضائعة.

قالت آيا: «ربما ليس الآن. حسنًا ما الذي يشغلك في الوقت الحاضر؟»

قال رين: «ليس بالشيء المهم، إذ طلبت مني جماعة العلوم التي تضم الحسان والحسناوات متوسطي العمر نشر قصة. لقد حصلوا على بعض نقاط الاستحقاق، لكنهم لم ينالوا شهرة، فحسبما تعلمين هم يحاولون إعادة خلق كل تلك الأنواع التي قضى عليها سكان العصر القديم من البقايا القديمة للحامض النووي والجينات المهملة.»

قالت آيا: «حقًّا؟ هذا يبدو مثيرًا بالفعل!»

– «أجل، إلى أن اتضح أنهم سيبدءون بالديدان والبزاق والحشرات. لقد دهشت كثيرًا وقلت «ديدان؟» أخبروني إذن عندما تصلون إلى النمور!» ثم ضحك رين وقال: «بالمناسبة، رأيت قصتك عن جماعة النقش على الجدران تحت الأرض، أحسنت صنعًا.»

شعرت آيا بدماء الخجل تتدفق إلى وجنتيها وقالت: «حقًّا؟ أتعتقد أن هذه الجماعة كانت مثيرة؟»

تمتم هيرو وهو جالس على كرسيه قائلًا: «ستكون مثيرة، بعد حوالي ألف عام، عندما يزاح الثرى عن أعمالها.»

ابتسم رين وقال هامسًا: «أترين؟ إن هيرو يشاهد مدونتك أيضًا.»

قال هيرو دون أن يبعد عينيه عن الشاشة قط: «مع أنها لا ترد الجميل.»

سألها رين: «إذن ما قصتك التالية يا آيا-تشان؟»

قالت آيا: «إنها سر في الوقت الحالي.»

قال هيرو: «سر؟ يا لك من فتاة غامضة.»

تنهدت آيا، لقد جاءت إلى هنا لطلب المساعدة من هيرو، لكن من الواضح أنه ليس في حالة مزاجية تسمح له بمد يد العون، ستكون تصرفاته غير محتملة على نحو لا يطاق الآن بعد أن وصل ترتيب شهرته إلى مرتبة الألف.

لعل الأمر لا طائل فيه، فهي حتى ليست متيقنة من أن الفتيات الماكرات سيفين بوعدهن ويتصلن بها، أو من إمكانية عثورها عليهن ثانية إذا لم يتصلن بها.

قال رين: «لا تقلقي يا آيا-تشان، لن نطلع أي أحد على السر.»

قالت: «حسنًا ... هل سمعتما من قبل بجماعة الفتيات الماكرات؟»

رمق رين هيرو الذي استدار ببطء فوق كرسيه لمواجهتها، وقد علا وجهيهما تعبير غريب.

قال هيرو: «لقد سمعت بهذه الجماعة، لكنها غير حقيقية.»

ضحكت آيا: «غير حقيقية؟ أتقصد أنهن أشخاص آليون أم شيء من هذا القبيل؟»

قال: «أقصد أن وجودهن أمر أشبه بالشائعة إلى حد بعيد، فجماعة الفتيات الماكرات غير موجودة.»

سألته آيا: «ماذا تعرف عن هذه الجماعة؟»

– «لا شيء، لا توجد معلومات عنها لأنها غير حقيقية.»

قالت آيا: «بربك يا هيرو، إن الحصان أحادي القرن غير حقيقي، لكنني أعلم معلومات عنه، مثل ... أن لديه قرنًا في مقدمة رأسه ويستطيع الطيران!»

تذمر هيرو قائلًا: «كلا، البيجاسوس هو الذي يستطيع الطيران، لكن الحصان أحادي القرن لديه قرن فحسب، وهذا ما يجعله أكثر واقعية من الفتيات الماكرات، اللاتي لا أستطيع أن أخبرك عنهن شيئًا، إنها مجرد عبارة عشوائية يستخدمها المدونون، مثلما حدث في العام الماضي عندما كان ثمة شخص يقفز من فوق الجسور باستخدام مظلات منزلية الصنع، ولم يتوصل أحد إلى معرفة ذلك الشخص، فنسب الجميع ذلك إلى جماعة الفتيات الماكرات، لأن لفظة ماكر لغويًّا تحمل في طياتها إشارة إلى الحذق أو الدهاء.»

أدارت آيا عينيها استهجانًا وقالت: «أنا ضليعة في الإنجليزية أكثر منك يا هيرو-سنسي، لكن ماذا إذا كانت هذه الجماعة موجودة بالفعل؟»

قال: «لن تكون حينها سرية، أليس كذلك؟ أقصد أن بعض الجماعات تبدأ في الخفاء، ويقوم الكثير من الناس بالخدع سرًّا، لكن لا أحد يبقى مجهولًا إلى الأبد.» ثم حرك عينيه بنظرة شاملة في أنحاء الغرفة، حيث الشاشة الجدارية الضخمة وأكاليل طائر الكركي الورقية والنافذة التي يمتد ارتفاعها من الأرضية إلى السقف بإطلالتها المتغيرة ببطء، ثم قال: «في ظل الاقتصاد القائم على الشهرة، من الأفضل لهن أن يكن مشهورات، هل تعلمين أن كل مجرم حقيقي انتهى به المطاف بالاعتراف بجريمته منذ حدوث ثورة العقول؟»

أومأت آيا برأسها، الكل يعلم ذلك، وكيف تمكنوا جميعًا من الوصول إلى مرتبة الشخصيات الأكثر شهرة ذات الألف درجة في بضعة أيام على الأقل. «لكن ماذا لو ...؟»

– «إن الجماعة غير حقيقية يا آيا، أيًّا كان الأمر.»

قالت آيا: «ماذا إذا أحضرت لكما بعض اللقطات للفتيات الماكرات، ماذا سيكون رأيكما حينها؟»

استدار هيرو مرة أخرى نحو الشاشة الجدارية ثم قال: «سأقول الشيء نفسه الذي كنت سأقوله إن غرست قرنًا بلاستيكيًّا برأس حصان وبدأت بنشر أخبار عن ظهور الحصان أحادي القرن: فلتكفي عن إهدار وقتي.»

ضمت آيا قبضتيها بشدة، وشعرت بوخز في عينيها، لقد تلاشت الآن الشكوك التي ساورتها حيال تتبع الفتيات الماكرات خلسة، فهي عازمة على أن تجعل هيرو يتراجع عما قاله.

استدارت نحو رين وقالت: «ما الكاميرا المناسبة التي يمكن طلبها؟ أريد كاميرا صغيرة جدًّا ويمكن إخفاؤها.» وأشارت بإصبعها إلى زر في زيها الخاص بمسكن الطلاب وقالت: «بهذا الحجم.»

قال رين: «هذا أمر يسير.» ثم قطب جبينه وقال: «أين كاميرتك الطائرة على أي حال؟ لم تعتادي الذهاب إلى أي مكان دون اصطحاب موجل.»

– «في الواقع ... هذا سبب بحثي عنك يا رين.»

تجهَّم رين وقال: «ماذا؟ هل كسرت عدسة أخرى؟ عليك أن تتوقفي عن القفز من نافذة غرفتك.»

قالت آيا بصوت خفيض: «يبدو الأمر أسوأ من ذلك.» ولكن على الرغم من صوتها الخفيض لاحظت أن هيرو كان منصتًا للحديث، لماذا يتجاهلها دائمًا، إلى أن ترتكب خطأً؟ أردفت: «لقد ... أضعت موجل.»

اتسعت عينا رين ثم سألها: «لكن كيف ...؟»

استدار هيرو نحوهما وقال: «أضعتها؟» وارتسمت على وجهه الجميل نظرة محدقة ساخطة، ثم أردف: «كيف يمكن أن تضيعي كاميرا طائرة؟ فالكاميرات الطائرة تعود إلى المنزل حينما تتركينها وراءك!»

قالت آيا: «ليس الأمر أنني تركتها في مكان ما، أقصد أنه من المستحيل ...»

قال هيرو: «هل تعلمين كم قضى رين من الوقت في إدخال التعديلات إلى هذه الكاميرا؟»

قالت آيا: «اسمعني يا هيرو، فأنا أعرف إلى حد ما مكان موجل.» وشعرت بغصة في حلقها ثم أردفت: «أنا فقط أحتاج إلى القليل من المساعدة في العثور عليها ... وإعادتها إلى السطح.»

صرخ هيرو قائلًا: «سطح ماذا؟»

قالت آيا: «ثمة بحيرة تحت سطح الأرض، و...» ثم جف حلقها عند هذه الكلمات وأغلقت عينيها؛ فإذا استمر هيرو في الصياح في وجهها فستجهش بالبكاء.

شعرت آيا بيد رين تربت على كتفها، ثم قال لها: «لا بأس يا آيا-تشان.»

قالت آيا بصعوبة: «أنا آسفة.»

زفر رين ببطء ثم قال: «حسنًا، يبدو أنها قصة ستحقق إلى حد ما شهرة واسعة، أعتقد أن لدي متسعًا من الوقت غدًا، ربما أستطيع مساعدتك في التقاط موجل من ... قاع تلك البحيرة الموجودة تحت سطح الأرض؟»

أومأت آيا برأسها وهي لا تزال مغمضة العينين ثم قالت: «شكرًا يا رين-تشان.»

قال هيرو: «ستضيعها ثانية.»

صاحت آيا: «لا، لن أضيعها! وسأثبت لكما خطأ اعتقادكما بشأن الفتيات الماكرات أيضًا!»

لم يرد هيرو ... وإنما هزَّ رأسه بالنفي فحسب.

اتجهت آيا نحو مسكن الطلاب، وهي مستمرة في محاولاتها لكبت بكائها.

كانت منهكة القوى، وكان رين يبغضها، كما كان أخوها الغبي يزداد شهرةً وفظاعةً كل ثانية. وإذا لم يستطع رين العثور على موجل، فلن يكون هناك سبيل أمامها للاجتهاد في جمع نقاط استحقاق كافية لشراء كاميرا طائرة جديدة.

وكان كل ما تريد آيا فعله هو أن تنام حتى صباح اليوم التالي، فقد وعدها رين بأن يقابلها في موقع الإنشاءات الجديد، لكن فترة ما بعد الظهيرة اليوم كانت مزدحمة فعلًا بالدروس، تلك التي غيرت موعدها من الصباح بحيث تسبق درس المستوى المتقدم للغة الإنجليزية، وليس بإمكانها أن تتغيب عن هذه الدروس؛ فالاجتهاد المدرسي هو أسرع وسيلة لجمع نقاط الاستحقاق عندما يكون الشخص قبيحًا، إذ خُصصت كل الوظائف الجيدة للحسان والحسناوات وكبار السن.

عندما وصلت إلى مبنى أكيرا هول، نزلت إلى القبو ووجدت شاشة جدارية فارغة.

خاطبتها آيا قائلة: «آيا فيوز.»

فدبت الحياة في الشاشة، وعرضت قوائم برسائلها ومهامها كما عرضت رتبة شهرتها البائسة البالغة ٤٥١٤٤١.

كانت آيا متلهفة لمعرفة المزيد عن فريز ميزونو وجماعة الصدق المطلق، لكن لن يتسنى لها ذلك إلا بعد أن تنتهي من أعمالها المدرسية. وبينما كانت تراجع القائمة للبحث عن أي مهام جديدة، استوقفتها رسالة ...

كانت من مجهول وتنبثق منها رسوم متحركة، كالقلوب الخفاقة التي يزين بها الصغار رسائلهم، لكن هذه لم تكن قلوبًا أو نقاط تعجب أو وجوهًا باسمة.

كانت عيونًا شاحبة لم تخضع لعمليات تجميل، كعيون أفراد جماعة الفتيات البسيطات، وظلت هذه العيون تغمز لها.

فتحت آيا الرسالة وقرأت ...

لقد اطلعنا على قصة جماعة النقش على الجدران، ليست سيئة إذا وضع في الاعتبار أنها لمدون أخبار. قابلينا في منتصف الليل، حيث يغادر القطار المغناطيسي المعلق مدينة القبحاء.

لكن لا تحضري كاميرا معك، وإلا لن ندعك تلهين معنا.

صديقاتك الجديدات

الفتيات الماكرات

– «ألا يُسمح لي باستخدام لوحي الطائر؟»

قالت جاي بازدراء: «أتقصدين تلك الدمية؟ إنها بطيئة للغاية، ستصل سرعة القطار عندما تقفزين فوقه إلى مائة وخمسين كيلومترًا.»

قالت آيا: «يا إلهي!» وأخذت تحدق أسفل منها في منعطف خط السكة الحديدية الطويل المتلألئ الذي يسير عليه القطار المغناطيسي المعلق. كان هذا الخط يمر بين المنشآت الصناعية منخفضة الارتفاع، فكان أشبه بقوس أبيض اللون يتخلل الأضواء البرتقالية الخافتة. وكانت الفتيات الماكرات قد أرشدت آيا إلى مقابلتهن عند حافة المدينة، حيث يتلاشى الحزام الأخضر ليحل محله المصانع والتوسعات الجديدة، قالت آيا: «لقد حسبت أنكن تركبن فوق القطار وهو واقف.»

– «سيتوقع الحراس ذلك الأمر، أليس كذلك؟» كانت جاي تتمايل بقدميها بين الحين والآخر كما لو أنها ليست على ارتفاع مائة متر، وأردفت: «ولديهم أجهزة مراقبة في كل مكان في أفنية القطارات.»

– «أليس السير بسرعة مائة وخمسين كيلومترًا سريعًا نوعًا ما؟ فمعظم الألواح الطائرة مقيدة بسرعة ستين كيلومترًا في الساعة لدواعي السلامة.»

قالت إيدن مارو: «تلك السرعة لا تقارن بسرعة القطار المغناطيسي المعلق، لكننا سنعتلي القطار عندما يبطئ من سرعته عند المنعطف.» ثم أشارت نحو البرية وأردفت: «فالقطارات تسير بسرعة ثلاثمائة كيلومتر ريثما تصل إلى الطريق المستقيم خارج المدينة.»

– «ثلاثمائة كيلومتر؟ وسنبقى فوقه على الرغم من ذلك؟»

ابتسمت جاي وقالت: «لنأمل ذلك، مع أخذ البديل بعين الاعتبار.»

نظرت آيا سريعًا إلى السوارين المغناطيسيين الملتفين حول رسغيها، كانا يشبهان الأساور الواقية من الصدمات التي يرتديها الجميع للحماية من السقوط من فوق اللوح الطائر، إلا أنهما كانا أكبر حجمًا. لكن هل لهذين السوارين حقًّا فاعلية مقاومة ريح معاكسة سرعتها ثلاثمائة كيلومتر؟

لفت آيا ذراعيها حول نفسها، وهي تحاول ألا تنظر تحتها حيث المسافة الكبيرة التي تمتد أسفلها والتي تثير التوتر. وكانت الفتيات الثلاث في حالة من الاتزان فوق برج إرسال شاهق مما مكنهن من رؤية الظلام في الأفق، إلى حيث تنتهي حدود المدينة.

لم يسبق لآيا أن رأت البرية قبل الليلة، فيما عدا على المدونات المعنية بالطبيعة، إذ كانت فكرة المغامرة في هذا المكان الفسيح القاحل والمظلم أكثر فزعًا من القفز فوق سطح قطار مسرع.

وكان غياب موجل يضاعف من شعور آيا بعدم الارتياح. كان يراودها شعور بالرهبة لعلمها بأن أيًّا من أحداث هذه المغامرة لا يُسجل. فمثل الأحلام، مهما يحدث الليلة سيتلاشى مع صباح اليوم التالي. شعرت آيا بأنها معزولة عن العالم، وأنها تسبح في الخيال.

قالت جاي: «سيمر القطار التالي بعد ثلاث دقائق، إذن ما أهم شيء يجب تذكره ما إن نعتلي القطار؟»

شعرت آيا بقطرة عرق باردة تسري على عمودها الفقري، وأجابت: «الإشارات التحذيرية من خطر الموت.»

– «ما قواعدها؟»

– «عندما يُطلق أي فرد أمامي الضوء الأصفر، فهذا يعني تنكيس الرأس، أما الضوء الأحمر فيعني قدوم نفق؛ لذا يجب الاستلقاء باستواء فوق القطار.»

قهقهت جاي وقالت: «لا تتحمسي أكثر مما ينبغي، وإلا ستفقدين رأسك.»

تساءلت آيا هل الفتيات الماكرات قد فكرن من قبل في الاستلقاء باستواء فوق القطار طوال الرحلة، وبذلك لا يكن في حاجة إلى الإشارات التحذيرية، أو هل أدركن أن عدم الركوب مطلقًا فوق القطارات المغناطيسية المعلقة سيقي الإنسان الموت بقطع الرأس في هذا العالم الذي ينتمي إليه القطار والذي لا يمكن تخيل معالمه.

قالت جاي: «يبدو أنك استوعبت الأمر.»

قالت إيدن بازدراء: «أجل، إنها خبيرة.»

قالت جاي: «هوني عليك يا ملكة الشهرة، لسنا جميعًا نجومًا للعبة الكرة الطائرة.»

– «ولسنا جميعًا في الخامسة عشرة من عمرنا أو مدوني أخبار.»

– «لم يعد حتى بحوزتها كاميرا طائرة.»

استمعت آيا إلى جدالهما، وهي تتساءل عن قدر ارتفاع رتبة شهرة جاي، فالكثيرون من الأشخاص الذين تجنبوا المدونات كانوا بالطبع من المشاهير. في الواقع، إن أكثر شخصية شهيرة في المدينة — بل في العالم بأسره — لا تملك مدونة، ولكن يتحدث عنها الجميع في كل مرة يذكرون فيها ثورة العقول.

قالت آيا: «لا تقلقي حيالي، إن كوني قبيحة لا يعني بالضرورة أنني حمقاء.»

قالت جاي: «بالطبع لا، بل أرى أن قبحك ساحر في حقيقة الأمر.»

قالت آيا وهي تفكر في فريز ميزونو: «لقد سمعت هذا الرأي كثيرًا في الآونة الأخيرة.»

صاحت إيدن: «الانطلاق بعد دقيقة.» ثم قفزت من البرج، فالتقطتها عدة الكرة الطائرة التي ترتديها ومنعت سقوطها، ودارت في الهواء كراقصة باليه حتى وقفت في مواجهتهما: «عليك توخي الحذر يا آيا.»

قالت جاي: «سوف تفعل ذلك.» وانطلقت وخطت فوق لوحها الذي كان في انتظارها، ثم أردفت: «دائمًا ما تتوخى الفتيات الحذر في المرة الأولى!»

أطلقت جاي ضحكة وانطلقت بعيدًا، وكانت الاثنتان تندفعان بسرعة إلى أسفل في اتجاه قضبان خط السكة الحديدية معًا.

خطت آيا بحذر شديد فوق اللوح عالي السرعة الذي أعطتها الفتيات إياه، فاهتز اللوح قليلًا بفعل وزنها، مثل لوح الغطس، لكنها كانت تشعر بقوته تتدفق أسفل قدميها.

أصبح القطار المقترب مرئيًّا الآن، كان يزحف ببطء من داخل فنائه وهو محمل بالبضائع في طريقه إلى المدن الأخرى. لم تتمكن آيا من سماع دمدمته بعد، لكنها تعلم أن قطارًا يزن ثلاثمائة طن من المعدن قد يهز الأرض وكأنه صاروخ منطلق من الأرض.

تبعت آيا جاي وإيدن عبر حزام المصانع في طريقهن إلى مكان الاختباء حيث تنتظر الفتيات الأخريات، وذلك فوق سطح منشأة صناعية منخفضة الارتفاع

بالقرب من قضبان خط السكة الحديدية. وفي تلك الأثناء دوت حولهن أصوات بضع شاحنات ذاتية القيادة تمر بامتداد الشوارع أسفلها، وهي متجهة إلى المصانع ومواقع الإنشاءات، فلم يكن هناك أناس في أي مكان حولهن.

اندفعت آيا فوق السطح كي تهبط بلوحها، فسحق لوحها الطائر الحصى المفتت الذي كان يكسو السطح، ثم اتجهت خلسة إلى مكان للاختباء خلف برج تهوية تنبعث منه عوادم أعماق المصنع الممتدة تحت الأرض، فتشبع الهواء من حولها برائحة الكبريت والغراء الساخن.

وبينما كانت آيا جاثية في مكانها وهي تصغي إلى دمدمة القطار وهو قادم من بعيد، وجدت نفسها تفكر في فريز ميزونو مرة أخرى، لقد كان يجول في خاطرها على ما يبدو بين الحين والآخر، فتساءلت كيف يمكن لمحادثة عابرة أن تشغل بالها على هذا النحو.

كان المعلمون يحذرون دومًا من الاختلاط الشديد بالحسان والحسناوات، فمنذ حدوث ثورة العقول، لم يضحوا بالسذاجة التي يبدون عليها، فقد يعبثون بعقل المرء بكل سهولة حالما يحدقون فيه بعيونهم الواسعة الساحرة.

لا شك أن فريز لم يكن كذلك، فقد تفقدت آيا شبكة اتصال المدينة بعد انتهائها من الدروس، ووجدت أن رين كان محقًّا بشأن جماعة الصدق المطلق؛ فلا يمكن لأفراد هذه الجماعة الكذب أو حتى التلميح ضمنًا إلى تزييف الحقائق، إذ توقف جزء المخ الخاص بالانحراف عن الحقيقة في عقولهم عن العمل، مثل مشوشي العقول الذين افتقروا إلى قوة الإرادة والإبداع واليأس.

لكن حقيقة أن فريز ميزونو كان صادقًا جعلته سببًا أكثر إثارة لتوتر عقلها، شأنها في ذلك شأن حقيقة أن رتبة شهرته تشهد ارتفاعًا كل ساعة، لقد أصبح من الحسان منذ أشهر قليلة، وها هو ذا يتجه نحو مرتبة الأشخاص الألف الأكثر شهرة.

جاء صوت من الظلام يقول: «أتشعرين بالتوتر؟»

كان ذلك الصوت لإحدى الفتيات الماكرات الأخريات التي كانت جاثية بجوار فتحة التهوية المجاورة، بدت أصغر سنًّا من جاي وإيدن، لها نفس ملامح الفتيات البسيطات، وكذلك الملابس نفسها التي كانت الكوة الذكية تقدمها لهن.

– «كلا، أنا بخير.»

– «لكن الركوب فوق سطح القطار يكون أكثر متعة عندما تشعرين بالخوف.»

ضحكت آيا. كان شعر الفتاة ذو اللون البني الفاتح يجعلها تبدو أشبه بالفتيات القبيحات، وكانت عيناها شاحبتين للغاية تفتقران إلى أي بريق، حتى إن آيا تساءلت هل أجرت عملية لعينيها لتصبحا هكذا.

– «إذن لا بد أن ذلك سيمنحني الكثير من المتعة.»

ابتسمت الفتاة وقالت: «حسنًا، هذا هو المفترض!»

بدا واضحًا بلا شك أنها تستمتع بالأمر، وعندما ازدادت حدة هدير القطار، لمعت ضحكتها في الظلام كضحكة فتاة حسناء، فتساءلت آيا عن السبب الذي يجعلها متحمسة للغاية كي تخاطر بحياتها بهذه الطريقة.

كم شخصًا يعلم أنها من الفتيات الماكرات؟

سألتها آيا: «مهلًا، ألست ضمن الفتيات اللائي يقطن مسكن الطلاب الذي أقطن فيه؟ ما اسمك؟»

ضحكت الفتاة وقالت: «هل ستتحققين من رتبة شهرتي فيما بعد؟»

أدارت آيا عينيها بعيدًا عنها وقالت: «رباه، هل الأمر واضح بهذه الدرجة؟»

– «لقد كانت الشهرة دومًا أمرًا واضحًا، وهذا هو المراد منها.» ثم نظرت الفتاة إلى الوراء نحو المكان الذي تختبئ فيه جاي.

– «أعلم أنك تنشرين قصصًا بين الحين والآخر، يجب علينا أن نجعلك تتخلين عن تلك العادة.»

– «أعتذر إليك لطرحي هذا السؤال.»

– «لا بأس، انظري، إذا كان هذا سيريحك، فاسمي الأول هو ميكي، ورتبة شهرتي تبلغ ما يقرب من تسعمائة وسبعة وتسعين ألفًا.»

– «أنت تمزحين ... أليس كذلك؟»

قالت ميكي وهي مبتسمة: «فتاة ماكرة إلى حد بعيد، أليس كذلك؟»

هزت آيا رأسها في محاولة منها للتفكير مليًّا وسط الصوت المتصاعد لهدير القطار، فلم يكن الأمر منطقيًّا، فأي شخص يجري الخدع بمثل هذه الطريقة يجب أن يتخطى ترتيب شهرته مرتبة المائة ألف، سواء أتم نشر قصة عنه أم لا، حيث تتلقى شبكة اتصال المدينة أي ذكر لاسم الشخص، خاصة في الثرثرة والقصص الخيالية والشائعات.

إن ترتيبها البالغ ٩٩٧٠٠٠ يقترب من المليون! إنها بهذا تنتمي إلى أكثر المغمورين تهميشًا، كحديثي الولادة وكبار السن الذين لم يتناولوا أقراص ثورة العقول قط. إن العالم لا ينظر لهم كبشر تقريبًا.

ضحكت ميكي لتوها عندما رأت تعبير الدهشة على وجه آيا وقالت: «لا شك أن جاي أكثر مكرًا، ولذلك فهي قائدة الجماعة.»

– «أتقصدين أكثر مكرًا ... أي أقل شهرة.»

غمزت ميكي بعينيها وقالت: «أي شارفت على المليون.»

صاحت إيدن بصوت مسموع بالكاد وسط الهدير المتزايد للقطار: «تأهبن!»

صاحت ميكي وهي تجثو على ركبتيها: «حان وقت اعتلاء سطح القطار!»

أمسكت آيا بالحافة الأمامية للوح الطائر، وهي تحاول الحفاظ على تركيزها. لقد أصبحت هذه القصة فجأة أكثر غرابة بكثير من الركوب فوق قطار مغناطيسي معلق. لسبب ما، قلبت الفتيات الماكرات الاقتصاد القائم على الشهرة رأسًا على عقب.

لقد أردن أن يختفين، لكن لماذا؟

اتصل سواراها الواقيان من الصدمات باللوح الطائر، وأحكما وثاق آيا باللوح. وكان سطح المصنع نفسه يهتز بقوة، والحصى المبعثر فوقه كان يتأرجح كحبات البرد المتساقطة عندما ترتطم بالعشب.

ستتمكن آيا أخيرًا من نشر قصة تشبه القصص التي ينشرها هيرو، قصة تضم حوارات طويلة ومذهلة والكثير من اللقطات التي تظهر في خلفية القصة والتي تتبع تاريخ الفتيات الماكرات، ومشاهد جامحة لركوب القطار والمقابلات التي تتم تحت سطح الأرض. لو كان بإمكانها فقط تصوير هذا دون أن يكتشفن الأمر وبكاميرتها الطائرة في قاع البحيرة.

التفتت آيا إلى جاي، وشعرت بابتسامة باردة تعلو وجهها؛ فقد عرفت في النهاية الطريقة المثلى للثأر منهن لدفن موجل في المياه. لقد كانت آيا عازمة على نشر هذه القصة التي ستحدث أصداءً واسعة، وستجعل الفتيات الماكرات أكثر شهرة مما راودهن في أسوأ كوابيسهن.

ستجعل الناس جميعًا يعلمون أسماء الفتيات الماكرات.

صاحت ميكي بين هدير القطار مخاطبة آيا: «مهلًا، أنت تبدين غريبة قليلًا، فأنت لا تشعرين بالذعر بعد كل ذلك، أليس كذلك؟»

ضحكت آيا: «لا، أنا أستعد فقط!»

زاد ضجيج القطار أكثر فأكثر، وفي النهاية دوى كصوت الانفجار عند وصول القطار، فمرت بهن سلسلة مصمتة غير واضحة من الأضواء والضوضاء واهتاج عدد هائل من الزوابع الترابية أعلى سطح المنشأة.

بعدئذ مال القطار مع المنعطف، وسمعت آيا عاصفة من الطنين تزداد حدة ببطء، كأوركسترا تعزف أنغامها من أصوات تصدرها كئوس الخمر، فثلاثمائة طن من المعدن والمادة الذكية المرتفعة في الهواء كانت تنعطف فتأخذ شكلًا جديدًا وتبطئ من سرعتها قليلًا.

صاحت إيدن: «الآن!»

وارتفعت الفتيات في الهواء.

اعتلاء سطح القطار

انطلق اللوح إلى الأمام ساحبًا آيا من رسغيها.

كان يتمايل ويلتوي كلوح طائر فقد السيطرة وخرج عن مساره، حين يمكن لأساوره الواقية من الصدمات أن تخلع ذراعي راكبها من محجر كتفيه. لكن لم يستمر التمايل كثيرًا. وزادت سرعة لوح آيا الطائر أكثر فأكثر بامتداد المنعطف البطيء لخط القطار المغناطيسي المعلق.

حاولت آيا الالتصاق بسطح اللوح بأقصى استواء أمكنها، تاركة قدميها تتدليان خارج الطرف الخلفي له، ورفرفت سترتها بقوة وكأنها علم يرفرف وسط عاصفة.

تمكنت آيا من رؤية ما حولها بالكاد وهي تنظر بعينين نصف مغمضتين في مواجهة الريح، فلم تكن ميكي التي تتقدمها ببضعة أمتار سوى صورة ضبابية غير واضحة المعالم. ولحسن الحظ، تمت برمجة اللوح بحيث يطير تلقائيًّا حتى ضاهى سرعة القطار.

عندما تسللت آيا خفية الليلة السابقة للبحث عن إيدن وصديقاتها لم تتوقع أبدًا أن الحال سينتهي بها وهي تركب فوق القطار بنفسها. تخيلت آيا نفسها وهي تقود لوحها الطائر بسرعة عالية بمحاذاتهن وعلى مسافة فاصلة كافية، وتكون موجل على مقربة منهن تلتقط الصور لتضعها في مدونتها.

لكن ها هي ذي الآن تقوم بأكثر المغامرات إثارة في حياتها، ولا يتم حتى تسجيلها!

كانت الأرض تومض من تحتها، لكن بدا أن القطار بجانبها يبطئ من سرعته تدريجيًّا، وكان اللوح الطائر يواكب سرعته ويلحق به بالفعل.

سيتعين عليها اعتلاء سطح القطار عما قريب.

فكرت آيا للحظة في تغيير اتجاهها والانطلاق بعيدًا في ظلمة الليل، فلا يزال بوسعها الإعلان عن تلك الجماعة السرية التي تقوم بخدع جامحة وتتجنب الشهرة.

بالطبع هي لا تملك دليلًا يثبت صحة قصتها، فيما عدا السوارين الواقيين من الصدمات واللوح الطائر عالي السرعة وكاميرا طائرة غارقة في مياه البحيرة، وكذلك هي لا تعرف الاسم الكامل لأي فرد من أفراد الجماعة، باستثناء إيدن مارو؛ لذا لن يصدقها أحد، ولا سيما هيرو.

لكي تحصل آيا على المشاهد المصورة التي تحتاجها، عليها أن تجعل الفتيات الماكرات يعتقدن أن آيا فيوز واحدة منهن، وكي تفعل ذلك، عليها اعتلاء سطح ذلك القطار.

وسط عواء الريح، كان باستطاعة آيا أن تشعر بالقوى المادية المخيفة التي تحيط بها من كل جانب والتي ترتقب أن يصدر منها أي خطأ. وبدا القطار يقترب من آيا بينما ضاهى لوحها الطائر سرعته.

ومض جهاز القيادة الآلي للوح الطائر مرة واحدة، فقد أدى مهمته.

تولت آيا زمام القيادة الآن.

كانت جاي قد حذرتها بخصوص هذا الجزء من الرحلة؛ فأي تغير مفاجئ في الوزن قد يؤدي إلى اصطدام اللوح الطائر بالقطار أو دورانه حول نفسه ليصطدم بأحد المباني التي يمر بها.

أمامها كانت ميكي تتمايل بلوحها الطائر إلى الأمام والخلف كي تختبر سيطرتها عليه.

حبست آيا أنفاسها ... ورفعت أصابع يدها اليمنى، فطوتها الرياح إلى الخلف على نحو مؤلم، واهتز اللوح الطائر منحرفًا بعيدًا عن القطار.

جذبت آيا أصابعها مرة أخرى إلى الأمام لتحكم قبضة يدها بقوة، فبدأت أجهزة التوازن في عملها لكي تجعل اللوح الطائر في وضع ثابت، وكانت يد آيا ترتجف بأكملها.

كان ذلك سريعًا ... ليت موجل كانت موجودة لتراقب كل هذا.

أما ميكي فكانت تحلق بلوحها أمام آيا وتبعد مسافة متر واحد فقط عن القطار، وثمة فتاة أخرى أبعد من ميكي كانت تبسط يدها بالفعل نحو السطح. كان على آيا اعتلاء سطح القطار قبل أن يستقيم مساره.

قالت آيا وهي تصر أسنانها: «ها قد بدأ التحدي.»

عقفت آيا إبهام يدها اليسرى ورفعته بالكاد عن الحافة الأمامية للوح الطائر، فاستجاب اللوح بتوازن أكثر هذه المرة ثم انعطف نحو السطح الضخم الثابت للقطار المغناطيسي المعلق. تحركت آيا بحذر وهي تقترب من القطار تدريجيًّا، كما لو كانت تسحب طائرة ورقية من خيوطها شيئًا فشيئًا.

وعلى بعد أمتار قليلة من القطار، بدأ لوحها الطائر في القفز والاهتزاز مرة أخرى، وهذا ما حذرتها منه جاي أيضًا؛ إذ حذرتها من موجة الهزات العنيفة التصادمية التي تشكل حدًّا غير مرئي من الاضطراب يستثيره مرور القطار.

قاومت آيا حالة الاضطراب بشد اللوح تجاهها بقوة وتوجيه الإيماءات إليه، لتشتد معه كل عضلاتها، ومع تغير الضغط الجوي تأثرت أذناها، وسالت العبرات من عينيها وسط الرياح التي ارتطمت بوجهها.

وفجأة تحررت آيا من هذا الاضطراب وتحركت سريعًا عبر المسافة المتبقية حتى ارتطمت بالجانب المعدني للقطار برفق، فشعرت بأن اهتزازات القطار المغناطيسي تخترق لوحها الطائر وتطلق طنينًا بينما كانت القوى المغناطيسية بلوحها الطائر تُحكم الاتصال بسطح القطار.

سكنت الرياح الآن، إذ كانت آيا داخل فقاعة رقيقة من الهدوء المحيط بالقطار، وكأنها في مركز الإعصار.

أبطلت آيا مفعول القوى المغناطيسية للسوار الواقي من الصدمات في يدها اليسرى، ثم حركت يدها ببطء بمحاذاة سطح اللوح الطائر المانع للانزلاق نحو سطح القطار.

لقد تلاحم اللوح الطائر بسطح القطار تمامًا بإحكام.

ومع ذلك كان إيقاف عمل السوار الواقي من الصدمات بيدها الأخرى أمرًا مثيرًا للتوتر، إذ كان اللوح الطائر في نفس حجم آيا، لكن القطار المغناطيسي المعلق كان ضخمًا وقويًّا للغاية، فكانت أشبه بفأر يعتلي ظهر ديناصور يفر مذعورًا.

حررت آيا يدها اليمنى وهي مغمضة العينين ثم رفعت نفسها فوق سطح القطار وأنزلت رسغها بقوة.

لقد نجحت! كان هدير القطار أسفلها يشبه بركانًا مضطربًا، ولا تزال الريح بصوتها شبه المكتوم تعصف بشعرها وملابسها بشدة، لكنها صارت الآن على سطح القطار.

تعالى صوت الطنين من حولها، إذ كانت مفصلات القطار المصنوعة من المادة الذكية تستعيد الوضع المستقيم للقطار ثانية. لقد نجحت آيا في الركوب فوق سطحه في الوقت المناسب تمامًا.

امتد سطح القطار أمامها باستقامة تامة، ووقفت تسع فتيات ماكرات بامتداده يظهرن كالنقاط التي تعلو سطحه. وبينما ألقت آيا نظرة سريعة إلى الوراء، قذفت الريح ببضع خصلات من شعرها داخل فمها، ورأت الفتيات الأخريات الثلاث، لقد نجح الجميع في الركوب فوق القطار.

ازدادت سرعة الريح بازدياد سرعة القطار، وكانت غالبية الفتيات يركبن فوق القطار بالفعل وهن واقفات يبسطن أذرعهن لكي يمسكن بالريح. فالأمر أشبه بالطيران تمامًا، مثلما قالت إيدن.

تنهدت آيا، كما لو كان الركوب فوق قطار مغناطيسي معلق ليس بالمخاطرة الكافية إذا لم تقفن فوق سطحه!

لكن إذا كانت الفتيات سيقبلن انضمام آيا إليهن، يتعين عليها أن تكون مجنونة مثلهن، ولن يكون الركوب فوق القطار كركوب الأمواج إذا جلس المرء فوق سطحه.

حلت آيا أربطة سوار يدها اليمنى الواقي من الصدمات ثم خلعتها وانحنت للفها حول قدمها. كان الأمر مربكًا جدًّا، ولكن بعد دقيقة من التخبط، تمكنت من لف السوار بإحكام حول كاحلها.

ثم نشطت القوى المغناطيسية بالسوار الواقي من الصدمات وشعرت بالتصاق حذائها بالسطح المعدني بإحكام.

وبحذر شديد حررت آيا رسغها الآخر ... فلم تقذف بها الرياح بعيدًا.

حان وقت الجزء المروع.

جذبت آيا نفسها إلى أعلى تدريجيًّا وثبتت قدميها وباعدت بينهما وبسطت ذراعيها، لتشبه الطفل الصغير عندما يركب فوق لوح طائر للمرة الأولى. كانت ميكي واقفة أمامها وهي تواجه الرياح بأحد جانبيها، كما لو كانت مبارزًا بالسيف يُظهر أصغر هدف ممكن من جسده، فحاكتها آيا في هيئتها وهي تقف على سطح القطار.

وكلما ارتفعت آيا بجسدها إلى أعلى، ازدادت الريح قوة، وارتطمت الريح الدوامية العاتية الخفية بجسدها ولوت شعرها في عقد متشابكة.

لكن آيا تمكنت في النهاية من الوقوف منتصبة تمامًا، وقد شعرت بتمزق كل عضلة في جسدها.

كان العالم من حولها غير واضح المعالم تمامًا.

وصل القطار إلى الحد الخارجي للتوسع العمراني الجديد، حيث تزداد المدينة اتساعًا يومًا بعد يوم، فمرت بصفوف من كشافات العمل الكهربائية بدت كمذنبات برتقالية ساطعة وآلات حفر ماثلت المباني في حجمها. وامتدت البرية أمام عينيها مباشرة ومساحتها الشاسعة المظلمة هي الشكل الثابت الوحيد في دوامة الأنوار والضوضاء والريح الهادرة.

بعد ذلك مر آخر وميض لمواقع الإنشاءات بسرعة البرق ثم غاص القطار في بحر من الظلام. وكلما بعدت شبكة اتصال المدينة فقد قرن استشعار آيا الجلدي اتصاله بشبكة المدينة، وسرعان ما صار العالم خاويًا؛ بلا مدونات أو رتب تحدد قدر شعبية أو شهرة المرء.

كان الأمر كما لو كانت الريح العاتية قد قذفت بكل شيء بعيدًا.

لكن آيا لم تفقد كل شيء تمامًا، لقد كانت تضحك، فقد شعرت بضخامتها وأنه لا يمكن كبح جماحها، كما لو كانت طفلة صغيرة تمتطي فرسًا يعدو بسرعة خطيرة للغاية.

لقد انسابت قوة القطار المهيبة عبر يديها، فحينما بسطت راحتيها بدرجة مائلة شعرت بتدفق الهواء يرفعهما إلى أعلى، ويجذبهما عكس اتجاه الأربطة الملتفة حول كاحلها، كطائر يجتهد كي يحلق، ومع كل إيماءة كانت الريح تنصاع لأوامرها وتدفع جسدها في الاتجاه الذي ترغب فيه، كما لو كانت الريح امتدادًا لإرادتها.

لكن أمامها مباشرة، كانت ميكي تظهر في شكل ظل أسود جاثم، كان ثمة شيء في يدها ...

ضوء أصفر.

– «تبًّا!» وضعت آيا راحتيها فوق سطح القطار وجثت على ركبتيها.

وبينما كانت تجلس منحنية فوق سطح القطار، شق الهواء شيء ضخم خفي أعلاها، مُصدرًا صفيرًا كنصل سيف يحتك بشيء بجانبها، فسرت هزة عنيفة بجسدها كالعاصفة.

ثم انقضى الأمر، ولم تر آيا حتى ماذا كان ذلك الشيء.

ابتلعت آيا ريقها، وأخذت تنظر في وجه الريح بعينين نصف مغمضتين، فرأت أمامها سلسلة من الأضواء صفراء اللون امتدت بعيدًا تجاه مقدمة القطار. وانطفأت الأضواء واحدًا تلو الآخر، إذ زال الخطر.

كيف فاتها الأمر وتخلفت عن الفتيات الأخريات؟

لقد حذرتها جاي: «لا تتحمسي للغاية، وإلا ستفقدين رأسك.»

نهضت آيا ببطء من جلستها الجاثمة وهي ترتجف، وتلاشى إحساسها الخاطف بالقوة الجامحة، وامتد الظلام أمامها على مرمى بصرها.

وشعرت آيا فيوز فجأة بضآلة شأنها.

النفق

أدركت آيا أربعة أشياء عن البرية:

أولًا: لم يكن للبرية شكل محدد، إذ كانت الغابة التي تمر بسرعة على كلا الجانبين تظهر في شكل كتلة واحدة ضبابية لا يمكن سبر أغوارها، إذ كانت فراغًا مشوشًا من السرعة.

ثانيًا: كانت البرية تمتد إلى ما لا نهاية، أو ربما توقف الزمن عندها، فلم تكن آيا تعرف على الإطلاق هل تركب فوق القطار منذ دقائق أم منذ ساعات.

ثالثًا: كان للبرية سماء هائلة تعلوها، فقد بدا وكأن السماء بالحجم نفسه في كل مكان، وهو الأمر الذي لم يكن منطقيًّا، بيد أن السماء المظلمة امتدت من فوقها — لا تميزها الصورة الظلية المتعرجة لمباني المدينة ولا يعكر صفوها أي أضواء منعكسة — لقد كانت شاسعة ومضاءة بالنجوم.

وأخيرًا: اتسمت البرية ببرودة جوها، على الرغم من أن سبب ذلك على الأرجح كان الريح المعاكسة التي غمرت وجه آيا بسرعتها التي بلغت ثلاثمائة كيلومتر.

قررت آيا أن تحضر سترتين في المرة القادمة.

بعد مرور بعض الوقت رأت آيا ظل ميكي ينحني، ونظرت بقلق نحو الفتيات أمامها، لكن لم تظهر أي أضواء تحذيرية من خطر الموت.

بدت ميكي تعبث بالسوار الملتف حول كاحلها، ثم فجأة انحل وثاقها وانزلقت إلى الوراء عبر سطح القطار بفعل الريح المعاكسة القوية.

صرخت آيا: «ميكي!» وجثت على ركبتيها ومدت يدها.

وعندما انزلقت بالقرب من آيا، أحكمت ميكي غلق سوارها الواقي من الصدمات وظلت تدور حتى توقفت. كانت ميكي تضحك، والريح تعصف بشعرها بقوة.

صاحت ميكي: «مرحبا، يا آيا-تشان! كيف حالك؟»

شدت آيا يدها إلى الوراء وقالت: «لقد أفزعتني!»

هزت ميكي كتفيها وقالت: «أنا آسفة، دائمًا ما تحملك الريح في خط مستقيم على امتداد القطار، هل تستمتعين بالمغامرة؟»

أخذت آيا نفسًا عميقًا وقالت: «بالطبع، لكنني أشعر بالبرد القارس.»

قالت ميكي: «حقًا!» وجذبت قميصها المقدم من الكوة الذكية وكشفت عن رداء حريري خاص بحراس الغابات وقالت: «هذا الرداء يجدي نفعًا في مقاومة البرودة.»

فركت آيا يديها معًا، وتمنت لو كانت جاي قد حذرتها من البرودة.

صاحت ميكي وهي تنهض على ركبة واحدة وقالت: «لقد رجعت لأننا كدنا أن نصل إلى الجبال، حيث يبطئ القطار من سرعته مرة أخرى.»

– «وحينها سنقفز؟»

– «أجل، لكن النفق يأتي أولًا.»

– «صحيح.» انتفضت آيا من البرودة وأردفت: «تحذير الضوء الأحمر، لقد كدت أغفل التحذير الأول للضوء الأصفر.»

– «لا تنزعجي، من الصعب أن تُفاجئي بظهور جبل دون سابق إنذار.» ولفت ميكي ذراعها حول آيا وقالت: «أيضًا الجو ليس عاصفًا كما يكون هناك.»

ارتجفت آيا واقتربت من ميكي لتشعر بالدفء ثم قالت: «لا أطيق الانتظار.»

* * *

ظهرت سلسلة الجبال ببطء في الأفق، ولم تكن إلا ظلالًا سوداء تعترض السماء المرصعة بالنجوم.

وكلما اقترب القطار منها أدركت آيا مدى ضخامة الجبال، وكان الجبل الظاهر أمامها مباشرة يبدو أكبر عرضًا من استاد المدينة وأطول من البرج المركزي في البلدة. وابتلع الجبل السماء مع اقتراب القطار، وكأنه جدار من الظلام يتجه نحوهن.

لكن آيا كانت قد اعتادت الآن على الأحجام غير المتوقعة لكل الأشياء من حولها هنا، وتساءلت عن الطريقة التي استطاع بها الإنسان عبور البرية فيما قبل

العصر القديم، أي قبل اختراع القطارات المغناطيسية المعلقة أو الألواح الطائرة أو حتى السيارات التي تسير على الأرض، فالبرية فسيحة للغاية بدرجة تفقد المرء صوابه.

لا عجب إذن أن سكان العصر القديم حاولوا تعبيدها.

قالت ميكي وهي تشير بإصبعها: «ها قد وصلنا!»

كان هناك ضوء أحمر يومض في مقدمة القطار، ثم ظهر آخر خلفه، ثم ظهرت سلسلة من سبعة أضواء وكأنها سلسلة من الألعاب النارية.

سحبت ميكي مصباحًا يدويًّا من جيبها ونقرت فوقه واختارت تشغيل الضوء الأحمر، ثم لوحت به في اتجاه مؤخرة القطار.

كانت آيا تحل وثاق السوار من حول كاحلها بالفعل، إذ أرادت أن يكون رسغاها ملتصقين بسطح القطار بفعل القوى المغناطيسية عندما يصل القطار إلى النفق.

سألتها ميكي: «هل أنت بخير؟ تبدين غريبة.»

– «أنا بخير.» وارتجفت آيا، فقد شعرت فجأة بضآلة شأنها مرة أخرى، وهو الشعور نفسه الذي تملكها بعد أن غاص القطار للمرة الأولى في البرية.

قالت ميكي: «لا بأس إذا كنت غير واثقة بعد من قدرتك على فعله، فكما تعلمين، أنا لا أركب فوق القطار لأنه ممتع فحسب، إنه يغيرني أيضًا، وهذا الأمر يستغرق فترة من الزمن كي تعتادي عليه.»

هزت آيا رأسها، فهي لم تعتزم أن تبدو غير متحمسة، ويجب أن تقتنع الفتيات الماكرات بأنها واحدة منهن، وأنها تقبلت مغامرتهن المجنونة بحماسة كبيرة إلى حد يجعلها تتخلى عن نشر الأخبار في المدونات إلى الأبد.

لكن هذا الأمر كان حقيقة، لقد تغير شيء في أعماق آيا، شيء لم تدركه تمامًا بعد. لقد أحدثت المغامرة تقلبات سريعة في مشاعرها، فمن الشعور بالذعر إلى الشعور بالابتهاج، وفجأة إلى الشعور بالتفاهة ...

حدقت آيا في المنظر المظلم، محاولةً إطلاق العنان لمشاعرها، فالشعور الذي يخالجها الآن لا يشبه على الإطلاق ذلك الذي اختلط فيه الذعر بالغموض، والذي جتاحها عندما رأت أضواء المدينة، وعندما شعرت بالحقيقة المريعة بأنها قد لا تكون شهيرة أبدًا، وأن هؤلاء الناس لن يهتموا لأمرها قط.

وبينما كانت تُحدق في الظلام شعرت — بطريقة أو بأخرى — بالرضا بأن العالم أكبر منها بكثير، فقد غمرها الشعور بالانبهار لكنها كانت تشعر بالسكينة أيضًا.

– «أعلم ما تقصدين ... إن التواجد هنا أمر يغير من الحالة الذهنية للفرد إلى حد ما.»

– «حسنًا» ابتسمت ميكي وأردفت: «والآن اخفضي رأسك.»

– «آه، حسنًا، فالنفق قادم.»

استوت الفتاتان فوق القطار، وأحكمتا إغلاق الأساور الواقية من الصدمات بضغطها إلى أسفل جيدًا، واقترب الجبل أكثر فأكثر، إلى أن ارتفع فوقهن وكأنه موجة ضخمة تندفع من بحر مظلم.

وبينما كانت آيا تنظر أمامها بعينين نصف مغمضتين، شاهدت أضواء الإنذار الأحمر تختفي واحدًا تلو الآخر؛ فقد ابتلعتها فوهة النفق مع دخول النصف الأمامي للقطار فيه.

أحدث دخول القطار إلى النفق اهتزازة قوية في الهواء وخيم الظلام عليهن بعدها، وتضاعف هدير القطار بسبب ارتدادات الأصوات وأصدائها، واستشعر جسد آيا بأكمله الاختلاف في اهتزازات القطار.

وعلى الرغم من أن الظلام بالنفق كان أشد عتمة عشرات المرات من ضوء النجوم بالخارج، كان باستطاعة آيا أن تشعر بسقف النفق وهو يمر من فوقها؛ فقد كان قريبًا منها للغاية بقدر يمكنها من الوصول إليه بيدها ولمسه، في حال إن أرادت أن تفقد يدها.

شعرت آيا بأطنان من الصخور تعلو رأسها وتضغط إلى أسفل باتجاهها، وكانت كتلة غير متناهية، كما لو كانت السماء تحولت إلى حجارة. فمنذ ثوانٍ قليلة بدا لها القطار المغناطيسي المعلق ضخم الحجم، لكنه أصبح على الفور قزمًا يمر بين أحضان الجبل، مخترقًا بها الحيز الضيق الذي يفصل بين الاثنين.

صاحت ميكي: «هل تشعرين بذلك؟»

أدارت آيا رأسها نحوها وقالت: «أشعر بماذا؟»

– «أعتقد أن القطار يبطئ من سرعته.»

تجهمت آيا قائلة: «الآن؟ إن المنعطف يمتد في الجهة الأخرى من النفق، أليس كذلك؟»

– «نعم، لكن أنصتي.»

أصغت آيا بتركيز إلى صوت الضجيج الصاخب من حولها، وبدأت أذناها تحللان ما ترامى إليهما من أصوات تدريجيًّا، كان هدير القطار يحمل إيقاعًا، بفعل الضربات الثابتة التي أطلقها القطار بسبب عيب ما في قضبانه.

وكانت سرعة هذه الضربات تنخفض.

– «أنت على حق، هل توقف القطار هنا من قبل؟»

– «كلا على حد علمي، يا إلهي! أتشعرين بذلك؟»

– «نعم.» كان جسد آيا ينزلق إلى الأمام؛ فقد كان القطار يستخدم الكوابح بسرعة الآن. وبسبب قوة دفع جسد آيا نفسه، التفت قدماها حول السوارين بشكل نصف دائري.

تلاشى الضجيج وهدير القطار ببطء من حولهما، وأخذ القطار ينزلق على قضبانه حتى توقف برشاقة في صمت، فأثار السكون الذي ساد المكان رجفات سرت بجلد آيا الذي سفعته شدة الريح.

قالت ميكي بهدوء: «لا بد أن هناك خللًا ما في القطار، أتمنى أن يصلحوا العطل سريعًا.»

– «خلت أن قطارات الشحن لا يوجد بها طاقم عمل.»

– «البعض يوجد به طاقم عمل.» ثم أطلقت ميكي نفسًا بطيئًا وأردفت: «أعتقد أن علينا الانتظار و...»

حينئذ ومض ضوء عبر سطح النفق قادم من الجهة اليمنى للقطار، وومض على نحو غير مستقر كما لو كان صادرًا من مصباح كهربائي يحمله شخص ما. وللمرة الأولى رأت آيا الجزء الداخلي للنفق الذي بدا على شكل أسطوانة مصقولة من الحجارة تلتف حول القطار، وكان سطح النفق يعلو رأس آيا بمسافة عشرين سنتيمترًا تقريبًا، فبسطت ذراعها ولامست الحجر البارد.

همست ميكي بازدراء: «تبًّا! ألواحنا الطائرة!»

ابتلعت آيا ريقها، فقد كانت الألواح الطائرة لا تزال عالقة بالجهة اليمنى من القطار، على ارتفاع بضعة أمتار من مستوى الرأس، وإذا خرج أي شخص ونظر إلى أعلى ورأى أحد الألواح الطائرة فسيتساءل حتمًا عن ماهيته.

همست ميكي: «لننظر ماذا يجري.» وحررت رسغيها من السوارين وتحركت نحو حافة السطح.

حررت آيا هي الأخرى نفسها من السوارين وزحفت خلف ميكي، فإذا حُدد مكان الألواح الطائرة، فعليهما تحذير باقي الفتيات في الحال.

حدقت آيا وميكي من الأعلى عند حافة السطح. كان هناك مجموعة من ثلاثة أشخاص يحتشدون في الحيز الضيق بين القطار والجدار الحجري، وكانت أضواء المصابيح تزيد من طول ظلالهم لتصير كأشكال مشوهة. ولاحظت آيا أنهم يحلقون في الهواء مستخدمين أجهزة رفع الكرة الطائرة مثل تلك التي تستخدمها إيدن.

لكنهم لم يروا الألواح، لم ينظروا نحو القطار إطلاقًا، وإنما كانوا جميعًا يحدقون في جدار النفق ...

كان يتحرك.

كانت حجارة الجبل تتحول، وتتموج في هدوء وتُغير من ألوانها كالزيت الذي يطفو فوق مياه متموجة. وامتلأ النفق بصوت مثل طنين أقداح الخمر، وشعرت آيا فجأة بتغير في رائحة الهواء، فكانت مثل رائحة الهواء في موسم المطر عندما توشك الأمطار الغزيرة على الهطول.

تباعدت الطبقات الرقيقة من الحجر غير الصلب طبقة تلو الأخرى وكأنها تتقشر إلى أن انفتح باب واسع في جدار النفق.

غاصت أضواء المصابيح اليدوية التي حملها الأشخاص الثلاثة بأشعتها داخل هذا الباب، لكن لم تستطع آيا من موقعها أعلى القطار أن ترى ما بالداخل. وسمعت أصداء قادمة من حيز واسع ورأت وهجًا برتقالي اللون قادمًا من مدخل الباب يتحرك بين ظلال المصابيح الضوئية.

انفتح جزء في القطار يضاهي الفتحة الموجودة في جدار النفق، واستقر القطار قليلًا على روافعه المغناطيسية، وأخذ يهبط حتى أصبحت فتحة القطار في محاذاة فتحة الجدار.

تحرك أحد الأشخاص، فأعادت آيا رأسها إلى الوراء نحو الظلال. وعندما اختلست النظر مرة أخرى، كان الأشخاص الثلاثة قد تنحوا جانبًا لكي يتابعوا تحرك شيء ضخم خرج من فتحة القطار.

كان يشبه أسطوانة من المعدن الصلب، يزيد ارتفاعه عن طول آيا، ويبلغ عرضه مترًا، لا بد أنه ثقيل، فقد كانت الروافع الأربعة المثبتة بقاعدتها تهتز دون ثبات وهي تحملها عبر الفتحة بخطى بطيئة وثابتة كما في تشييع الجنازات.

وقبل أن يختفي ذلك الشيء في جانب الجبل تبعه شيء آخر، يشبهه تمامًا، ثم ظهر شيء ثالث.

جاء صوت ميكي الهامس: «هل رأيتهم؟»

– «أجل، لكن ما هذه الأشياء؟»

– «إنهم ليسوا بشرًا.»

– «ليسوا ... ماذا؟»

نظرت آيا نظرة سريعة في وجه ميكي وأدركت أنها لم تكن تنظر إلى الأجسام المعدنية وهي تمر في الهواء.

كانت تحدق في ذهول إلى الأشخاص الموجودين بالأسفل.

حدقت آيا إلى أسفل في الظلام، وأدركت في النهاية أن المصابيح الضوئية لم تكن تُشوه من شكل الأشخاص حسبما اعتقدت، فلم يكن الأشخاص الذين يحلقون في الظلام ببساطة طبيعيين، كانت أرجلهم منبسطة وطويلة ونحيلة على نحو غريب أما أذرعهم فكانت ملتوية في عدة مواضع منها في حين كانت أصابعهم في طول ريشة الكتابة، أما عن وجوههم ... فكانت عيونهم واسعة للغاية، وبشرتهم شاحبة وخالية من الشعر.

إنهم ليسوا بشرًا، مثلما قالت ميكي.

أطلقت آيا تنهيدة خفيفة، ثم جذبتها ميكي إلى الوراء من الحافة. استلقت الفتاتان جنبًا إلى جنب، وأطبق جفنا آيا على عينيها بقوة، وخفق قلبها عندما تخيلت أن واحدة من تلك الأيادي النحيلة الطويلة تمتد فوق القطار وتمسك بها.

أرغمت نفسها على التنفس ببطء وأطبقت قبضتيها بقوة حتى خفت حدة الذعر التي كانت تنتابها.

وفي النهاية زحفت نحو حافة القطار مرة أخرى ونظرت إلى أسفل، وتمنت للمرة الألف في هذه الليلة لو أن موجل كانت تحلق بجوار كتفها، لكنها الآن لا تملك سوى عينيها وعقلها.

كانت المخلوقات غير البشرية لا تزال تحلق هناك وهي تشاهد موكبًا من الروافع يمر من باب النفق إلى القطار. كانت تحمل مقاعد وشاشات جدارية وأجهزة لإعداد الطعام وأجهزة لمعالجة المياه الصناعية، وعددًا لا يُحصى من حاويات القمامة. حتى إن حوضًا كاملًا من السمك استقر بين رافعتين، وجهاز فقاعاته لا يزال يبقبق، والسمك يتحرك في أنحائه بائسًا.

كان من الواضح أن شخصًا ما ينتقل خارج حيز النفق الخفي ... لكن ما هذه الأشياء المعدنية التي نقلها إلى داخل النفق؟

أخيرًا انغلق باب القطار وبدأ الهواء يصدر طنينًا مرة أخرى، وتموجت خيوط سوداء فوق فتحة جدار النفق وكأنه تصوير زمني متتابع لعنكبوت ينسج شبكته، ثم بدأت الطبقات المتموجة تتدفق فوقها حتى غطت الفتحة بالكامل.

همست ميكي التي كانت ترقد بجانبها قائلة: «مادة ذكية.»

وبينما أومأت آيا برأسها اهتز السطح مرة أخيرة، ثم صار محاكيًا تمامًا للحجارة.

حينئذ انطفأت المصابيح الضوئية وخيم الظلام الحالك على النفق مرة أخرى.

قالت ميكي هامسة وهي تجذب آيا إلى الوراء تجاه خط منتصف القطار: «هيا بنا.» ولم يمر وقت طويل حتى تحرك القطار وبدأت الريح في العصف حولهما مرة أخرى. أردفت ميكي قائلة: «سنقفز من القطار عما قريب ويمكننا آنذاك إخبار الفتيات الأخريات بما حدث.»

قالت آيا: «لكن من كانوا هؤلاء الأشخاص يا ميكي؟»

– «أعتقد أنك تقصدين ماذا كان هؤلاء؟»

– «أجل.» رقدت آيا وهي مجهدة وسط ذلك الظلام الذي خيم عليه هدير القطار، وكانت تحاول استرجاع الأحداث التي شاهدتها في عقلها. لقد احتاجت إلى وقت للتفكير؛ احتاجت إلى شبكة اتصال المدينة، وفوق كل هذا، احتاجت إلى موجل.

لقد ازدادت القصة تعقيدًا الآن.

الإنقاذ

– «أتعلمين أنني عندما زودت موجل بخاصية مقاومة الماء، لم أفكر أبدًا أنك ستحتاجين إلى هذه الخاصية يومًا ما.»

أطلقت آيا تنهيدة وقالت: «أنا آسفة.» لقد نطقت بكلمة «آسفة» ما يقرب من ألف مرة منذ أن قابلت رين هذا الصباح؛ حتى إنه كان عليها أن تعترف بأنها أصبحت مبتذلة. أردفت قائلة: «إممم، أقصد أن هذا الأمر لن يحدث مجددًا.»

عاد رين بنظرته المحدقة إلى المياه المظلمة الراكدة، ثم قال: «بداية، أنت لم تخبريني بعد كيف حدث هذا.»

– «لا بد أنهن قد تسللن خلف موجل خفية واستخدمن مقبض الإغلاق، أنا واثقة من ذلك للغاية.» خطت آيا نحو الحافة الأمامية للوحها الطائر وحدقت في المياه أسفلها. إنها حتى لم تكن واثقة مما إذا كانت قد وصلت إلى البقعة الصحيحة التي وقعت فيها موجل أم لا. لقد كانت ذكرياتها عن تلك الليلة صورًا باهتةً وأحداثًا مختلطةً. والآن، مع المصابيح الطائرة التي يحملها رين تضيء الخزان الكامن تحت الأرض بوهج مبهج، لا شيء يضاهي الصور المحفورة بذاكرتها: «أظن أنهن أسقطنها هنا.»

– «أسقطنها ... أتعنين الفتيات الماكرات؟»

– «نعم يا رين، إن هذه الجماعة لها وجود فعلي، أنت فقط لم ترهن لأنهن يمقتن مدوني الأخبار للغاية.» ثم أشارت إلى السطح المظلم وقالت: «ولهذا السبب كاميرتي الطائرة في المياه.»

تذمر رين وهو يحرك إبهاميه فوق الجهاز الذي يمسك به بيديه وعدستا عينيه اللاصقتان تدوران. فقد صنع رين مجموعات من صناديقه السرية، وهي أدوات يمكنها مخاطبة أي آلة في المدينة. قال رين: «لقد استخدمن مقبض إغلاق قوي،

فموجل لا تظهر على الإطلاق، كما لا يوجد أي إشارة لشبكة اتصال المدينة أو مدونة خاصة أو حتى وميض للبطارية.»

تأوهت آيا، ومر صوت أنينها عبر السطح الراكد للمياه ودوى عبر الجدران الحجرية العتيقة كجوقة تشدو بنغمة انهزامية. لقد كان الخزان أكبر كثيرًا مما تذكرت، حيث كان شاسعًا إلى حد يكفي لتخزين مياه الفصل المطير. قد يكون العثور على كاميرا طائرة صغيرة في القاع أمرًا مستحيلًا.

– «ماذا سنفعل؟»

– «لدينا نحن أفراد جماعة مهاويس التكنولوجيا مقولة مفادها أنه إذا تعذر عليك استخدام أحدث تكنولوجيا مثيرة، فاستخدم عينيك فحسب.» ثم عبث رين بأزرار تحكم آلته، فركز أحد المصابيح الطائرة الصغيرة ضوءه في بقعة شديدة الإضاءة تعمي الأبصار امتدت مباشرة إلى أسفل نحو المياه، وحلق المصباح الطائر تجاه آيا ثم انزلق كي يقف بجانبها مضيئًا أعماق الخزان.

خفضت آيا لوحها الطائر ليجاور سطح المياه ثم جثت على ركبتيها لإمعان النظر في أعماقها.

– «مهلًا ... هل نشرب هذه المياه حقًّا؟»

– «يتم ترشيحها أولًا يا آيا-تشان.»

كانت المياه معتمة ومشوبة بقاذورات وحطام حملتهما مصارف مياه الأمطار إلى الخزان، وكانت رائحتها تشبه التربة الرطبة وأوراق الشجر العفنة.

– «هل يمكن زيادة شدة هذا الضوء؟»

– «لعل هذا يجدي نفعًا.» حرك رين يده حركة سريعة، فهبط المصباح الطائر إلى الماء حتى اخترقت مقدمته سطح الماء.

ازدادت شدة الضوء وتلألأ وهجه في شكل نصف كروي في المياه أسفل آيا، كما لو كانت تحلق فوق غروب شمس معكوس بظلال خضراء وبنية اللون.

استطاعت آيا أخيرًا أن ترى قاع الخزان. كان طبقة رقيقة من الطمي وأغصان الأشجار ومخلفات البناء، وكذلك عكس الضوء بعض قوالب القرميد القديمة.

لكن موجل لم تكن موجودة هناك.

– «انتظر، قد لا يكون هذا هو المكان الصحيح.»

قال رين: «يا للحظ العاثر.» ثم استلقى على ظهره فوق لوحه الطائر وأخذ يحدق في السقف المتقوس، ثم بسط ذراعيه أمامه، وهو يومئ برأسه أثناء مروره

بخطوات بدء تشغيل لعبة ما تجهد إصبعي الإبهام. ثم أضاف: «أخبريني عندما تجدين المكان الصحيح.»

– «لكن يا رين-تشان ...»

– «أراك لاحقًا يا مضيعة الكاميرا.»

بدأت آيا في الاحتجاج مرة أخرى، لكن عدستي عيني رين كانتا قد بدأتا في الوميض إشارة إلى انغماسه التام في اللعب، وكانت أصابعه تنقر وتتحرك، لقد انغمس تمامًا في اللعب.

تنهدت آيا وتمددت فوق لوحها الطائر ووجهها مواجه لسطح المياه، وذقنها يرتكز على الحافة الأمامية للوح. وسمحت لنفسها بأن تتحرك ببطء فوق الماء وهي تحدق في الطمي الذي يضيئه المصباح الطائر.

كان رين محقًّا بشأن شيء واحد، هو أن هذا البحث مثير للضجر بلا أدنى شك؛ فمع كل تحرك لها، كان المصباح الطائر يلاحقها منصاعًا لها، وكان ارتطام مقدمته بالمياه يبعث بتموجات في سطحها، وكان على آيا الانتظار حتى تستقر المياه قبل أن تتسنى لها الرؤية ثانية. وتبينت آيا أجزاء قليلة لنفايات أثارت دهشتها — فقد رأت سلاح بمرنج وبقايا طيارة قماشية على شكل صندوق وسيفًا مكسورًا — لكن لا يوجد أي أثر لكاميرتها موجل، فأدركت سبب تفضيل رين للعب عن مشاركتها في التحديق في قاع بحيرة مليئة بالمخلفات بحثًا عن الكاميرا.

على الأقل حصلت آيا على درجات عالية في الاختبار بالأمس، وستمدها مهمة مراقبة الصغار التي ستؤديها بعد وجبة الغداء بآخر بضع نقاط استحقاقية تحتاجها للحصول على دهان التمويه أسود اللون من أجل موجل.

وعندما تنشر هذه القصة في النهاية، ستصير مشهورة للغاية، لدرجة تغنيها عن القلق حيال البحث عن نقاط الاستحقاق مرة أخرى.

وبينما كانت آيا تحدق في الأعماق الغامضة للبحيرة التي تقع تحت سطح الأرض، عادت بأفكارها إلى ما رأته هي وميكي في الليلة الماضية. ما الأمر السري للغاية الذي يستدعي إخفاءه داخل جبل؟ ولماذا بدا هؤلاء الأشخاص غرباء الشكل للغاية؟ فحتى أكثر الناس هوسًا بجراحات التجميل لن يشوهوا أجسادهم بمثل هذه الطريقة المتطرفة.

كانت الفتيات الماكرات سيتجهن الليلة إلى المكان نفسه مرة ثانية للبحث عن مفتاح لحل اللغز، وأعطى رين آيا كاميرا تجسس في حجم زر قميص، لكنها لا

تصلح سوى لالتقاط صور غير واضحة من مسافة قريبة؛ لذا لا بد من وجود موجل حتى تتسلل خلفهن كي تتمكن من التقاط صور للفتيات الماكرات وهن يتعقبن الأمر.

وفي أعماق الخزان برز نتوء صغير مغطى بالطمي من أرضيته.

– «موجل؟» همهمت آيا وهي تدعك عينيها.

كان ذلك الشيء الذي رأته بالشكل والحجم المثاليين للكاميرا، حيث بدا ككرة قدم منقسمة إلى نصفين.

صاحت آيا: «رين، رين.»

توقف المؤشر الوامض الدال على حالة الانغماس، واختفت من وجهه الطبقة الرقيقة لغطاء عدستي عينيه.

– «موجل هنا بالأسفل!»

بسط رين ذراعيه وأرجح ساقيه من جانب لوحه الطائر ثم قال: «رائع، حان وقت الدخول إلى المرحلة الثانية، التي هي أكثر إثارة.»

– «رائع، لقد كاد الشعور بالضجر يتسلل إلي قليلًا.»

ابتسم رين: «صدقيني لن تجدي هذه المرحلة مثيرة للضجر.»

اتضح أن المرحلة الثانية تتضمن خزانًا من الهليوم المضغوط في حجم مطفأة الحريق ويتدلى من فوهته منطاد جوي رخو.

حدقت آيا في الجهاز غريب الشكل وقالت: «لم أفهم قصدك؟»

قذف رين بالخزان إليها، فتأوهت من تأثير وزنه الثقيل، وانخفض لوحها الطائر برهة قبل أن تعيده الروافع إلى وضع الاتزان، فاستقام فوق سطح المياه.

قال رين: «أتشعرين بمدى ثقله؟»

– «أجل.» وتسربت قطرات مياه منه إلى سطح ركوب اللوح الطائر، فابتل حذاء آيا المانع للانزلاق.

أوضح رين قائلًا: «هذا الجهاز ستستخدمينه لحل مشكلة الطفو التي تواجهك.»

– «وهل أعاني مشكلة طفو؟»

قال: «أجل يا آيا-تشان، فشأنك شأن معظم الناس، أنت تطفين فوق سطح المياه بسبب الهواء المزعج الموجود في رئتيك، فهذا الخزان ثقيل بدرجة كافية ليحملك مباشرة نحو القاع.»

طرفت آيا بعينيها وقالت: «تمهل يا رين ... مشكلة الطفو هذه تروق لي، وأحب الهواء الموجود في رئتيّ! أنا لن أغوص إلى القاع!»

ضحك رين وقال: «هل ثمة طريقة أخرى يمكنك بها جلب موجل؟»

قالت: «لست أدري، ظننت أنك قد تصنع شيئًا ما ... كغواصة صغيرة.»

– «وكأنه ليس لدي أشياء أفضل لأنفق نقاط استحقاقي فيها.» وأشار رين إلى خزان الهليوم ثم قال: «هناك مغناطيس بقاعه، فقط ضعي الخزان في وضع عمودي فوق موجل وهي ستلتصق به.»

– «لكن كيف سأطفو إلى السطح مرة أخرى؟ فهذا الشيء ثقيل للغاية!»

أشار رين قائلًا: «هذا هو الجزء الذي يحتاج إلى براعة: لُفي هذا فحسب.» ثم اقترب رين بلوحه الطائر ولف صمامًا موجودًا بالخزان، فأصدر الصمام صوت أزيز لحظة قبل أن يعيده إلى وضع إيقاف التشغيل مرة أخرى، وأردف قائلًا: «حينها سيمتلئ المنطاد بالهواء وسيحملك أنت وموجل إلى الأعلى نحو السطح مرة أخرى! هذا أمر مثير جدًّا، أليس كذلك؟»

قالت آيا وهي تنظر إلى جزء الحمولات المفتوح بلوحه الطائر: «لكنني لا أستطيع تنفس الهليوم، أين قناعي المخصص للتنفس تحت الماء؟»

– «فقط احبسي أنفاسك.»

صاحت آيا: «أحبس أنفاسي؟ أهذا هو الحل التكنولوجي المدهش الذي تملكه؟»

أدار رين عينيه وقال: «إن القاع لا يبعد عن السطح سوى خمسة أو ستة أمتار، مثل قاع حمام سباحة عميق.»

– «أوه، شكرًا لهذا التشبيه يا رين، إن أكثر الأنشطة التي تثير ذعري هو الغوص في قاع حمام سباحة عميق.» ثم قطبت جبينها وأردفت: «وكذلك الجو بارد بالقاع!»

– «حسنًا.» ثم أومأ رين برأسه وأردف قائلًا: «لعلك تفكرين في ذلك في المرة المقبلة قبل أن تضيعي كاميرتك الطائرة.»

حدقت آيا في رين وأدركت أنه لا بد أن هيرو قد حرضه على ذلك، فإذا عرف كل من هيرو ورين قدر الإثارة التي تحملها هذه القصة، فسيدركان أن القصة تستحق التضحية بموجل في سبيلها، لكن لا يسعها تفسير الأمر بعد، ليس قبل أن تكتشف الشيء المستتر بالجبل.

– «حسنًا.» تشبثت آيا بخزان الهليوم ليصير قريبًا من جسدها، وهي تحدق أسفلها في أعماق المياه المضاءة حتى حددت موقع موجل مرة أخرى: «أهناك شيء آخر يجب أن أعرفه؟»

ابتسم رين وقال: «توخي الحذر فحسب يا آيا-تشان.»

– «ليكن ما يكون.»

أخذت آيا نفسًا عميقًا ... ثم قفزت.

دوى صوت ارتطامها بالماء في أذنيها للحظة، لكن الخزان الثقيل حملها سريعًا من المياه المضطربة إلى المياه الساكنة في أعماق الخزان. ولمعت المصابيح الطائرة عبر جفني عينيها المغمضتين، وكانت المياه باردة للغاية.

ارتطمت قدماها بأرضية الخزان، وانزلق حذاؤها لحظة فوق القاذورات الرخوة. كاد الخزان الثقيل يجعل آيا تسقط على ركبتيها، لكنها استطاعت أن تقف مستقيمة.

فتحت آيا عينيها ...

دارت أوراق وأغصان الشجر العفنة حول رأسها في زوبعة صغيرة جراء هبوطها.

وأدى عمق المياه إلى تحول الضوء إلى لون أخضر باهت وتراقصت الظلال الدوارة عبر قاع خزان مياه الأمطار.

وتحت ضوء المصابيح لمع وميض التقطته عينا آيا لأحد الملصقات اللامعة الموجودة على غطاء موجل، وكأنه عين لحيوان يسكن الأعماق.

مشت آيا بخطى بطيئة نحو الكاميرا الطائرة وقدماها تنزلقان فوق القرميد الزلق، وكل خطوة لها كانت تثير دوامة من سحب سوداء من الطمي والوحل تحيط بها، حتى إن موجل كادت أن تختفي بينها.

لكن لم يكن أمامها وقت يكفي تنتظر فيه أن يستقر الوحل في موضعه؛ فقد بدأ قلبها يخفق بقوة داخل قفصها الصدري، مطالبًا بالمزيد من الأكسجين، وكذلك بدأ إحساس بالتنميل يتسلل إلى أصابع يديها وقدميها نتيجة للبرد القارس، إضافة إلى ضغط المياه الذي أصابها بالدوار كما لو كان هناك يدان تضغطان على رأسها.

وبعينين نصف مغمضتين تمكنت آيا من تحريك خزان الهليوم فوق موجل وجعلته يسقط فوقها، وحمل الصليل إلى سمع آيا صوتًا حاسمًا ونهائيًّا.

تحسست آيا خزان الهواء بحثًا عن فوهته، ومع أن رئتيها كانتا تستنجدان وقلبها يخفق بقوة تمكنت بأصابعها المتجمدة من تحريك الصمام. فسرى صوت هدير في المياه، وبدأ المنطاد الجوي في الانتفاخ.

أرخت آيا قبضتها عن الجهاز ودفعته بعيدًا، لينطلق إلى أعلى سريعًا من أرضية خزان المياه، وأخذت تحرك قدميها بقوة وتدفع نفسها إلى أعلى في اتجاه الضوء القوي للمصابيح الطائرة.

وبينما ألقت آيا نظرة خاطفة أخيرة أسفلها، رأت المنطاد ينتفخ أكثر ويتمدد بفعل وزن خزان الهليوم وهو يطفو، ثم بدأ الجهاز الغريب في الارتفاع ببطء.

ظهرت آيا على سطح المياه وهي تلهث وتستنشق كميات كبيرة من الهواء الذي اشتاقت إليه.

– «هل أنت بخير؟» كان رين جاثيًا على ركبتيه فوق لوحه الطائر.

قالت آيا وهي تلفظ المياه من فمها وتحرك يديها في المياه: «إنه خلفي مباشرة.»

اندفع المنطاد الجوي إلى سطح المياه متسببًا في تفرق المصابيح الطائرة في جميع الاتجاهات، فقد حملته القوة الدافعة إلى أعلى في الهواء، فاندفع الماء إلى أعلى ثم تساقط كشلالات صغيرة، وكأنه رأس حوت اخترق سطح الماء، ثم عاد المنطاد وارتطم بالسطح، فتناثرت قطرات من المياه مرة أخرى قبل أن يتوقف المنطاد وقفة صحبتها اهتزازات بالماء.

قال رين: «لقد نجحت فعلًا!»

سألته آيا وهي تدير السوار الواقي من الصدمات بأصابعها التي فقدت الإحساس بها بفعل البرودة: «وماذا كنت تعتقد؟ أنني سأغرق؟»

هز رين كتفيه وقال: «كنت أتوقع أن الأمر سيتطلب بضع محاولات أخرى.»

كان المنطاد يرتفع مجددًا في الهواء نتيجة للهليوم الموجود به، وكانت موجل لا تزال عالقة بقاع الخزان ويتقاطر منها الماء وكأنها كلب مبتل.

وجه رين لوحه الطائر ليقترب أكثر من المنطاد وبسط ذراعه وأغلق تدفق الهليوم.

جذبت آيا نفسها فوق لوحها الطائر وهي ترتجف من البرودة.

تمتم رين قائلًا: «ما زلت لا أصدق أن الفكرة نجحت.»

سعلت آيا الماء الموجود برئتيها في قبضة يدها وقالت: «ربما كان الأمر أيسر لو أنني أسدلت حبلًا لالتقاطها.»

قال رين: «أيسر؟ هذه الكلمة ليست ضمن مفردات لغة مهاويس التكنولوجيا.»

– «تحقق فحسب مما إذا كانت موجل بخير.»

ضحك رين ضحكة خافتة وهو يفصل الكاميرا الطائرة عن خزان الهليوم، وعندما التقطها ارتفع المنطاد بسرعة شديدة وارتطم بسقف النفق. ثم قال لها: «مهلًا! أتعلمين أن شفتيك تغير لونهما إلى الأزرق؟»

– «عظيم!» لفّت آيا ذراعيها حول جسدها محاولة عصر المياه التي تشبع بها زيها الخاص بمسكن الطلاب، ثم جلست حيث كانت وهي ترتجف وتراقب رين.

سحب رين مقبض الإغلاق من موجل وبدأت عدستا عينيه تومضان بومضات خافتة ثم قال: «لا تزال خاصية مقاومة المياه التي صممتها باقية! أنا عبقري!»

تنهدت آيا بارتياح تحول إلى رجفة سرت بجسدها كله، وكانت أسنانها قد بدأ يصطك بعضها ببعض. ثم ضمت ذراعيها حول جسدها وهي تعاهد نفسها بعدم التضحية بموجل وإلقائها في مقبرة مائية مرة أخرى.

لكن ما يهم الآن هو أن بحوزتها كاميرا طائرة. وهذه القصة ستُحدث ضجة.

الصدق المطلق

بينما كانت آيا في طريق عودتها إلى أكيرا هول ساورها الشك فيما إذا كانت قد أصيبت بعدوى جرثومية.

فعلى الرغم من أن الشمس كانت ساطعة، ظلت الرجفات تسري في جسدها. كانت الليلة السابقة شاقة للغاية، وازداد الأمر سوءًا حينما ابتلت ملابسها وغطاها الوحل في خزان المياه.

– «ذكريني أن أتناول بعض الأدوية عندما نصل إلى مسكن الطلاب.»

أومضت موجل أضواءها الليلية، فابتسمت آيا. فعلى الرغم من أنها مغطاة بالوحل وترتجف من البرودة، شعرت بأنها أفضل حالًا في وجود كاميرا طائرة تحلق بجوارها. كل ما تحتاج إليه الآن هو الاستحمام بماء ساخن وستعود الأمور إلى طبيعتها، أي على النحو الذي يمكن أن تكون عليه بعد رحلتها التي تذهل العقل عبر البرية الشاسعة في منتصف الليل. لقد بدا كل شيء هادئًا للغاية هنا في المدينة.

فمتى كان الطقس رائعًا كانت المتنزهات العامة تكتظ بالناس؛ إذ يخرج الآباء مع الصغار، ويلعب فريق البيسبول من القبحاء ضد كبار السن. أما ملاعب كرة القدم التي تقع بجانب مبنى أكيرا هول فكانت محاطة بالحبال لتخوض فيها مجموعة من الصغار معارك آلية بمحاربين آليين، وكان الأطفال الذين يرتدون ملابس المحاربين الآليين يصدرون دويًّا في المكان وهم يضربون بعضهم بعضًا بسيوف بلاستيكية، ويطلقون قذائف رغوية وألعابًا نارية آمنة. كان الأمر برمته سخيفًا للغاية — فحتى أفضل اللاعبين الآليين لم يحظ بالشهرة قط — ولكن لا يزال الأمر يبدو ممتعًا.

وبينما كانت آيا تطوف حول ملاعب كرة القدم وبرفقتها موجل، فرت عجلة حربية دوارة من ساحة القتال المحاطة بالحبال، ومرت بهما واثبة باتجاه الأشجار.

فسارت موجل في إثر شرارات الألعاب النارية الآمنة ولحقت بها آيا وهي تضحك متجهة إلى المكان الذي توقفت عنده العجلة بين العشب.

وعندما نزلت آيا من فوق لوحها الطائر، التقطت العجلة الحربية بيديها. كانت متوهجة بالحرارة على نحو غير مؤذ، إذ لم تنفد منها الألعاب النارية بعد.

ابتسمت آيا ابتسامة عريضة واستدارت نحو ساحة المعركة وحددت هدفًا.

– «راقبي هذا!»

كانت رميتها غير بارعة، إلا أنه ما إن طارت العجلة الحربية في الهواء حتى استعادت رشاقتها واكتسبت سرعة من تدفق شرارات النيران الآمنة المصاحبة لها.

انطلقت العجلة الحربية سريعًا في الهواء لتسقط على نحو مائل في ساحة المعركة وهي تقفز كحجر مستو فوق سطح الماء، وأخيرًا أصابت أحد المحاربين الآليين في منتصف ظهره. كانت ضربه مباشرة، وظهرت آلام الاحتضار على الدرع الجسدي، وتحركت ذراعاه بعنف واندفعت منه الشرارات النارية قبل أن يسقط منهارًا على الأرض. زحف الصغير الذي كان مرتديًا الدرع الآلي ونظر حوله في انزعاج محاولًا التوصل إلى الشخص الذي أصابه.

ضحكت آيا بشدة عندما رأت الرمية التي حالفها الحظ في تصويبها ثم صعدت إلى لوحها الطائر، وشعرت وكأن الحظ أصبح حليفها أخيرًا وأن الشهرة ليست بعيدة المنال.

صدر صوت ما: «رمية جيدة، لكنها ليست ملتزمة بالقواعد تمامًا.»

استدارت آيا ورأت أخيرًا صبيًّا جالسًا القرفصاء فوق لوح طائر، لكن اختفت ملامحه تحت الظلال المرقطة لأوراق الأشجار، وابتسم الصبي لها ابتسامة مشرقة.

لقد ظهر فريز ميزونو ثانية، وعلى نحو غير متوقع.

قالت آيا بهدوء: «ماذا ... تفعل هنا؟»

قال وهو ينحني تحية لها: «جئت لأراك، وعندما لم أجدك في مسكن الطلاب فكرت في مشاهدة المعركة، فلم أشاهد أي معركة بين محاربين آليين منذ أن أتممت السادسة عشرة من عمري. لقد كان ذلك شغفي الأول في عصر الحسن، لقد كنت دومًا أحب المعارك الآلية.»

قابلت آيا انحناءته بانحناءة وحاولت تخيل فريز ميزونو وهو يرتدي أي شيء يخفي الشهرة كالدروع الجسدية، فأحيانًا يكون من الصعب تذكر أنه يكبرها بعام واحد فقط.

قال: «هذا إلى جانب أنني كنت أتمنى عودتك إلى مسكن الطلاب، فمن الغامض إلى حد ما أن تطفئي محدد المواقع الخاص بك، فهذا يجعل العثور عليك صعبًا.»

– «لم أطفئ محدد المواقع، كنت فقط ... تحت سطح الأرض.»

قطب فريز جبينه وقال: «أنت لا تشعرين أنني أطاردك، أليس كذلك؟ سأنصرف إذا شعرت بذلك.»

– «لا، أنا لا أشعر بأنني مطاردة، كل ما هنالك أنني ...»

سألها فريز: «مبتلة، أليس كذلك؟ ومغطاة بالقاذورات والوحل؟»

التفت ذراعا آيا حول كتفيها، وكأن هذا سيخفي ملابسها المبتلة والمتسخة بالوحل، وقالت: «أجل، مغطاة بالقاذورات والوحل.»

– «حسب ما أرى، يعتبر هذا أكثر غموضًا من ارتدائك لسترة مفجري الشهرة.»

وقفت آيا حيث كانت وهي تحاول أن تفكر في شيء لتقوله، لكن يبدو أن برودة خزان المياه قد تسربت إلى مخها وجمدته، أيضًا لم تكن نظرة فريز المحدقة فيها خير عون لها؛ إذ أسرت اهتمامها وعقدت لسانها، وفجأة لاح أنفها الكبير في مخيلتها.

– «كنت أقوم ببعض ... أعمال الإنقاذ تحت الماء.»

– «تحت الماء وتحت سطح الأرض؟» أومأ فريز برأسه ثانية وأردف: «هذا قد يوضح سبب بلل ملابسك، ومع ذلك ما زلت في حيرة من أمري.»

سرت رجفة أخرى في جسد آيا، وشعرت بحرارة تعتري رأسها. «وأنا كذلك، فأنا لم أخبرك عن كنيتي، فكيف عثرت علي؟»

ابتسم فريز وقال: «حسنًا، هذه قصة مثيرة، لكنني أعتقد أنه ينبغي أن تغيري.»

– «أُغير؟» ورفعت يدها تجاه أنفها.

– «ينبغي تغيير ملابسك المبتلة بأخرى جافة، أنت لم تتوقفي عن الارتجاف، وربما تحتاجين إلى بعض الأدوية؟»

ومضت الأضواء الليلية الخافتة لموجل.

انتظر فريز بالخارج وهو يشاهد المعركة بينما صعدت آيا الدرج المؤدي إلى مسكن الطلاب.

وقفت تحت المياه الساخنة دقيقة كاملة، وشعرت بالدوار لدى رؤيتها أغصان الشجر وبقايا الوحل وهي تنهمر منها في دوامات في طريقها إلى البالوعة، وأخذت

تتساءل عن الطريقة التي توصل بها فريز إليها. كان الأمر برمته مخزيًا للغاية، لقد توصل فريز إلى كنيتها، وهو ما يعني أنه يعلم أنها فتاة قبيحة ومغمورة تقتحم الحفلات دون دعوة.

ومع ذلك جاء لمقابلتها ...

ما خطبه؟ هل تسببت عملية الصدق المطلق الجراحية في إتلاف عقله؟ كانت رتبة شهرته في ازدياد مستمر — لقد أصبحت الآن تحت الثلاثة آلاف — في حين كانت آيا فتاة مغمورة لا يعبأ بها أحد تقريبًا!

وقفت آيا وهي نظيفة وجافة أمام الكوة الذكية، فهي لن تطلب منها شيئًا سوى زي مسكن الطلاب، ولا تمتلك أي نقاط استحقاق لإهدارها على ملابس تُستخدم مرة واحدة. لقد رآها فريز بالفعل وهي مغطاة بالوحل، فلن يكون إذن زي مسكن الطلاب النظيف بالأمر السيئ للغاية.

ارتدت آيا ملابسها بسرعة واتجهت نحو الباب.

اعترضت موجل طريقها وهي تومض ومضة واحدة.

– «صحيح» ثم خاطبت الغرفة قائلة: «رجاءً أنا بحاجة إلى أدوية، كنت تحت الماء، جسدي يرتعد وأشعر بالسخونة.»

برز من الجدار لوح لفحص الجسم عن طريق اليد؛ أراد أن يستشعر درجة حرارة آيا ويتلمس عرقها لفحصه. وضعت آيا راحة يدها فوقه، وسرعان ما قذفت الكوة شيئًا قاتم اللون في كوب الشاي المفضل لديها. وأثناء تجرع آيا بسرعة لهذا الشراب الحمضي الأشبه بعصير البرتقال، حدقت في أثاثها النمطي المقدم من الكوة الذكية وملابسها غير الدالة على الشهرة، وصغر حجم الغرفة وضآلة شأن كل شيء من حولها.

على الأقل لا يكلفها الدواء أي نقاط استحقاق. لا بد أن الشراب يحتوي على جزيئات النانو، إذ اختفى شعورها بالدوار تقريبًا في غضون الوقت الذي استغرقه المصعد للوصول إلى الطابق الأرضي.

قال فريز: «كان العثور عليك سهلًا، لقد كنت أعرف اسمك الأول على أي حال.»

قطبت آيا جبينها وقالت: «لكن لا بد أن في المدينة ألف فتاة تدعى آيا.»

– «اثنتا عشرة ألف فتاة تقريبًا.» وضحك فريز ضحكة خافتة عندما سقط درع جسدي آخر وظهرت آلام الاحتضار عليه، لقد كانت المعركة تحتدم، وأجساد

الجرحى تتناثر فوق أرضية الملعب. أما موجل، فكانت تطير بمحاذاة حدود الملعب من مكان لآخر وهي تتدرب على التقاط الصور للصواريخ المطاطية، وبدا وكأنها قد استعادت حالتها الجيدة تمامًا بعد غرقها في المياه شديدة البرودة.

لم تستطع آيا التحدث كثيرًا، فبينما جلست إلى جوار فريز في الظل المرقط لأوراق الشجر، كانت لا تزال تشعر برجفات تسري بسطح جلدها، وكأن الدواء قد حول الحمى التي أصابتها إلى قشعريرة تنتابها عندما تجلس بجوار شخص شهير. على الأقل قد حول نظرته المحدقة فيها — المميزة لشخصيات المانجا والتي تسببت في عجزها عن التحدث — إلى المعركة بدلًا منها.

أردف قائلًا: «لكنني كنت أعرف أنك من جماعة مفجري الشهرة؛ لذا فحصت رتب الشهرة لتلك الليلة، وقد تحول شخص يدعى يوشيو نارا إلى يوشيو-سنسي على نحو مفاجئ.»

انتفضت آيا، فسماع اسم يوشيو مرة أخرى جعلها تشعر بطنين خاطف وحاد برأسها. «لكن كيف وصلت إلي من خلاله؟»

– «راجعتُ بدقة مسارات تناقل الخبر الخاصة به بحثًا عن اسم آيا.»

– «وهل يمكنك فعل ذلك؟ خلت أن المحادثات تتمتع بقدر من الخصوصية! لا أعني أن ما حدث كان محادثة حقيقية، فكنت فقط أردد الاسم نفسه مدة ساعة كاملة، لكن من المفترض أن تكون هناك خصوصية!»

قال: «أجل، أنت على حق، لن تكشف شبكة اتصال المدينة عما كنت ترددينه.» وهز فريز كتفيه وأردف قائلًا: «لكن مدينتنا ليست مصممة للخصوصية بل للشهرة والعلنية، ونسج العلاقات والإكثار من الجدال والمناقشات. لذا فمن المسموح تتبع متعقبي أشهر الأشخاص رجوعًا إلى المصدر، لا سيما إذا كان شخصًا شهيرًا جدًّا. وكنت الشخص الوحيد الذي حمل اسم آيا وذكر اسم يوشيو نارا ثلاثة آلاف مرة في تلك الليلة.»

قالت آيا: «رباه، توقف عن ذكر ذلك الاسم.» ثم تنهدت وأردفت: «أظن أنني لم أكن أعلم ذلك، فشقيقي يقضي ساعات في دراسة مسارات تناقل الأخبار التي ينشرها، لكن قصصي لم تحظ بردود أفعال كافية لكي يهتم بها.»

– «شقيقك شهير، أليس كذلك؟»

أومأت آيا برأسها وقالت: «شهير جدًّا، ولعل ذلك سبب تعجرفه، إذ يرى أن القصص التي أنشرها حمقاء.»

– «إنها ليست كذلك، فقد كانت قصة جماعة النقش على الجدران قصة جميلة.»

– «شكرًا.» وشعرت آيا باحمرار وجنتيها خجلًا، مندهشة لأن فريز قد تصفح مدونتها بالفعل، وأردفت: «لكنها قصة بسيطة للغاية، فأنا أعمل الآن على نشر قصة أكثر تعقيدًا، قصة تحقق الشهرة فعلًا! فهي عن جماعة سرية، وهذه الجماعة ...»

رفع فريز يده وقال: «إذا كانت سرية فيجدر بك عدم إخباري، أنا لست بارعًا في كتم الأسرار.»

– «حسنًا، هذا بسبب ...» وقاومت آيا رغبتها في الإشارة إلى رأسه. كان الأمر غريبًا، فمشوَّشو العقول هم الأشخاص الوحيدون الذين عرفتهم آيا وخضعوا لعملية جراحية، ولم يبدُ فريز من مشوشي العقول على الإطلاق. قالت: «لكن ما علاقة الصدق بكتمان الأسرار؟»

قال فريز وكأنه اضطر لشرح الأمر كثيرًا من قبل: «إن أفراد جماعة الصدق المطلق يتخلصون من جميع أوجه الخداع، فلا يمكنني الكذب أو الحياد عن الحقيقة أو التظاهر بأنني أجهل أمرًا ما، حتى إنه لا يمكنك دعوتي إلى الحفلات المفاجئة وإلا سأبوح بالسر.»

داهم آيا الضحك وقالت: «لكن ألا يجعل هذا الأمر كل الأشياء أقل ... إثارة؟»

– «ستندهشين إذا عرفت إلى أي مدى يجعل هذا الأمر الأشياء أكثر إثارة.»

– «حقًّا!» حدقت آيا في المعركة وأخذت تتساءل عن كم الأشياء التي تحتفظ بها سرًّا كل يوم: «لا يمكنك إخفاء سر أبدًا، لا بد أن هذا أمر مروع.»

استدار فريز نحوها وقال: «أتقصدين مروعًا لي؟ أم مروعًا للآخرين جميعًا؟»

تسببت نظرته المحدقة فيها في سريان رجفات عدة بجسدها، وشعرت بتدفق الحمرة إلى وجنتيها مرة أخرى وكذلك استشعرت وخزًا خفيفًا في ظهرها. كان صدقه في الحديث مروعًا! ودارت في ذهنها كل الأسئلة التي كانت تحترق شوقًا لطرحها، لكنها لم تكن متأكدة من قدرتها على احتمال الإجابات، فكانت تراودها أسئلة عن سبب وجوده معها هنا ورأيه في اختلاف الطموح بينهما.

قالت: «أنت معجب بي، أليس كذلك؟»

ضحك فريز وقال: «هل كنت غامضًا لهذه الدرجة؟»

– «كلا، لا أظن ذلك، لكن الأمر غير منطقي ... فأنت شهير للغاية، وأنا لست سوى فتاة مغمورة! هذا إلى جانب كوني قبيحة، وقد شاهدتني وأنا مرتدية ملابس سخيفة أو مغطاة بالوحل، وعندما تقابلنا كذبت عليك بشأن أنفي!»

أخذت آيا تتحدث بسرعة وارتباك حتى توقفت، وتساءلت في داخلها من أين جاءت كل هذه الكلمات، لقد تفجرت من داخلها كالرغوة المندفعة من زجاجة تُرج، تفور ولا يمكن تناولها.

قالت آيا: «يا للعجب! هل الصدق المطلق مرض معد أو شيء من هذا القبيل؟»

قال فريز وهو يبتسم: «أحيانًا، وهذه ميزة غير متوقعة.»

شعرت آيا بتورد وجنتيها خجلًا وأشاحت بعينيها بعيدًا عنه وحولت نظرها إلى ملاعب كرة القدم. لم يتبق سوى حفنة صامدة من المقاتلين ذوي الدروع الجسدية، يضرب بعضهم بعضًا بسيوف بلاستيكية وفئوس حربية، سألته: «لكن لماذا أنت معجب بي؟»

مد فريز يده إليها وأمسك بيدها، فتحولت الرجفة التي أحست بها تقديرًا لشهرته إلى ضيق في صدرها يحبس أنفاسها، كما لو كانت تحت الماء مرة ثانية.

– «عندما رأيتك للمرة الأولى خارج ذلك الحفل، كنت في مهمة، وكنت جادة للغاية، ثم سقط غطاء الرأس إلى الوراء، وجال بخاطري: يا إلهي إنها شجاعة للغاية كي تحتفظ بهذا الأنف المروع.»

تأوهت آيا باستنكار: «لكنني لست شجاعة، فقد ولدت بهذا الأنف، وكنت أحيد عن الحقيقة عندما أخبرتك بأنني اكتسبت هذا الأنف عشوائيًّا.»

– «هذا صحيح، لكن عندما أدركت ذلك، عرفت أشياء أخرى عنك.»

قالت آيا: «أتقصد أشياء مثل كوني مغمورة وأعيش في مسكن للطلاب القبحاء؟ وأنني أخدع الناس بخصوص أنفي الكبير؟»

– «أشياء مثل أنك تتسللين إلى حفلات مهاويس التكنولوجيا، وأنك تذهبين إلى مهام إنقاذ تحت الماء، وأنك تنشرين قصصًا رائعة، مع أنها لا تعزز من رتبة شهرتك.»

تنهدت آيا وقالت: «أجل، إن القصص التي أنشرها تجيد فعل ذلك حقًّا.»

هز فريز كتفيه وقال: «بالطبع، فهي مثيرة للغاية.»

نظرت آيا إليه وقالت: «هذا غير منطقي على الإطلاق، إذا كانت مثيرة، فلماذا لا يهتم أي شخص بقراءتها؟»

ومضت عدسة عينيه وسألها: «هل تصفحتِ مدونة نانا لاف قريبًا؟ إنها تنتقي زيها الذي ستحضر به حفل الشخصيات الألف الأكثر شهرة، واليوم هي تستطلع

الآراء عن القبعة التي ستختارها، ولقد سجلت أصوات سبعين ألف شخص حتى الآن، وهناك مائة مدونة أخرى تقدم تعليقات على نحو متواصل.»

أدارت آيا عينيها استهجانًا، فلقد كانت نانا من الفتيات اللاتي ولدن حسناوات بالفطرة، فهي واحدة من الأشخاص القلائل الذين صاروا على وشك الاندثار والذين لم يكونوا ليحتاجوا إلى عمليات جراحية حتى في عصر الحسن، ولهذا السبب فهي ثاني أشهر شخصية في المدينة بأكملها. قالت آيا: «هذا ليس بالأمر المهم، إن نانا-تشان تستطيع أن تكون مثيرة للاهتمام حتى دون أن تحاول.»

ابتسم فريز وقال: «وأنت لا تستطيعين ذلك؟»

حدقت آيا في عينيه الواسعتين، وهذه المرة لم تشوش عيناه تفكيرها وكأن ثمة حاجزًا ما بينهما قد اختفى.

وفجأة عرفت آيا السؤال الذي أرادت فعلًا أن تطرحه عليه.

– «كيف يكون شعور المرء عندما يكون شهيرًا؟»

هز فريز كتفيه وقال: «لا يختلف الشعور حينها عما قبله اختلافًا كبيرًا، عدا أن عددًا أكبر من الناس ينضمون إلى جماعتي، ثم يتركونها بعد أسبوع.»

– «لكن ألم تشعر قط أن هناك ما ينقصك قبل أن تشتهر جماعة الصدق المطلق؟ كأن تنظر إلى المدينة وتشعر أن الناس لا يرونك؟ أو أن تشاهد المدونات وتكون على وشك البكاء، لأنك تعرف أسماءهم جميعًا وهم لا يعرفون اسمك؟ وتشعر وكأنك قد تختفي لأن أحدًا لم يسمع بك قط؟»

– «لم يكن الأمر كذلك، هل تساورك تلك المشاعر؟»

– «بالطبع! إن الأمر يشبه الأحجيات التي يقصونها على الصغار في المدارس، فإذا سقطت شجرة ولم يكن هناك أحد يشاهدها، إذن هي لا تحدث صوتًا، كما لو كان هناك يد واحدة تصفق؛ فيجب أن يراك الناس كي تكون موجودًا فعلًا!»

– «أعتقد أنك ذكرت أحجيتين وليس واحدة، لست متأكدًا من أن هذا هو المغزى من أي منهما.»

– «لكن، بربك يا فريز! أنت لم تكن شهيرًا منذ وقت طويل، ومن المؤكد أنك تتذكر كم كان الأمر بشعًا أن تكون ...» ثم تلعثمت وتوقفت عن الحديث وهي تحاول أن تقرأ النظرة التي تعلو وجهه؛ فقد اختفت ابتسامته المشرقة.

قال فريز: «هذه محادثة غريبة.»

طرفت آيا بعينيها، فهي لم تتفاعل مع الصدق المطلق إلا مدة عشر دقائق فقط، وها هي ذي أصبحت بالفعل صادقة أكثر مما ينبغي.

– «أنا أتحدث تمامًا كحمقاء مغمورة، أليس كذلك؟» وأطلقت تنهيدة ثم أردفت: «أعتقد أن عليك أن تضمني إلى جماعة الحماقة المطلقة.»

ضحك فريز وقال: «أنت لست حمقاء يا آيا، ولست مجهولة لي.»

حاولت آيا أن تبتسم وتساءلت: «كل ما هنالك أنني غامضة؟»

– «حسنًا ليس بقدر كبير كما كان في السابق، أنت على وشك أن تكوني ظاهرة.»

– «ظاهرة؟»

– «أقصد فيما يخص الشهرة، والمشاعر التي تجعلك تشعرين بها.»

ابتلعت آيا ريقها، وتعجبت مما قاله عن اقترابها من أن تكون ظاهرة، هكذا كانت تبدو في رأيه الذي يطغى عليه الصدق المطلق. وبعد فوات الأوان، تذكرت آيا شيئًا آخر يعلمونه في مدارس الصغار: لا بأس أن يتذمر المرء حيال رتبة شهرته أمام غيره من المغمورين، لكنه لا يتذمر من هذا الأمر أمام أي شخص شهير.

استدارت آيا لتحدق بنظرها نحو ملاعب كرة القدم؛ إذ كانت تعلم أنها إذا نظرت مرة أخرى إلى عيني فريز فستقول شيئًا آخر به حماقة، أو قد يفصح فريز دون تفكير عما يجول بخاطره وهو ما قد يكون أسوأ على الأرجح. لعل المدونات كانت محقة بشأن الاختلافات في الطموح، وضرورة عدم الحميمية الشديدة بين المغمورين والمشهورين، فذلك يولد احتمالات كبيرة لحدوث مواقف محرجة.

كانت المعركة بين المحاربين الآليين قد انتهت، وكانت آلات الرفع تنقل أجساد آخر بضعة محاربين. وانتظم الصغار في صفوف أمام أكيرا هول منتظرين بدء نشاطهم التالي.

قالت آيا: «تبًّا، ما الوقت الآن؟»

– «حلت الظهيرة تقريبًا.»

– «علي أن أنصرف!» وهبت على قدميها ثم أردفت: «لدي مهمة مراقبة الصغار، يمكنني التغيب عنها، لكنني ...» وحدثت نفسها قائلة: «أحتاج إلى نقاط الاستحقاق.»

كان فريز لا يزال جالسًا القرفصاء فوق لوحه الطائر، واكفهر وجهه حزنًا وقال: «لا بأس، لا يجب عليك أن تخلفي الوعود.»

انحنت آيا له لوداعه، متسائلة هل كان سعيدًا هذه المرة لرؤيتها وهي تغادر. وحاولت أن تفكر في شيء تقوله لكن بدا الكلام كله في عقلها محرجًا للغاية.

لذا استدعت موجل واندفعت بسرعة نحو مسكن الطلاب آملة ألا تكون قد تأخرت.

الانضمام إلى الفتيات الماكرات

شيء ما كان يصدر رنينًا ...

استيقظت آيا من نوم عميق لم تنعم فيه بالراحة، وهي تقاوم موجات الإرهاق التي تسببت لها في الشعور بالدوار. كانت هناك ضوضاء بالقرب من أذنيها تلح عليها مرة تلو الأخرى كي تسترعي انتباهها.

استطاعت آيا أن ترى وميض إشارة الاستيقاظ في عدسة عينها حتى على الرغم من أن عينيها كانتا مغمضتين. كانت الإشارة تومض وتُصدر صوتًا مدويًا مصمًّا للآذان من أجل تنبيهها بأن الوقت قد قارب منتصف الليل.

قبضت آيا راحة إحدى يديها لإسكات المنبه وهي تتأوه، إذ كانت تنوي أن تأخذ قيلولة بعد ظهيرة هذا اليوم، لكن بسبب محادثتها المجهدة للذهن مع فريز، وتوليها نوبة مراقبة الصغار، وانقضاء ساعة أخرى في قيامها برش موجل بالطلاء الأسود التمويهي؛ لم تتمكن من التسلل إلى سريرها حتى الساعة العاشرة.

لم تنم سوى أقل من ساعتين.

لكنها أرغمت نفسها على النهوض وهي تتذكر مقدار الشهرة التي يمكن أن تجلبها لها تلك الليلة. وعلى سبيل التذكرة رمقت بعينيها رتبة شهرتها المتدنية والمثيرة للشفقة التي وصلت إلى ٤٥١٦١١.

ارتفعت موجل من أرضية الحجرة، فتراكبت زاوية الكاميرا الطائرة بدقة مع رؤيتها، وعند النظرة الثانية أصبحت رؤيتها مطابقة تمامًا لرؤية الكاميرا.

ابتسمت آيا؛ فلن يفوتها التقاط أي صور مثيرة الليلة.

قالت هامسة: «أمستعدة للذهاب؟»

أطلقت موجل أضواءها، فأجفلت آيا. لم يكن قضاء ست وثلاثين ساعة في المياه كافيًا لعلاج العادات السيئة للكاميرا الطائرة.

تحسست آيا طريقها إلى النافذة وأخذت تطرف بعينيها حتى تزول آثار الضوء البراق التي علت رؤيتها، ثم صعدت فوق حافة النافذة. وبدأت عيناها تتكيفان مع الضوء ببطء، إلى أن شعرت بغصة في حلقها عندما نظرت إلى أضواء المدينة، وانتابتها حالة اعتادتها من الذعر ناتجة عن انعدام الشهرة، وازداد الأمر سوءًا الآن بعدما تسببت في إحراج نفسها أمام فريز. كل ما كانت تعتزم قوله هو أنه لا ينبغي له أن يقلق، فهي أيضًا ستصير مشهورة، ولكن انتهى بها الحال وهي تبدو شخصية مغمورة قبيحة بمدونتها الأولى. لقد قال إنها ستصبح «ظاهرة».

ومع ذلك من الحماقة أن ينتاب المرء الشعور بالاكتئاب حيال ذلك؛ فلم تكن الشهرة كالحسن الذي كان يتعين على المرء انتظاره إلى أن يُتم عامه السادس عشر، أو أن يكون محظوظًا مثل نانا لاف التي ولدت حسناء. إن الشهرة أمر يستطيع المرء تحقيقه بنفسه.

حالما تنشر آيا هذه القصة، لن تكون رتبة الشهرة مشكلة تحول بينها وبين فريز بعد الآن، وكانت متأكدة من هذا الأمر.

تحركت موجل إلى خارج النافذة ببطء وهي تلامس كتف آيا برفق، فابتسمت آيا وهي تلف ذراعيها حول الكاميرا الطائرة؛ فقد كانت سعيدة لتوجهها إلى مكان بعيد عن أضواء المدينة.

إنها تتوجه إلى مكان يكتنفه الغموض بدرجة كافية تجعل فريز ينبهر بها مرة أخرى، حالما يكتشف كل الأشياء التي فعلتها.

دفعت آيا نفسها إلى الخارج في هواء الليل البارد.

* * *

قالت جاي: «قبل أن نبدأ، هناك بعض الأمور التي علينا التعامل معها، والأمر الأول يتعلق باسمي؛ فهناك شخص ما كان يتحدث عني بحيث أمكن لشبكة اتصال المدينة سماع الاسم وتسجيله.»

أطرق بعض الفتيات الماكرات بخجل.

طقطقت جاي إليهن بلسانها ثم قالت: «هذا صحيح، لقد استيقظت هذا الصباح ووجدت أن رتبة شهرتي كادت أن تخرج من نطاق مرتبة الألف درجة الأدنى، وهذا يعني أن المدينة ستبدأ في تتبع لقبي مجددًا، لقد حان وقت تغييره.»

رفعت آيا حاجبها، فهكذا كانت الفتيات الماكرات يبقين على رتب شهرتهن منخفضة، عن طريق تغيير أسمائهن، وهو الأسلوب نفسه الذي يتبعه كل من رين وهيرو في إخفاء كرههما الشديد للشخص «النكرة».

– «من الآن فصاعدًا اسمي هو كاي. هل هذا مفهوم للجميع؟ حسنًا، الآن علينا معالجة الأمر الثاني.»

استدارت كاي نحو آيا التي استشعرت وخزًا خفيفًا يسري عبر عمودها الفقري.

قالت كاي: «ها هي ذي صديقتنا الجديدة تنضم إلينا مرة أخرى، هل لدى أي منكن اعتراض على ذلك؟»

خيم عليهن صمت مثير للتوتر وسمعت آيا هدير القطار القادم من بعيد. ولمعت قضبان القطار الموجودة على جانبيها، مصدرة إنذارًا خافتًا بقدوم القطار، وبدت ساخنة لدرجة لا يمكن معها لمسها، مثلما يكون الحال مع المكونات الداخلية للكوة الذكية بعد أن تقوم بصنع شيء كبير. لكن يبدو أن هذا لم يلفت انتباه أي من الفتيات الماكرات، كما لو كانت المساحة الفاصلة بين قضبان القطار المغناطيسي المعلق هي المكان الذي يعقدن فيه دومًا اجتماعات عملهن.

لم تتمكن آيا حتى من استخدام موجل للانتباه لقدوم القطار. كانت الكاميرا الطائرة تتعقبها خلسة في مكان ما بين المنشآت الصناعية، ولكن مهما يكن فقد أوقفت تشغيل زاوية رؤية الكاميرا في عدسة عينها كي لا تومض إشاراتها المنبهة بها.

تمتمت إحداهن: «أليست هذه الفتاة مدونة أخبار؟»

نظرت كاي إلى آيا منتظرة ردًّا منها.

تنحنحت آيا وقالت: «كنت كذلك في السابق لكنني لم أحظ بشهرة كبيرة قط، فلم يرق لي نشر القصص عما ترتديه نانا لاف.» فضحكت بعض الفتيات.

قالت فتاة أخرى: «لكنك ما زلت تتجولين وبرفقتك كاميرا طائرة؟» كانت هذه الفتاة تدعى بانا حسبما تذكرت آيا. فنظرًا لأن وجوههن كانت عادية وجدت آيا صعوبة في التمييز بينهن، لكن بانا كانت الأطول قامة وماثلت إيدن في طولها تقريبًا.

– «لقد سمحتُ لكُنَّ بإسقاطها في البحيرة، وقد رأيتن جميعًا ذلك، فهل لديها هي الأخرى روافع رائعة أيضًا؟»

قالت كاي: «ليس برفقتك كاميرات الليلة، أليس كذلك؟»

هزت آيا رأسها بالنفي. وكانت آيا ترتدي زي مسكن الطلاب الذي ارتدته وهي تنقذ الكاميرا تحت الماء، والذي بدا رديئًا كملابس الفتيات الماكرات المهلهلة، وتمنت أن تجعل حالته الرثة كاميرا التجسس الموجودة في الزر الأعلى منه أقل وضوحًا.

كانت موجل ستفضح أمرها على الأرجح، إذ لم تكن آيا واثقة من استيعاب عقل موجل الضئيل لفكرة الاختباء برمتها، وليس باستطاعة موجل تعقب إشارة قرن الاستشعار الجلدي لآيا إلا على مسافة كيلومتر بحد أقصى، كما لم يسبق لها أن عملت بمفردها عدة ساعات في مرة واحدة، لا سيما عند مطاردة قطارات مغناطيسية معلقة سريعة للغاية.

أصبح هدير القطار الصادر من بعيد مسموعًا الآن، إذ أصبح القطار على بعد دقائق معدودة.

قالت ميكي: «كانت آيا-تشان شجاعة للغاية عندما رأينا المخلوقات الغريبة، ولقد رأيتن جميعًا براعتها في اعتلاء سطح القطار، أنا أثق فيها.»

عندما ابتسمت ميكي شعرت آيا بأول شعور بغيض بأنها مخادعة، فعندما تنشر هذه القصة، سيعرف فريز أنها كذبت عليهن جميعًا، وتساءلت هل سيتفهم الأمر أم لا.

سألت كاي: «ما رأيك إذا أصغينا إليك يا آيا-تشان؟ أخبرينا عن سبب رغبتك في الانضمام إلى الفتيات الماكرات.»

تنحنحت آيا وهي تشعر بالتوتر بسبب نظرة كاي المحدقة التي رمقتها بها، وتوقف عقلها عن التفكير مع ازدياد حدة هدير القطار أسفل قدميها. ماذا أردن منها أن تقول؟

وفجأة، عاود ذهنها ما قالته لفريز ذلك الصباح.

– «مثلما قلتن، كنت مدونة أخبار، فمنذ أن كنت صغيرة أردت أن أحظى بالشهرة، ولم أرغب في مشاهدة أناس آخرين في المدونات، بل أردت أن يشاهدني الآخرون، لأنهم إن لم يفعلوا ذلك فسأكون مجهولة وغير معروفة لهم.»

سرت همهمة بين الفتيات، ورأت آيا تعبيرات فاترة تعلو وجوه الفتيات في كل مكان. واصلت آيا حديثها، وهي تحاول أن تتجاهل الاهتزازات التي سرت تحت قدميها وقطرات العرق التي تسيل على ظهرها.

– «لا تسئن فهمي، لم أكن مدونة أخبار مغرورة، أجلس في غرفتي وأمامي كاميرا موجهة نحوي لأتحدث عما تناولته قطتي في الفطور.» فأطلقت إحداهن

ضحكة بينما استطاعت آيا بالكاد أن ترسم ابتسامة على شفتيها، ثم أردفت: «كنت أحاول البحث عن قصص ذات أهمية، قصص عن الناس الذين يستخدمون ثورة العقول لفعل شيء جدير بالنشر حقًّا ... أقصد شيئًا مثيرًا للاهتمام حقًّا، وهكذا عثرت عليكن.»

عاودت آيا النظر إليهن، لتتلاقى عيناها بالنظرة المحدقة التي علت وجه كل واحدة منهن.

– «وها هو ما أدركتُه: أنتن أيتها الفتيات الماكرات لا تنخرطن في البكاء عندما تشاهدن حفلات المشاهير على المدونات لمجرد أنكن غير مدعوات لها، ولا تبقين على صداقاتكن مع أشخاص تكرهنهم من أجل تعزيز رتبة شهرتكن فحسب. وعلى الرغم من أن ما من أحد يعلم ماذا تفعلن هنا فأنتن لا تشعرن بأنكن مجهولات بالمرة، أليس كذلك؟»

لم يجبها أحد، لكن الكل كان يصغي إليها.

– «إن الشهرة أمر أحمق من الأساس، هذا كل ما في الأمر؛ لذا أرغب في تجريب شيء آخر.»

مرت لحظة مثيرة للتوتر سادها الصمت ... ثم انقشع التوتر مع تصفيق بعض الفتيات لها على نحو ساخر قليلًا، بينما ابتسمت لها ميكي ابتسامة عريضة وأومأت برأسها ببطء؛ فلقد نجحت آيا بطريقة أو بأخرى في العثور على الكلمات المناسبة.

الغريب أن الأمر لم يبد لها كذبًا على الإطلاق.

لم تعبأ الفتيات بإجراء تصويت إزاء ما قالته آيا، وكذلك لم يهنئها أحد عليه، ولم يكن من كاي سوى أن ربتت على ظهرها فحسب ثم قفزت فوق لوحها الطائر وهي تصيح قائلة: «حان وقت اعتلاء سطح القطار! لنذهب ونكتشف ما الذي يخفيه هؤلاء الأشخاص غرباء الشكل!»

عندئذ شرعت الفتيات الثلاث عشرة في الدوران في الهواء وهن يسارعن للوصول إلى أماكن اختبائهن قبل أن يظهر القطار بضجيجه الصاخب.

وهكذا صارت آيا فيوز من الفتيات الماكرات.

تساءلت آيا عما إذا التقطت موجل هذا المشهد.

اضطرابات هوائية

كان اللحاق بالقطار المغناطيسي المعلق أيسر هذه المرة.

انسلت آيا عبر الموجة التصادمية للقطار بكل سهولة، كما لو كان جسدها قد تعلم الالتفاف مع ارتطامات واهتزازات الهواء، وبعد أن صارت داخل تيار الهواء المعاكس الهادئ الذي غلف القطار، أصبحت فوق سطحه وانتصبت واقفة قبل أن يبدأ القطار في اتخاذ مسار مستقيم.

صارت المدينة وراءها، وبينما التف ظلام البرية حول القطار، بدأت آيا تدرك ما فاتها من مشاهد كثيرة خلال رحلتها الأولى التي اجتاحها فيها الذعر. كانت الأشجار العتيقة الضخمة تمر بها سريعًا، وارتفعت على صفحة السماء ظلال سوداء لأسراب من طيور تفرقت مع مرور القطار الصاخب. وحالما ميزت آيا صوت صرخة لقرد المكاك الياباني وسط صرير الرياح — وعلى الرغم من أن هذا الحيوان نادرًا ما يشكل خطرًا أو يلتهم لحوم البشر — سرت قشعريرة في جسدها إثر التوتر الذي أثارته فكرة وجود حيوانات مفترسة في العراء حولها، أو ربما تكون هذه القشعريرة نتيجة لبرودة الجو فحسب؛ فمع أن آيا تدثرت بسترتين من سترات مسكن الطلاب، كانت الرياح بسرعتها البالغة ثلاثمائة كيلومتر في الساعة مثيرة للارتجاف.

كانت الرحلة مليئة بالتناقضات، إذ شق خط القطار المغناطيسي المعلق طريقًا شديد الاستقامة وسط الغابة ذات الأشكال المتشابكة، وشهدت آيا سرعة انطلاقها الشديدة فوق القطار تحت سكون السماء، وبزغت الجبال في الأفق بسرعة كبيرة، لتقطعها ومضات تحذيرية مثيرة للتوتر منذرة بخطر الموت، لكن آيا شعرت باطمئنان غريب مرة أخرى، كما لو كانت مشاكلها الخاصة احتلت مرتبة ثانوية وهي وسط مساحات البرية الشاسعة.

كانت موجل الشيء الوحيد الذي يقلقها، لأنه حتى إن تعقبت الكاميرا إشارة قرن الاستشعار المغروس في جلد آيا، فلا بد أن تتخلف عنها أكثر وأكثر مع كل دقيقة تمر؛ فالروافع التي زودها بها رين لا يمكنها الطيران بسرعة تزيد عن مائة كيلومتر في الساعة، وهي التي تعادل ثلث سرعة القطار، وقد تلحق بهن موجل حال أن يقفزن من فوق القطار، لكنها لم تكن واثقة مما إذا كان عقلها الصغير سيعمل في غياب توجيهاتها؛ فإذا عانت الكاميرا الطائرة من الارتباك بالقدر الكافي، فمن الممكن أن تنسى تمامًا التعليمات الخاصة بالاختباء عن الأنظار، وهذا كفيل بإنهاء رحلة آيا فيوز بوصفها فتاة ماكرة.

لا شك أنه ليس بيدها حيلة تجاه هذا الأمر الآن، لقد كانت مثقلة بعبء الخداع، وتساءلت ما إذا كان ذلك هو سبب إنشاء فريز لجماعة الصدق المطلق. فإذا لم يكذب المرء أبدًا، فلن يشعر قط بالذعر داخله لخوفه من أن ينكشف أمره.

أخذت الجبال تقترب منها أكثر فأكثر حتى تمكنت آيا من رؤية قممها السوداء المرصعة بحبات الثلج، مثل وميض اللون الفضي للؤلؤ الذي يلمع في ضوء القمر. ظهر وميض أحمر من مقدمة القطار، ثم تلته سلسلة من الإشارات التحذيرية من خطر الموت، فسحبت آيا مصباحها اليدوي وأدارت مؤشره نحو الضوء الأحمر، لتلوح للفتيات خلفها.

جثت آيا على ركبتيها لتُثبت سوارًا للصدمات حول كاحلها، ثم استلقت باستواء فوق القطار في انتظار أن يبتلعها ظلام النفق المفاجئ.

* * *

لكن هذه المرة لم يكن هناك محطات توقف غير متوقعة.

شق القطار طريقه وسط الجبل، ومر إلى داخله ثم إلى خارجه وسط ضجيج غاضب صاخب تسبب في الضغط على أذني آيا وكأنها على متن حوامة تهبط على نحو متسارع. لا بد أن مدخل الباب السري مر سريعًا في جزء من الثانية، وكان خفيًّا تمامًا.

تذكرت آيا من رحلتها الأولى أن المنعطف التالي جاء سريعًا. وكانت ميكي أمامها تزحف بالفعل نحو جانب القطار وتستعد للنزول، فتوجهت آيا نحو المكان الذي كان يعلق به لوحها الطائر.

كان النزول من القطار أكثر صعوبة من اعتلاء سطحه؛ لأنه على عكس المدينة التي تنتشر فيها الشبكة المغناطيسية في كل مكان، يتعين على المرء هنا ألا يبتعد عن قضبان القطار؛ فإذا ابتعدت عن القضبان كثيرًا ستفقد الروافع المغناطيسية سيطرتها على المعدن، لتصبح الألواح الطائرة والأساور الواقية من الصدمات عديمة القيمة.

السقوط من فوق قطار يسير بسرعة مائتي كيلومتر في الساعة قد ينهي حياة المرء.

كان القطار يبطئ من سرعته وامتلأ الهواء بصوت طنين وهو يشق طريقه على نحو مائل في المنعطف، فحررت آيا رسغها الأيمن وبسطت ذراعها لتمسك بلوحها الطائر سريعًا.

في الليلة السابقة كانت آيا قد نزلت من فوق القطار بحذر شديد وتخلفت كثيرًا عن باقي الفتيات حتى وصلت إلى قضبان القطار في النهاية، لكن هذه المرة قررت أن تكون أول من يتمكن من الوقوف بثبات.

سحبت آيا لوحها الطائر ناحيتها، فحرر نفسه من القطار وأخذ يستدير ببطء من جانب القطار حتى استوى، وقاوم اللوح الطائر الرياح واتخذ وضعًا ثابتًا أثناء إبطاء القطار لسرعته عند الانعطاف، فنزلت بثقلها تدريجيًّا فوق سطح الركوب.

حينما بلغ صوت الطنين ذروته، مالت آيا برفق بعيدًا عن القطار في إطار من الهدوء النسبي الذي انساب من حوله، دون أن تزيد المسافة التي تفصلها عن القطار عن ذراع؛ إذ كانت منطقة الموجات التصادمية الفتاكة على بعد مترين منه.

شقت الريح ذات السرعة الصاخبة طريقها بين خصلات شعرها، وتخللت هائجةً طيات سترتيها لكن ذلك لم يدفع آيا إلى أن ترقد فوق اللوح الطائر، وإنما جعلت جسدها يبطئ من سرعتها، فمرت الفتاة الماكرة التي كانت تركب خلفها فوق سطح القطار إلى جوارها سريعًا، وتلتها فتاة أخرى ثم فتاة أخرى.

هي كانت أسرع منهن جميعًا في إبطاء سرعة لوحها الطائر!

وإلى يسارها مر الآن جانب القطار محدثًا دويًّا هائلًا، وأرسل مجاله المغناطيسي اهتزازات عبر لوحها الطائر، فقاومت آيا للحفاظ على ثباتها والبقاء على مقربة من الجدار المعدني السريع للقطار.

لكنها ربما كانت تبطئ من سرعة لوحها بمعدل أعلى مما ينبغي ...

مرت بها مؤخرة القطار سريعًا، وقذف بها الهواء المندفع خلفه باتجاه الفراغ الذي حل فجأة محل القطار فوق القضبان، فدار لوحها الطائر في الهواء والتفت الأرض والسماء حولها.

حاولت آيا أن تستوي بجسدها، لكن اللوح الطائر ارتفع إلى أعلى والتوى في قبضتها، كطائرة ورقية وسط ريح عاتية.

صاحت إحداهن: «اتركيه!»

فانصاعت آيا للأمر، وسقط اللوح الطائر بعيدًا عنها، وهوت آيا نحو القضبان المعدنية التي بدت غير واضحة لعينيها ...

بدأت القوى المغناطيسية في أساورها الواقية من الصدمات في عملها، وجذبتها إلى أعلى من رسغيها، فانقلبت في الهواء رأسًا على عقب، وكأنها لاعبة جمباز تتأرجح وهي تمسك بحلقتين، وقدماها لا تكادان تمسان الأرض. ظلت آيا تثب في الهواء فوق قضبان القطار المغناطيسي بتلك الطريقة حتى نفدت قوتها الدافعة.

حينئذ عملت الأساور على إنزالها برفق وهي تواجه الضوء المتقهقر للقطار. دلكت آيا رسغيها وهي تشعر بالدوار جراء دورانها في الهواء.

– «هل أنت بخير؟»

نظرت آيا إلى أعلى ورأت إيدن مارو وهي تحلق في الهواء بجوارها، وقد علا وجهها تعبير ينم عن السرور.

قالت آيا: «أظن ذلك.»

– «لم يكن يجدر بك أن تبطئي بهذه السرعة الكبيرة.»

– «لاحظت ذلك.» وتنهدت آيا التي كانت قد شاهدت في الليلة السابقة إيدن مارو وهي تنزل من فوق القطار، وقد بدا الأمر سهلًا للغاية وهي ترتدي كامل عدة الكرة الطائرة، كما لو كانت تتدحرج من فوق مبنى وهي ترتدي سترة طيران مطاطية. وأردفت قائلة: «شكرًا لأنك نصحتني أن أترك اللوح الطائر.»

– «على الرحب والسعة.» نظرت إيدن نحو القضبان في اتجاه القطار الذي ابتعد عنهما، وأردفت قائلة: «سيعود لوحك الطائر سريعًا بصحبة الفتيات الأخريات؛ فالإبطاء يستغرق وقتًا أطول إذا لم تسقطي من فوق اللوح.»

حدقت آيا في الابتسامة التي علت وجه إيدن. كانت إيدن جميلة للغاية، وكانت الوحيدة بين الفتيات الماكرات التي تحظى بشهرة واسعة، فما الفائدة التي ستعود على شخص شهير من التسلل خفية مع جماعة سرية؟

لعل هذا هو الوقت المناسب لاكتشاف السبب وراء ذلك. سوت آيا زيها وحركت كاميرا التجسس بزاوية مائلة في اتجاه إيدن. وسألت: «هل لي أن أطرح عليك سؤالًا؟»

– «إذا لم يكن فضوليًّا أكثر مما ينبغي.»

– «أنت لست مثل الفتيات الأخريات ... أقصد مثلنا، فأنت تتمتعين بشهرة واسعة في المدينة.»

استدارت إيدن في الهواء ببطء وقالت: «هذا ليس سؤالًا.»

– «أظن ذلك.» وتذكرت آيا الشائعات التي دارت حول صديق إيدن السابق وأردفت: «لكن أليس ثمة اختلاف بينك وبين الفتيات الماكرات ... في الطموح؟ فأنت نجمة في لعبة الكرة الطائرة، أما الفتيات الماكرات فهن يبذلن قصارى جهدهن لكي يكن مغمورات.»

ضحكت إيدن بازدراء وقالت: «خلت أنك ستطرحين سؤالًا عقيمًا كهذا، وأراهن على أنك لا تعرفين حتى أصل الكلمة.»

– «أتعنين كلمة مغمورات؟» هزت آيا كتفيها وقالت: «إنها تعني فقط أشخاصًا مغمورين أو لا أهمية لهم.»

– «هذا ما يقال في مدارس الصغار، لكن كان لهذه الكلمة معنى مختلف في العصر القديم.»

قالت آيا: «حسنًا، بالتأكيد، كان هناك مليارات من المغمورين في تلك العصور.»

هزت إيدن رأسها وقالت: «ليس للأمر علاقة بالتضخم السكاني يا آيا-تشان، لقد شاهدت الأفلام القديمة التي كانت تعرض على الشاشات الجدارية، أليس كذلك؟»

– «بالطبع، هكذا اكتسب سكان العصر القديم شهرتهم.»

– «نعم، لكن إليك الغريب في الأمر: لم تكن البرامج المستخدمة في العصر القديم ذكية بدرجة كافية لأن تصنع الخلفيات اللازمة للأفلام؛ لذا اضطروا إلى صنع كل شيء في الفيلم، فشيدوا مدنًا كاملة مصطنعة للممثلين ليتجولوا بها.»

– «مدن مصطنعة؟» وأردفت آيا قائلة: «يا إلهي، كم بددوا من ثروات!»

– «ولكي يملئوا تلك المدن المصطنعة بالسكان استأجروا مئات من الأفراد للتجول فيها، ولكن لم يكن هؤلاء الناس جزءًا من القصة على الإطلاق، فدورهم هو أن يكونوا فقط في الخلفية، وكان يطلق عليهم آنذاك اسم المغمورين.»

رفعت آيا حاجبها في دهشة، وهي ليست متأكدة مما إذا كانت قد صدقت أيًّا مما قالته إيدن، بدا الأمر برمته جنونيًّا وغير واقعي بالمرة ... وهذا بلا شك كان من سمات العصر القديم.

– «أليس هذا ما تشعرين به في بعض الأحيان يا آيا-تشان؟ وكأن هناك قصة كبيرة تدور من حولك وأنت عالقة في الخلفية.»

– «الكل يشعرون بهذا في بعض الأحيان، حسب ظني.»

– «وقد تفعلين أي شيء كي تحققي شهرة أكبر، أليس كذلك؟ حتى لو تطلب الأمر خيانة أصدقائك؟»

قالت آيا بنبرة تنم عن الثقة والثبات: «أنا واحدة من الفتيات الماكرات الآن يا إيدن، ألم تسمعي ما قلته؟»

– «أجل، سمعت خطبتك القصيرة.» وارتفعت إيدن إلى أعلى وأخذت تحلق فوقها كعملاق ثم أردفت: «أتمنى أن تكوني صادقة فيما قلت، لأن الحياة الواقعية ليست كأحد أفلام العصر القديم يا آيا-تشان، فليس ثمة قصة واحدة كبيرة تجعل بقيتنا يتوارون.»

ضيقت آيا عينيها وقالت: «لكنك لا تقفين في الخلفية، فأنت مشهورة!»

– «كما تعلمين، يمكنك أن تتواري أمام جمع كبير أيضًا، ما إن يبدءوا في إملاء الأوامر عليك وإخبارك بمن عليك مصادقته.» دارت إيدن في الهواء فبدت مثل آيا وهي ترتدي أساورها الواقية من الصدمات وأردفت قائلة: «فحينما أصير برفقة الفتيات الماكرات، أحتفظ بشيء لنفسي.»

سمعت آيا أصواتًا تنفجر ضاحكة؛ إذ كانت الفتيات الأخريات يهبطن ناحيتهما فوق القضبان.

ولم يكن أمامها وقت يكفي إلا لطرح سؤال واحد فقط.

– «حسنًا، إذا كنت لا تكترثين برتبة الشهرة، فلماذا انفصلت عن صديقك؟»

– «ومن قال إنني انفصلت عن صديقي؟»

– «نشرت مائة مدونة — أو نحو ذلك — هذا الخبر حسب آخر مرة طالعت فيها المدونات.»

– «لا تصدقي ما تقوله المدونات دومًا يا آيا، لقد كان هو من ضاق ذرعًا بما يقوله الناس عن «اختلافنا في الطموح» فهجرني ذلك الأبله.»

هبطت إيدن بلوحها الطائر لأسفل بضعة سنتيمترات، وبسطت إصبعًا واحدة حتى كادت تلامس أنف آيا، ثم قالت: «وهذا ما تعنيه كلمة مغمور حقًّا أيتها الفضولية.»

الجبل

حينما اقتربت الفتيات الماكرات من فوهة النفق، أخرجت بعضهن مصابيح يدوية، وأصدرت الأشعة الحمراء وميضها عبر الفوهة واخترقت بصعوبة الظلام داخله.

على الأقل لم تكن آيا الوحيدة التي لم يكن لديها رؤية بالأشعة تحت الحمراء.

سألت بانا: «ماذا سيحدث إن جاء قطار ونحن بالداخل؟»

هزت كاي كتفيها وقالت: «كل ما عليك هو أن ترقدي فوق اللوح الطائر بالأعلى بمحاذاة السقف.»

هزت إيدن رأسها وقالت: «هذا لن يجدي نفعًا، سيلقي بك ضغط هواء القطار إلى الأرض.» ثم أشارت بإبهامها إلى آيا في سخرية وأردفت قائلة: «مثل ما حدث مع هذه الفضولية تقريبًا.»

ضحك بضعهن. وعلى مدار طريق عودتهن إلى الجبل وصفت إيدن بالتفصيل وثبة آيا في الهواء فوق القضبان.

قالت كاي: «حسنًا، هذا لا يهم على أي حال، فليس من المخطط أن تقدُم أية قطارات الليلة.»

تساءلت بانا: «ألا تسير قطارات في غير ميعادها أحيانًا؟»

أدارت كاي عينيها استهجانًا وقالت: «ربما مرة واحدة شهريًّا، وهذا نادرًا ما يثير قلقنا مقارنة بما نفعله في أغلب الليالي. هيا أسرعن!»

انطلقت كاي وإيدن إلى الأمام نحو فوهة النفق، ووقف عدد من الفتيات الماكرات الأخريات بلا حراك لحظة وهن يحدقن فيهما بتعبيرات تنم عن عدم السعادة.

شغلت آيا مصباحها اليدوي وحثت لوحها الطائر على الانطلاق إلى الأمام، وبما أن إيدن مارو كانت ترتاب فيها بالفعل، لم تشأ أن تقدم سببًا آخر لبقية الفتيات للارتياب بشأنها.

فمرور قطار في غير ميعاده مرة كل ثلاثين يومًا ليس بالأمر المثير للقلق إلى هذه الدرجة.

تحت ضوء الشعاع الأحمر لمصباحها رأت آيا التراب وهو يدور في دوامات فوق القضبان؛ فهو لا يزال ثائرًا جراء مرور القطار. وامتلأ الظلام بصوت عويل خافت اقشعر له جلدها، وسار نسيم هادئ داخل النفق، كما لو كانت الجدران الحجرية تتنفس.

تساءلت آيا كيف كان من المفترض أن تجد الفتيات الباب السري، فقد كان الباب يشبه جدار النفق تمامًا في الليلة الماضية، ربما قد تنجح العيون التي خضعت لجراحة تجميلية أو عدسات موجل البارعة في التمييز بين المادة الذكية والحجارة، أما آيا فقد شكت أن تساعدها رؤيتها الطبيعية كثيرًا في هذا الأمر.

كانت ميكي تسير بالفعل عبر النفق ممسكة بمصباح يدوي في إحدى يديها، وكانت تمرر أصابعها فوق سطح جدار النفق وهي تنعم النظر في الحجارة من كثب.

جلبت آيا لوحها الطائر إلى جوارها وقالت: «ليست لديك رؤية بالأشعة تحت الحمراء، أليس كذلك؟»

تنهدت ميكي وقالت: «نعم، ماذا عنك؟»

هزت آيا رأسها بالنفي وقالت: «لن يسمح لي والدي بذلك، لكنك في السادسة عشرة من عمرك، أليس كذلك؟»

– «بلى، لكن مقلتيّ تروقان لي.»

– «لكن بإمكان الجراحين الحفاظ على شكل العين مثلما كانت في السابق.»

– «لكنني أحب عيني الأصليتين، ولا أحب محاكاة لهما، أعلم أنني قد أبدو متأخرة قليلًا وكأنني أعيش فيما قبل العصر القديم.»

هزت آيا كتفيها وقالت: «نشر أخي قصة عن جماعة يحافظ أفرادها على أجزاء أجسادهم الطبيعية كما هي ولا يخضعون لأي جراحات تجميلية. ويضطر بعض أفراد الجماعة إلى ارتداء أشياء مثل النظارات الشمسية لتساعدهم فحسب على الرؤية، حتى إن لم يخرجوا في ضوء الشمس!»

ضيقت ميكي عينيها وقالت: «إن أخاك شهير، أليس كذلك؟»

قالت آيا: «أظن ذلك.» وتمنت فجأة لو لم تثر موضوع نشر القصص.

– «لهذا السبب أصبحت مدونة أخبار، أليس كذلك؟ بسبب أخيك؟»

– «هذا ما يعتقده هيرو، كما لو كنت أضعه في مقام رفيع أو شيء من هذا القبيل، لكنه في واقع الأمر خير مثال على مساوئ الشهرة، فقد حولته الشهرة إلى شخص متعجرف للغاية.»

ضحكت ميكي: «لست مضطرة إلى ذم أخيك يا آيا-تشان لكونه شهيرًا فحسب، نحن لا نمقت المدونين، فكل ما نرغب فيه هو ألا ينشر أحد أخبارنا.»

– «حسنًا، فهمت.» غيرت آيا وضعها فوق لوحها الطائر وعملت على ضبط كاميرا التجسس مرة أخرى وأردفت: «لكن سيحب الكثير من الناس مشاهدتنا ونحن نركب فوق سطح القطار، أليس كذلك؟»

– «أجل، لكن حينها سيشرع الجميع في الركوب فوق سطح القطارات المغناطيسية المعلقة وسيتدخل الحراس عندئذ لمنع ذلك.»

هزت ميكي رأسها وقالت: «علينا الحفاظ على هذه الخدعة سرًّا بيننا، تفهمين هذا، صحيح؟»

ردت آيا بإصرار: «بالطبع!» لكن التجهم لم يترك وجه ميكي.

ربما حان الوقت لتغيير الموضوع، فأردفت آيا قائلة: «بالمناسبة، شكرًا لدفاعك عني.»

– «لا عليك، فأنا أثق فيك كما قلت.»

استدارت آيا لتتأمل الجدار عن قرب، وعاودها الشعور بالتوتر في معدتها مرة أخرى ثم أردفت: «أجل، لكنني ما زلت مدينة لك بالفضل.»

حينئذ صدر صوت نقر من أمامهما، فرفعت الفتاتان بصرهما تجاهه.

كانت كاي تطرق الجدار بمصباحها اليدوي وهي تحلق بلوحها في الهواء، ودوى صدى طرقاتها في أرجاء النفق، إذ كانت الحجارة تبدو صلبة كالجبل.

قالت آيا بصوت خفيض: «إذن هذه خطتنا للعثور على الباب السري؟ هل سنطرق فوق الجدار؟»

– «هل تعتقدين أن بإمكانهم برمجة المادة الذكية بحيث تبدو كالحجارة؟»

أجابتها آيا: «هذا أمر مرجح.» لقد كان رين يذكر دومًا أنه يمكن برمجة المادة الذكية لتفعل أي شيء تقريبًا، فهي أحد الاختراعات المهمة منذ حدوث ثورة العقول، كالذكاء الاصطناعي وعدسات العين الداخلية، وهي الابتكارات التي أرجأها عصر الحسن قرونًا. وأردفت قائلة: «لكن لماذا سيكترثون بذلك الأمر؟ فأيًّا كان الشخص الذي صنع ذلك الباب، لن يتوقع أن يتسلل أحد إلى هنا للبحث عنه.»

طرقت ميكي الحجر بمصباحها اليدوي، فبدا كحجر صلب، وقالت: «إذن لولا ركوبنا فوق سطح القطار، ما كان أي شخص ليعثر على ذلك الباب.» ثم ابتسمت وأردفت: «لعل الأمر يماثل ما يقوله أتباع طوائف يانج بلود: يمكن أن يتغير العالم حينما يصير المرء خارجًا عن القانون.»

استدارت آيا نحو ميكي وهي تتأكد من أن كاميرا التجسس المثبتة في زر سترتها تلتقط الصورة، وتساءلت: «وكيف يمكن للعثور على هذا الباب أن يغير العالم؟»

– «حسنًا ... أعتقد أن هذا يتوقف على ما يوجد بالداخل.» ونقرت ميكي فوق الحجر ثم أردفت: «أعني ماذا لو كان هناك شيء مروع حقًّا مستترًا بالداخل؟»

ابتسمت آيا وقالت: «كمقلب نفايات سامة؟ تخيلي كم نقاط الاستحقاق التي ستهبنا إياها لجنة المواطن الصالح لاكتشافه.»

– «لا تتفوهي بهذا الكلام بصوت عال يا آيا-تشان؛ فكاي تبغض نقاط الاستحقاق أكثر حتى من الشهرة.» ثم نقرت ميكي فوق الجدار مرة أخرى وأردفت: «لكن شكرًا لذكرك النفايات السامة، فهذا سيصرف انتباهي عن القطار الذي كنت أتخيل قدومه في غير ميعاده.»

صاحت إحداهن: «هاي، إيدن، تعالي إلى هنا!»

أمامهما وقفت مجموعة صغيرة من الفتيات تجمعت حول جزء من الجدار وجميعهن يطرقن الجدار بمصابيحهن اليدوية. تبادلت آيا وميكي النظر، ثم دفعتا لوحيهما الطائرين مسافة أبعد داخل النفق.

وبينما اقتربتا من الفتيات، أرهفت آيا سمعها بصعوبة، متسائلة: هل ترتبط أصوات طرقهن للجدار بوجود تجويف خلفه؟

جاء صوت إيدن من خلفها وهي تقول: «أفسحي الطريق أيتها الفضولية.»

وبينما تنحت آيا جانبًا رأت الجهاز الذي كانت تمسك به إيدن بين يديها وبدأ قلبها يخفق بضربات متسارعة، فقد كانت إيدن تمسك بجهاز اختراق المادة الذكية.

لم تكن حيازة جهاز اختراق المادة الذكية أمرًا من قبيل المغامرة، بل كانت أمرًا محظورًا تمامًا، حيث يستطيع هذا الجهاز إعادة برمجة المادة الذكية كيفما يشاء المرء، فبواسطته يمكن له — إن جن جنونه — أن يخترق مباني كاملة حتى أساسها.

أما كل ما تملكه آيا فهو هذه الكاميرا عديمة الفائدة المستترة في زر السترة، ولكن التقاطها للقطات تسجل جهاز اختراق المادة الذكية المحظور سيكون مثيرًا إلى أبعد الحدود.

حدقت آيا أمامها في الظلام وتمنت أن تكون موجل متوارية في مكان ما، وكانت متلهفة للتحقق من وجود أي إشارة لها، لكن إذا ومضت عدسة عينها فستنكشف خيانتها حتمًا أمامهن في ظلمة النفق.

أفسحت الفتيات الماكرات الطريق أمام إيدن، واتجهت كل الأنظار نحو الجهاز الصغير الموجود بين يديها، ثم ضغطت إيدن عليه فوق سطح الجدار ومرت أصابعها فوق أزرار التحكم الموجودة به.

وبعد لحظة أومأت إيدن برأسها ثم قالت: «هذا هو الباب، ارجعن إلى الخلف، قد يكون هناك أي شيء خلف الباب.»

همهمت ميكي: «أو قد يكون هناك أي شخص.»

فكرت آيا في المخلوقات غير الآدمية مرة أخرى، بوجوهها الغريبة وأصابعها الطويلة الرفيعة، وقالت: «لكن هؤلاء الأشخاص أصحاب الأجسام الغريبة كانوا يخزنون شيئًا ما هنا، ليس إلا، ولا يعيش أحد في هذا المكان.»

هزت ميكي كتفيها وقالت: «أعتقد أننا على وشك أن نكتشف ذلك.»

حينئذ سرى صوت طنين في أرجاء النفق حينما بدأت جزيئات المادة الذكية في إعادة تشكيل نفسها، وتموج الجدار، وتغير ملمسه من حجر خشن إلى بلاستيك ذي بريق متلألئ، وبرز شكل الباب المستطيل الذي له نفس حجم باب الشحن بالقطار المغناطيسي المعلق.

ثم بدأت طبقات الجدار في الانقشاع وكأنها تتقشر، طبقة تلو الأخرى، مثل مياه تنساب فوق سطح مستو.

ومثلما كان الحال في الليلة السابقة بدا الجو غير مستقر، كما لو كانت هناك عاصفة رعدية قادمة.

سرت رجفات في جسد آيا، كما لو كان جهاز اختراق المادة الذكية يحولها هي أيضًا ...

انقشعت الطبقة الأخيرة ببطء، وانفتح الباب على مصراعيه أمامهن، وامتد أمامهن رواق طويل يضيئه وميض برتقالي.

قالت كاي: «هذا أمر ماكر للغاية.» ثم خطت إلى الداخل.

كشف المخبوء

اندفعت الفتيات الماكرات داخل المخبأ الموجود بالجبل، وأرادت كل واحدة منهن أن يكون لها السبق في اكتشاف العجائب المستترة فيه، وامتلأ الجو بالضحكات والصيحات التي ترددت أصداؤها بين الجدران الحجرية العارية.

لم تر آيا زاوية قائمة واحدة بالمكان، فهو لم يضم سوى الزوايا المستديرة والأركان قوسية الشكل. وكل بضعة أمتار كانت المداخل بيضاوية الشكل تقودهن إلى ردهات أكثر التواءً، وكأنها متاهة متموجة تتشكل أجزاؤها من الحجارة.

قالت ميكي: «أيًّا كان من يعيش هنا فهو بلا شك ينقل أغراضه للعيش في مكان آخر.»

أومأت آيا برأسها، فلقد كان الرواق الرئيسي مزدحمًا بمعدات وحاويات تخزين وأغراض مختلفة مبعثرة تغطيها طبقة رقيقة من التراب.

قالت آيا: «ربما يجدر بنا البحث عن تلك الأسطوانات المعدنية الضخمة، فهي التي كانوا ينقلونها إلى الداخل بالأمس.»

قالت ميكي: «لا بأس، طالما أن ما سنبحث عنه ليس على قيد الحياة.» وأومأت برأسها ناحية مجموعة من المقاعد المكتبية المتكدسة بالرواق، وكانت مصممة على نحو غير مناسب، فقد كانت مرتفعة وضيقة للغاية تناسب مخلوقات غير بشرية.

وجهت آيا مصباحها اليدوي المضيء إلى أسفل نحو قدميها؛ فرأت ممرًّا يبلغ اتساعه مترًا تملؤه العوارض المعدنية التي تلمع من بين الأرضية الحجرية، ويؤدي هذا الممر إلى منتصف الرواق الرئيسي مباشرة: «إن الهدف منها هو تزويد الروافع الطائرة بشيء لتضغط عليه أثناء ارتفاعها إلى أعلى، وأي شيء ثقيل لا بد أن يسير من هذا الطريق، هيا بنا.»

اتبعت الفتاتان الممر المعدني بخطى حذرة وصامتة، وكشفت المداخل مقوسة الشكل عن غرف فارغة، وأظهرت آثار الغبار الموجودة بالأرض المكان الذي نُقل منه الأثاث.

وكلما تعمقت الفتاتان داخل أغوار الجبل، صارت أصداء أصوات الفتيات الأخريات من حولهما خافتة، وتساءلت آيا عن عدد الأطنان الغفيرة من الحجارة التي جُمعت لبناء مثل هذا المكان، فأيًّا كان الشخص الذي شيد هذا البناء فلا بد أنه استغل القطار المغناطيسي المعلق لنقل الكثير من الشحنات إليه. أو ربما يكون لإحدى حكومات المدن علاقة بهذا الأمر، فهذا البناء يبدو ضخمًا إلى حد أنه يصعب تنفيذه خلسة.

لقد شهدت المدن جميعها توسعات منذ حدوث ثورة العقول، وعمدت إلى تفكيك الأطلال القديمة بحثًا عن الحديد المتهالك، للحصول على المزيد من المعادن.

همهمت آيا قائلة: «من ذا الذي يمتلك كل هذه الموارد التي تمكنه من تشييد صرح كهذا؟»

– «ربما قد يكون هذا المكان واحدًا من مواقع التنقيب عن المعادن التي ترجع إلى عهد الأطلال القديمة، ماذا كانوا يطلقون عليها ... مناجم؟»

لاحظت آيا أنهما كانتا تهمسان، إذ كانت أصداء أصوات الضوضاء ترتد بحدة على الجدران الحجرية العارية، مما جعلها واعية لكل صوت تصدره.

وها هي ذي الآثار الشديدة ليومها الطويل الذي لم تنعم فيه آيا بالنوم تنال منها، فقد طمس الإرهاق الذي أصابها بالارتباك شعورها بالإثارة الذي كان يمدها بالقوة الدافعة طيلة المغامرة فوق سطح القطار المغناطيسي المعلق. أيضًا كان الضوء البرتقالي الخافت يداعب عينيها، وكانت هناك ظلال طويلة تثب من أشعة مصباحيهما اليدويين، وارتابت آيا في أن تتمكن كاميرا التجسس المستترة في زر سترتها من أن تلتقط أي صور مقبولة.

وفجأة دارت ميكي حول نفسها وقالت: «هل رأيت ذلك؟»

– «رأيت ماذا؟»

– «لا أدري.» ووجهت ميكي مصباحها اليدوي نحو الردهة الواقعة خلفهما ثم أردفت: «كانت الظلال تتحرك بغرابة، كما لو كان هناك شيء يلاحقنا.»

قالت آيا وهي تستدير لتحدق في الظلام: «شيء؟» وشعرت أنها صارت يقظة تمامًا الآن.

– «ربما أتخيل ذلك فحسب.»

أطلقت آيا تنهيدة وقالت: «رائع، فأنا أيضًا أتخيل الأمر نفسه الآن.»

قالت ميكي: «هيا بنا، يراودني شعور بأننا نقترب من شيء ما ...»

– «هل هو الشيء نفسه الذي يلاحقنا؟ أم شيء آخر مختلف؟»

هزت ميكي كتفيها ومضت قدمًا.

في الغرفة التالية، أدى الممر المزود بالعوارض المعدنية إلى فتحة ضخمة في الجدار ومجموعة من الدرج المؤدي إلى أسفل، ولم يكن هناك أي كشافات برتقالية بالأسفل، فلم يكن به سوى الظلام.

توقفت آيا وقالت: «ربما ينبغي لنا أن نستدعي بقية الفتيات.»

قالت ميكي بازدراء: «أتريدين أن تظن كاي أنك خائفة من الظلام؟» ثم اتجهت أسفل الدرج.

تنهدت آيا ثم تتبعتها.

أثناء نزولهما الدرج، بدأت أصداء خطواتهما تطول دلالة على وجود تجويف أكبر من حولهما، ومر ضوء مصباح آيا اليدوي عبر الأجزاء العالية قوسية الشكل التي كانت تشبه السقف الحجري لخزان المياه الضخم الموجود أسفل المدينة. وللحظة شكت آيا في أن يكونوا قد قاموا بتجويف الجبل بالكامل لتخزين مياه الأمطار أثناء موسم الأمطار، لكن لماذا يبني الناس مصرفًا لمياه الأمطار غريب الشكل كهذا؟

بعدها عثر مصباحها الضوئي على الأسطوانات. كانت الغرفة مليئة بالأسطوانات المتراصة في صفوف منظمة تمتد في الظلام، وكأنها جنود ضخمة من المعدن في موكب استعراضي.

همست ميكي: «حسنا، لقد وجدناها، لكن ما هذه الأشياء؟»

هزت آيا رأسها للتعبير عن عدم علمها بماهيتها ثم سارت حتى أقربها إليها وضغطت براحتها عليها، فوجدتها أسطوانة معدنية ملساء وباردة الملمس، وحينما وقفت آيا على أطراف أصابعها لتنظر إلى الأسطوانة من أعلى، لم تجد أي علامة على وجود أي أختام.

– «يبدو لي أنها تشبه الفولاذ الصلب.»

مرت ميكي بجانبها، فانقشعت مجموعة من الظلال بفعل شعاع مصباحها اليدوي. تبعتها آيا بين المجموعة الضخمة للأسطوانات، وأخذت تبحث عن أي دليل

يشير إلى ماهية هذه الأشياء، لكن الأسطوانات المعدنية كانت بلا أي علامات أو أي صفات مميزة، وكأنها بيادق ضخمة في مجموعة لا نهائية من الشطرنج لها الشكل نفسه تمامًا.

لكن ألا يوجد ندرة في المعادن الآن؟ فهذه الكمية من الصلب تكفي لمضاعفة حجم المدينة.

توقفت ميكي فجأة وقالت: «ها هو ثانية.»

– «ماذا؟»

استدارت ميكي وتجاوزت آيا بضوء مصباحها ثم قالت: «رأيت انعكاسًا في الأسطوانات المعدنية، هناك شخص ما وراءنا.»

دارت آيا بسرعة حول نفسها، وحركت مصباحها الضوئي عبر صفوف الأسطوانات، فانسابت الظلال وانطلقت بعيدًا عن شعاع مصباحها الضوئي، لكنها لم تر شيئًا عدا الانعكاس الباهت لوجهها الذي أضاء شعاع المصباح جزءًا منه، وقد التوى الانعكاس فوق الجوانب الملساء للأسطوانات.

همست آيا بازدراء: «هل تحاولين إخافتي؟»

همست ميكي وعيناها متسعتان وسط الوهج الأحمر لمصباحيهما الضوئيين: «كلا، أنا جادة، سأذهب لطلب المساعدة.»

– «هل أنت متأكدة؟ ربما ينبغي لنا ...» بدأت آيا الجملة دون أن تتمها؛ إذ هرعت ميكي بالفعل نحو الدرج طلبًا لعون الفتيات الأخريات.

ضيقت آيا عينيها في الظلام، وومض شيء ما في زاوية عينها، لكن عندما استدارت لمواجهته، لم تر شيئًا سوى ظلال بعثرها مصباحها المهتز.

خطت آيا بضع خطوات إلى جانبها وهي تحدق في الصف التالي من الأسطوانات المعدنية، لكنها لم تر أي شيء.

ترددت أصداء الصيحات أسفل الدرج، إذ كانت الفتيات الأخريات تجيب نداءات ميكي. إنهن قادمات إليها، لكن ليس بسرعة كافية من وجهة نظر آيا.

بدأت آيا في السير عائدة تجاه الدرج وهي تلتفت وراءها بتوتر لكي تتحقق مما حولها، وتحرك مصباحها من جانب إلى آخر، ولكنه لم يخلف وراءه سوى ظلال طويلة ممتدة تتمايل وتدور من حولها، لتمتلئ الغرفة بحركات مراوغة.

بعدها رأت انعكاس ذلك الشيء في صف من جوانب المعدن الملساء، فأبصرت ظلًّا أسود غير واضح المعالم يمتد فوق الأسطوانات ويندفع نحو الظلام.

تجمدت آيا في مكانها وأخذت تحاول تحديد الاتجاه الذي يتحرك الشيء نحوه، لكن الأمر كان كلعبة المطاردة واللمس في ردهة من المرايا.

صاحت آيا: «ميكي! أظن أن ...»

حينئذ تلاشى صوتها بعد أن ظهر الشيء الطائر أمامها مباشرة، وعكس شعاع مصباحها الأحمر نمطًا مألوفًا من العدسات الدقيقة.

لقد كانت موجل.

الفرار

صاحت آيا: «ميكي! لا تقلقي! لا أظن أن هناك شيئًا ما.»

جاء صوت ميكي من منتصف الدرج تقريبًا: «لا تقلقي يا آيا-تشان، فالفتيات على وشك الوصول إلينا!»

تمتمت آيا: «سحقًا.» وجثت على ركبتيها وأومأت إلى الكاميرا الطائرة الصغيرة بالمجيء إليها وقالت: «تعالي هنا!»

ترددت الكاميرا الطائرة لحظة، فهذا الأمر الجديد يخالف الأوامر القديمة التي كانت تصدر لها بالاختباء بعيدًا عن الأنظار، لكن عندما استدعتها آيا ثانية، انطلقت سريعًا بطول صف الأسطوانات وارتمت بين ذراعي آيا.

همست آيا وهي تربت بيديها على غطائها البلاستيكي المطلي باللون الأسود: «مرحبًا موجل! أحسنت صنعًا بالعثور عليّ، لكن عليك أن تكوني أكثر حذرًا.»

جاء صوت ميكي عاليًا من أعلى: «هل أنت بخير؟»

أجابتها آيا: «أنا في أحسن حال! لكن لا أعتقد أنه يوجد أي شيء هنا بالأسفل!» ثم همست: «علينا البحث عن مكان تختبئين فيه.»

أطفأت آيا مصباحها وزجت به سريعًا داخل أحد جيوب سترتها وهي تنظر حولها باحثة عن مخرج آخر، لكن صفوف الأسطوانات غير المميزة امتدت بلا نهاية في الظلام.

تعالى المزيد من الصيحات من أعلى الدرج، إذ كانت ميكي تتجه إلى أسفل عائدة إليها ومجموعة من المصابيح تتمايل من ورائها.

نكست آيا رأسها وابتعدت عنهن. كان الضوء الوحيد الموجود بالمكان منبعثًا من جهة الفتيات الماكرات اللاتي ينزلن الدرج، وانعكست أضواء مصابيحهن الحمراء

والصفراء على سطح المنحنيات المعدنية الملساء للأسطوانات، فأخفت آيا موجل بين الثنايا الفضفاضة لسترتها المفتوحة.

– «عندما أطلق سراحك، ابحثي عن مكان للاختباء، أتفهمينني؟»

أجابتها موجل بوميض أضوائها الليلية الخافتة أرسلته في وجهها مباشرة.

همست آيا بغضب: «توقفي عن فعل ذلك!» وتعثرت وهي لا تبصر شيئًا ثم توقفت.

صاحت ميكي: «ماذا حدث؟ أين أنت يا آيا؟»

أخذت آيا تطرف بعينيها حتى تندثر آثار الضوء البراق التي تشوب رؤيتها ووقفت لتنعم النظر عبر فوهات الأسطوانات، وانتشرت الفتيات الماكرات في جميع الاتجاهات بصورة عشوائية داخل الغرفة.

لكن إيدن مارو كانت ترتفع في الهواء، إذ استعان جهاز لاعبي الكرة الطائرة الذي ترتديه بالأسطوانات المعدنية لرفعه في الهواء، فحلقت إيدن سريعًا عبر صفوف الأسطوانات، وذراعاها منبسطتان كجناحي طائر جارح. ومما لا شك فيه أنه لا بد أن لديها رؤية قوية بالأشعة تحت الحمراء، إذ تقام غالبية مباريات الكرة الطائرة بين المدن ليلًا.

دمدمت آيا بسُبة ثم نكست رأسها أكثر وركضت بأقصى سرعة لديها، فيجب عليها الذهاب إلى غرفة أخرى.

لكن أيوجد أي مخرج من هنا؟

وفجأة بدأت موجل تجذب قبضة يدها.

همست آيا إليها: «لم يحن الوقت بعد!» لكن الكاميرا الطائرة سحبت نفسها بحركة سريعة وأطلقت سراح نفسها، ففقدت آيا توازنها، وانطلقت الكاميرا بعيدًا بين صفوف الأسطوانات كالقذيفة.

أخذت آيا تتعثر في طريقها حتى توقفت، وهي تضيق عينيها في الظلام لكي تحاول رؤية المكان الذي اختبأت فيه الكاميرا الطائرة.

– «أفقدت مصباحك اليدوي أيتها الفضولية؟»

نظرت آيا إلى أعلى فوجدت إيدن مارو تحلق فوقها مباشرة.

حاولت آيا التفكير في عذر تبرر به وضعها المصباح اليدوي بعيدًا، لكنها أخفقت وقالت: «أجل، لقد أوقعته تقريبًا.»

– «أحسنت صنعًا!» ودققت إيدن بعينيها في الظلام ثم أردفت: «إذن ما الذي نطارده؟»

هزت آيا كتفها وقالت: «لا أدري.» وحرصت على ألا تنظر في الاتجاه الذي لاذت فيه موجل بالفرار وأردفت: «أعتقد أن ميكي تتوهم رؤية الأشياء.»

همهمت إيدن: «ليس هذا ما عهدته من ميكي.» وتفحصت إيدن الأسطوانات بعينيها المعدلتين جراحيًّا، ثم استقر نظرها في الاتجاه الذي طارت نحوه موجل وقالت: «ماذا هناك بالأعلى؟»

ضيقت آيا عينيها في الظلام؛ إذ كانت مصابيح الفتيات الأخريات تقترب منها أكثر فأكثر الآن، ولم يكن باستطاعة عينيها اللتين لم تعدلا جراحيًّا سوى رؤية موضع انتهاء صفوف الأسطوانات المعدنية، اقتربت آيا بضع خطوات ورأت دائرة سوداء اتساعها متر، وكانت عبارة عن فتحة ممر.

أطلقت آيا تنهيدة صامتة، فلا بد أن موجل قررت أن تختبئ هناك، وكانت إيدن مارو في طريقها بالفعل نحو هذه الفتحة وهي تنسل عبرها في الهواء.

صاحت آيا وهي تسير خلفها: «ربما ينبغي لنا انتظار الأخريات. فقد يمثل الأمر خطورة.»

قالت إيدن: «كنت أظن أنك قلت إن ميكي تتوهم رؤية الأشياء.» ثم هبطت إيدن أمام الحفرة الدائرية وزحفت إلى الداخل.

بينما كانت آيا تركض للحاق بها، أدركت أن فتحة الممر لها الحجم نفسه المناسب لمرور إحدى الأسطوانات بالطول، وعند فتحة الممر شعرت آيا بنمط مألوف لدعامات ثابتة أسفل راحتيها؛ كانت دعامات معدنية لحمل الأسطوانات على روافع طائرة.

زحفت آيا وراء إيدن بأقصى ما لديها من سرعة وتساءلت: «هل عثرت على أي شيء؟»

– «أجل، لكنه لا يبدو منطقيًّا.»

حينئذ كان عدد قليل من الفتيات الماكرات قد وصل إلى مدخل النفق وراء آيا، وومضت أشعة المصابيح عبر النفق، كاشفة عما اكتشفته إيدن.

كان هناك باب معدني سميك مفتوح على مصراعيه، ونافذة واحدة صغيرة تلمع في منتصفه.

قطبت آيا جبينها وقالت: «هذا هو الباب الوحيد الذي رأيته هنا.»

قالت إيدن: «تقصدين غرفة هواء مضغوط.» ثم أشارت إلى الأمام وقالت: «هناك واحدة أخرى.»

هزت آيا رأسها وقالت: «غرفة هواء مضغوط؟» ثم أردفت قائلة: «لماذا يبني أي شخص غرفة مثل تلك داخل جبل؟»

وأثناء زحفهما إلى الأمام، رأت آيا المزيد من القطع المعدنية تتلألأ أمامها، إذ كان هناك باب ضخم آخر مفتوح على مصراعيه مثل الأول تمامًا. ابتلعت آيا ريقها؛ فإذا كانت هذه الغرفة حقًّا غرفة هواء مضغوط، فلا بد أن هذا النفق طريق مسدود.

هذا يعني أن موجل أصبحت محاصرة.

قالت آيا وهي تدفع إيدن متجاوزة إياها: «من الأفضل أن أكون أول من يتقدم إلى الأمام.»

– «لكنك لا تستطيعين حتى الرؤية!»

تجاهلتها آيا وزحفت داخل النفق، فعلى الأقل ستتمكن بذلك من تحذير موجل بأن شخصًا ما قادم ناحيتها، أو تنذرها بقدوم الجميع بناءً على الأصوات المترددة خلفها.

قالت آيا بهمس شديد لا يكاد يكون مسموعًا: «موجل!»

أبطأت آيا من خطواتها قليلًا وحاولت أن ترهف السمع، حينئذ شعرت بأن الهواء مختلف قليلًا.

وبعد أن خطت خطوة أخرى التوت قدمها أسفلها، إذ خطت فوق جزء غير مستو من الأرض، فتذمرت وبسطت يديها إلى الأمام لاستعادة توازنها ...

لكنهما لم يلمسا سوى الفراغ.

ثم تدحرجت آيا إلى الأمام، وسقطت في فجوة.

مكتبة
t.me/t_pdf

ممر الهواء

سقطت آيا في ظلام دامس، ودارت رأسًا على عقب في الهواء في أغوار الجبل.

بسطت يديها للوصول إلى السوارين الواقيين من الصدمات آملة أن يجدا ما يكفي من المعدن أسفلها لحمايتها من السقوط. وعند المنعطف الأول وجد السواران شيئًا يتشبثان به، فانتفض جسدها بعد أن جذبها السواران إلى أعلى بهزة مفاجئة تكاد تنزع كتفها من جسدها بآلام مبرحة، وتأرجحت قدماها بقوة دفع عنيفة وارتطمت إحداهما بالصخر الصلب.

ظلت آيا عالقة هناك للحظة يجتاحها شعور بالذهول وهي تشعر بالألم يشتد بها وسط الظلمة الدامسة. وحينما صار ذهنها صافيًا، حاق بها صدى أنفاسها، وحركت قدميها بقوة أمامها، فارتطما بالحجارة واندفعت آيا إلى الخلف نحو جدار صخري. واقتلع ارتطامها بالجدار صرخة ألم من أعماقها.

جاء صوت إيدن في الظلام من فوقها مباشرة وهي تقول: «توقفي عن الركل!» وبعد ثوانٍ معدودة، التفت ذراعان قويتان حول خصرها، وجذبتاها إلى أعلى في الهواء وبدأت الآلام المبرحة بكتفيها تقل قليلًا.

– «هل أنت بخير، أيتها الفضولية؟»

– «نعم بخير، لكنني ربما لن أتحمل السقوط مرة أخرى هذه الليلة.»

– «أرجو أن تتوقفي عما ترتكبينه من محاولات انتحارية لنيل إعجابي فحسب.»

لم يكن من آيا سوى أن زفرت بسخط، وبينما كانت إيدن تحملها إلى الأعلى وسط الظلام الحالك، شعرت بوخز ضئيل جراء عودة سريان الدماء في يديها.

أنزلتها إيدن بثبات فوق الحافة المعدنية التي سقطت لتوها من فوقها ثم قالت: «ربما ينبغي لك الكف عن الاكتشاف وترك هذه المهمة لمن يمكنه الطيران والرؤية في الظلام.»

قالت آيا وهي تفرك كتفيها بحذر شديد: «بلا شك. شكرًا لك.»

– «تقصدين أن تشكريني للمرة الثانية.»

حينئذ ترددت الأصوات من حولهما، إذ كانت الفتيات يتجهن نحوهما عبر النفق.

صاحت إيدن: «أبطئن، إنه شرك ... أو شيء من هذا القبيل.»

همهمت آيا: «أجل، إنه شيء من هذا القبيل.» وأخرجت مصباحها اليدوي وانحنت بحذر فوق الممر المجوف الذي كان ممرًّا دائريًّا يتسع لاستيعاب أسطوانات تنتقل عبره إلى الأسفل، وتمتد على جدرانه حلقات نحاسية مغلفة بطبقات بلاستيكية شفافة مغروسة بين الحجارة تماثل في سمكها سمك ذراع آيا.

كان الممر ممتدًّا أيضًا إلى أعلى إلى مسافة أبعد من النقطة التي تلاشى عندها ضوء مصباحها اليدوي.

لا بد أن موجل قد وجدت مكانًا غريبًا تختبئ فيه.

تذمرت إيدن وقالت بسخرية: «أرى أنك وجدت مصباحك اليدوي أيتها الفضولية؟»

هزت آيا كتفها وقالت: «أجل، أعتقد أنه كان في جيبي طوال الوقت.»

أومأت إيدن برأسها ببطء.

حينئذ جاء صوت كاي متسائلًا: «أعثرتن على شيء؟» وشقت كاي طريقها بين الفتيات الأخريات المتزاحمات داخل النفق، وزحفت حتى حافة الممر، وأنعمت النظر داخل أعماقه ثم أردفت: «يا إلهي، ما هذا؟»

قالت إيدن: «أظن أننا لسنا متيقنات بشأنه، أليس كذلك أيتها الفضولية؟»

قالت آيا وهي تفرك رسغيها: «ليس لدينا أدنى معلومة موثوق بها، لكن بناءً على تجربتي، أنصحك بألا تقفزي إلى داخله.»

جثمت كاي على ركبتيها وأخذت تتبع بيديها الدعامات المعدنية في أرضية النفق، ونظرت إلى الخلف نحو المكان الذي اصطفت فيه الأسطوانات.

– «لا بد أن هذا هو المكان الذي تنتهي إليه هذه الأسطوانات المعدنية الكبيرة.»

قالت آيا: «أظنه كذلك، ربما يكون شيئًا ما كالمصعد.»

قالت كاي: «مصعد مزود بغرفة هواء مضغوط؟» ثم هزت رأسها بالنفي وأردفت قائلة: «هذا أمر غير محتمل، هل يمكنك رؤية قاعه؟»

قالت إيدن: «لا، لكن بوسعي الذهاب إلى هناك.» وهي تقفز إلى أعلى في الهواء، فالتقطتها روافع عدة الكرة الطائرة الخاص بها حتى قبل أن تبدأ في السقوط ثم تابعت تقول: «آسفة لأنني سأخطف الأضواء كلها منك يا كاي.» ابتسمت إيدن وهي تختفي بعيدًا عن مرمى بصرهن.

شاهدت آيا سقوطها داخل أعماق الممر، وتمنت أن تكون موجل قد اتجهت إلى أعلى للاختباء بدلًا من النزول أسفل الممر.

استدارت كاي نحو آيا وقالت: «ماذا كنتما تطاردان أنت وميكي؟»

هزت آيا كتفيها، فأثارت هذه الهزة وخزًا مؤلمًا في كتفيها.

– «هل أنت بخير؟»

– «لقد استخدمت السوارين الواقيين من الصدمات كثيرًا هذه الليلة.»

قالت كاي وهي تضحك ضحكة خافتة: «لقد لاحظت ذلك، كنت أعرف أنك واحدة منا يا آيا-تشان.»

ابتسمت آيا بوهن قائلة: «شكرًا.» إذ اجتاحتها موجة أخرى من موجات الإرهاق التي أصابتها بالدوار، ثم أردفت: «لكنني سوف أستريح قليلًا، فأنا أحتاج إلى تجديد مستوى الأدرينالين في جسدي.»

– «لا مشكلة.» وانحنت كاي إلى الأمام لكي تحدق بنظرها داخل الممر، ثم تنهدت وقالت: «قد يستغرق هذا قدرًا من الوقت.»

زحفت آيا متجاوزة الفتيات الأخريات داخل النفق وهي تلوح بيديها إشارة إلى عدم قدرتها على الإجابة عن تساؤلاتهن، موضحة أنها في حاجة إلى الراحة. وتحركت للخارج، وشقت طريقها بين الأسطوانات إلى الدرج، وبينما كانت في منتصف الطريق إلى الأعلى، جثت على ركبتيها وشغلت عدسة عينها.

قالت بهمس: «موجل؟»

بدت لها زاوية رؤية الكاميرا الطائرة في الظلام، ولكن استغرق عقل آيا المجهد برهة في تعديل وضع تشغيل الكاميرا إلى الرؤية بالأشعة تحت الحمراء، لكن موجل كانت تنظر إلى أسفل.

وأسفل شاشتها ظهرت مجموعة من النقاط التي تعكسها حرارة جسد أصحابها والتي كانت تشير إلى الفتيات الماكرات المتزاحمات عند حافة الممر المجوف، وظهرت إيدن مارو كنقطة ضوئية صغيرة جدًّا بعيدة في الأسفل حيث كانت روافع عدة الكرة الطائرة الخاص بها تتلألأ على الحجر البارد.

لقد حالف موجل الحظ حتى الآن، ولكن مما لا شك فيه أن إيدن سوف تستكشف الجزء الأعلى من الممر في النهاية.

همست آيا: «واصلي الصعود، وابحثي عن مخرج.»

لم تبد جوانب الممر التي مرت بها موجل أثناء صعودها إياه مختلفة بعضها عن بعض؛ فقد كانت هناك حلقات نحاسية سميكة في كل متر تقريبًا، ولا يوجد منفذ للداخل أو للخارج، ولكن ظهر وميض رقيق لأشعة تحت حمراء أعلى موجل مباشرة، الذي بدا كشظية حرارية أعلى الممر.

– «اكتشفي ماذا يوجد هناك، لكن لا تستخدمي الأضواء الليلية الخافتة!»

أوقفت آيا ضوء عدسة عينها لحظة، وتفقدت المكان من حولها لتتأكد من عدم تعقب أي شخص لها، وكانت الغرفة الممتلئة بالأسطوانات لا تزال فارغة.

وبينما كانت موجل تصعد إلى أعلى، بدأ التشوش يعتري الإشارة الصادرة عنها، إذ تحرك أمام عينيها أكثر من وميض لإرسال مشوش، فقد كان الاتصال بينهما يخترق الكثير من الحجارة، وتساءلت آيا عن طول الممر؛ فلا يمكن لقرن استشعارها الجلدي أن يمارس عمله أكثر من مسافة كيلومتر فقط دون عون شبكة اتصال المدينة.

وعندما وصلت موجل إلى قمة الممر، استطاعت آيا الرؤية بصعوبة وسط الكثير من اضطرابات التشويش.

بدت الكاميرا الطائرة وسط فقاعة شفافة، إذ لمعت أضواء خافتة عبر أرجاء الجدران البلاستيكية المستديرة.

لقد بدت وكأنها ... نجوم.

تحركت آيا بضع خطوات إلى أعلى، فبدأ التشوش يزول لحظة، لقد كان الأمر حقيقة، فقد كانت موجل تنظر من أعلى قمة الجبل.

وفجأة انتشرت سلسلة الجبال حولها بوضوح؛ إذ اخترقت قمم الجبال حادة الطرف السماء المرصعة بالنجوم، أما في الوادي بالأسفل، فقد لمعت مجمعات الطاقة الشمسية للقطار المغناطيسي المعلق تحت ضوء النجوم المنعكس عليها، حتى إنه كان باستطاعة آيا أن ترى أضواء المدينة تتلألأ على نحو خافت من بعيد.

لكن ما الغرض من حمل الأسطوانات إلى أعلى قمة الجبل؟ فقد كان هناك على أي حال طرق أبسط لنقل قطع كبيرة من المعدن، فهناك مراوح الرفع ومركبات النقل الثقيل.

ولماذا يتم ذلك من داخل جبل؟

حينئذ تشوشت الإشارة مرة أخرى، وغيرت آيا اتجاهها على الدرج حتى وجدت بقعة اتصال أفضل، وعندما وضحت لها الصورة عبس وجهها، فقد لمع شيء ما في زاوية رؤيتها.

– «استديري إلى اليسار قليلًا يا موجل.»

دارت زاوية رؤية موجل نحو خط السكة الحديدية للقطار المغناطيسي المعلق أمامها، وابتلعت آيا ريقها، فقد كانت الأضواء التحذيرية بمحاذاة القضبان ترسل وميضها ...

ثم رأته من بعيد، وبصرت بسلسلة من الأضواء قادمة ببطء في هدوء من المدينة. كان قطارًا قادمًا في غير ميعاده نحو النفق، وهو ما يحدث مرة واحدة شهريًّا.

وقد تركت كاي الباب السري مفتوحًا على مصراعيه.

ضغط الهواء

قالت آيا هامسة: «انتظري بالأعلى إلى أن أستدعيك، لكن كوني مستعدة للتحرك!»

نزلت آيا مسرعة على الدرج، وهي تتساءل عما سيحدث إذا مر القطار بباب المدخل المفتوح. كان الأثاث والمعدات متكدسة قرب المدخل، إلى جانب كومة كبيرة من ألواح الفتيات الماكرات الطائرة.

وكانت آيا قد استشعرت بجسدها من قبل كيف تكون تبعات الدخول في تيار الهواء المتدافع خلف قطار مغناطيسي معلق مسرع.

ركضت آيا عبر الأسطوانات وهي تشعر بالدوار، ومر انعكاسها على الجوانب المعدنية الملساء للأسطوانات كصورة خاطفة غير واضحة وعقلها يدور من الحيرة. كيف يمكن أن تفسر للفتيات معرفتها بقدوم قطار؟

كانت فوهة النفق تومض بأضواء المصابيح اليدوية للفتيات الماكرات، إذ كن ينتشرن دون انتظام حول مدخل النفق وبامتداده، وهن يتزاحمن داخل الفضاء الضيق.

– «أفسحن الطريق!» واندفعت آيا سريعًا داخل النفق وأخذت تتقدم باستقامة بين الفتيات متجاهلة صيحاتهن الساخطة ثم أردفت: «لينتبه الجميع! ثمة قطار قادم!»

عم الصمت المكان، واستدارت كاي لكي تحدق فيها: «ماذا تقصدين؟»

– «أتذكرين القطارات غير المتوقعة التي لم تقلقي حيالها؟ حسنًا، هناك واحد يتجه نحونا! سيصل إلى هنا في غضون دقائق معدودة!»

ضيقت كاي عينيها ثم قالت: «ما الذي يجعلك تعتقدين ذلك؟»

– «كنت متجهة نحو الباب الرئيسي ... لإحضار لوح طائر، لقد خلت أن بعضنا قد يستطيع النزول داخل الممر فوق لوح طائر.»

– «هل سلكت كل هذا الطريق الطويل جيئة وإيابًا في خمس دقائق؟»

– «لا ... ولكن عند وصولي إلى منتصف الطريق شعرت بهدير القطار يهز الأرض، هلمي يا كاي! الوقت يداهمنا!»

ترددت كاي وسرت همهمة عدم التصديق بين الفتيات.

تأوهت آيا وهي تندفع مذعورة بين أجسام المزيد من الفتيات الماكرات حتى وصلت إلى حافة الممر: «إيدن ... هناك قطار قادم!»

وبعد مرور ثواني قليلة ظهرت إيدن مارو أمامهن فجأة: «قطار؟ لم نغلق الباب!»

قالت كاي: «وماذا في ذلك؟ مع السرعة العالية التي يسير بها القطار، لن يلحظ أحد شيئًا؟ وكذلك لا يوجد بمعظم القطارات المغناطيسية المعلقة طاقم عمل.»

– «لكن ماذا عن ألواحنا الطائرة! سيسحبها تيار الهواء المتدافع حول القطار مع أي شيء آخر غير مربوط بإحكام.»

صاحت كاي: «أنت لم تذكري هذا الأمر من قبل، أليس كذلك؟»

– «لقد قلت إنه لن تأتي أي قطارات!»

– «لقد قلت إنه من المحتمل ذلك.»

– «ابتعدي عن طريقي فحسب!» ثم ضمت إيدن يديها معًا مثل الغواصين، وانطلقت عبر النفق المزدحم.

وفجأة امتلأ النفق الضيق على الفور بالأجسام المتدافعة، إذ كانت الفتيات يصحنَ ويتدافع بعضهن فوق بعض، ويتعثرن باضطراب كي يتبعن إيدن نحو مدخل الجبل.

ترددت كاي لحظة وعيناها تحملقان في آيا: «أمتأكدة أن هذا ليس من نسج خيالك؟»

أومأت آيا برأسها وهي لا تزال تلهث.

أطلقت كاي سُبة ثم نهضت على ركبتيها واندفعت وراء الأخريات.

انتظرت آيا حتى تلاشت أصوات تدافع الفتيات، ثم شغلت عدسة عينها مرة أخرى، واستلقت قبالة الأرضية الحجرية وهي تحدق مباشرة في الظلمة الحالكة للممر المجوف.

لم يكن هناك شيء سوى الهواء الذي يفرق بينها وبين موجل الآن، وأصبح المشهد من أعلى قمة الجبل واضحًا وضوح الشمس، واقترب القطار أكثر، إذ كانت

سلسلة لامعة من الوميض المتلألئ تزحف بطول خط القطار المغناطيسي المعلق الوامض، لقد أصبح على بعد دقائق الآن.

قالت: «انزلي إلى هنا بسرعة يا موجل! لا تطيري. اهبطي فحسب!»

وجهت موجل عدساتها إلى الأسفل، وشاهدت آيا هبوطها من زاوية رؤية الكاميرا الطائرة، وازداد حجم البقعة المتوهجة الصفراء الظاهرة بالأشعة تحت الحمراء — التي تمثل رأس آيا — بسرعة أكثر وأكثر كلما زادت موجل من سرعتها عبر الممر، حتى تمكنت آيا من رؤية تعبير عينيها الواسعتين.

صرخت آيا: «قفي!»

توقفت الكاميرا الطائرة على نحو مثالي على بعد سنتيمترات قليلة من أنف آيا ثم أرسلت أضواءها الليلية الخافتة بسرور.

قالت آيا: «أنا أيضًا يسعدني رؤيتك ولكن عيناي آلمتني أيضًا.» ثم اجتازت النفق الضيق سريعًا ثم قالت: «اتبعيني لكن لا تقتربي مني كثيرًا، وتذكري أن تختبئي إذا قابلنا إحداهن!»

* * *

انطلقت آيا سريعًا عبر الدهليز الحجري للمخبأ، متتبعة الدعامات المعدنية في طريقها للعودة إلى المدخل، فمما لا شك فيه أن تلك هي الطريقة التي استطاعت بها موجل أن تعثر عليها، فلا يمكن للكاميرا الطائرة أن تنتقل إلا بامتداد المسارات المعدنية، شأنها شأن الأسطوانات.

عندما وصلت آيا إلى المدخل الرئيسي كانت تلهث متعبة من الركض وقلبها يخفق بقوة. ووقفت أمامها مباشرة مجموعة من الفتيات الماكرات كصور ظلية عند المدخل المؤدي إلى نفق القطار المغناطيسي المعلق.

وبينما أخذت آيا تمشي بترنح حتى وقفت شعرت بهدير القطار أسفل قدميها.

كانت كاي تقول: «سيصل إلى هنا في أي وقت.»

قالت إيدن: «أنا أحاول!» وجثت على ركبتيها عند المدخل وهي تمسك بجهاز اختراق المادة الذكية بقوة بإحدى يديها بينما تحرك بيدها الأخرى أزرار تحكم الجهاز بسرعة.

لكن المادة الذكية المصنوع منها الباب لم تتحرك.

نظرت آيا أعلى كتفها ولمحت موجل تختلس النظر لالتقاط صورة، فابتسمت، فسواء أكان الباب مغلقًا أم لا، ما سيحدث بعد ذلك سيكون تطورًا مثيرًا للغاية للأحداث.

قالت إيدن: «ليستعد الجميع، على سبيل الاحتياط.»

وأمامها وصلت الفتيات الماكرات الأساور الواقية من الصدمات بعضها ببعض فشكلن سلسلة بشرية. هذا لا يعني أنهن في مأمن، فإذا بدأت قطع الأثاث والمعدات غير المربوطة بإحكام في التطاير في المكان، فستواجه الفتيات مشكلة كبيرة على أي حال.

وأخيرًا أطلقت إيدن مارو صيحة انتصار؛ فقد بدأت المادة الذكية تتموج إشارة إلى عملها، وبدأت شعيراتها السوداء في التموج فوق فتحة المدخل.

كان القطار بالفعل داخل النفق، وكان باستطاعة آيا أن تشعر بذلك، إذ شعرت بأثر تغير الضغط في أذنيها حيث كان الهواء يندفع باتجاههن بسرعة ثلاثمائة كيلومتر في الساعة، وغمرتها رائحة المطر المميزة للمادة الذكية متغيرة الخواص.

بدأ هدير القطار يزداد حدة بسرعة الآن وكانت الدوامات الترابية تدور بقوة في ضوء المصابيح اليدوية. وتمددت الطبقة الأولى للباب عبر المدخل، لكنها انتفخت وبرزت باتجاه إيدن، كبالون دمية ينضغط بين يدي من يمسك به.

تساءلت آيا عما سيحدث للقطار في حالة انفجار الباب، هل سيؤدي التغير المفاجئ في الضغط الجوي إلى إخراج القطار عن القضبان؟

وبالقرب من طبقة المادة الذكية المنتفخة كانت إيدن لا تزال تواصل تحريك أزرار تحكم جهاز اختراق المادة الذكية، وهي تصيح باستياء لاقتراب شيء ما منها جراء هدير القطار.

انزلقت المزيد من الطبقات عائدة إلى مكانها ...

وصل ضجيج القطار إلى ذروته، وتحركت أكوام المعدات حول آيا فوق الأرض، واهتز سطح باب المدخل المصنوع من المادة الذكية بسرعة شديدة يستحيل معها ملاحظته، يومض ويتلألأ كوتر جيتار منزوع.

بعد لحظات مرت كالدهر بدأ الهدير يتلاشى مع ابتعاد القطار.

لم يتداعَ الباب، وبعد مرور القطار لم تستطع آيا التفريق بين المادة الذكية والحجارة.

عندما هبطت إيدن على الأرض، استدارت كاي إلى باقي الفتيات وعلت وجهها ابتسامة واهنة وقالت: «ربما نكتفي بهذا القدر من التسلية هذه الليلة.»

سرت همهمة تنم عن الإرهاق بين الفتيات الأخريات، ربما لم تكن آيا الوحيدة التي ذهبت مع الفتيات دون أن تنام على مدار الليلتين السابقتين، وبدأت الفتيات الماكرات في تنظيم ألواحهن الطائرة استعدادًا للتوجه إلى مدينتهن.

كانت المشكلة الوحيدة الآن هي إخراج موجل من المكان خلسة.

صاحت آيا: «كاي، هل يمكننا أن نستعير بعض الأشياء من هنا؟»

نظرت كاي حولها إلى المعدات المبعثرة التي يكتظ بها المكان ثم قالت: «أعتقد ذلك، لكن لا تأخذي الكثير من الأشياء كي لا يلاحظ أحد أن شخصًا ما كان موجودًا بالمكان.»

ضحكت آيا: «في هذه الفوضى؟ هم لا يجرون جردًا يا كاي بل ينقلون أغراضهم من المكان.»

لاقى الأمر قبول بضع فتيات أخريات، فبدأن في البحث بفضول بين المعدات، وأدركت آيا أنه في ظل غياب الشهرة ونقاط الاستحقاق لم يكن باستطاعة الفتيات الماكرات تقديم الكثير من طلباتهن إلى الكوة الذكية، كما أن الشاشات الجدارية وأجهزة الكمبيوتر الدقيقة التي كانت منتشرة حولهن كانت أشياء جذابة.

سارت آيا سريعًا عائدة إلى حيث كانت موجل تختبئ، ثم التقطت حاوية كرتونية بطريقة عشوائية، وفرغت ما كان بداخلها من أقلام ضوئية وألواح رسم، ثم لوحت بيدها للكاميرا الطائرة مطالبة إياها بالاتجاه داخل الحاوية، وأخفى غطاؤها العلوي البلاستيكي المغلق بإحكام موجل تمامًا.

وعندما طوت آيا سواريها الواقيين من الصدمات، شق لوحها الطائر طريقه عبر المدخل وصولًا إليها. وضعت آيا الحاوية بإحكام فوق سطح الركوب على اللوح الطائر، وشعرت بروافع موجل وهي تلتصق بالسطح البلاستيكي كي لا تنزلق.

كانت آيا مستعدة للرحيل وفي جعبتها كاميرا طائرة تعج بصور تخلب الألباب.

– «لقد أظهرت براعة فائقة عندما عرفت أن القطار قادم.»

رفعت آيا بصرها فوجدت إيدن مارو تسبح في الفضاء فوقها.

هزت آيا كتفيها بلا مبالاة ثم قالت: «لست أرى الأمر من قبيل البراعة؛ فقد كانت الأرض تهتز.»

قالت إيدن: «رغم ذلك، الأمر غريب، فعندما دخلت إلى هنا للمرة الأولى، لم أشعر بأي شيء حتى أصبح القطار على مقربة أكثر مني، لكنك لاحظت الأمر من مكان بعيد داخل الجبل.»

ابتسمت آيا وقالت: «ربما لم تشعري بالقطار بسبب معدات الكرة الطائرة التي ترتدينها دائمًا. فأنت غير معتادة على السير فوق الأرض مثلنا نحن المغمورين.»

– «أجل، لا بد أن هذا هو السبب.» ثم نظرت إيدن إلى الأسفل حيث مكان اختباء موجل وأردفت: «هل وجدت أي شيء مثير للاهتمام؟»

– «لم أجد سوى أقلام ضوئية وأشياء من هذا القبيل، أتريدين واحدًا؟»

ترددت إيدن ثم هزت رأسها بالنفي وقالت: «لا، شكرًا لك، لست مضطرة إلى سرقة أشياء فأنا مشهورة، أتذكرين ذلك؟»

– «آسفة، لقد نسيت.»

ابتسمت إيدن في النهاية ثم قالت: «لا تتأسفي أيتها الفضولية، فهذا يظهر أنك تحرزين تقدمًا.»

ربتت إيدن على كتف آيا المتألمة ثم عادت مرة أخرى إلى العمل مع جهاز اختراق المادة الذكية وبدأت في إعادة فتح الباب.

ملكة الوحل

نامت آيا حتى صباح اليوم التالي ولم تنتبه لرنين المنبه، وفاتتها دروس المستوى المتقدم للغة الإنجليزية وفرعين من الرياضيات.

وعندما استيقظت كانت الشمس ترسل بأشعتها عبر نافذة الحجرة، ويا له من منظر يبعث على اليأس، فسطوع الشمس يعني التغيب عن الدروس؛ أي ضياع مجموعة كبيرة من نقاط الاستحقاق، وهذا سيتسبب لها في ضرر كبير وسيبقيها دون أي نقاط استحقاق على مدار شهر كامل.

لكن بينما كانت مستلقية فوق السرير تحملق في السقف وتدعك الجروح والكدمات التي أصابتها أثناء مغامرة أمس تبادر إلى ذهنها أن نقاط الاستحقاق لن تثير قلقها طويلًا، فحالما تُنشر قصة الفتيات الماكرات في المدونات، سيذيع صيتها كثيرًا ولن تزعجها الامتحانات ومهام مسكن الطلاب ومهام مراقبة الصغار، سيكون كل ذلك بلا قيمة شأنه شأن النقود العتيقة المعروضة في متحف المدينة، التي استخدمها سكان العصر القديم.

فبلوغ المرء رتبة شهرة عالية يعني أنه ليس مضطرًّا للقلق حيال نيل إعجاب لجنة المواطنين الصالحين، فكل ما عليه فعله هو الحفاظ على شهرته، وهذا الأمر، حسبما يقول مدونو الأخبار المغرورون، أيسر كثيرًا من بلوغ رتبة شهرة عالية في المقام الأول.

فركت آيا عينيها، فقد غلبها النعاس وهي تستعرض الصور التي أخرجتها من موجل وكاميرا التجسس الدقيقة المثبتة بزر سترتها. كانت توجد صور كثيرة لرحلة الركوب فوق القطار المغناطيسي المعلق والأنفاق الغامضة ولقطات مثيرة للفتيات الماكرات ذات الطبائع الحادة القوية وهن يفشين أسرار الجماعة، كانت الصور كلها تخلب الألباب.

كان الأمر يفوق قدرتها على التعامل معه؛ إذ كان أكثر تعقيدًا من أي قصة أخرى حاولت آيا نشرها من قبل. ولطالما قال هيرو إنه بصرف النظر عن مدى إثارة الصور، سيشعر الناس بالضجر منها بعد عشر دقائق. كيف ستتمكن آيا من تسليط الضوء على المخابئ السرية والكائنات الغريبة النحيفة والأعمال الجنونية التي قامت بها الفتيات الماكرات فقط في عشر دقائق؟ فحدث ركوبها فوق القطار المغناطيسي المعلق قد يستغرق وحده عشر دقائق!

ومما لا شك فيه أن غالبية الصور التي تصاحب أي قصة ينتهي بها الحال بالظهور في الخلفية بحيث يتسنى للمدونين الآخرين استخدامها بعد ذلك أو فحصها للتأكد مما إذا كنت تحيد عن الحقيقة، كما كان الحال دومًا في مدونات العصر القديم. لكن إذا كانت آيا ستخون ثقة الفتيات الماكرات، فهي مدينة لهن بالفضل ويقع على عاتقها واجب إظهار كم هن رائعات حقًّا، وألا تخفي أفضل الحيل التي قمن بها حيث لا يراها سوى حفنة من المهووسين بالمدونات الذين يطلعون على مدونتها.

حينئذ دار في خلدها وهي مستلقية فوق الفراش فكرة تجزئة القصة إلى سلسلة، ففي الصيف الماضي نشر هيرو سلسلة من عشرة أجزاء عن أشخاص يلحقون الأذى بأنفسهم ليشتهروا، أمثال: جماعة الجارحين، وجماعة التجويع الذاتي، ومن يحاولون زرع تبغ لتدخينه، لكن فكرة حبك شيء معقد كحبك الشخصيات بالتفاصيل وتلخيص الأفكار الرئيسية دون تكرار كانت تفوق قدراتها.

كانت الكائنات غير البشرية أسوأ جزء في القصة، فلا يصدق الناس حكايات الكائنات الغريبة على الإطلاق، لا سيما أن آيا لم تكن تملك صورًا لها، فمن الأفضل لها أن تذكر وجود الخيول أحادية القرن في القصة عن أن تذكر وجود كائنات غريبة.

قامت آيا بتشغيل عدسة عينها، ورأت أن رين كان في منزل هيرو. قد يعرف ما ينبغي فعله في هذا الأمر، وربما يساعدها هيرو أيضًا الآن بعد أن صار باستطاعتها أن تثبت أن الفتيات الماكرات يشكلن جماعة حقيقية.

وبينما كانت على وشك الاتصال برين تم التعرف على صوتها، فانهالت أمام عينيها مئات الرسائل، يرد جميعها تقريبًا من غرباء، فلسبب أو لآخر تلقت آيا ملايين الرسائل الليلة الماضية.

ثم لفت انتباهها اسم مألوف، فريز ميزونو.

ترددت آيا، ماذا لو كان يكتب إليها ليخبرها بشيء صادق للغاية، مثل أنه ارتكب خطأً فادحًا عندما أعجب بها؟ أو أن آيا فيوز كانت فتاة مغمورة ولا يوجد أحد يود قضاء الوقت معها، لا سيما لو كان شخصًا مشهورًا وجميلًا؟

ثمة طريقة واحدة لاكتشاف حقيقة الأمر؛ لذا فتحت الرسالة.

أحاط بي الكثير من الكاميرات الطائرة اليوم!

وقد اكتشفت السبب لتوي.

أنا في غاية الأسف.

فريز

تجهمت آيا، لماذا أبدى فريز اعتذاره على الرغم من أنها هي من أساءت التصرف تمامًا ليلة أمس؟ وماذا يقصد بالكاميرات الطائرة؟ ثم لاحظت أن الرسالة انتهت بالإشارة إلى قصة موجودة بإحدى المدونات، فشعرت بالتوتر يتسلل إلى داخلها.

تعقبت آيا القصة، فظهرت مدونة تخص أحد هواة انتقاد البدع الحديثة أمام عينيها ...

ظهرت بالمدونة صورة لآيا التقطت ليلة أمس بعد أن أنقذت موجل مباشرة. وفيها كانت ترتدي زي مسكن الطلاب وتغطيها القاذورات والوحل حينما كانت تتحدث إلى فريز بجانب ملاعب كرة القدم بجوار مبنى أكيرا هول. وعلى الرغم من عدم وضوح الصور التي التقطتها عدسات الكاميرات الصغيرة فقد بدا فريز الذي يجلس القرفصاء فوق لوحه الطائر جميلًا كما هو شأنه دائمًا، أما آيا فقد بدت وكأنها خرجت لتوها من بالوعة.

حملت القصة عنوانًا: مَن ملكة الوحل القبيحة التي تجلس إلى جوار فريز ميزونو؟

أغمضت آيا عينيها، ليس هذا ... ليس الآن.

وأسوأ شيء هو أنه كان ينبغي لها توقع حدوث ذلك، فلقد أسس فريز لتوه جماعة جديدة ورتبة شهرته ترتفع بشدة، فمن الأرجح إذن أن تتعقبه كاميرات مصوري المشاهير في كل مكان، لكن كياسة فريز جعلتها لا تفكر بوضوح وأبعدت عن تفكيرها تمامًا فكرة توخي الحذر.

ففي الوقت الذي كانت تسعى فيه إلى أن تكون بمنأى عن الأنظار، ها هي ذي صورها تنتشر بسرعة في المدونات.

شاهدت آيا اللقطة مرة أخرى، وشعرت بالارتياح لأنه لم يتسن لأحد على الأقل سماع الحديث الذي دار بينها وبين فريز، وكذلك كانت موجل بعيدة تطارد الصواريخ البلاستيكية والعجلات الحربية.

علاوة على أنها ليست سوى مدونة ناقد أحمق، وهذه النوعية من القصص اعتادت آيا أن تنظر إليها كل يوم في عجالة وتضحك عليها ثم تنساها على الفور. يجب عليها تجاهلها فحسب ...

لكن لسبب أو لآخر لم تستطع آيا كبح جماح نفسها، فنظرت إلى اللقطات الموجودة في الخلفية، حيث كان هناك العشرات من الصور التي لا تقل بشاعة، بالطبع لم يعبأ الشخص الذي نشر القصة — أيًّا كان هو — بالتقاط صورة لآيا بعد أن اغتسلت. ما المضحك في ذلك؟

وأسوأ ما في الأمر هو قراءة الكم الهائل من المحادثات المنبثقة من الصور، حيث وردت آلاف التعليقات والانتقادات اللاذعة والآراء الحمقاء التي ذهبت إلى أن العملية الجراحية للصدق المطلق أصابت فريز ميزونو بنوع من التلف الدماغي، وأنه يكن إعجابًا كبيرًا بالأنوف الكبيرة، وأن نوعًا جديدًا من الصديقات خرج من البالوعات.

وفي وقت متأخر من الليلة الماضية تعرف شخص مجهول يقيم في أكيرا هول على آيا ودخل على مدونتها، لكن حينها كانت حقيقة أن لها اسمًا لم تكن بالأمر المهم، فقد وجد الجميع متعة كبيرة في تسميتها باسم «ملكة الوحل».

استلقت آيا على فراشها وتساءلت كيف يمكن أن يفتقر الأشخاص إلى النزاهة إلى هذا الحد وهم يرسلون كاميرات طائرة تسترق لقطات للآخرين خلسة. فمثلما قال رين بالأمس، عادة ما يكون أصحاب مدونات الناقدين حمقى مثيرين للضجر، ومعظمهم كانوا على الأرجح يشعرون بالغيرة والضيق لأن فريز أعجب بها وهي فتاة مغمورة قبيحة بدلًا من أن يعجب بفتاة أخرى مشهورة.

لكن على الرغم من محاولاتها لطرد الموضوع من ذهنها، لم تخفف من ضيقها فكرة أنهم جميعًا حمقى تافهون، فلسبب أو لآخر، كان ما قالوه لا يزال يؤلمها.

حينئذ دق رنين خافت في أذنيها، فتأوهت، ربما تكون رسالة من أحد المعجبين الجدد بملكة الوحل، لكن عندما ظهر اسم المرسل، انتصبت جالسة كالسهم في استقامته.

– «فريز؟»

– «مرحبًا يا آيا-تشان، هل اطلعت على المدونات هذا الصباح؟»

استلقت آيا إلى الوراء وتنهدت ثم قالت: «أجل، ملكة الوحل في خدمتك.»

– «أنا في غاية الأسف يا آيا، فلم أعتد على كاميرات مصوري المشاهير بعد، لم يتبادر إلى ذهني أنه ...»

تنهدت آيا وقالت: «الذنب ليس ذنبك يا فريز، كان علي أن أتوخى الحذر أكثر من ذلك، فلقد أصبح هيرو مشهورًا منذ أن نشر قصته الأولى، ولقد عرفت القوانين حينها، لكنني نسيتها عندما رأيتك في انتظاري.»

مرت برهة من الصمت ثم قال: «أعتقد أن هذا شيء يبعث على البهجة.»

وللمرة الأولى منذ استيقاظها شعرت آيا بشيء آخر بخلاف بشاعة الشعور بأنها وقعت في شرك نصبه أحدهم، فعلى الأقل لم يكن فريز يتصل بها ليخبرها كم كانت في حالة يرثى لها بالأمس، أجابته: «أجل، أظن ذلك.»

– «لم لا نخرج سويًّا؟ يمكننا التنزه أو شيء من هذا القبيل.»

– «خلت أن أسراب الكاميرات تحاصرك.»

قال فريز: «تمامًا، لكن ماذا في ذلك؟ إنها فرصة للناس ليروك وأنت لست ملطخة بـ ... الوحل.» وعلا صوت قهقهة فريز.

– «لكنني لا أستطيع، أتذكرُ تلك القصة التي أعمل عليها؟ إنها ما زالت سرًّا.»

– «إذن لن نتحدث عنها، سأتظاهر بأنني لا أعلم شيئًا.»

– «لكن الجماعة التي سأنشر عنها القصة تبغض الشهرة بغضًا شديدًا، حتى إنها تمقت أي ذكر لها. وإذا رأتني في الخارج أجتذب الكاميرات برفقتك، فستراودها الشكوك.»

– «شكوك بشأن ماذا؟ أنك تحبين التنزه؟»

تأوهت آيا وقالت: «فريز، أنا أعمل مستترة، أتذكر؟ إن الجماعة لا تعلم أنني أنشر قصة بخصوصها.»

عم الصمت فترة طويلة ثم قال: «انتظري ... لقد اعتقدت أن الأمر سر يخص المدونين الآخرين، لكنه سر للجماعة أيضًا؟»

– «أجل، فهي لا تعرف أنني مدونة.»

– «أتقصدين أنك تفعلين الشيء نفسه الذي حدث معنا للتو؟ هل تلتقطين صورًا دون علم أفرادها؟»

فغرت آيا فمها، ثم أغلقته وتضاربت الكلمات في خلدها، وأخيرًا كان كل ما استطاعت قوله هو: «إن الأمر مختلف تمامًا!»

– «وما وجه الاختلاف؟»

– «أنا لا أنتقدهم يا فريز، بل أظهر مدى جرأتهم! هذه القصة ستجلب لهم الشهرة!»

– «لكنني خلت أنك قلت إنهم يبغضون الشهرة.»

بدأت آيا في الحديث قائلة: «بالفعل لكن ...» لكن تشابكت الكلمات وتضاربت مرة أخرى، فالصدق المطلق الذي ينتهجه فريز أمر يفقد الصواب! وأحيانًا يبدو الأمر وكأن فريز قادم من مدينة للمغمورين.

قال فريز برفق: «أحتاج إلى أن أفكر بشأن هذا الأمر يا آيا.»

– «تحتاج إلى ... ماذا؟»

– «آسف، لكن الأمر غريب علي، أقصد أمر التستر هذا. لكن يبدو أنك مضطرة إلى الابتعاد عني على أي حال؛ لذا لعله ينبغي لنا أن نفترق لفترة.»

للحظة أرادت آيا أن تجادله أو حتى أن تندفع إلى الخارج وتقابله بصرف النظر عن وجود الكاميرات الطائرة، لكن لم يسعها أن تفضح أمرها ببساطة هكذا، فالأمور ازدادت سوءًا بما يكفي بعد انتشار اسمها في المدونات.

ربما كان فريز محقًّا في فكرة ابتعاد كل منهما عن الآخر بضعة أيام، حتى وإن كان قبول ذلك الأمر محزنًا لها.

– «هل أنت واثق من ذلك يا فريز؟»

– «أجل، أحتاج إلى أن أفكر في الأمر، فمن الصعب علي أحيانًا تفهم نمط شخصيتك.»

قبضت آيا يديها بقوة، وأخذت تفكر في شيء ما تقوله، فالآن يرى فريز أنها واحدة من هواة النقد الأغبياء! ليتها تستطيع أن توضح له أن هذه القصة أكثر أهمية من خصوصية الفتيات الماكرات؛ فمهما تكن طبيعة الشيء المستتر في الجبل، فهو قد يكون خطيرًا.

لكن بسبب صدق فريز المطلق وشهرته، أي شيء ستخبره به سيُنشر على المدونات في اليوم التالي، ومن ثم لم يكن لديها الجرأة لتقوم بهذا الفعل.

وفي النهاية ودع كل منهما الآخر، وانقطع الاتصال.

استلقت آيا هناك وأخذت تحذف الرسائل الساخرة، وازداد شعورها بالتعاسة كل ثانية. قد يكون تجنب فريز أمرًا بلا معنى، فماذا لو طالعت إحدى الفتيات الماكرات قصة ملكة الوحل مصادفة؟ هل ستلقي الفتيات باللوم عليها لذيوع صيتها

فجأة؟ لا ذنب لها في أن فريز كان مشهورًا ووسيمًا ويجذب عدسات الكاميرات إليه من كل حدب وصوب ...

تلك هي المواصفات التي كانت تتمناها بشدة في صديقها منذ أسبوع مضى.

قطبت آيا جبينها لدى إدراكها أن هذا هو الصباح الأول الذي لم تتفقد فيه رتبة شهرتها منذ أن كانت صغيرة، وربما تكون قد ارتفعت هذه المرة. محت آيا مدونة هواة انتقاد البدع الحديثة، وأزالت كل مسارات تناقل الخبر والثرثرة التي اكتظت بها عدسة عينها، حتى استطاعت رؤية جانبها المخجل.

جلست هناك لحظة وهي تحدق برتبة شهرتها في حالة من الذهول.

فقد ارتفعت رتبة شهرتها إلى ٢٦٢١٣، وهي أعلى رتبة وصلت إليها على الإطلاق. لقد اكتسبت آيا فيوز شهرتها أخيرًا.

من كونها مغطاة بالوحل.

ناقل الكتل المعدنية

أمام مبنى أكيرا هول كانت هناك كاميرات طائرة تتربص بالأشخاص.

كان صيت قصة ملكة الوحل يتلاشى بالفعل — ففي النهاية يوجد أشخاص في المدينة أكثر شهرة وهم أولى بالنقد — ومع ذلك قررت آيا أن تتوخى الحذر، فعليها تحمل بضعة أيام أخرى من انعدام الشهرة وستسعد بعد ذلك بالأعداد الضخمة من الكاميرات التي ستحيط بها.

قفزت آيا من النافذة الخلفية للطابق الخامس وهي تلف ذراعيها حول موجل، وهبطت بقوة في حديقة الأقحوان الجديدة المحيطة بمسكن الطلاب، فأصدر أحد أجهزة المراقبة طنينًا غاضبًا؛ إذ أسفر هبوطها عن سحق زهرة في الطين.

لن يكون هذا اليوم ملائمًا للحصول على نقاط استحقاقية على ما يبدو.

قالت آيا: «أحضري لوحي يا موجل، لكن لا تجعلي أيًّا من تلك الكاميرات تراك.»

استدارت موجل بعيدًا تجاه صفوف الألواح الطائرة، وأخذت تتوقف بين الحين والآخر كي تنعم النظر فيما حولها، فبعد مغامرة أمس تعلمت موجل كيف تجيد التسلل.

نظرت آيا بعينيها سريعًا إلى غابة الأشجار المحيطة بها أثناء انتظارها، وهي تتساءل هل توجد كاميرات لمصوري المشاهير مختفية بين الأشجار، واقشعر جسدها عندما تخيلت أن ثمة من يراقبها. هل هذا ما تشعر به كاي؟ التواري طوال الوقت والقلق من كل ما يمت بصلة للشهرة؟ يبدو أن أسلوب الحياة هذا يفضي إلى الإصابة بجنون الارتياب.

عادت موجل وبصحبتها اللوح الطائر وقفزت آيا فوقه.

أصدرت آيا أمرها: «أراكِ عند منزل هيرو.»

أرسلت موجل وميضًا ثم انطلقت داخل الغابة في اتجاه حي المشاهير بالمدينة.

– «مرحبا يا ملكة الوحل!»

قالت آيا بتذمر: «اسمح لي بالدخول يا هيرو، فقد يتعرف أحد علي.»

– «وكيف ذلك وأنت لا ترتدين الملابس المغطاة بالوحل؟»

– «هيرو!»

تعالت ضحكات أكثر لكن في النهاية انفتح باب المصعد وانسلت هي وموجل داخله.

كان هيرو ورين لا يزالان يضحكان عندما انفتح الباب ثانية، وكان كلاهما منبسطًا فوق الأريكة وهما يمارسان لعبة تحريك إصبع الإبهام على الشاشة الجدارية العملاقة لهيرو. وكانت الانفجارات وأصوات تدافع الطلقات النارية المصاحبة للعبة تجعل سلاسل الطيور الورقية المخيطة تهتز وتصدر صوتًا خفيفًا.

صاحت آيا ليعلو صوتها على الضجيج: «ماذا تفعلان؟»

صاح رين قائلًا: «لقد نشر «الشخص النكرة» لتوه قصة ينتقد فيها ألعاب تحريك الإبهام، لذا كرسنا أنفسنا ليوم من الحرب!»

أدارت آيا عينيها استنكارًا، فلا يزال هيرو غاضبًا من انتقاد الشخص النكرة لكبار السن في قصة الخلود وإطلاقه عليهم مسمى غريبي الأطوار ومخربي العالم، ثم قالت: «ومع ذلك، أليس الصوت عاليًا قليلًا؟»

صاح هيرو: «معذرة يا ملكة الوحل، بالمناسبة لقد أحرزت تحسنًا رائعًا في رتبة شهرتك. إذا ظهرت بضع مرات أخرى كملكة للوحل، فستحصلين على دعوة إلى حفل الشخصيات الألف الأكثر شهرة.»

قطبت آيا وجهها وقالت: «ألست أنت من يردد دائمًا أنه لا يوجد ثمة شهرة سيئة؟»

صاح هيرو: «كلا، شبكة اتصال المدينة هي من تردد ذلك، أنا ضد الشهرة المكتسبة من الوحل!»

قهقه رين وهو يميل على أحد جانبيه كي يساعد الشخصية التي يتحكم بها بتحريك إبهاميه على تخطي مناورة محفوفة بالمخاطر.

صاحت آيا: «ما الذي يضحك في الأمر يا رين؟ إنه أنت من جعلني أنزل إلى الماء!»

– «لم أكن أعلم أنك ستتحدثين إلى صبي جميل وشهير في طريق عودتك إلى المنزل.»

قالت آيا بصوت عال يفوق صوت الانفجارات: «وأنا لم أكن أعلم ذلك أيضًا!»

قال هيرو: «بالطبع لم تعلمي ذلك، كما كان الحال عندما رأينا مدونة فريز بالأمس وتظاهرت بأنك لا تعرفين مطلقًا من هو.»

– «لم أكن أعرفه بالأمس، لم أكن أعلم اسمه على أي حال، لقد قابلته لتوي الليلة السابقة ... في ذلك الحفل.»

تجهم هيرو ثم أومأ برأسه، فتوقف عرض الصور بالشاشة الجدارية وتوقف الصوت فجأة، ثم أردف: «منذ متى تُدعين إلى الحفلات نفسها التي يحضرها فريز ميزونو؟»

قالت آيا: «لم أُدع على وجه التحديد.» فرفع هيرو حاجبه، ثم قالت آيا متأوهة: «كل ما في الأمر هو أنني اقتحمت حفل مهاويس التكنولوجيا دون دعوة؛ كنت أبحث عن الفتيات الماكرات.»

أطلق هيرو تنهيدةً طويلةً قائلًا: «ها قد عدنا ثانية لقصة الفتيات الماكرات الخيالية.» وأردف: «لماذا تضيعين وقتك في البحث عن مخلوقات خيالية يا آيا-تشان؟»

– «ليست الفتيات الماكرات مخلوقات خيالية، ففي واقع الأمر، لقد انضممت إليهن ليلة أمس.»

سألها هيرو: «هل انضممت إلى المخلوقات الخيالية؟»

– «بل انضممت إلى الفتيات الماكرات أيها الغبي، لقد اعتليت معهن سطح القطار أيضًا.»

سألها رين: «ماذا تقصدين؟»

– «ألم تسمعا من قبل بالركوب فوق سطح القطارات المغناطيسية المعلقة؟» ثم أومأت آيا برأسها ناحية موجل، فبدأت موجل في تحميل مجموعة كبيرة من اللقطات على شاشة هيرو الجدارية ثم أردفت: «إذن يجب عليكما مشاهدة هذه الصور.»

كان هيرو على وشك أن يقول شيئًا ما، لكن الشاشة الجدارية كانت قد بدأت في العمل بالفعل، فطوى هيرو ذراعيه وأخذ يحدق في صمت في أسرار الليلة التي قضتها آيا كفتاة ماكرة وهي تتكشف أمام عينيه.

عند انتهاء عرض اللقطات كان أول ما قاله هيرو هو: «أمي وأبي سيقتلانك.»

لم تستطع آيا الخوض في جدال معه، إذ لم يكن والداها يوافقان حتى على القفز بالسترات المطاطية، ولم يكن بوسعها تخيل رد فعل أمها بعد أن تشاهد ركوبها فوق سطح القطار.

قال رين: «رد فعل الكبار هو أقل المخاوف الآن، فبعد أن تنشري هذه القصة، سيأتي الحراس إليك.»

تنهدت آيا قائلة: «أعلم هذا.» تنهدت آيا ثم أردفت: «هذا هو الجانب السيئ في نشر هذه القصة، لن يتمكن أحد من اعتلاء أسطح القطارات المغناطيسية المعلقة ثانية.»

قال رين بصوت هادئ: «لا أقصد هذا، وإنما سينسى الحراس أمر الركوب فوق القطار تمامًا حالما يرون هذا الناقل الدفعي للكتل المعدنية.»

رمقت آيا هيرو بعينيها لكنه بدا متحيرًا مثلها تمامًا.

سألته آيا: «ما الناقل الدفعي للكتل المعدنية؟»

وقف رين ثم اتجه ناحية الشاشة الجدارية وأخذ يسترجع عرض الصور بتحريك إصبعه في حركة دائرية، ثم استوقف الصورة التي كانت فيها موجل تصعد عبر الممر المجوف، ثم بسط ذراعه وأشار إلى وميض المعدن المغروس في الحجارة ثم قال: «هذه حلقة نحاسية، أليس كذلك؟»

قالت آيا: «أعتقد ذلك. هي تماثل تلك الموجودة في المحرك الكهربائي، أليس كذلك؟»

قال رين: «أو كما في خطوط السكة الحديدية للقطارات، فللقطارات المغناطيسية المعلقة نوعان من المغناطيس: مغناطيس يرفع القطار والناقل الدفعي للكتل المعدنية.»

سألت آيا: «وما وظيفة كل منهما؟»

– «تدفع القطار، فأثناء سير القطار تتبدل النواقل الدفعية للكتل المعدنية من السالب إلى الموجب، إذ تسحب القطار من الأمام وتدفعه من الخلف، فتزيد من سرعته أكثر فأكثر، يمكن تكرار هذه العملية على نحو متصل.»

هزت آيا كتفيها ثم قالت: «إذن فهذا الممر يشبه قطارًا مغناطيسيًّا معلقًا يتحرك صعودًا وهبوطًا؟ هل تقصد أنه مصعد؟»

هز رين رأسه بالنفي وقال: «يمكن أن يدفع هذا الممر الأشياء بسرعة تُزيد آلاف المرات عن أي مصعد. لقد رأيت غرفة الهواء المضغوط تلك، أليس كذلك؟ ففي حالة إفراغ الهواء تمامًا من الممر، ستزداد السرعة عبر الفراغ، ودون وجود أي احتكاك، تتحقق السرعة المطلقة. وإذا توفر قدر كاف من الطاقة، يمكن أن يقذف هذا الناقل الدفعي بكِ لمدار الأرض.»

سأله هيرو: «لكن ما الهدف من ذلك؟ لماذا يخفونه داخل جبل؟»

حدق رين في صورة الحلقات النحاسية ثانية ثم قال: «هذا يعتمد على ماهية هذه الأسطوانات.»

هزت آيا كتفيها: «لقد بدت هذه الأسطوانات مثل كتل ضخمة من المعدن.»

– «ماذا لو كانت تحوي مادة ذكية بداخلها؟ يمكن أن يتغير شكلها وهي تطير، فتنبثق منها زعانف وأجنحة لتوجيه نفسها إلى الهدف. ويمكنها حتى أن تصنع درعًا حراريًّا سريعًا وهي تسقط.»

قال هيرو: «مستحيل يا رين» ثم استقام في جلسته وأردف: «إن الشخص النكرة محق بالفعل؛ فألعاب تحريك الإبهام جعلتك مهووسًا بالحروب!»

قال رين: «يا لروح الدعابة التي تتمتع بها يا هيرو!» وحرك الصورة ليحصل على صورة مقربة لإحدى الأسطوانات وأردف قائلًا: «دعني أقوم ببعض العمليات الحسابية، ما حجمها يا آيا؟»

تجهمت آيا ثم قالت: «دعني أفكر ... ربما يبلغ عرضها مترًا عند قمتها؟ ما الذي يجعلك منفعلًا هكذا؟»

قال هيرو: «إنه يعاني الأوهام.»

قال رين: «لنفترض أن ارتفاعها مترانِ.» وتحركت أصابعه ودارت لولبيًّا بسرعة، فبدأت الأرقام تتدفق فوق صورة الأسطوانة المعروضة على الشاشة الجدارية، ثم أردف قائلًا: «إذن مربع نصف القطر هو ربع متر، مضروبًا في النسبة بين محيط الدائرة وقطرها ليساوي تقريبًا خمسة وسبعين من المائة، ثم مضروبًا في ارتفاع مترين ليساوي مترًا ونصف متر تكعيبي. أيتها الغرفة، ما وزن متر ونصف المتر التكعيبي من الصلب؟»

سألت الغرفة: «ما نوع الصلب؟»

– «لا يهم، قربي الناتج إلى أقرب رقم صحيح.»

– «اثنا عشر طنًّا تقريبًا.»

رجع رين خطوة إلى الوراء قائلًا: «اثنا عشر طنًّا!» ثم نزل بجسده فوق كرسي هيرو الخاص بمشاهدة المدونات، وأخذ يحدق في الشاشة بعينين متسعتين.

سألت آيا بهدوء: «ما المشكلة؟»

انحنى هيرو إلى الأمام وقد بدأت ملامح الاهتمام تختفي من وجهه ثم قال: «أيتها الغرفة، ما مقدار الطاقة التي سيسفر عنها سقوط اثني عشر طنًّا من الصلب من المدار؟»

سألته الغرفة: «من أي ارتفاع من المدار؟»

نظر هيرو إلى رين الذي هز كتفيه وقال: «مائتي كيلومتر، بصرف النظر عن مقاومة الهواء، فقط قربي الرقم إلى أقرب رقم صحيح.»

صمتت الغرفة لحظة قصيرة ثم قالت: «سيسقط بسرعة ألفي متر في الثانية، وسيطلق أربعًا وعشرين جيجا جول، أي ما يعادل ستة أطنان من التي إن تي.»

قال هيرو: «حسنًا ... هذا ليس بالأمر الجيد!»

سألت آيا: «ما التي إن تي؟»

قال رين: «في هذه الأيام هي تعتبر وحدة قياس للطاقة، لكن منذ زمن بعيد، كانت مادة كيميائية استخدمها سكان العصر القديم لصنع القنابل.»

– «قنابل؟» ابتلعت آيا ريقها ثم أردفت: «مثلما اعتادوا أن يطلقوا الصواريخ بعضهم على بعض؟»

قال هيرو: «عجبًا يا ملكة الوحل، أنت سريعة الاستيعاب.»

أومأ رين برأسه ببطء ثم قال: «قد يكون هذا نوعًا من الأسلحة الفتاكة بالمدن.»

– «لا بد أنك تمزح.» وتذكرت آيا أسلحة سكان العصر القديم التي دمرت مدنًا كاملة في غضون ثوان، وأحرقت السماء، وتسببت في تسمم الأرض عقودًا طويلة. وأردفت قائلة: «لكن الأسلحة الفتاكة بالمدن كان لها رءوس قذائف، أما هذه الأسطوانات فليست سوى فولاذ صلب!»

قال رين: «أجل يا آيا، والديناصورات أبيدت بالحديد، إذ كان الحديد يسقط من الفضاء، ومثل هذه الأشياء لن تسقط عشوائيًّا، فيمكن أن تشطرها المادة الذكية إلى شظايا، شظية تسقط على كل مبنى بالمدينة، كم عدد الأسطوانات التي رأيتها هناك؟»

قالت آيا بصوت خافت: «كان هناك المئات منها يا رين.»

قال رين: «آلاف الأطنان؟ على الرغم مما نعانيه من نقص في المعادن في الفترة الحالية؟»

هزت آيا رأسها ثم قالت: «لكن ألا تريان أنكما تتسرعان في الوصول إلى النتائج؟ نحن لا ندري حتى هل بداخلها مادة ذكية أم لا.»

قال رين: «ربما أستطيع أن أعطيك شيئًا لاختبارها.»

سألت آيا: «هل تُجدي أجهزة اختراق المادة الذكية؟» فاستدار الصبيان للتحديق بها، فأردفت: «لأن الفتيات الماكرات يمتلكن ... واحدًا.»

قال هيرو بتمهل: «آيا، لا تقولي إنك كنت تعبثين بأجهزة اختراق المادة الذكية.»

– «لم ألمسها قط!»

– «لا تتسبب أجهزة اختراق المادة الذكية في الحرمان من نقاط الاستحقاق فحسب، بل هي غير قانونية حتى إنها قد تزج بك إلى السجن يا آيا!»

قال رين: «لكنها رائعة على الرغم من ذلك، فكل ما عليك هو إصدار أحد أوامر التشغيل الأساسية لأحدها وشاهدي ماذا سيفعل.»

صاح هيرو: «رين! من المستحيل أن تقضي أختي الصغيرة ثانية أخرى برفقة هؤلاء الفتيات الماكرات، هل تريد أن يقتلني والداي؟»

استدار رين نحوها وقال: «إذا لم ترغبي في الذهاب يا آيا فسأحاول الدخول إلى هناك بنفسي لكنها قصتك ...»

لم تجبه آيا في البداية وأخذت تحدق في العمليات الرياضية المتداخلة على الشاشة وهي تتذكر عندما كانت في العاشرة من عمرها، حيث كان يُصطحب تلاميذ الفصل جميعًا في سيارات طائرة، تأخذهم إلى الأطلال القديمة الناجمة عن الحرب العالمية الثانية لسكان العصر القديم، حيث نتأ هيكل خارجي لقبة محترقة من بين جدران مهشمة بنوافذ فارغة إشارة إلى مكان موت مائة ألف شخص في طرفة عين، ولم تكن آيا تصدق أن هذا الأمر ممكن الحدوث، حتى بين سكان ذلك العصر القديم.

لكن يبدو أن شخصًا ما ينتهج نهجهم.

قالت آيا: «أنا آسفة يا هيرو، لكنني مضطرة للذهاب، إن قصة نهاية العالم ليست بالشيء الذي يمكننا التخلي عنه في منتصف الطريق.»

الجزء الثاني

الأسلحة الفتاكة بالمدن

وراء كل فرصة لبلوغ الكمال الذاتي عن طريق الشهرة يكمن المزيد من النقائص.

ليو براودي
من كتابه جنون الشهرة

الحظر

لم ترض الفتيات الماكرات عن الشهرة التي نالتها آيا باعتبارها ملكة للوحل.

لقد اتضح أن كاي تتابع رتب شهرة الفتيات الأخريات عن كثب، كمتابعتها لرتبتها الخاصة، والانتقال المفاجئ الذي أحرزته آيا من انعدام الشهرة إلى درجة متوسطة من الشهرة لم يمر مرور الكرام في نظر كاي، وبعد نقاشات عديدة دارت بينهما عبر الرسائل، سلمت كاي بأن آيا ليست مسئولة كلية عما حدث، إلا أن ما حدث لا يزال يمثل مشكلة قائمة.

إذ لا يسمح بانضمام الأشخاص الذين يجتذبون الكاميرات إلى جماعة الفتيات الماكرات.

لذا تقرر منع آيا من الانضمام إلى الفتيات الماكرات، على الأقل حتى تهبط رتبة شهرتها ثانية إلى الستة أرقام.

ظنت آيا في البداية أن هذا الإرجاء لانضمامها سيفقدها صوابها، فبعد طول انتظار صارت تملك بين يديها قصة ضخمة، ولكن ها هي ذي مضطرة إلى انتظار أن تتوقف مجموعة من التافهين عن السخرية منها بلا داعٍ.

وفوق هذا وذاك، لم تجرؤ آيا على مقابلة فريز حتى تنتهي هذه الزوبعة من الانتقاد تمامًا، فإذا رآهما أحد، فستتفجر موجة أخرى من انتقاد ملكة الوحل، ومن ثم سترتفع رتبة شهرتها.

لكن مع مرور الأيام اتضح لها أن الانتظار لم يكن سيئًا للغاية.

مكثت آيا في غرفتها وأخذت تتجنب حضور الدروس، مدعية أنها تشعر بالإعياء بسبب ما أصابها من برد عندما كانت في خزان المياه الكامن تحت سطح الأرض، وأمضت آيا أسبوعًا في استبعاد القصص القديمة من مدونتها، ولم تجب عن أي رسائل سوى تلك التي يرسلها هيرو ورين وكاي. وتدريجيًّا، بدأت شهرة

آيا فيوز (وشخصيتها البديلة الأخرى التي تمثلت في ملكة الوحل) في التلاشي، وأخذت رتبة شهرتها تهبط آلاف النقاط كل يوم.

وكان عدم وجود مدونة في حياة آيا هو الجزء الأغرب على الإطلاق، فعلى مدار العامين المنصرمين حفظت آيا في المدونة كل ما له قيمة بالنسبة لها من صور وقصص وجداول لمواعيد الدروس والتقديرات التي حصلت عليها، إلى جانب قوائم بكل ما فعلته وكل ما دار في خلدها وكل ما أرادته وكل ما يخص أصدقاءها وأعداءها. فحتى إن كان نادرًا ما يطلع أحد على المدونة، كان محو مدونتها الخاصة كمحو جزء منها.

ومن حسن طالعها أنه كان لديها ما يشغل وقتها.

قضت آيا أسبوعًا كاملًا في تحرير مسودة أولية لقصتها، وفيها حرصت آيا على إخفاء الحقيقة المريعة حتى النهاية، مع كشف ما يكفي من الأحداث المثيرة لضمان استمرار متابعة الأفراد للمدونة. كانت هذه القصة هي الأطول على الإطلاق من بين ما نشرت آيا، إذ يستغرق عرضها عشرين دقيقة كاملة تقريبًا. وكان هيرو قد أرشدها إلى أن تختزل من كل نسخة رآها للقصة، لكن لم يراود آيا أي مخاوف من أن يشعر مطالعوها بالضجر.

لقد حوت القصة كل ما يثير الانتباه: ففيها أشخاص غريبو الأطوار، وتكنولوجيا غامضة ولقطات للبرية تخلب الألباب، بل حتى فيها لقطات لخطر كاد يودي بحياتها أثناء ركوبها فوق القطار المغناطيسي المعلق، وبالطبع الجزء الأهم على الإطلاق هو وجود أشخاص يسيرون على نهج السابقين ويحاولون تدمير كوكب الأرض ثانية، فكل ما طرحته ثورة العقول من وعود وأخطار قد لُخص في قصة واحدة كبيرة مثيرة للاهتمام.

والشيء الوحيد الذي تغاضت آيا عن ذكره في قصتها هو المخلوقات الثلاثة غير الآدمية التي رأتها هي وميكي، فلم يكن هناك أي لقطات لها، ولا شك أن الحديث عن الأسلحة الفتاكة بالمدن كان كافيًا بما ينفي الحاجة إلى إضافة ذكر مخلوقات غريبة لا يؤمن الناس بوجودها، فهي حتى لم تذكرها أمام هيرو ورين، فعلى الأرجح سيقولان إنها تعتقد في وجود المخلوقات الخيالية مرة أخرى.

تركت آيا مساحة خالية في النهاية لذكر حقيقة الأسطوانات، حالما تثبت صحة رؤية رين عن المادة الذكية، لكن آيا كانت مقتنعة بالفعل بهذه الرؤية، فقد تحققت من الحسابات الرياضية، وكذلك اكتشفت أن سكان العصر القديم

حفروا أماكن في الجبال من أجل قادتهم ليبقوا فيها على قيد الحياة أثناء انهيار باقي العالم. لقد كان كل هذا استرجاعًا حيًّا ومريعًا لحروب العصور القديمة التي أودت بحياة الملايين.

ربما ستغفر الفتيات الماكرات لآيا نشرها هذه القصة ما إن يعرفن الحقيقة، حتى إن كاي قد تستوعب أن سلامة العالم تفوق أهمية الحفاظ على سرّية بضع خدع يقمن بها.

هكذا انتظرت آيا بصبر، وأخذت تنقح القصة مرارًا وتكرارًا، وتتحمل دون شكوى تعليقات هيرو المزعجة، وكذلك أتاحت لرين أن يقضي دقيقة كاملة من وقته في إجراء الحسابات الرياضية لميكانيكا المدارات والطاقة الحركية. وكان هذا الجزء مثيرًا للضجر في البداية لكنه انتهى بانفجارات؛ إذ انتهى بتصور للقطات مصطنعة تجذب الاهتمام لمبانٍ تنهار بعد أن تمزق شظايا المعدن نصف المنصهر دعاماتها المعلقة.

وأخيرًا، وبعد أسبوع طويل تراجعت رتبة شهرة آيا عبر نطاق المائة ألف درجة. لم يعد لملكة الوحل وجود، وأصبحت آيا فيوز من جديد وللمرة الأخيرة فتاة ماكرة.

الاختبار

صاحت كاي: «هل أنت واثقة من عدم وجود أي شيء يتعقبك؟»

قالت آيا وهي تنزلق بلوحها الطائر حتى توقف: «أنا واثقة للغاية من ذلك.» ولكي يطمئن قلب آيا، تعقبتها موجل طوال الطريق من أكيرا هول لتراقب وجود أي كاميرات لا تزال تتبعها من أيام شهرتها القصيرة كملكة الوحل. وزيادة في التأكيد، غرس رين ست كاميرات تجسس في سترة مسكن الطلاب التي ترتديها آيا لكي تغطي الاتجاهات كافة، ولم تلحظ الكاميرات أي شيء يتعقبها.

سألتها آيا: «أين بقية الفتيات؟» كانت إيدن وكاي فقط هما اللتان تنتظرانها عند حافة المدينة.

قالت إيدن: «سيتغيبن الليلة، فالجو عاصف قليلًا بما لا يناسب الركوب فوق سطح القطارات، لكننا خلنا أنك ستكونين متلهفة للركوب فوق سطح القطار بما أنك أنهيت فترة الحظر لتوك.»

تجهمت آيا: «حقًّا؟» فلقد لاحظت آيا الريح عند خروجها من المنزل، لكنها لم تبدُ عاصفة بتلك الدرجة، وأردفت: «شكرًا لكما، فقد بدأت أشعر بالضجر من المكوث بغرفتي بمسكن الطلاب.»

– «هذا ما تجنينه من التسكع مع المشاهير.» ضحكت كاي ثم أردفت: «ربما لو كان أنفك صغيرًا، لم يكن بإمكانك جذب هذا العدد الكبير من الصبية الحسان.»

أدارت آيا عينيها استهجانًا، الآن أضحى أنفها جميلًا أكثر مما ينبغي؟ «مهما يكن يا كاي، أنا أريد الدخول إلى ذلك الجبل مرة أخرى فحسب، فقد كنت أجري بعض الأبحاث وتوصلت إلى نظرية بشأن هذه الأسطوانات.»

قالت إيدن: «أنا أحترق شوقًا لسماعها، لكنك للأسف تأخرت قليلًا.»

سألتها آيا بهدوء: «أتقصدين أنك تعرفين عنها شيئًا ما بالفعل؟»

ابتسمت إيدن ابتسامة عريضة وهزت رأسها بالنفي: «لا، أنا أقصد فقط أن اسم كاي تغير إلى لاي هذه الأيام.»

قالت لاي: «إن بقاء المرء مغمورًا يعد صراعًا لا ينتهي، لكنك صرت تعرفين كل شيء عن هذا الآن، أليس كذلك يا ملكة الوحل؟»

التفتت آيا لإخفاء شعورها بالارتياح وقالت: «بالطبع يا لاي.» وكان هدير القطار قد بدأ يعلو لتوه أسفل قدميها.

قالت لاي وهي تبتسم: «لا تقلقي بشأن ابتعادك عن ممارسة اعتلاء أسطح القطارات فترة أيتها الفضولية؛ فاعتلاء أسطح القطارات كالركوب فوق اللوح الطائر؛ هو أمر لن تنسيه أبدًا.»

كان تيار الهواء أسوأ من أي مرة سابقة.

وازدادت الريح قوة حينما اقترب القطار من حافة المدينة، وبينما كانت آيا منبطحة فوق لوحها الطائر، كان باستطاعتها أن تشعر بكل شدة قوية واهتزازة بالهواء. وكان النسيم يهب باستواء بمحاذاة منحنى المنعطف، واختلطت قوته بالاضطراب المصاحب لمرور القطار، فأصبحا كنهرين سريعين يندمجان في منحدر نهري ثائر.

وأدى التقاؤها الأول بتيار الهواء المتدافع حول القطار إلى تموجها بسرعة في الهواء وشعورها بالتفاف السماء والأرض من حولها، ولم يعنها على التشبث سوى أساور إيدن الواقية من الصدمات ذات القوى المضاعفة؛ وأصبحت مفاصل أصابعها بيضاء اللون من قوة تشبثها بالحافة الأمامية للوح الطائر.

حينئذ كافحت آيا لإحكام قبضتها على اللوح ودفعت به بقوة ليستقيم ثانية، لكن في كل مرة كانت تدفع اللوح بحذر جهة القطار، كانت الاضطرابات الهوائية تقذف بها في دوران آخر.

لا عجب أن لاي وإيدن أخبرتا الفتيات الأخريات بالبقاء في منازلهن!

حينئذ بدأ القطار في إصدار صوت صفير — إذ كان يستقيم ثانية ويزيد من سرعته — صرت آيا على أسنانها، فمن المستحيل أن تقضي يومًا آخر حبيسة غرفتها بمسكن الطلاب وتكبت أهم قصة سيشهدها الناس منذ حدوث ثورة العقول ...

مالت آيا ميلًا شديدًا جهة اليسار وساقت لوحها الطائر بعنف تجاه القطار ثم دفعت به نحو حاجز تيار الهواء المتدافع حول القطار.

عندئذ مر اللوح الطائر بعدة تموجات أخرى سريعة في الهواء، ولكن آيا لم تقاومها هذه المرة، فقد جعلت العالم يدور من حولها عشرات المرات، حتى صار نمط أضواء قضبان القطار ثابتًا. وبعد ذلك دارت وسط الاضطرابات الهوائية بعد أن استعانت بالحركة الدائرية للوح في حملها.

وفي الهواء الأكثر هدوءًا، كافحت آيا لإعادة التوازن للوحها الطائر، وعلى الرغم من أن رأسها كان لا يزال في حالة دوران فقد امتد القطار بجانبها بثبات شديد وكأنه منزل ثابت في مكانه.

انزلقت آيا نحو الجانب المعدني للقطار وتسلقت إلى سطحه.

كانت لاي وإيدن واقفتين بالفعل فوق القطار على بعد أمتار قليلة يراقبانها باستمتاع.

صاحت لاي: «لم يكن أداؤك سيئًا، ربما أنت جاهزة الآن لتعلم بعض الخدع الجديدة!»

كان القطار لا يزال يزيد من سرعته، فلم تجبها آيا؛ إذ كانت تحرك يديها بسرعة لكي تربط السوار الواقي من الصدمات حول كاحلها. واستطاعت آيا الوقوف فوق سطح القطار في الوقت الذي بدأ القطار يتخذ فيه سرعته الثابتة. بعدها عم الصمت بين الفتيات الثلاث أثناء ركوبهن فوق القطار، والتزمن بالانحناء لتجنب المخاطر، ومرت البرية سريعًا على كلا الجانبين.

وسرعان ما بزغت سلسلة الجبال في الأفق، وكانت كتلتها السوداء تبعث على التشاؤم مئات المرات أكثر مما كان الحال من قبل بعدما عرفت آيا ما بداخل الجبل.

كان رين قد أرسل إليها اليوم المزيد من البيانات الحسابية التي توضح أن الجبل هو المكان الوحيد الذي يمكن فيه إخفاء ناقل دفعي للكتل المعدنية، كبير بقدر كافٍ يمكنه من إطلاق قذيفة في المدار، علاوة على ذلك تكون الظروف مواتية عند قمم الجبال؛ فالغلاف الجوي يكون أكثر ضآلة، أي تتعرض الأسطوانات لمقاومة هوائية أقل عند مغادرتها الممر المجوف. لا بد أن صاحب هذا التصميم استغرق وقتًا طويلًا في التفكير بعمق بشأن كيفية تدمير العالم.

وبينما اقتربت القمم السوداء من آيا، تساءلت للمرة الأولى هل كان هواة انتقاد ثورة العقول أمثال الشخص النكرة محقين في آرائهم؛ فربما تشكل البشرية خطرًا كبيرًا بقدر يستوجب تقييد حرياتها. فلم يمض سوى ثلاث سنوات منذ

تناول علاج تلف المخ، وقد صمم أحدهم بالفعل سلاحًا كان سيُشعر سكان العصر القديم بالفخر.

لكن على الأقل سيهون هذا الاكتشاف من خيانة آيا للفتيات الماكرات، فحالما سيعرفن الهدف من الناقل الدفعي للكتل المعدنية، سيتفهمن أنه لا يمكنهن أن يبقين على الأمر سرًّا بعد الآن.

سألتها لاي: «إذن ما نظريتك؟»

– «حسنًا، إنها تتعلق بهذا الشيء.» ثم وجهت ضوء مصباحها نحو الباب السري.

كانت إيدن مارو جاثية بجواره وهي تمسك جهاز اختراق المادة الذكية بيديها، وتحرك أصابعها بسرعة فوق أزرار التحكم فيه. وكان النفق حالك الظلمة، إذ لا يوجد به أي ضوء سوى الضوء المنبعث من مصباح آيا اليدوي — أما الفتاتان فكانت لديهما رؤية بالأشعة تحت الحمراء — ولكن دبت الحياة في الظلام من حولهن حينما انبعث صوت طنين من الباب.

سألت لاي: «أتقصدين جهاز اختراق المادة الذكية؟»

– «بالضبط.» ثم مررت آيا ضوء مصباحها اليدوي فوق سطح الباب وشاهدته وهو يتموج، وتسللت إلى أنفها رائحة المطر، ثم أردفت: «ماذا لو كانت هذه الأسطوانات تحمل مادة ذكية؟»

التفتت إيدن إلى لاي، لكنهما لم ينبسا ببنت شفة.

استطردت آيا: «أظن أن الممر المجوف الذي عثرت عليه إيدن يشبه الناقل الدفعي للكتل المعدنية، وإذا كانت الأسطوانات تستطيع تغيير شكلها، فلا بد أنها قذائف من نوع ما.»

للحظة لم يكن هناك أي صوت سوى صوت طنين المادة الذكية، ثم قالت لاي: «أتقصدين أن هذا الجبل بأسره ليس إلا سلاحًا؟»

– «بالضبط، سلاح عتيق من طراز ما، استخدمه سكان العصر القديم.»

– «نظرية مشوقة.» وشاهدت إيدن الطبقات الأخيرة للباب وهي تتحرك جانبًا كاشفة عن الوميض البرتقالي للنفق، ثم أردفت: «ما مدى تيقنك من هذا الأمر؟»

– «على نحو لا يقبل الجدل إلى حد بعيد، وبوسعي إثبات ذلك عندما نصل إلى الأسطوانات.»

خطت الفتيات الثلاث إلى الأمام ثم استدارت إيدن لغلق الباب السري مرة أخرى، وكما هو متوقع، ستكون موجل حبيسة الجهة الأخرى الليلة، ولكن على الأقل كان لدى آيا كاميرات التجسس.

قالت لاي: «إنه تفكير ذكي! لكنك لست الذكية الوحيدة هذا الأسبوع.»

تجهمت آيا، فلم تظهر حتى علامات المفاجأة على أي منهما. قالت آيا: «هذا الأمر خطير يا لاي، هذه الأسطوانات من الممكن أن تدمر مدينة بأكملها، إنها أكثر فتكًا من أي سلاح استُخدم في حرب دييجو.»

– «قد يكون ذلك صحيحًا أيتها الفضولية، لكن انتظري حتى ترين ما خططنا له.»

– «لكن هذا قد يعني ...»

– «قلت انتظري يا آيا!»

تموج الباب ثم انغلق وسكتت آيا؛ فلقد نسيت أن إيدن مارو هي أيضًا من جماعة مهاويس التكنولوجيا وتفوق رين شهرةً. ما الذي كانت هي والفتيات الماكرات يدبرنه الأسبوع الماضي؟

شقت الفتيات الثلاث طريقهن عبر المداخل الحجرية وهن يمررن بمعدات وأشياء تعتريها الفوضى. وعندما وصلن إلى غرفة الأسطوانات، توقفت آيا لحظة عند أعلى الدرج لكي تتيح الفرصة لكاميرات التجسس كي تلتقط صورًا لصفوف الصواريخ المعدنية.

قالت إيدن: «ماذا بك أيتها الفضولية؟»

– «إذا أعرتني جهاز اختراق المادة الذكية لحظة، سوف أريكما شيئًا ما.»

حذرتها إيدن قائلة: «إنه ليس لعبة.»

– «أعلم ذلك، دعيني أجرب شيئًا ما فحسب.»

قالت لاي: «دعيها تجرب. قد يكون الأمر مشوقًا.»

تنهدت إيدن ثم أعطت الجهاز لآيا. كان الجهاز أثقل مما يبدو، ويكتظ جزؤه العلوي بأزرار التحكم والقراءات. وكان رين قد سبق أن حذرها من أن هذا الجهاز يعد واحدًا من الأجهزة القليلة التي صممت عمدًا بحيث تكون صعبة الاستخدام، إذ لا يقدم أي إرشادات صوتية أو شاشة تعليمات سهلة الاستخدام، ليضاهي في غموضه وعدم اتصاله بشبكة المدينة الآلات الصغيرة التي استخدمها سكان العصر القديم والمعروضة في متحف المدينة.

شقت آيا طريقها إلى أسفل الدرج واختارت إحدى الأسطوانات عشوائيًا، ثم أخرجت شريحة الذاكرة التي أعطاها إياها رين من جيبها ووضعتها داخل قارئ جهاز الاختراق.

قالت إيدن باستهزاء: «هل أعددت شفرة لجهاز اختراق المادة الذكية؟ لديك العديد من المواهب الخفية، أليس كذلك؟»

هزت آيا كتفيها، فقد سئمت الكذب.

بدأ جهاز اختراق المادة الذكية في عمله، ثم وضعته آيا على الجانب المعدني الأملس للأسطوانة، فامتلأ الهواء بصوت طنين، ولكنه كان أضعف كثيرًا من صوت طنين الباب السري، إذ كان يشبه هدير قطار يقترب، غير أنه في سلاسته كان يشبه الصوت الصادر عن تحرك قوس الكمان فوق أحد أوتاره.

امتلأ الجو برائحة الأمطار والبرق كالرائحة التي تسللت إلى أنفها عندما فُتح الباب السري.

بدأت الأسطوانة في التغير وتموجت ببطء لتتخذ شكلًا آخر وكأنها معدن مذاب ينسكب في قالب غير مرئي. وتحولت في البداية إلى شكل مخروطي برأس مستدير أبيض باهت اللون، وهو ما تنبأ رين بحدوثه؛ فالجزء الأبيض مصنوع كلية من مادة ذكية وهو درع حراري لحماية الأسطوانة من الاحتراق أثناء رحلتها إلى المدار. وبعد ذلك نتأت من جوانب الأسطوانة أربعة أجنحة قصيرة وسميكة، وامتد أحدها تجاه آيا وكأنه قدم كاذبة لبكتيريا ما من المعدن.

تراجعت آيا إلى الخلف وهي مفتونة بالأشكال التي تتموج أمام عينيها.

غيرت الأجنحة من اتجاهها واستدارت، فهي مصممة كي تستخدم الجزء العلوي من الغلاف الجوي لتوجيه الصاروخ نحو المدار الصحيح، ثم توقفت عمليات التحول وكأنها سائل تجمد فجأة في البرودة ثم استقر المعدن أمامهن دون حراك.

لعله ينتظر تعليمات محددة تفوق الأوامر البسيطة التي برمجها رين.

سألت لاي: «أهذا كل ما في الأمر؟»

تجهمت آيا ثم قالت: «أظن ذلك. لكن أرأيت هذه الأجنحة، هذا يعني أن هذه الأسطوانة صاروخ، أليس كذلك؟»

ابتسمت إيدن: «هذا ما حسبناه، ومع ذلك أحسنت صنعًا في إثبات رأيك.»

صاحت آيا: «هل أدركتما الأمر؟»

هزت لاي كتفيها وقالت: «بإدراكنا أن الممر المجوف كان ناقلًا دفعيًّا للكتل المعدنية أصبحت بقية الحقيقة واضحة، لكنك تستحقين الإشادة يا آيا؛ فنحن لم نفكر في اختبار الأسطوانات. كنا نفكر في النصف الآخر من المعادلة.»

– «ما النصف الآخر من المعادلة؟»

– «فلتأتي ولتنظري يا ملكة الوحل.»

أمسكت إيدن بيد آيا بقوة وجذبتها نحو مدخل الناقل الدفعي، وتسلقت الفتيات الثلاث بجهد داخل النفق، ومررن بغرفتي الهواء المضغوط، حتى وصلن إلى حافة الممر المجوف، ثم أشارت لاي إلى أسفل العمود المظلم.

– «أتلحظين أي شيء جديد؟»

تلاشى ضوء مصباح آيا اليدوي قبل أن يصل إلى القاع. «لا أستطيع رؤية أي شيء يا لاي، ليس لدي رؤية بالأشعة تحت الحمراء، أتذكرين؟»

– «صحيح، إذن فلتلقي نظرة عن قرب.»

وضعت لاي إحدى يديها بإحكام في منتصف ظهر آيا ثم دفعتها من فوق الحافة إلى الفراغ الموجود أمامهما.

السقوط في الممر

لكن هذه المرة لا بد أنه قد أعيد برمجة أساور الصدمات الخاصة بإيدن مارو، فهي لم تكبح سقوط آيا بوقوف مفاجئ هذه المرة، وإنما أبطأت من سقوطها وأخذت تنزل بها بلطف في الظلام.

شعرت آيا بالذعر لحظة وساورها الشك في أن إيدن ولاي قد اكتشفتا حقيقة أمرها ويخططان لتركها هنا بالأسفل، ثم سمعت أصوات قهقهتهما التي لحقت بها عبر الممر.

صاحت آيا: «يا لها من دعابة سخيفة!» مرت إيدن بجانبها ببطء وهي تقول: «أتمنى ألا تكوني خائفة من السقوط يا آيا؛ فهذا الأمر قد يمثل مشكلة.»

– «ما الذي تقصدينه بهذا الكلام؟»

لم تجبها إيدن، ولم يكن منها سوى أن أمسكت بقدمي آيا وأرشدتهما نزولًا حتى استقرتا فوق أرضية حجرية.

دعكت آيا كتفها المتألمة وهي تحرك مصباحها اليدوي بيدها الأخرى. كان الممر أكثر اتساعًا هنا، وكان ثمة جهاز غريب الشكل يقف في منتصفه، عبارة عن أربعة ألواح طائرة بعيدة المدى مربوطة معًا بشرائط معدنية دون إتقان، وتتكدس داخلها مجموعة متشابكة من الروافع الصناعية.

– «لم تعثري على هذا الشيء هنا، أليس كذلك؟ لقد صنعتِه؟»

– «بالطبع، إنها مزلجتي الصاروخية الصغيرة.» ثم ربتت إيدن فوق أقرب لوح منها وأردفت: «أراهن أنك متلهفة لأن تركبيها.»

– «أركبها؟ أين؟»

شدت إيدن السلسلة الملتفة حول رقبتها بقوة، وجذبت صفارة من داخل عدة الكرة الطائرة ثم نفخت وجنتيها، وأطلقت صفيرًا طويلًا يخرق الأذن.

قالت آيا وهي تغطي أذنيها بعد فوات الأوان: «يا إلهي! ألم يمكنك أن تحذريني قبلها؟»

استقرت لاي فوق الأرضية بجوار آيا، وكانت تقهقه وهي تتأرجح بين السوارين الواقيين من الصدمات، ثم جاء صفير من الأعلى ردًّا على صفير إيدن.

نظرت آيا إلى أعلى ورأت بصيص ضوء أعلاها، كان ضوء القمر.

قالت لاي: «كانت الفوهة مغلقة بحيث يمكن ضخ الهواء إلى الخارج، ومما لا شك فيه أن هذه الأسطوانات يمكنها اختراق البلاستيك، لكن نظرًا لأننا سنكون القذيفة، أرسلت الفتيات إلى القمة لإخلاء الطريق.»

– «سنكون ماذا ...؟» بدأت آيا سؤالها ثم تجهمت وأردفت: «لكنك قلت إن الفتيات سيتغيبن الليلة؟»

قالت لاي وهي تتنهد: «لقد كذبت، والكذب ليس بالسلوك القويم، أليس كذلك؟»

نظرت آيا إلى المزلجة الصاروخية ثم قالت: «تمهلي، هل شغلتن الناقل الدفعي للكتل المعدنية؟»

قالت إيدن: «كلا، البتة. فمع وجود وقود في هذه الحلقات النحاسية، قد يؤدي التسارع إلى وقوعنا صرعى، لكن ثمة معدنًا في الناقل الدفعي كافيًا لأن تنطلق الألواح الطائرة في الهواء، وكذلك يمكن لمزلجتي الصاروخية الانطلاق بسرعة إلى حد ما أيضًا.»

– «نحن؟ لكن ماذا سيحدث عندما نصل إلى النهاية؟»

قالت لاي: «يحدث القصور الذاتي ومن ثم الطيران وسنحظى بالاستمتاع حينها.»

اجتاحت آيا مشاعر الدهشة ثم قالت: «وماذا عن الجاذبية؟ من الممكن أن ينتهي بنا الحال على ارتفاع مئات الأمتار في الهواء!»

هزت إيدن رأسها بالنفي وقالت: «كلا، أكثر ارتفاعًا من ذلك أيتها الفضولية.»

– «لكن كيف من المفترض أن تهبط مزلجتك الصغيرة؟ لا يوجد شبكة معدنية هنا، وستسقط هذه الألواح الطائرة كالحجارة.»

ابتسمت لاي ثم قالت: «ألم تسمعي الشائعات التي ترددت عنا أيتها الفضولية؟»

وجهت إيدن مصباحها اليدوي إلى الأرض، وكشف ضوء مصباحها عن أربع حزم تشبه حقائب ظهر تمتلئ بالملابس وتتدلى منها أحزمة مطاطية.

تذكرت آيا قصة هيرو عن الفتيات الماكرات وشائعات قفزهن من الجسور ... باستخدام مظلات.

مظلات منزلية الصنع، لأن الكوة الذكية لن تقدم مظلات حقيقية.

– «سحقًا.»

قالت إيدن: «فقط لا تجذبي الحبل قبل أن أعد حتى ثلاثين. ففي ليلة كهذه قد تحملك الريح في الهواء ساعات إذا فتحت المظلة على ارتفاع أعلى مما ينبغي؟»

– «لكنني لا ...»

قالت لاي: «في المرة الأولى التي فعلت فيها ذلك انتهى بي الحال في منتصف المسافة إلى المحيط واستغرقت ساعات للعودة.»

شعرت آيا بخفقان في رأسها، وقالت: «أتقصدين أنك فعلت هذا من قبل؟»

أعلنت لاي وهي تبسط أصابعها الخمسة: «خمس مرات! لقد قضينا الأسبوع كاملًا في التدرب وتجهيزه لك خصوصًا!»

حدقت آيا في بصيص ضوء القمر وقالت: «ماذا تقصدين بتجهيزه لي خصوصًا؟»

حينئذ بدأ السواران الواقيان من الصدمات الخاصان بها في العمل فجأة ودفعا برسغيها إلى الجهاز الغريب، فأخذت آيا تثني رسغيها وتسحبهما في محاولة منها للتخلص من هيمنة القوى المغناطيسية، لكن رسغيها كانا مثبتين بإحكام.

صاحت آيا: «ماذا تفعلان؟»

رفعت إيدن إحدى حقائب الظهر ووضعتها على ظهر آيا، فبدأت أحزمتها في العمل والتفت كالثعابين حول فخذيها وكتفيها.

قالت إيدن: «كل ما في الأمر أننا نحاول التأكد من أن لقصتك نهاية تذهل العقول.»

ضحكت لاي وقالت: «نحن لا نريد أن نخيب أمل معجبيك!»

– «لكنني لست ...» حينئذ خبا صوت آيا وسقطت فجأة تجاه المزلجة الصاروخية، ولم تجادلهما على الإطلاق.

وعلى نحو مثير للغرابة شعرت آيا بارتياح لمعرفتهما الحقيقة، قائلة: «كيف عرفتما بالأمر؟»

قالت إيدن: «أتظنين أننا أغبياء أيتها الفضولية؟ وأننا لم نلحظ أنك تطرحين الكثير من التساؤلات عليّ وعلى ميكي للحصول على معلومات؟»

وأضافت لاي: «أو أننا صدقنا أنك سمعت صوت القطار من بعد مسافة خمسين كيلومترًا؟ كيف كان ذلك، هل كان هناك كاميرا طائرة مثبتة بالقضبان؟»

هزت آيا رأسها بالنفي والدموع تؤلم عينيها، ثم قالت: «كلا، كانت موجل مختبئة عند قمة الممر.»

ضحكت لاي وقالت: «أجل موجل. كان هذا الإثبات الأخير، تلك اللقطات التي التقطها الناقدون لك أنت وفريز ميزونو.»

– «أنا وفريز؟ ولكن موجل لم تكن على مقربة منا على الإطلاق!»

– «ربما لم تكن على مقربة منك، لكن صديقتك الصغيرة ظهرت في إحدى خلفيات الصور بعيدًا تطارد صواريخ بلاستيكية وعجلات حربية بينما كنتما تتبادلان النظرات. لم أدرك حتى إنها موجل في البداية، حتى لاحظت إيدن تلك الروافع الكبيرة في الجزء السفلي، ثم بدأنا جميعًا نتساءل لماذا لم تكن هذه الكاميرا تحديدًا في قاع البحيرة حيث ينبغي أن تكون.»

ابتلعت آيا ريقها ثم قالت: «حسنًا، أنا مدونة أخبار. ما الذي ستفعلانه بشأني؟»

جذبت إيدن أحزمة المظلة بإحكام أكثر ثم قالت: «أليس هذا واضحًا؟ سنأخذك في نزهة جنونية.»

نزهة جنونية

مكتبة
t.me/t_pdf

ربطت لاي وإيدن أحزمة حقيبتي ظهرهما ثم ربطتا المظلة الرابعة بالمزلجة، ووقفت الفتاتان بجوار آيا على كلا الجانبين، حيث كانت الفتيات الثلاث على مسافة متساوية حول الجهاز كل منهن في مواجهة الأخرى، وكأنهن ثلاثة أطفال يمسك كل منهم بيد الآخر.

شعرت آيا بشيء من الارتياح، فعلى الأقل سيرافقانها في هذه المغامرة.

– «كيف تشعرين وأنت ترتدين المظلة أيتها الفضولية؟ هل هي محكمة؟» ثنت آيا رسغيها لكنهما لم يتزحزحا. قالت آيا: «للغاية.» لا بد أن أحزمة المظلة مأخوذة حتمًا من سترة قفز مطاطية؛ فقد كانت مرنة لتتماشى مع تحركات آيا، لكنها ظلت ملتفة بإحكام حول ذراعيها وفخذيها على نحو يبعث على الطمأنينة. غير أن ذلك لم يكن مجديًا في أن يجعلها تنسى أن روافع السترات، التي ليست ذات فائدة هنا في البرية، قد استُبدلت بحشو كبير من الحرير.

كانت حياتها تتوقف على قطعة من القماش.

تذكرت آيا على نحو غير واضح النظرية القائلة إن للمظلات مساحة سطح أكبر من الإنسان؛ لذا يسقط المرء كريشة وليس كحجر، وهذا في حالة عدم شعوره بالذعر وعدم نسيانه أن يجذب الحبل، وكذلك في حال إن انفتح الجهاز منزلي الصنع دون أن يتشابك ...

– «أفعلت هذا من قبل حقًّا؟»

قالت إيدن: «إجمالي الرحلات سبع وعشرون رحلة عبر الممر، ولم يكن من بينها سوى رحلة واحدة أصبت فيها بكسر في الساق.»

ابتسمت لاي وقالت: «هذا مطمئن.» ثم أردفت: «حاولي الاسترخاء، هناك شيء واحد تعلمناه من القفز من فوق الجسور، وهو أنه لا يموت إلا الشخص الذي يشعر بالتوتر.»

بادرت آيا بالسؤال: «هل أنت ...؟» لكنها أدركت أنها لا تريد أن تعرف ما إذا كانت لاي جادة في حديثها أم لا. ولعل هذا هو السبب الحقيقي لمقت الفتيات الماكرات لنشر أخبارهن؛ فخدع كهذه قد تؤدى لنتائج سيئة، سيئة للغاية.

شدت آيا السوارين الواقيين من الصدمات مرة أخرى، لكنهما كانا ملتحمين تمامًا بهيكل المزلجة.

كانت إيدن تعد الأرقام تنازليًّا بالفعل. «ثلاثة ... اثنان ... واحد ...»

توقعت آيا حدوث هزة عنيفة، لكن الانطلاق كان هادئًا على النحو الذي يقلع به أي لوح طائر، لكن سرعان ما زادت سرعة المزلجة الصاروخية أكثر وأكثر، ومرت الحلقات النحاسية سريعًا على جانبيهن كوميض غير واضح.

نظرت آيا بعينين نصف مغمضتين إلى أعلى صوب النقطة الدقيقة لضوء القمر، وبينما مرت جدران الممر بجانبها سريعًا، بدأت فكرة مثيرة للذعر تنمو بداخلها، فماذا لو كانت هذه التجربة هي فكرة الفتيات الماكرات للتخلص من آيا إلى الأبد بطريقة مسلية؟ ماذا لو كانت آيا لا ترتدي بالفعل مظلة، وكانت حقيبة ظهرها تمتلئ بملابس قديمة؟

قالت آيا باستجداء: «أنتما تعلمان لماذا اضطررت إلى الكذب عليكما، أليس كذلك؟ ألا تريان مدى أهمية هذه القصة؟»

صاحت إيدن ليعلو صوتها فوق صوت الريح وقالت: «لقد كنت تكذبين منذ البداية أيتها الفضولية، أنت لم تكوني تحاولين إنقاذ العالم، بل كنت تسعين فحسب إلى نيل الشهرة.»

فتحت آيا فمها لكن لم تنبس ببنت شفة، فأيًّا كان ما أقنعت به نفسها الأسبوع الماضي، فهناك حقيقة واحدة باقية، وهي أن نجاحها في أن تنضم إلى الفتيات الماكرات كان مبنيًّا على الكذب.

وفي النهاية تمكنت آيا من التحدث: «كنت غاضبة منكن لإسقاط موجل.»

قالت لاي: «كان هذا خيارك.»

– «أنتما على حق، لقد كذبت! لكن المشكلة ما زالت قائمة، فيجب أن يعلم الناس بهذا الأمر.»

لم تجبها أي منهما وبددت الريح كلماتها.

صاحت آيا قائلة: «هذا السلاح قد يصل إلى أي مكان بالعالم! عليكما أن تدعاني ...»

صاحت لاي: «فلننطلق!»

فجأة ازداد العالم سطوعًا ... فلقد انطلقت الفتيات نحو ضوء القمر! وحينئذ تغير الضغط في أذني آيا وشعرت بطنين في رأسها. ولمحت بعينيها على نحو خاطف الفتيات المهللات عند قمة الجبل، لكنها مرت بهن بسرعة البرق، وأصبح الأفق بأكمله ممتدًّا من حولها.

صاحت لاي وابتسامتها الجنونية تشع بالسعادة كابتسامات الفتيات الحسناوات: «يا لها من لقطة ستخلب الألباب! أرجو أن تكوني قد أحضرت كاميرات التجسس!»

ضيقت آيا عينيها في مواجهة الريح وقد غلبها الذهول من مدى الارتفاع الذي وصلن إليه، ورأت خيوطًا بيضاء تتلألأ في ضوء القمر فوقهن، وبدت وكأنها تتبدد كلما اقتربن منها، ثم تحولت إلى خصلات شعر باهتة في كل جانب.

ابتلعت آيا ريقها وهي تنظر حولها، لقد وصلن بالفعل إلى أقرب السحب من الأرض ...

أصبح المشهد ضخمًا فجأة، وامتدت سلسلة جبال كاملة حولهن وبدا خط القطار المغناطيسي المعلق الذي يخترقها كخيط فضي.

حررت لاي إحدى يديها من قبضة المظلة، وأشارت إلى وميض الألواح الشمسية على كل من جانبي القضبان أسفلها. «من هذا المكان يحصل الناقل الدفعي للكتل على طاقته، فهو يسرقها من الألواح الشمسية للقطار المغناطيسي المعلق. فإذا ما توقفت جميع القطارات، فسيتوفر وقود كاف لقذف أسطوانة كل دقيقة.»

وجهت آيا كاميرا التجسس بكتفها اليسرى لتصوير اللقطة؛ فهذا التسلسل للقطات قد يكون أكثر إثارة من أي شيء آخر حتى الآن، هذا إذا كانت مظلتها تعمل بالفعل ...

بدأت سرعة صعودهن تقل، وبدأت السماء تستدير بحركة بطيئة من فوقهن حينما شرعت المزلجة في الدوران، وشعرت آيا بدوار لحظي يحدق بها.

سألت آيا: «هل ستجعلانني أنشر هذا فعلًا؟»

أجابتها إيدن: «بالطبع.»

– «لكنكن لن تتمكن من المجيء إلى هنا أبدًا.»

أطلقت لاي ضحكةً ثم قالت: «من حسن حظك أنه تصادف أن الفتيات الماكرات تحب العالم، فقد لا نكون باحثات عن نقاط الاستحقاق، لكن آلات الدمار لن تمكننا من تأدية الخدع هي الأخرى.»

راقبت آيا بعينيها أضواء المدينة في الأفق وهي تحاول أن تتخيل العدد الذي لا يحصى من قطع الصلب المشكلة بالديناميكية الهوائية والموجهة نحو الأهداف بدقة، وهو ينهمر سريعًا من الطبقات الخارجية للغلاف الجوي.

شعرت آيا بغثيان، وفجأة بدت السماء ثابتة من حولهن باستثناء الدوران البطيء للمزلجة.

لقد خمدت الريح تمامًا.

– «هل سنسقط الآن؟»

قالت إيدن: «حان وقت النزول، لكنك أوشكت على تعلم تعريف جديد للسقوط يا آيا-تشان.»

شعرت آيا بالغثيان مرة أخرى وقالت: «رباه.» كأن شيئًا ما في معدتها يندفع إلى الخارج، ولا يريد أن يكون في الهواء على ارتفاع عدة كيلومترات من الأرض، ولم يكن لديها سوى حقيبة ظهر مليئة بالحرير وبصحبة فتاتين مجنونتين وأربعة ألواح طائرة عديمة الفائدة.

صاحت إيدن: «أصغي إلي الآن يا آيا، عندما تهبطين توجهي مرة أخرى إلى خط القطار المغناطيسي المعلق واستدعي لوحًا طائرًا باستخدام السوارين، لقد تركنا واحدًا في انتظارك عند القضبان.»

أومأت آيا برأسها وحاولت أن تحتفظ بتركيزها، هذه هي النهاية التي تذهل العقول التي تحتاج إليها قصتها، ولا يتبقى أمامها سوى بضع ثوان لإنهاء القصة.

– «ماذا ستفعلن بعد أن يذيع صيتكن الآن؟»

قالت لاي: «سنغادر المدينة الليلة.» كانت الريح تزداد قوة مرة أخرى وكان شعرها يطير إلى أعلى، مما جعلها تبدو أكثر جنونًا مما تبدو عليه في العادة، وأردفت: «سنغير شخصياتنا، هذا سبب إحضارك معنا في هذه المغامرة، لكي نحرز قصب السبق.»

لم تستطع آيا بعد أن تصدق ما يحدث: «لكن ألا تدركن مدى الشهرة التي ستحظين بها إذا ما كُشِف النقاب عن هذا؟ ألا تدركن كم نقاط الاستحقاق التي ستحصلن عليها؟»

قالت لاي: «هذه القصة ستجلب ما هو أكثر من نقاط الاستحقاق.» ثم حررت أحد سواريها الواقيين من الصدمات وبسطت ذراعها فوق المزلجة نحو آيا ثم أمسكت بيدها بقبضة قوية وقالت: «توخي الحذر يا آيا.»

– «لا تقلقي، سأعد حتى ثلاثين.»

– «لا، أقصد عليك توخي الحذر بعد نشر هذه القصة.»

بدأت المزلجة في الدوران أسرع أثناء سقوطها، وأخذت السماء والأرض تلتفان من حولها: «مما أتوخي الحذر؟»

صاحت لاي ليعلو صوتها فوق صوت الريح وقالت: «من كل شيء، ومن الجميع! فأيًّا كان الشخص الذي بنى هذا الشيء الضخم الغريب فلا بد أنه خطير.»

بدأت المزلجة تميل الآن وتتدحرج على جانبها، واستحال الدوران إلى سقوط مضطرب. سألت آيا وهي تجذب سواريها الواقيين من الصدمات وتلتوي في الهواء: «بما أنك تحدثت عن الخطر، ألا ينبغي لنا التخلي عن المزلجة؟»

صاحت لاي: «توخي الحذر فحسب، واستمتعي بشهرتك.»

ثبتت لاي إحدى قدميها على صدر آيا ثم دفعتها بعيدًا.

دارت آيا في الهواء رأسًا على عقب، بعيدًا عن المزلجة وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة. لقد أصبحت فجأة وحدها تمامًا تسقط في الهواء لا حول لها ولا قوة؛ فعلى الرغم من أن المزلجة لم تكن سوى مجموعة من الألواح الطائرة عديمة الفائدة، فقد كانت على الأقل تمدها بشيء تتشبث به منذ لحظة مضت.

الآن أصبحت آيا وحدها وسط الريح الهادرة.

بسطت آيا ذراعيها في محاولة منها للسيطرة على سقوطها، وكان يفترض بها أن تعد حتى ثلاثين قبل سحب الحبل، لكن هل يبدأ العد من قمة موضع السقوط ... أم من اللحظة التي دفعتها فيها لاي؟

وكم ثانية مرت بالفعل؟

بدأ هبوط آيا يتخذ وتيرة مطردة تدريجيًّا، لكن كانت عيناها تفيضان بالدمع بسبب الريح، وظهرت الأرض كشيء مظلم غير واضح المعالم أسفلها. وإذا فتحت المظلة قبل الأوان بكثير، فلا تعلم مطلقًا المسافة التي ستحملها الريح خلالها.

نظرت آيا حولها باضطراب شديد باحثة عن الفتاتين الأخريين، ورأتهما على بعد عشرة أمتار منها، يتشبثان بالمزلجة، مدت إيدن يدها إلى الداخل لتسحب حبل

المظلة الخاص بالمزلجة. وابتعدت الفتاتان عن المزلجة ورأت آيا هالة متموجة من القماش تندفع من أعلى.

امتلأت المظلة بالهواء، وانطلقت المزلجة إلى أعلى في الظلام بعيدًا عن لاي وإيدن.

ازدادت معالم الأرض وضوحًا أسفلها، وصار باستطاعة آيا أن ترى الفتيات الماكرات الآن، إذ شكلت أضواء مصابيحهن اليدوية دائرة حول فوهة الناقل الدفعي للكتل المعدنية.

أصبحت لاي وإيدن على بعد عشرات الأمتار منها الآن، وهما لا تزالان تصيحان بشدة وتمرحان في كل لحظة من قفزتيهما الأخيرتين، وأدركت آيا أن انتظارها حتى يسحبا الحبل قد لا يكون بالفكرة السديدة.

حدقت آيا نحو الأرض التي تدور سريعًا أسفلها، إذ كان هبوطها يزداد سرعة الآن وكذلك برزت الأشجار والحجارة والشجيرات أمامها، وتخيلت نفسها وهي ترتطم بالأرض بأقصى سرعة ...

وأخيرًا سحبت الحبل.

امتلأت المظلة بالهواء فوق رأسها وتحركت في الهواء باضطراب للحظة، ثم اتخذت شكلها محدثةً صوتًا قويًّا يجذب الانتباه. وشدت الأحزمة آيا إلى أعلى كدمية متحركة اجتُذبت من خيوطها بعنف من فوق الأرض.

مرت لحظة قصيرة من الحركات العنيفة ... وفجأة صار الجو ساكنًا من حولها.

ظهر ضوء القمر على نحو خافت عبر قماش المظلة الحريري نصف الشفاف، وتمكنت آيا من رؤية الحدود التفصيلية المستطيلة للملاءات وأكياس الوسادات الحريرية، التي جمعتها الفتيات ونسجنها معًا. وصار المنظر الجبلي من حولها مستقرًّا.

وكانت لاي وإيدن قد مرتا سريعًا بالفعل من جانب آيا وتبعتهما أصداء صرخاتهما، واقتربت الفتاتان أكثر وأكثر من الأرض وأذرعهما منبسطة كأنها تندفع لعناق الجبل أسفلهما.

هل كانتا تحاولان الانتحار؟

وفي الثانية الأخيرة، انبثقت المظلتان من حقيبتيهما واتجهتا إلى أعلى مسافة طويلة ثم أخذت تتلاطم في الهواء حتى انتفخت واتخذت شكلها.

وعلى الرغم من ذلك كانت لاي وإيدن لا تزالان تتحركان بسرعة، وحملتهما الريح بانحراف من فوق قمة الجبل إلى جانبه، في حين أخذت الفتيات الأخريات يندفعن بلهفة خلفهما، وتدلت الفتاتان لحظة من ارتفاع يصل إلى أمتار قليلة ثم هبطتا مرة أخرى، واحتكت أحذيتهما بقوة بالثرى والأرض ذات الشجيرات القصيرة وأخذتا تنزلقان حتى توقفتا على نحو أخرق.

وصلت الفتيات الأخريات إليهما واحتشدن لجمع الثنايا المتجعدة للمظلتين.

لكن آيا كانت لا تزال على ارتفاع مئات الأمتار في الهواء، وبدت الريح تشتد وتسحبها بعيدًا عن فوهة الناقل الدفعي، فمرت آيا من فوق لاي وإيدن، والمظلة تحملها كالشراع الحريري. ومرت حافة الجبل من جانبها كاشفةً عن الوادي الممتد أسفلها وأدركت أنه لا يزال أمامها طريق طويل للغاية حتى تهبط.

هذا سبب اختيارهن لليلة عاصفة كهذه، إذ ستمر دقائق طويلة قبل أن تطأ قدماها الأرض، وربما ستمر ساعات قبل أن تعود إلى قضبان القطار المغناطيسي المعلق، مما يعني أن الفتيات سيتمتعن بوقت كاف للفرار قبل أن تفكر آيا حتى في نشر القصة.

حملقت آيا في الخط الفضي اللامع لشريط القطار المغناطيسي المعلق، وأرجحت قدميها ثم جذبت الأحزمة وحاولت أن توجه نفسها نحو القضبان، لكن المظلة ازدادت انتفاخًا أعلاها حينما عصف بها تيار هواء آخر دفعها لأعلى.

يبدو أنها ستكون رحلة طويلة، وليس بإمكانها فعل أي شيء في هذه اللحظة سوى السماح لكاميرات التجسس بالتقاط صور للمشهد من حولها، أثناء هبوطها البطيء للغاية.

حينئذ تردد في عقلها تحذير لاي الأخير الذي وجهته إليها، لكنها لم تكن تشعر بالخوف، فبنشر القصة بالمدونات، لن تتحمل هي مسئولية كل هذا. فمنذ حرب دييجو، فرض العالم قواعد صارمة للغاية بشأن التخزين الاحتياطي للأسلحة. سوف تنقض لجنة الوفاق العالمي في غضون ساعات وتدمر هذا الجبل.

ثمة شخص ما سيواجه مشكلة كبيرة، ولكنه ليس آيا فيوز. إن أكبر همومها الآن هو ما سترتديه في حفل نانا لاف للشخصيات الألف الأكثر شهرة. فمع هذه النهاية لقصة الأسلحة الفتاكة بالمدن، ستحظى آيا بهذه المرتبة من الشهرة.

ربما لبقية حياتها.

نشر القصة

– «هل سترتدين هذا الثوب؟»

أجابت آيا قائلة: «أجل، ولم لا؟» ولفت خصلات شعرها الذي كان منتفخًا ليماثل شعر أفراد جماعة شخصيات المانجا ومصبوغًا باللون الأرجواني اللامع، وتزين ثوبها بقطع صغيرة متلألئة تبعث ضوءًا، وكان حذاؤها ذا نعل سميك وعال مزود بخاصية تعدد مستويات الاحتكاك ويناسب الأسطح المختلفة، وقد تزحلقت آيا في جناح هيرو كما لو كانت الأرضية جليدية. أمسكت آيا بثوبها من الجانبين ثم بسطت ذراعيها في استعراض له، وأخذت تنظر إلى نفسها. قالت: «هذا الثوب رائع للغاية!»

تمتم هيرو: «ربما أصبح كذلك لو أنك كنت في الخامسة عشرة.»

أدارت آيا عينيها وقالت: «حسنًا، لقد تصادف أنني في الخامسة عشرة بالفعل، ولا يمكنك أن تخبرني بما يناسب الحفل من ثياب، إن قصتي هي سبب ذهابنا إلى الحفل!»

– «نعم، لكنني أنا صاحب الدعوة، أتذكرين؟ أنت لست سوى مرافق.»

قالت آيا بصوت هادئ: «في الوقت الحاضر فحسب.»

لم يكن حفل الليلة حفل الشخصيات الألف الأكثر شهرة، فلا يزال يتبقى على إقامته أسبوع، أما حفل الليلة فكان حفلًا شهريًّا عاديًّا لمهاويس التكنولوجيا، ولكن رين قال إنه على آيا حضور الحفل الليلة وقت نشر قصة الأسلحة الفتاكة بالمدن، فنظرًا لامتلاء الحفل بالمهووسين بالفيزياء ومراقبي القطارات المغناطيسية المعلقة، سيثير الحفل الحوارات وحرب المدونات، وإعادة النشر على نطاق واسع، وهذا ما تتطلبه القصص المهمة.

– «أيًّا كان الأمر يا آيا-تشان، كل ما أرجوه هو ألا تزوري أمي وأبي حتى تتلاشى هذه الوشوم المتحركة.»

أخرجت آيا لسانها في وجه هيرو مما جعل الأشكال الحلزونية المرسومة بوجنتيها تدور، وكانت الوشوم المؤقتة لا تزال تدغدغها، فأطلقت آيا قهقهة.

خاطب هيرو الغرفة قائلًا: «رين ماتشينو»، ثم سأل: «أين أنت؟»

جاء صوت طنين صاحب رد رين: «أوشكت على الوصول.»

– «فقط انتظر بالأسفل، نحن في طريقنا إلى الخروج.»

بدا رين سعيدًا حين قال: «لم العجلة؟» ثم أردف: «لن تنشر قصة الأسلحة الفتاكة قبل ساعة.»

– «أعلم ذلك، كنت أحدق في الساعة طوال الليل.»

قاطعته آيا وهي تدور في مكانها على حذائها ذي النعل السميك العالي: «إن التحديق في الساعة يثير تذمره. إنها قصتي، وعلى الرغم من ذلك ليست ثقتي مزعزعة.»

تنهد هيرو وقال: «لقد رفضت إخفاء صور المزلجة الصاروخية من اللقطات التي تظهر في الخلفية يا رين، ستتسبب في إصابة والديَّ بتلف دماغي.»

قالت آيا: «ها هو هيرو ينسى مجددًا أنني صاحبة القصة! لكن لا تقلق يا رين سأذكره بذلك باستمرار.»

دوت ضحكات رين، وقال: «وأنا أيضًا سأذكره يا آيا-تشان!»

زفر هيرو بازدراء وأنهى الاتصال بنقرة من أصابعه، ثم تحولت الشاشة الجدارية العملاقة إلى مرآة. كان هيرو قد استعار إحدى السترات الرسمية العتيقة لوالده، وهي مصنوعة من الحرير الأسود وأزرارها من الخيزران الحقيقي. كان مظهره لا بأس به.

تزلجت آيا في أرجاء الغرفة بحذائها العالي سميك النعل وهي تشاهد ذيل ثوبها يتلألأ في الشاشة الجدارية وكانت موجل تتعقب حركتها. وكانت آيا قد اتخذت من شهرة هيرو ضمانًا للحصول على ثوبها، وكان سداد هذا الدين شيئًا مضمونًا.

لم تكن آيا تفهم سبب قلق هيرو، فبلوغ هذه الليلة تأخر كثيرًا بالنسبة لها، وكانت هذه الليلة أكثر واقعية من كل ما مرت به حتى الآن في حياتها من سعي

وراء نقاط الاستحقاق وحياتها وسط المغمورين، فكل ما فات لم يكن سوى إعداد لهذا ... إعداد للشهرة.

وأفضل ما في الأمر هو أن فريز سيأتي إلى الحفل. لا يزال فريز يشعر بالخجل إزاء قصة ملكة الوحل، لكن الليلة ستبدد كل هذا الحرج والارتباك. ومع أن فريز لم يعرف بالأمر حتى الآن، فستضاهيه آيا أخيرًا في شهرته، ناهيك عن ذهابهما معًا إلى حفل الشخصيات الألف الأكثر الأسبوع القادم.

قال هيرو: «توقفي عن التزلج هكذا! أنت بذلك تشبهين فتاة قبيحة على وشك نشر بعض الصور لقطتها!»

تزلجت آيا حتى توقفت فجأة: «رباه!»

– «ماذا؟ هل نسيت تعديلًا ما؟»

– «كلا، كل ما في الأمر ... أنه ربما ستكون هذه القصة أفضل إذا وضعنا فيها قطة!»

ابتسم هيرو أخيرًا ثم استدار إلى المرآة وقال: «في واقع الأمر القصة مثالية إلى حد كبير يا آيا-تشان، مع أنها ستؤدي إلى إصابة والديَّ بنوبة قلبية.»

سألته آيا وهي تأمل ألا تغفل موجل تصوير هذا: «مثالية؟» ثم أردفت: «حقًّا؟»

هز هيرو كتفيه وقال: «أجل، إذا لم تكن كذلك، ما كنت لأعيد نشرها، أتودين رؤية شيء مثير؟»

نقر بإصبعه وتغيرت الصورة الموجودة بالشاشة، وظهر رسم تخطيطي لجناح، كان الجناح ضخمًا، به خزانات كبيرة رحبة، ونوافذ مصنوعة من المادة الذكية، وكوة ذكية يمكنها صنع أي شيء تقريبًا.

سألته آيا: «ما هذا؟»

– «شقة في القصر المتحرك، لقد افتتح لتوه.»

طرفت آيا بعينيها، إذ يقطن بهذا القصر أشهر الأشخاص في المدينة على الإطلاق. كان يطل على أفضل المناظر، ويتميز بخصوصية قوية، حتى إن جدرانه كانت تعكس اهتمامًا بالغًا بمنزلة نزلائه، وكانت تتحرك قليلًا كل بضعة أسابيع، ومن هنا استمد القصر اسمه، ويعكس كل سنتيمتر مربع بالقصر آخر المستجدات في رتب الشهرة.

– «القصر المتحرك؟ أترى أن رتبة شهرتي ستصل إلى هذا الحد؟»

هز هيرو كتفيه مجددًا ثم قال: «ربما كنت سببًا في إيقاف حرب يا آيا-تشان، وهذا يعني نيلك نقاط الاستحقاق والشهرة معًا. أمستعدة للذهاب؟»

شعرت آيا بسخونة في وجنتيها، ليس فقط بسبب الوشوم المتحركة الجديدة التي علتهما. نظرت آيا إلى الشاشة الجدارية مرة أخرى وأخيرة، ثم أصدرت إيماءة، فتغير محتوى الشاشة وظهرت صورتها الجانبية مجددًا. وبدت في تلك الليلة كفتاة حسناء إلى حد ما، حتى إن أنفها بدا مثالي المنظر.

أومأت آيا برأسها وقالت: «أجل، مستعدة تمامًا.»

حان وقت الذهاب إلى الحفل.

كان هناك عشر كاميرات طائرة تتحرك في الهواء، وعشرات أخرى تنتظر عند سلم القصر. وكانت عدسات الكاميرات تومض بأضواء المصابيح أثناء دورانها على محورها للتركيز على هيرو وآيا ورين؛ فلقد كان الناس يعلمون أن هيرو فيوز سينشر قصته الجديدة اليوم، وانتشرت شائعات تقول إنها أكثر إثارة من قصة الخلود، لكن ما لا يعرفه أحد هو أن قصة هيرو فيوز لن تكون سوى إعادة لما ستنشره شقيقته الصغيرة في مدونتها.

انزعجت آيا من استغلالها لرتبة شهرة هيرو، لكن عليها أن تعترف بأن ذلك كان أسرع سبيل لنشر الخبر.

عندما وصلوا إلى سلم القصر نشّطت آيا من عمل القطع الضوئية المتلألئة في ثوبها.

همس إليها رين وهو يبتسم للكاميرات: «لا تستنفدي بطارياتك.»

– «لكن هيرو قال إنه يجب علي لفت الأنظار عند الدخول!» وخبت ابتسامتها قليلًا وهي تصعد السلم؛ فلقد كان كاحلها الأيمن لا يزال ملتويًا جراء جر تلك المظلة السخيفة لها بين الصخور والأشجار والشجيرات. وتمتمت: «ربما كان يجدر بي عدم ارتداء هذا الثوب.»

قال هيرو: «تبدين فاتنة، احرصي فحسب على تشغيل خاصية الاحتكاك بهذا الحذاء، فالسقوط على وجهك هو السبيل الخاطئ لنيل الشهرة.»

واستطرد هيرو بهدوء: «وتذكري أنك ستكونين أشهر واحدة في القاعة بعد ساعة من الآن.»

نظرت آيا بتوتر إلى هيرو، فأمسك بيدها.

تفقدت آيا عدسة عينها، كان متوسط رتبة الشهرة للحاضرين في الحفل ألفي درجة، وهو بذلك أعلى كثيرًا من ذلك الحفل الذي حضرته دون دعوة منذ عشرة أيام. وهذا الرقم سيزداد مع وصول المشاهير من المدونين التكنولوجيين المعروفين الذين بإمكانهم شرح النواقل الدفعية بطريقة يفهمها المغمورون.

كان المكان بالداخل مكدسًا بالكاميرات الطائرة لدرجة جعلت آيا تتساءل كيف ستتمكن أي كاميرا من التقاط صورة واضحة، فأسراب كاملة تحركت معًا كسمك المنوة الصغير في حوض أسماك مكتظ للغاية، وانضمت موجل إلى الأسراب المتحركة في الهواء، وبدت كبيرة الحجم وثقيلة الحركة وسط الكاميرات التي كانت في حجم الإصبع.

الغريب في الأمر هو أن آيا شاهدت عددًا ضخمًا من هذه الحفلات في المدونات، لكنها لم تلحظ أبدًا وجود كل هذه الكاميرات الطائرة، ولكن هذه الأشياء المحلقة في الهواء صارت الآن مشتتة للانتباه كالبعوض في الفصل المطير.

لكنها صارت الآن تفهم سبب وجود هذه الكاميرات، فقردة الجراحات التجميلية الغريبة وحدهم كانوا يذهلون العيون. هذا إلى جانب وجود العشرات من الأشكال الجديدة للأنسجة الجلدية، التي تباينت ما بين الفرو والحراشف الجافة والألوان الغريبة والأغشية الشفافة، بل وصل الأمر إلى أن بعضهم كان جلده قشرة حجرية، وكأن ثمة تماثيل حية انضمت إلى الحفل. ورأت آيا أشكالًا من الوجوه المستوحاة من الحيوانات والشخصيات التاريخية، وأشكالًا لشخصيات لا تعرفها، والكل يتنافس لجذب انتباه الكاميرات التي يعج بها المكان.

ومع اقتراب حفل نانا لاف الذي سيقام بعد أسبوع كان الجميع يفعلون كل ما في وسعهم لينجحوا في الذهاب إلى حفل الشخصيات الألف الأكثر شهرة.

مع ذلك، لم يكن بين قردة الجراحات التجميلية من يثير الذعر بقدر الأشخاص الذين رأتهم آيا وميكي في نفق القطار المغناطيسي المعلق. لقد كان هذا الحفل يتعلق بالبدع الجديدة والابتكارات الملفتة للنظر، لكن هؤلاء الأشخاص غريبي الشكل كانوا شيئًا آخر ... شيئًا غير بشري.

أخذت آيا نفسًا عميقًا وحاولت نبذ فكرة الابتكارات الجسمانية من ذهنها. لم يكن جميع الحاضرين بالحفل من قردة جراحات التجميل، فكان هناك العباقرة والمبدعون في الرياضيات، يلعبون بمكعبات ألغاز ومتاهات معروضة على شاشات هوائية، إلى جانب أفراد جماعات العلوم الذين يرتدون زي المعمل، والجميع يندمجون معًا في جنة للمدونين التكنولوجيين.

تفحصت آيا الحاضرين بعينيها بحثًا عن فريز، ولكن ظلت هناك أشكال مذهلة تخطف بصرها باستمرار.

صاحت آيا: «انظرا إلى أصحاب البشرة البكسلية.» إذ وقف على الجهة الأخرى من الغرفة شخصان شبه عاريين، وكانت توجد صور غير واضحة تتحرك فوق ظهريهما، فلقد كانت ألوان الخلايا الجلدية لهما تتغير بسرعة كبيرة، يتعذر معها عرض أي قناة تدوينية، وكأنها حرباء تلتصق بشاشة جدارية بطريقة أو بأخرى.

قال رين: «من الوقاحة أن تشيري تجاه أحد، كما أن هذا ليس بجديد، انظري إلى هؤلاء الأربعة الواقفين في الزاوية.»

نظرت آيا إلى حيث ينظر رين وقالت: «ماذا تقصد؟ أنا لا أرى أحدًا.»

– «بالضبط، هذا هو أحدث جيل من الجلد البكسلي، يا له من تمويه رائع.»

– «هذا مضحك للغاية يا رين، يا لك من ...» ثم خفت صوتها حتى سكتت تمامًا، فقد تحركت الزاوية لتوها، كان تغيرًا يكاد لا يدرك، وكأنه تجعد يمر عبر ورق الحائط، ولكن خلفت هذه الحركة شكلًا واضحًا أمام عينيها، كان جسدًا بشريًّا. همست آيا قائلة: «موجل، هل تصورين هذا؟»

قال هيرو: «أتريانه أمرًا جللًا؟ يمكن للأخطبوط فعل الأمر نفسه.»

قال رين: «من هنا جاءت الفكرة، فالخلايا الجلدية للأخطبوط تحوي داخلها جيوبًا صغيرة من الصبغة، التي تتحكم فيها عن طريق ...»

قاطعته آيا قائلة: «تمهل، لماذا لا نرى ملابسهم؟»

أطلق هيرو ضحكة خافتة، وقال رين: «أي ملابس؟»

اتسعت عينا آيا وقالت: «يا للهول، هذا شائق!»

قال هيرو بتأمل: «ومع ذلك هناك مشكلة واحدة، أليس الخفاء نقيض الشهرة؟»

همس رين باستهجان: «هيرو! لقد حضر الشخص النكرة!»

رفعت آيا بصرها لترى توشي باننا يشق طريقه عبر الغرفة، وكاميرته الشهيرة التي تشبه سمكة القرش تحلق برشاقة في الهواء فوق رأسه متبعة إشاراته، ووراءه حاشية من المدونين الراغبين في أن يكونوا مثله، والمعجبين بشهرته.

قال هيرو: «ماذا يفعل هنا؟ إن شهرته تفوق مستوى هذا الحفل، كما أنه يكره المدونين التكنولوجيين!»

قالت آيا بصوت خافت: «إنه قادم نحونا؟»

قال هيرو: «هذا مستحيل!»

لكن توشي بمنكبيه العريضين كان يتجه نحوهم مباشرة شاقًّا طريقه بين أحد قردة عمليات التجميل، الذي بدا جلده على شكل جلد فهد ومجموعة من أفراد جماعة شخصيات المانجا.

تحركت الحاشية برشاقة حتى توقفت حول ثلاثتهم، وتوقف أسطول صغير من الكاميرات الطائرة في الهواء أعلاهم ... وتذكرت آيا فجأة كل الحوارات الناقدة التي أجراها توشي على مر السنين، كان محنكًا في إحراج معارضيه وإظهارهم كحمقى.

قال توشي: «هيرو فيوز، أهذا أنت؟» وبدا صوته كما في مدونته؛ صوت خفيض وأجش، به نبرة تهدد بانفجار ثورة غضبه في أي لحظة. ولاحظت آيا أنه لم يعبأ بالانحناء تحية لهم.

بدأ هيرو حديثه قائلًا: «في الحقيقة ...»

قال توشي: «ألست متأكدًا؟ حسنًا أعتقد أنه أنت، فنادرًا ما أخطئ.» ضحك توشي بصوت خافت، وانفجر المعجبون به في الضحك، ثم أردف: «أعجبتني قصة الخلود التي نشرتها.»

قال هيرو: «حقًّا، شكرًا لك يا توشي-سنسي.» ثم تنحنح وأردف قائلًا: «أنا ممنون لك.»

أدارت آيا عينيها استهجانًا، فما كان سوى إطراء واحد من الشخص النكرة، وها هو هيرو يعزز بالفعل رتبة شهرته.

نظر توشي خلفه إلى الفتاة ذات جلد الفهد وأدار عينيه استهجانًا، ثم قال: «قلوب مستنسخة! يا له من شيء مثير للاشمئزاز!» ثم أردف قائلًا: «يود بعض الأشخاص تشويه النظام الطبيعي، أليس كذلك؟»

هز هيرو كتفيه ثم قال: «أتقصد كبار السن هؤلاء؟ أعتقد أنهم خائفون من الموت فحسب.»

– «بالضبط، إنه الخوف! هذا ما منحتنا إياه ثورة العقول.»

قال رين: «أنت تنتقد ثورة العقول باستمرار، لماذا لا تعود إذن إلى حالة تشوش الذهن؟»

استدار توشي بجسده الضخم وحاول أن يخمن من يكون رين: «هل أعرفك؟»

انحنى رين قليلًا ثم قال: «أشك في ذلك.»

قال توشي: «على النقيض من المعتقد السائد، لم يكن الناس جميعًا مشوشي الذهن في عصر الحسن، فكان على بعض الأشخاص إدارة شئون المدينة.» ثم التفت توشي مجددًا إلى هيرو، وقال: «يبدو أن رتبة شهرتك قد بدأت تنخفض منذ تلك القصة يا هيرو-تشان، ربما قد يكون هذا بسبب من تصاحبهم.»

صاحت آيا وهي تستدير قليلًا بانسيابية: «انتبه! إن رفاقه واقفون هنا!»

نظر توشي إليها ثم قال: «فتاة مغمورة؟ هل تواعد من هم أقل منك منزلة يا هيرو-تشان؟»

بدأ هيرو قوله: «أواعد؟ إنها ...» ثم خبا صوته في ظل حملقة الحاشية التي أحاطت بتوشي.

زفر الشخص النكرة نفسًا متمهلًا، وامتد بصره خلف كتف هيرو كما لو كان يبحث عن شخص أكثر أهمية، ثم قال: «إذا كانت جهودك التي ستعرض الليلة شائقة، فربما أستضيفك في مدونتي، قد يساعدك هذا على الانضمام إلى العُصب عظيمة الشأن.»

قالت آيا: «انس هذا الأمر! بعد هذه الليلة ستفوق شهرتي أنا وأخي شهرتك ملايين المرات!»

حينئذ تحركت الكاميرات الطائرة التي كانت تحملها الحاشية المحيطة بتوشي، وانصب تركيزها على آيا على نحو مفاجئ، وحملق توشي ببصره تجاهها كما لو كان وجد صرصورًا بين أعواد تناول الطعام.

– «هل ترد هذه القبيحة في قصتك يا هيرو-تشان؟ إذا كان الأمر كذلك، فأنا لا أستوعب ما يحدث.»

وبينما بدأت آيا في الرد عليه طرأ على ذهنها استنتاج مزعج، إذ سيجد الشخص النكرة وغيره من ناقدي ثورة العقول في قصة الأسلحة الفتاكة بالمدن دليلًا آخر على أن البشر يشكلون تهديدًا لكوكب الأرض، ليجدوا بذلك برهانًا آخر على حتمية كبح جماح الناس مرة أخرى.

وكان توشي يجمع بيانات بالفعل لحبك قصتها على طريقته مستخدمًا كاميراته التي تتبعه والتي يصل عددها إلى العشرات، فلقد استغل قصة هيرو عن الخلود لإثارة الخوف من الانفجار السكاني، فما بالك إذن بما سيفعله بقصة الأسلحة الفتاكة؟

قال رين: «لا تقلق يا توشي-تشان، ستفهم الأمر قريبًا جدًّا، والجميع سيفهمونه أيضًا.» ثم استدار نحو آيا وقال: «لننشرها قبل الموعد يا آيا، لننشرها الآن.»

– «حقًّا؟»

قال هيرو: «إنها فكرة صائبة يا رين، لنبهر الجميع بمفاجأة صغيرة.»

رفعت آيا بصرها نحو الشخص النكرة، فأي شيء يفاجئه ويربكه يروق لها. عندئذ انحنت له آيا وقالت: «معذرة، هناك أمر مهم علينا القيام به.»

شرع توشي في الرد عليها لكن كان ثلاثتهم يسيرون بعيدًا عنه بالفعل، وتدفقت أكواد التشغيل عبر عدسة عين آيا، بينما كانت أصابع هيرو تتحرك بتوتر بالفعل من أجل نشر المدونة، وأرسلت آيا رسالة سريعة إلى فريز حرصًا منها على أن يرى القصة حالما تنشر لأول مرة.

ولما توقفت يدا هيرو استدار نحو آيا وقال: «أمستعدة يا شقيقتي الصغيرة؟»

أومأت آيا برأسها ببطء وشعرت بالوشوم المتحركة وهي تدور على وجنتيها ثم قالت: «مستعدة.»

– «انشر القصة ثلاثة اثنان واحد ...»

نطق هيرو وآيا الأكواد الأخيرة معًا، ثم حدق كل منهما في الآخر؛ فقصة الأسلحة الفتاكة بالمدن صارت في المدونات الآن.

شق رين طريقه بين الحاضرين، وتقدم إلى منتصف الغرفة بجانب فرد من جماعة شخصيات المانجا كان له شعر متلألئ ويصل ارتفاعه إلى متر، ثم صفق بيديه مرتين.

قال رين: «سيداتي سادتي، لدي إعلان صغير!» ثم صمت لحظة إلى أن هدأت أصوات الثرثرة، حتى إن جرأته أسكتت مفجري الشهرة، ولكن لم يبد عليه أي قدر من الخجل، وأخذ يحدق ببصره في الجميع بنظرة ثابتة.

انحنى رين انحناءة بسيطة للحاضرين في الغرفة لتحيتهم.

– «عذرًا للمقاطعة، لكن قصة هيرو وآيا فيوز الجديدة صارت الآن في المدونات، وهي تتعلق بشيء قد يسترعي اهتمامكم ... ألا وهو نهاية العالم!»

الانحراف عن الحقيقة

بعد مرور ربع ساعة تقريبًا بدأت أصداء القصة تتسع تدريجيًّا.

لا شك أن معظم الحاضرين بالحفل عادوا إلى أحاديثهم عقب إعلان رين عن نشر القصة، فلم تومض سوى أضواء عدد قليل من الأجهزة المحمولة، لكن ظلت الشاشة الجدارية العملاقة للقصر مظلمة، فلماذا يقاطع أي شخص الحفل لمشاهدة مدونة من ضمن ملايين المدونات؟ لا سيما إن اتضح أن الشقيقة الصغرى لهيرو فيوز هي صاحبة القصة التي نُشرت الليلة وليس أخوها الشهير نفسه.

وفي إحدى الزوايا كان توشي باناتا يتعمد إظهار التجاهل لباقي الحاضرين بالحفل، فكان يروي نكات إلى أفراد حاشيته ويبتهج بضحكاتهم. ولكن لاحظت آيا أن إحدى المعجبات مستغرقة في متابعة عدسة عينها، وعندما وصلت القصة إلى حقيقة الأسلحة الفتاكة بالمدن، وقفت على أطراف أصابعها لتهمس في أذن الشخص النكرة، فارتسمت على وجهه نظرة تنم عن تفكير عميق.

وفي المدينة كان الخبر ينتشر سريعًا، فالأصدقاء يراسلون أصدقاءهم، والمدونات تعيد نشر الخبر، وانتشرت القصة كانتشار النار في الهشيم في فصل جاف. وشاهدت آيا تقييمات مدونتها وهي ترتفع ببطء، وتابعت رتبة شهرتها وهي تتقدم ببطء لتقترب بالفعل من المائة ألف.

قال رين: «لقد رأيت لتوي موجة فجائية من الرسائل على مدونة الحراس.» وكانت عدستا عين رين كلتاهما تعملان، وضاع تعبير وجهه بين الخطوط الضوئية غير المستوية لهما. أردف: «إنهم يهرولون إلى السيارات الطائرة.»

ابتسمت آيا، فقد ميزت قصتها بإشارة أمنية كأي مواطن صالح، حرصًا منها على إطلاع حكومة المدينة على القصة في الحال، بحيث يمكن لمسئوليها أن

يرسلوا الحراس إلى هناك الليلة لحماية المكان من الباحثين عن الإثارة، ومصوري المشاهير، ولضمان عدم تعرض أي شخص للأذى في الاندفاعات التي ستتدفق ناحية القطارات المغناطيسية المعلقة. وبالطبع هذا الأمر لا يتعلق بسلامة الأشخاص فحسب، لكن مما لا شك فيه أنه بحلول الغد ستتجه الصواريخ تحت المدارية التابعة للجنة الوفاق العالمي إلى هناك من كل حدب وصوب.

أطلق رين ضحكة وهو يحدق في عدستي عينيه ثم قال: «يا له من أمر ممتع! إن جاما ماتسوي تنتقدك؛ إذ تعتقد أنك لفقت صور المزلجة الصاروخية! تقول إنه يستحيل أن تصمدي في الهواء كل هذه المدة، ومن ثم هي ترى أن القصة برمتها ليست سوى خدعة.»

فغرت آيا فمها وقالت: «يا لها من خبيثة! وما الذي تعرفه على أي حال؟»

قال رين: «لا يهم ما الذي تعرفه يا آيا، فما يهم هو أنها أشهر مدونة لفتت قصتك انتباهها حتى الآن.»

دمدمت آيا بإحباط، لكن رين كان مصيبًا فيما قاله، فتقييمات مدونتها ارتفعت لتوها مجددًا. وعرضت آيا مدونة جاما على عدسة عينها، وحاولت جاهدة أن تسمع تعليقاتها وسط الموسيقى والثرثرة التي غلبت على الحفل.

قالت آيا وقد تملكتها فجأة رغبة شديدة في مشاهدة عشرين مدونة في آن واحد كي تتابع انتشار القصة: «إنني أتحرق شوقًا لمتابعة القصة على شاشتك الجدارية الآن يا هيرو. لماذا جعلتكما تقنعانني بالمجيء إلى الحفل؟»

وضع رين إحدى يديه فوق كتف آيا وأعطاها كأسًا ثم قال: «اصمتي الآن وتجرعي بعضًا من الشمبانيا، أترين تلك المرأة التي تشبه المغمورين والتي تمسك بمكعب الألغاز هناك؟ يمكنها حساب السرعة النهائية للمزلجة الصاروخية دون تفكير، عن طريق المشاهدة فحسب، وعندما يتعلق الأمر بالفيزياء، لا يوجد ما يستعصي على فهمها. ولهذا السبب جئنا إلى هنا.»

صاحت آيا: «لكنها حتى لا تشاهد مدونتي! هل يجدر بي أن أذهب إليها وأوضح لها الأمر؟»

قال هيرو: «إياك أن تفعلي ذلك! لا يتحدث أحد عن كون الأمر خدعة حتى الآن، لا تثيري المشكلات.»

تأوهت آيا بتذمر وهي تضع كأس الشمبانيا جانبًا؛ إن أصعب شيء يتعرض له المرء أحيانًا هو ألا يفعل أي شيء.

قال هيرو: «حسنًا، ثمة خبر سار، إن الشخص النكرة يغادر الحفل.»

نظرت آيا إلى أعلى في الوقت المناسب ورأت توشي بانانا وحاشيته يتجهون نحو الباب، كان يبدو أنهم في عجلة من أمرهم.

ضحك رين ضحكة خافتة وقال: «لعله يريد أن يعود إلى شاشاته الجدارية ويبدأ في انتقادك قبل أن يتفاقم الأمر.»

سألته آيا: «ألا يجدر بنا أن نبادر بانتقاده؟»

طرف رين بعينيه لكي يجبر الخطوط الضوئية غير المستوية لعدستي عينيه على الاختفاء، واستدار إليها لكي يواجهها ثم قال: «لسنا في حاجة إلى ذلك، فهذه القصة تتحدث عن أسلحة ستفتك بالمدينة، أتذكرين؟ إن الأمر أكبر كثيرًا من أن يجعله ذلك الغبي مشوش الذهن في صالحه.»

* * *

بعد مرور خمس دقائق انتشرت القصة انتشارًا واسعًا؛ فانتشرت بين المدونات، وتخطت شبكة اتصال المدينة، واتسع مداها إلى الشبكة العالمية. لقد بدا الأمر وكأن كل شيء يحدث فجأة، وكأنه قصة مثيرة تفجرت بطريقة يتعذر على آيا تفسيرها، أو على الأقل بصورة سريعة للغاية، سرعةً يصعب معها على عدسة عينها الصغيرة أن تستوعب الأمر.

أما هنا في الحفل، فقد بدأ الناس ينظرون تجاهها مدركين أن شيئًا ما يعكر صفو شبكة اتصال المدينة، فأخرجوا أجهزتهم المحمولة وتجمعوا في الزوايا ليشاهدوا القصة معًا.

أعلن هيرو: «كل شيء على ما يرام حتى الآن، لقد وصلت رتبتك إلى أعلى عشرة آلاف لتوها، أنت تتفوقين على رتبة مفجر الشهرة لهذه الليلة!»

– «يسعدني سماع ذلك.» وانتفضت آيا فجأة؛ فقد صدر رنين نغمة التنبيه الخاصة بها لتوه بصورة جنونية، وكأنه طنين آلة ثقب صخور صغيرة يخترق أذنيها، ثم أردفت: «هناك خطب ما في عدسة عيني!»

قال رين: «ليس هناك خطب ما يا آيا، إن الرسائل تنهال عليك، ويفضل أن توقفي تشغيل خاصية الصوت.»

قبضت آيا يديها بقوة وأسكتت الضجيج المنبعث من نغمة التنبيه، ثم دعكت أذنيها وقالت: «يا إلهي، إن الشهرة أمر يدمر الأعصاب!»

قال شخص ما: «هل تتذمر آيا فيوز من الشهرة؟ وتقول إنها أمر يدمر الأعصاب.»

استدارت آيا فوجدت فريز واقفًا أمامها بعينيه الواسعتين ووسامته المعهودة، وعلى وجهه ابتسامة عريضة.

صاحت آيا: «فريز!» ثم عانقته، وأردفت: «هل رأيت قصتي؟»

– «بالطبع.» وعانقها بقوة، ثم تراجع خطوة إلى الوراء وانحنى تحية لهيرو ورين، وقدم نفسه إليهما: «فريز ميزونو.»

ابتسم هيرو ابتسامة متكلفة وهو يقدم نفسه في المقابل، ثم قال: «أنت إذن ملك الوحل الشهير؟»

قال فريز: «وأنت الشقيق الأكبر الشهير لآيا.» ثم تجهم وأردف: «ولكنك على الأرجح ربما لم تعد شهيرًا للغاية بعد الآن، مقارنة بها.»

اتسعت عينا هيرو، فأمسكت آيا بذراعه.

حينئذ أمرته آيا: «اذهب وافعل شيئًا آخر يا هيرو.» فالصدق المطلق كان مثيرًا للقلق بما يكفي دون أن يكون أخوها حاضرًا معهما.

جذب رين هيرو وهو يبتسم، ثم اصطحبه في اتجاه مجموعة من المدونين في انتظار إجراء الحوارات معهم.

– «أمامي دقيقة واحدة فقط يا فريز، فسرعان ما سأذهب للإجابة عن التساؤلات، لكنني مسرورة لأنك جئت!»

– «لقد افتقدتك.» واقترب فريز منها وهو يحدق إليها ثم أردف: «لم تتسن لي الفرصة للاعتذار لك شخصيًّا عن تسببي في انتقادك.»

أشاحت آيا بوجهها عنه وهي ترتجف قليلًا تحت تأثير نظرته المحدقة المميزة لشخصيات المانجا: «الذنب ليس ذنبك يا فريز، كان ينبغي لي أن أكون أكثر حذرًا. وكذلك كانت شهرتي باعتباري ملكة الوحل ... مشوقة بدرجة ما.»

– «لن يطلقوا عليك هذا الاسم بعد الليلة.» ثم أمسك بذراعها وأردف: «لكنني لم أنظر إليك باعتبارك ملكة وحل قبيحة أبدًا.»

تشجعت آيا على النظر إليه مرة أخرى وتحدثت بصوت خافت للغاية كي لا تسمعه الكاميرات الطائرة التي تحدث أزيزًا فوقهما. «لكن أتذكر ما قلته ذلك اليوم؟ أنك ترتاب بشأن طبيعة شخصيتي؟ هل أدركت الآن لم اضطررت إلى الكذب كي أحصل على هذه القصة؟»

كان فريز هو من أشاح بوجهه بعيدًا عنها هذه المرة. قال: «بدا الأمر مريعًا، أعني خيانة الأصدقاء على هذا النحو، لكنني أفهم الآن.» وأطلق فريز تنهيدة ثم أردف: «أظن أن المرء يضطر إلى الكذب أحيانًا لاكتشاف الحقيقة.»

بدا فريز حزينًا للغاية وهو ينطق بهذه الكلمات، حتى إن آيا طوقته بذراعيها بقوة مرة أخرى. ولم تعبأ بعدد الكاميرات الطائرة التي كانت تشاهدهما، أو مدونات الناقدين التي تقارن قبحها بحسن فريز. «لكنني لن أكذب عليك أبدًا يا فريز.» وشعرت آيا بتوتر عضلاته.

قال فريز: «أخبريني إذن بشيء واحد.»

– «بالطبع.»

– «إذا لم تعثري على الأسلحة الفتاكة بالمدن، وإذا كانت هذه القصة تتعلق بالفتيات الماكرات وركوبهن فوق القطار المغناطيسي المعلق، فهل كنت ستنشرين هذه القصة على أي حال؟»

تراجعت آيا إلى الوراء، فلم يكن فريز غبيًّا، فقد لاحظ أن انحراف آيا عن الحقيقة بدأ قبل أن تعرف بأمر الأسلحة الفتاكة بالمدن بمدة طويلة.

لكن أكانت ستخونهن في سبيل الشهرة فحسب؟ فكما قالت لها ميكي، إن الركوب فوق القطار المغناطيسي المعلق أثناء اجتيازه البرية يوسع الأفق كثيرًا، وكلما زاد الوقت الذي كانت آيا تقضيه برفقتهن، شعرت بأن الفتيات الماكرات صديقاتها، ومن ثم كان يمكن أن تغير رأيها ... ربما.

إذا كان المرء غير واثق من الحقيقة، أهو بذلك يكذب؟

تنحنحت آيا وقالت: «عندما انضممت إلى الفتيات الماكرات كنت أبحث فحسب عن قصة ما، أي قصة، لكن بعد أن تحدثت إليك في ذلك اليوم بدأت أفكر في الأمر.»

أومأ رين برأسه ثم قال: «كنت قد عدلت آنذاك عن رأيك إذن؟»

نظرت آيا إلى عينيه الواسعتين، لقد أراد أن يصدقها، سيكون من السهل للغاية موافقته على ما قال.

ولماذا عليها أن تتسبب في الحزن لفريز؟ لن تضطر إلى التنكر مرة أخرى على ما يبدو، بعد هذه الليلة سيعلم الجميع أن آيا فيوز مدونة، ولن تضطر إلى الكذب مرة أخرى للسعي وراء القصص. فلماذا لا تحيد ملكة الوحل عن الحقيقة مرة أخرى وأخيرة؟

قالت آيا: «لقد تطور الأمر بسرعة، بدأ كخدعة فحسب، ثم فجأة أصبح العالم بأسره في خطر.» ثم أشاحت بوجهها بعيدًا وأردفت: «لكن لا ... ما كان بوسعي فعل ذلك تجاههن.»

جذبها فريز نحوه مرة أخرى ثم قال: «لقد اطمأن قلبي.»

أغمضت آيا عينيها محاولة الاختباء من شكوكها. لقد صدقها فريز بكل سهولة، ربما لم يكن الأمر تماديًا في الانحراف عن الحقيقة، فالمسألة برمتها نظرية على أي حال.

كان دربًا من الجنون أن تضيع فريز إلى الأبد، في الوقت الذي يكون مقابل الاحتفاظ به قدرًا بسيطًا من الانحراف عن الحقيقة.

همس فريز في أذنها قائلًا: «أعتقد أن أخاك يريدك يا آيا.»

شددت آيا من عناقها له وقالت: «لا أبالي.»

في الواقع لم يكن هيرو فقط هو من يريدها، بل ... الكثير من الناس.

تنهدت آيا ورجعت إلى الوراء لتنظر خلفه، ففغرت فمها عندما رأت جموع الناس.

فقد بدأ هوس المدونات.

هوس المدونات

كان هناك عدد كبير من الناس ينتظرون بالخارج، ونهض رين بمهمة تنظيمهم عند السلم الرئيسي للقصر، بحيث يقف الأفراد الأكثر شهرة بالقرب من الدرج السفلي للسلم، وكان نصفهم تقريبًا ينتمون إلى مهاويس التكنولوجيا ممن يجرون عمليات جراحية مجنونة ويرتدون ملابس مصنوعة من المادة الذكية، أما النصف الآخر فبدا أنه غريب عن الحفل، فكانوا من مدوني الأخبار ذوي الأنا المرتفعة، والمراسلين الصحفيين، والقليل من المسئولين بالمدينة، بعضهم شهير والبعض الآخر غير ذلك.

لكن جميعهم حضروا إلى هنا لرؤية آيا.

أمسك هيرو بذراع آيا ودفعها برفق نحو مكان خال أسفل السلم، حيث انصب عليها تركيز مئات الكاميرات التي كانت في حراك مستمر وهي تتدافع لتحصل على أفضل الزوايا وتلاحقها في كل خطوة. وعلى نحو غريب تملك آيا شعور بضآلتها أمام نظرات الجميع المحدقة فيها، وهو الشعور نفسه الذي راودها في ليلتها الأولى فوق القطار أثناء اجتيازه البرية.

ومع ذلك ذكرت آيا نفسها بأن هذا الحال هو النقيض لحالة انعدام الشهرة التي عاشتها، فهذا ما أرادته دائمًا، لقد أرادت دومًا أن يشاهدها الناس، وأن يعيروا انتباهًا لكل كلمة تتفوه بها.

همس هيرو إليها قائلًا: «أطفئي عدسة عينك، يجب أن تكوني منتبهة تمامًا.»

أومأت آيا برأسها وطوت بنصرها، لكن بينما هي تحدق في الوجوه المنتبهة أمامها التي بدت جلية فجأة بعد زوال عدسة عينها بدأت الإجابات التي تدربت عليها الليلة السابقة تتلاشى من عقلها.

قالت آيا بهدوء: «يا ... يا له من مشهد ترتعد له الأوصال!»

أمسك هيرو بذراعها بقوة وقال: «سأظل هنا بجوارك.»

أومأت آيا برأسها وتنحنحت: «لا بأس، فلنبدأ.»

انهالت الأسئلة بقوة وسرعة.

– «كيف عثرتِ على الفتيات الماكرات يا آيا؟»

– «من حسن حظي أنني رأيتهن يركبن فوق أحد القطارات في إحدى الليالي، فتتبعتهن إلى حفل كهذا.»

– «لماذا تغيرت بعض الصور واللقطات التي تظهر في خلفية قصتك؟»

تنحنحت آيا وهي تتساءل كيف يتسنى لأي شخص أن يشاهد بسرعة قصة تستغرق عدة ساعات في مشاهدتها. قالت: «لقد أرادت الفتيات الماكرات عدم الإفصاح عن هويتهن؛ لذا استبعدت بضعة وجوه فحسب.»

– «ألا تخفين أي شخص آخر؟»

– «مثل من؟»

– «صناع الناقل الدفعي للكتل المعدنية.»

– «لا، بالطبع!»

– «إذن، أنت لا تعرفين أي شيء عنهم؟»

صمتت آيا لحظة وتمنت لو كانت قد ذكرت في قصتها تلك المخلوقات الغريبة غير الآدمية، لكن كان ذلك سيكون بمنزلة ادعاء مجنون، ولم يكن بحوزتها صورة واحدة لدعم ادعائها؛ لذا ستكون إشارتها إلى أن صناع الناقل الدفعي هم مخلوقات غريبة أمرًا غير قابل للتصديق آلاف المرات الآن.

– «ولماذا أفكر في حمايتهم؟ فمن بنى الأسلحة الفتاكة بالمدن هو مجنون، أم هل فاتك الجزء الخاص بالأسلحة الفتاكة بالمدن؟»

سألها مدون آخر: «أليس هذا العنوان ترويجيًّا بصورة مبالغ فيها قليلًا يا آيا؟ فبضعة أطنان من الحديد المتساقط لا يمكن أن تدمر مدينة، أليس كذلك؟»

ابتسمت آيا، فقد حرص رين على إعدادها للإجابة عن هذا السؤال. قالت: «مع السرعات العالية لعودة الصواريخ مرة أخرى إلى الغلاف الجوي من الفضاء لا تتطلب عملية تدمير مبنى واحد قائم على دعامات طائرة سوى قذيفة صغيرة، ومن ثم إذا انقسمت أسطوانة واحدة إلى آلاف الأجزاء ... حسنًا فلتحسب أنت عدد المباني الذي ستدمرها، أو الأحرى بك أن تطلب من تلك المرأة الواقفة هناك والتي تحمل مكعب الألغاز حساب ذلك العدد.»

– «ألا يمكننا إيقاف عمل الأسطوانات؟ مثلما اعتاد سكان العصر القديم إسقاط الصواريخ؟»

كانت آيا قد بحثت عن إجابة عن هذا التساؤل بنفسها. قالت: «لم يفلح سكان العصر القديم كثيرًا في اعتراض سبيل الأسلحة الفتاكة بالمدن، إلا في الدعايات الإعلانية. أيضًا يعقب إطلاق الصواريخ تصاعد أعمدة الدخان، وحينئذ سيصبح بريق المعدن ضئيلًا وغير مرئي.»

– «لماذا في رأيك تركوا الجبل خاليًا؟»

– «يرى رين ماتشينو – الذي ساعدني في كل هذا – أن الناقل الدفعي للكتل مصمم بحيث يكون آليًّا تمامًا.»

– «هل تعتقدين أنه قد يكون هناك الكثير من هذه الأشياء في العالم؟»

طرفت آيا بعينيها وقالت: «لا أتمنى ذلك بالطبع.»

– «في ظل أزمة نقص المعادن الحالية، من أين – في رأيك – حصلوا على كل هذا الفولاذ؟»

– «ليس لدي أدنى فكرة.»

– «ما الذي جعلك تريدين أن تكوني من المدونين يا آيا؟»

– «حسنًا ...» ثم صمتت لحظة فلم تكن مستعدة للإجابة عن هذا السؤال، على الرغم من أن هيرو قد حذرها من أن هناك دائمًا بعض الأغبياء الذين يطرحون أسئلة شخصية بصرف النظر عن مدى أهمية القصة. قالت: «بعد ثورة العقول كنت أواجه صعوبة في استكشاف العالم، ورواية قصص الآخرين طريقة جيدة لفعل ذلك.»

ابتسم المدون، وقال: «أليست هذه الإجابة نفسها التي يقدمها أخوك؟»

قالت آيا: «كلام فارغ ... لا تعليق.» ثم ابتسمت آيا عندما سمعت أصوات ضحك الناس وشعرت أخيرًا بالاسترخاء قليلًا.

صاح أحد مدوني البدع الجديدة من الخلف: «أي وجه ترغبين فيه عندما تتمين عامك السادس عشر؟»

– «لا أعرف بعد، لكنني أميل إلى محاكاة شخصيات المانجا.»

– «هذا ما لاحظناه يا ملكة الوحل.»

– «حسنًا، لا تعليق مجددًا.»

– «هل يساورك القلق من أنك تروجين لخدع خطيرة يا آيا؟»

هزت آيا كتفيها وقالت: «أنا فقط أخبر العالم بالحقيقة.»

– «لكنك لم تقولي الحقيقة للفتيات الماكرات ...»

رمقت آيا فريز وقالت: «أحيانًا تضطر إلى الكذب لاكتشاف الحقيقة.»

– «في رأيك لماذا ترافق فتاة شهيرة مثل إيدن مارو الفتيات الماكرات؟»

هزت آيا كتفيها وقالت: «حسبما قالت في ذلك الحوار: لتهرب منكم.»

ومن الصف الخلفي جاء سؤال أدركت آيا أنه وارد من أحد معجبي توشي بانانا: «هل تعتقدين أن مدينتنا صنعت الناقل الدفعي للكتل المعدنية؟»

– «لماذا سنفعل ذلك؟»

– «نحن أقرب مدينة إلى الجبل، ألا يجعلك هذا خائنة؟»

– «يجعلني ماذا؟»

– «ماذا إذا كنا نحتاج إلى الناقل الدفعي للكتل المعدنية لندافع عن أنفسنا؟»

نظرت آيا إلى هيرو الذي أجاب قائلًا: «إذا كان الأمر يتعلق بالدفاع عن أنفسنا، أليس من المفترض إذن أن نعلم بهذا الأمر؟»

قاطعه أحد مدوني الأخبار التكنولوجية قائلًا: «إذن يا هيرو، ما شعورك وقد تقدمت شقيقتك الصغيرة عليك؟»

قال هيرو: «أشعر بالغيظ إلى حد ما.» ثم ابتسم وأردف: «لكن هذا الشعور أفضل كثيرًا من مشاهدة قصري يتعرض للقصف.»

بعدها انهالت الأسئلة تباعًا عن طفولة آيا، ومدونها المفضل، وخططها المتعلقة بنشر القصص التالية. ودارت نقاشات لا تحصى عن الرياضيات والصواريخ والفتيات الماكرات وكاميرات التجسس والمظلات ومصوري المشاهير. وفي كل مرة غادر فيها أحد المدونين المكان لإعداد قصته لوضعها في المدونات انضم مدون آخر إلى النقاش، وسرعان ما بدأت الأسئلة تتكرر، وحاولت آيا تقديم إجابات جديدة، لكنها وجدت نفسها في النهاية تتلفظ بالكلمات نفسها مرارًا وتكرارًا.

وفي النهاية جذبها فريز بعيدًا في إحدى زوايا المكان ووعدها بأنها ستعود إليهم سريعًا، في حين استمر هيرو في حديثه دون توقف.

قالت آيا بصوت أجش: «أريد كوبًا من الماء.»

وضع فريز بقوة كوبًا من الماء في يدها وتجرعته.

وبعد أن فرغ الكوب قالت آيا لاهثة وهي تنظر إلى ما حولها: «شكرًا لك.»

كان المكان مكتظًّا بالكاميرات الطائرة المسلطة عليها، لكن الناس ظلوا على مسافة

منها محاولين عدم التحديق فيها، وللمرة الأولى في حياة آيا، تشكلت هالة من الشهرة حولها.

في الجانب الآخر من الغرفة، تجمع عدد من مهاويس التكنولوجيا حول الشاشة الجدارية العامة الضخمة للقصر لمتابعة رين، وهو يشرح الحسابات المثيرة للذعر المتعلقة بالأسلحة القذائفية وانهيار المباني، في حين ظلت آيا وفريز بمفردهما لحظة.

سألته آيا بصوت خافت: «كيف ترى أدائي؟»

أجابها: «رائع.» ثم ابتسم إليها ابتسامة عريضة وقال: «إذن كيف تشعرين الآن وقد أصبحت شهيرة؟»

قالت آيا بنبرة مستنكرة وهي تتذكر غباءها المطلق في المرة الأخيرة التي كانا فيها معًا: «مسل للغاية!»

قال فريز: «لا، أنا جاد، كيف يكون حالك عندما تخرجين برفقة شخص مغمور مثلي؟»

أجابت آيا قائلة: «كفاك! ماذا حدث لصدقك المطلق؟»

جادلها فريز قائلًا: «إن المضايقة ليست كذبًا، هذا إلى جانب أنني أتساءل حقًّا كيف تنظرين إلي الآن؟»

نظرت إليه نظرة استنكار وقالت: «لكنك لست مغمورًا، فلا يوجد اختلاف في الطموح بيننا!»

– «بل يوجد.»

– «ماذا تقصد؟»

ضحك قائلًا: «لقد مضت ساعة دون أن تتفقدي فيها رتبة شهرتك، أليس كذلك؟ يا له من أمر مذهل، خمني قبل أن أكشف عنها.»

ابتلعت آيا ريقها، فقد وجدت الوقت بالكاد للتنفس منذ أن نشرت القصة، وبالطبع هي لم تتعقب رتبة شهرتها.

بطريقة أو بأخرى كانت خائفة من تشغيل عدسة عينها والتحقق من رتبة شهرتها. «أتقصد أنني أكثر منك شهرة الآن؟ هل أصبحت رتبتي ضمن فئة الألف الأكثر شهرة؟»

– «لا تكوني حمقاء يا آيا! إن قصة كبار السن الطامحين إلى الخلود جعلت أخاك يتخطى الألف، وهذه قصة عن أسلحة فتاكة بالمدن! خمني بواقعية يا آيا!»

هزت آيا كتفيها، فهي لم ترد أن تبدو متعجرفة كمدوني الأخبار المغرورين: «حسنًا، خمسمائة؟»

قال فريز وقد بدا على وجهه شيء من التوتر: «ما زلت حمقاء!» وأردف: «إن عدم إخبارك بالحقيقة أمر يؤلمني.»

صاحت آيا: «فلتخبرني إذن بها.»

تلفظ فريز قائلًا: «أصبحت تحتلين المرتبة السابعة عشرة من حيث الشهرة في المدينة!» ثم دعك فريز صدغيه وأردف: «يا إلهي، كان الأمر مؤلمًا!»

حدقت آيا في فريز، لا بد أن فريز مخطئ حتى وإن كان لا يستطيع أن يكذب: «سبعة عشر؟»

– «لقد تحدثت نانا لاف عنك في مدونتها.»

صاحت آيا: «مستحيل، ما الذي يثير اهتمامها في قصة عن أسلحة العصر القديم؟»

قال فريز: «تهتم نانا-تشان بجميع البشر.» ثم هز فريز كتفيه وأردف: «وهذا لطف منها، ربما تكون قد بعثت إليك برسالة.»

صاحت آيا: «مستحيل!» ثم شغلت عدسة عينها وقلبها يخفق وهي تنتظر عرض محتوياتها. قالت: «أتظن هذا حقًّا؟»

– «ربما، فقد بعثت لي برسالة عندما وصل ترتيبي إلى الألف.»

ظهرت شبكة الاتصال الخاصة بآيا وكانت مكتظة بعدد هائل من الرسائل يمتد حتى الجزء غير المرئي من عدستها، ولن تملك آيا أبدًا الوقت لقراءتها جميعًا!

قال فريز ضاحكًا: «عليك أن تنظري إلى نفسك، تبدين كطفلة تناولت لتوها الكثير جدًّا من الآيس كريم.»

قالت آيا: «معك حق، إنها كثيرة جدًّا، عليك رؤية كل هذه الرسائل!» وتذكرت الحيلة التي كان يقوم بها هيرو بعد نشر القصص المهمة، عندما كانت تنهال عليه الرسائل بالتعليقات، فبدأت تنقر بأصابعها قائلة: «انتظر، دعني أنظم الرسائل وفقًا لرتبة الشهرة، بحيث ترد رسائل المغمورين أسفل القائمة، وترتفع رسائل الشخصيات المهمة إلى أعلاها، وإذا كانت نانا-تشان قد بعثت إلي برسالة، فستظهر في الحال ... يا للهول!»

كان هناك عدد كبير للغاية من الرسائل، واستطاعت آيا أن تراها فعلًا وهي تتحرك أثناء محاولة شبكة اتصال المدينة الدءوبة للتحقق من كل رسالة حسب

رتب الشهرة التي يتم تحديثها باستمرار. وتدريجيًّا صعدت بعض الرسائل إلى أعلى القائمة، التي وردت من مدونين مشاهير ورجال سياسة، وكذلك رسالة شكر من لجنة المواطن الصالح ...

تمتمت آيا: «سأحصل بلا شك على بعض نقاط استحقاق من هذا، ها أنا قادمة أيها القصر المتحرك.»

ثم رأتها ... رسالة وامضة ترتفع فوق أجنحة ملاك.

«يا إلهي، فريز، أنت كنت على حق ... كانت نانا-تشان تشاهد القصة!»

ضحك فريز قائلًا: «لقد قلت لك ذلك!»

كانت آيا على وشك فتحها إلا أن مرتبة الرسالة انخفضت فجأة. حدقت آيا في الرسالة الجديدة وهي في حالة من عدم التصديق، إذ كانت لا تحمل أي زخرفة على الإطلاق، وكان نصها مكتوبًا باللون الأسود وغير مزخرف وكأنه رد آلي.

– «فريز، هناك رسالة أخرى فوقها.»

– «ماذا؟»

– «أعتقد أن شخصًا آخر أكثر شهرة من نانا لاف قد بعث إلي برسالة لتوه.»

– «لكن لا يوجد شخص أشهر من نانا لاف ... عدا ...» وأطلق فريز صوتًا مكتومًا، ثم قال: «أتقصدين أن تالي يانج بلود قد بعثت إليك برسالة لتوها؟»

أومأت آيا برأسها ببطء. كانت الرسالة هناك مرسومة بضوء الليزر في مقلة عينها، إنها رسالة من أكثر الشخصيات شهرة بالعالم، تلك الفتاة التي تسببت في ثورة العقول، إنها رسالة من ذلك الاسم الذي يقدسه أتباع طائفة يانج بلود كل صباح، ويلعنه توشي بانانا وهو ينتقد أحدث جماعات ثورة العقول، وهو أيضًا الاسم الذي يتكرر آلاف المرات متى تُدرس حرب دييجو للصغار ...

تمتمت آيا: «كيف علمت بالأمر بهذه السرعة؟ أليست مختبئة في البرية في مكان ما؟»

قال فريز: «انتشرت القصة في أنحاء العالم منذ ساعتين، لا بد أن لها أصدقاء يتفقدون المدونات من أجلها.»

– «لكن منذ متى وتالي يانج بلود تبعث برسائل إلى الناس؟» شعرت آيا بجفاف حلقها مرة أخرى وهي تنطق باسمها.

– «لا يهم؟ افتحيها!»

حركت آيا إصبعها بسرعة فانفتحت الرسالة، وكانت تحمل علامة شبكة الاتصال العالمية بما يضمن أنها موثوقة المصدر، ولكن أثناء قراءة آيا للرسالة، شعرت بأن اللغة التي استخدمتها تالي كانت محيرة لها بدرجة ما.

صاح فريز: «ماذا تقول؟»

– «إنها من ست كلمات فقط.»

– «ما الكلمات؟ «شكرًا؟» «مبروك؟» «مرحبًا؟»»

– «كلا يا فريز إنها تقول: «اهربي واختبئي، نحن في طريقنا إليك.»»

مكتبة
t.me/t_pdf

ذعر وحصار

همس هيرو باستهجان: «هذه حماقة، علينا العودة إلى الحفل مرة أخرى، إن فرارنا بهذه الطريقة يجعلنا نبدو كالأغبياء!»

قالت آيا: «أتخبرني بأن أتجاهل تالي يانج بلود؟ إنها تقول في رسالتها اهربي واختبئي!»

سألها رين: «أتسمين هذا اختباءً؟»

رمقت آيا السماء ببصرها، فرأت مائة كاميرا طائرة أو ما يقارب ذلك، قد تعقبتهم أثناء خروجهم من الحفل، وأخذت تتساءل على الأرجح لماذا تركت صاحبة الترتيب السابع عشر من حيث الشهرة على مستوى المدينة فجأة أول مقابلة لها على الإطلاق. وظهر سرب الكاميرات كصورة ظلية سوداء في سماء الليل، وومضت عدسات الكاميرات باتجاههم وكأنها عيون حيوانات ضارية.

قال فريز: «هذه نقطة مهمة، علينا العثور على مكان سري.»

قالت آيا وهي تتنهد: «أنا أحاول.»

كان الأربعة قد غادروا الحفل من باب جانبي واتجهوا عشوائيًّا نحو ملعب مظلم لكرة البيسبول، وكانت الألعاب النارية الآمنة لا تزال تنطلق من سطح القصر، وأرسل وميضها المنعكس فوق العشب ظلًّا ضخمًا ومضطربًا لآيا امتد أمامها.

تذكرت آيا تحذير لاي الأخير لها وهي في المزلجة الصاروخية: «أيًّا كان الشخص الذي بنى هذا الشيء الضخم الغريب فلا بد أنه خطير.»

قال هيرو بسرعة وحدة: «ما فائدة العزلة؟ إذا كنت تعتقدين أن شخصًا ما يلاحقنا، أفلا ينبغي لنا أن نمكث في مكان يمكن أن يرانا فيه الجميع؟»

توقفت آيا فجأة وبسرعة، حتى إن موجل ارتطمت بها من الخلف. لعل المكان الأكثر أمانًا ذلك المكان الذي يراك فيه الناس جميعًا، ومن هذا المنظور لن يجرؤ أحد على فعل أي شيء في حفل مزدحم، أو في ظل وجود مئات الكاميرات الطائرة التي تحلق أعلاهم مباشرة.

أطلقت آيا تنهيدة، ثم قالت: «أعتقد أن علينا العودة إلى الداخل.»

صاح هيرو: «بالضبط، يمكننا نشر رسالة تالي يانج بلود، فإذا عرف الجميع أنها في طريقها إلينا، فيا له من حدث جلل!»

تنحنح فريز وقال: «لعل هذا ليس الوقت المناسب للقلق حيال رتب الشهرة يا هيرو.»

– «الأمر لا يتعلق برتب الشهرة أيها الغبي!»

قال فريز بهدوء: «في الواقع أنا لست غبيًّا، وهذا هو سبب عدم إفصاحي عن خططنا بصوت عال حيث يسمعنا الناس جميعًا.»

نظرت آيا أعلاها، فلا يزال يوجد حولها هالة معتدلة من الشهرة، ولكن ثمة عدد قليل من الكاميرات كان قريبًا للغاية بدرجة تمكنها من سماع ثورة غضب هيرو.

قالت آيا: «أيًّا كان ما نفعله، دعونا نخفض أصواتنا، فإلى حد ما لا أعتقد أن تالي-ساما تريد أن تعرف المدينة كلها بقدومها.»

هز رين رأسه بالنفي وقال: «إنها ليست من هنا يا آيا؛ لذا هي لا تفهم طبيعة عمل الاقتصاد القائم على الشهرة، إن ما يقرب من نصف مليون شخص يشاهدوننا الآن، فشهرتك ستحمينا.»

قال هيرو: «لا يمكنك الاختباء يا آيا، الكل يعلم مكانك بالضبط، ألم يكن هذا هو الهدف المنشود من هذه الليلة؟»

تجهم فريز وهو ينظر إليها: «خلت أن الهدف المنشود من هذه الليلة هو إنقاذ العالم؟»

تنهدت آيا وقالت: «قد يكون هناك عدة أهداف، اتفقنا؟ ليهدأ الجميع لحظة بينما أفكر!»

صمت الفتيان الثلاثة الآخرون، ووقفت آيا هناك وهي تشعر بعيونهم تحدق فيها، وبعدسات مائة كاميرا طائرة ونصف مليون شخص آخر يشاهدونها عبرها. حتى موجل نفسها كانت تحدق فيها.

لم يكن هذا أفضل مكان للتفكير.

اقترب فريز منها ولف ذراعه حول كتفها ثم قال: «إذا رجعنا إلى الحفل وكان ثمة شخص يلاحقك، فمن سيمنعه؟ مجموعة من المهووسين بالبكسلات؟»

هز هيرو كتفيه وقال: «الحراس، مثلما هو الحال في أي جريمة أخرى.»

سأله فريز: «وهل نثق في الحراس؟ أتذكر ما قاله ذلك المدون؟ فربما صنعت مدينتنا هذا الشيء!»

ضحك هيرو وقال: «أتقصد الفتى الذي سماها خائنة؟ لقد كان أحمق تمامًا!»

قال رين: «حسنًا، ربما قد لا يكون كذلك تمامًا، فقد صُنع الناقل الدفعي للكتل المعدنية باستخدام القطارات المغناطيسية المعلقة التي بدأت هنا، لا بد أن شخصًا ما من مدينتنا قد شارك في هذا.»

أضاف فريز قائلًا: «شخص يتمتع بنفوذ كبير كي يستخدم كل هذا الصلب دون علم أحد.»

ابتلعت آيا ريقها، إذ كان السلاح الفتاك بالمدن ضخم الحجم للغاية، فأيًّا كان الشخص الذي صنعه فقد استخدم نفوذًا كافيًا يمكنه من تجويف الجبال. هل يمكن لقلة من الحراس إيقافه؟ هل سيتمكن نصف مليون شاهد من منعه، في الوقت الذي كان لديه الجرأة لتدمير مدن بأكملها؟

وبينما كانت آيا تحدق في حزام الأشجار المظلم الملتف حول ملعب كرة البيسبول تذكرت كلمات إيدن مارو ...

– «يمكنك أن تتواري أمام جمع كبير أيضًا.»

– «موجل، اصعدي إلى أقصى ارتفاع تستطيعين الوصول إليه وانظري حولك.»

ثم استدارت آيا إلى هيرو وقالت: «سأفعل ما قالته تالي-ساما ... وأختبئ.»

استأنفت آيا السير مجددًا، بعيدًا عن أضواء القصر، وبعيدًا عن كل شيء.

تبعها هيرو وهو لا يزال يجادلها، قال لها: «أنت تفكرين كفتاة مغمورة، لا يمكنك الاختباء! فليس على أي شخص يريد العثور عليك سوى أن يُشغل المدونات!»

عندئذ اجتاح آيا شعور بالدوار أثناء سيرها، فقد كانت الكاميرات الطائرة تتحرك فوقها الآن وتلاحقها كظلها في كل خطوة، كما لو كانت تسير فوق بساط متحرك رياضي لا ينتهي عند أي مكان. وشعرت آيا بأنها محاصرة تحت أنظار عدساتها وكأنها فراشة مقيدة بمائة دبوس.

سألت آيا رين: «هل يمكنك فعل شيء بشأن هذه الأمور؟»

– «حسنًا، ربما يمكنني ذلك.» ثم أخرج رين جهازًا للخدع وأردف قائلًا: «عندما يريد كبار المدونين التكنولوجيين أن يحاطوا بهالة معتدلة من الشهرة يقومون بتشويش كل شيء على بعد مائة متر أو ما يقارب ذلك، وربما قد أتمكن من الوصول إلى بضع دقائق نختفي فيها عن الأنظار.»

– «أرجوك.» ونظرت آيا إلى الكاميرات التي علت رأسها ثم قالت: «يبدو الابتعاد قليلًا عن الشهرة أمرًا جيدًا الآن، وآمنًا على أي حال.»

استمر هيرو في جداله: «لكن لماذا سيتعقبك أي شخص؟ فالجميع في العالم يعلمون بالفعل بوجود هذا السلاح، ما الذي يمكنك فعله له أكثر من ذلك؟ لم تخفي أي شيء، أليس كذلك؟»

هزت آيا رأسها بالنفي ثم قالت: «بالطبع لا، فأنت وهيرو تقولان دائمًا إن إخفاء اللقطات يعد انحرافًا عن الحقيقة تمامًا؛ لذا كل شيء مذكور فيها. حسنًا، فيما عدا ...»

توقفت آيا عن الحديث وهي تفكر في المخلوقات الغريبة غير الآدمية التي رأتها هي وميكي.

سألها فريز بصوت خافت: «فيما عدا ماذا؟»

– «هناك شيء واحد أغفلت ذكره.» ثم نظرت إلى هيرو وأردفت: «لكنني لا أملك أي صور لهم.»

ضيق هيرو عينيه وقال: «صور لمن يا آيا؟»

– «حسنًا، في تلك الليلة الأولى التي ركبت فيها ... ما الذي يهم في ذلك الأمر على أي حال؟»

تقدم هيرو خطوة نحوها ليقترب منها وقال: «لأنك إذا لم تنشري كل شيء في المدونات، فثمة شخص ما يمكنه إسكاتك! ماذا أغفلت؟»

– «حسنًا، في النفق في تلك الليلة الأولى رأيت أناسًا لم يكونوا إلى حد ما ... بشرًا.»

ساد صمت وحدق ثلاثتهم فيها بذهول.

حينئذ دوى صوت ارتطام مكتوم في الظلام على مقربة منهم، فقفزوا جميعًا. فعلى بعد بضعة أمتار منهم كان هناك كاميرا ملقاة على جانبها وأضواؤها مطفأة، ثم جاء صوت ارتطام آخر من مكان أبعد، ثم تكرر الصوت مرة ثالثة، فنظرت آيا إلى أعلى.

لقد بدأت الكاميرات الطائرة تتساقط.

ابتسمت آيا وقالت: «رائع، كيف فعلت ذلك يا رين؟»

خفض رين جهاز الخدع، وقد ارتسم على وجهه تعبير حائر، ثم قال: «إليكم خبرًا سيئًا، أنا لا أفعل ذلك، شخص آخر يفعله.»

وتدفقت أصوات الارتطام من كل جهة الآن كعاصفة برد تزداد حدة شيئًا فشيئًا، وعندما رفعت آيا ذراعيها فوق رأسها لاحظت أن السماء صارت شبه خالية من الكاميرات بالفعل.

سرعان ما ستكون غير مرئية مرة أخرى، وعندئذ وبمجرد ألا يكون هناك أحد يشاهدها قد تختفي آيا فيوز إلى الأبد.

بدأت آيا في الركض.

هروب واختباء

صاح هيرو قائلًا: «أحضري لنا أربعة ألواح طائرة، تجاهلي الملكية! لا أكترث بمن يمتلكها، هذه حالة طارئة!»

تقدمتهم آيا في طريق عودتهم إلى الحفل، ففي هذا الوقت يكون البقاء وسط جمع الناس أفضل من الظلام، وتعقبتهم آخر بضع كاميرات طائرة بإصرار وأخذت تتساقط في الهواء واحدة تلو الأخرى.

همست آيا باستهجان: «موجل، هل ما زلت هناك بالأعلى؟» ظهرت زاوية رؤية الكاميرا الطائرة، ورأت آيا نفسها والآخرين من مسافة بعيدة كنقاط ممتدة عبر المكان الفسيح للعب كرة البيسبول، ولم يظهر شخص آخر في زاوية رؤيتها. قالت آيا: «ابقي في الأعلى يا موجل! فهناك شخص يشوش اتصال كل شيء حولنا.»

في تلك اللحظة وكأنه كان أمرًا مخططًا له، سقطت كاميرا طائرة أخرى على الأرض أمام آيا، فقفزت آيا من فوقها وكاد ثوب الحفلة يتشابك حول كاحليها.

صاح هيرو: «ها هي ذي هناك!»

كان هناك أربعة ألواح طائرة تنطلق بسرعة عبر الملعب في اتجاههم، وبدت كصورة ظلية وسط الأضواء المنبعثة من حفل مهاويس التكنولوجيا.

سألت آيا: «ألن تسقط مثل الكاميرات؟»

قال رين: «أظن أنني أستطيع إعاقة التشويش على الروافع.» وأخذ ينقر بأصابعه فوق جهاز الخدع وهو يركض ثم أردف: «ابقي على مقربة مني فحسب.»

تساءل فريز: «ولكن هل هناك أحد يطاردنا؟»

تفحصت آيا بعينيها الظلام بين القصور، ولكنها لم تر أي شخص أو أي شيء سوى الحطام الساكن للكاميرات، مبعثرًا على الأرض.

ثم سمعت صوت اندفاع سيارة طائرة مسرعة.

اندفعت السيارة الطائرة فوق رءوسهم وطمست أصوات خطواتهم المكتومة محركة شعر آيا بقوة أثناء مرورها. وللحظة ظنت آيا أنها كانت سيارة الحراس لكنها سمعت عندئذ دوي المراوح الرافعة، كانت السيارة مصممة للسير خارج نطاق المدينة، وهذه الأماكن لم يذهب إليها الحراس أبدًا.

ولسبب أو لآخر شكت آيا أنها سيارة حراس الغابات.

انعطفت السيارة انعطافًا عنيفًا وهبطت أمامهم، وتلألأ العشب تحت أقدامهم بعد أن أثارته العاصفة الترابية التي أحدثتها المراوح الرافعة، وارتفعت زوابع من الثرى من خطوط ملعب كرة البيسبول.

وعبر الزجاج الأمامي للسيارة حدق فيها مخلوقان بهدوء غريب، كانت عيناهما متباعدتين للغاية وبشرتهما شاحبة اللون خالية من الشعر، تمامًا مثل الوجوه المخيفة التي رأتها في النفق.

اضطربت آيا في مشيتها ثم توقفت، فكما قالت ميكي في تلك الليلة إنهم لم يبدوا بشرًا.

جذبها رين للركض ثانية، ومالا حول السيارة الطائرة، واضطرت آيا أن تغمض عينيها جزئيًا بسبب التراب المتطاير في الهواء، وانتفخ ثوبها من حولها كمظلة مفتوحة.

وعندما استقرت السيارة فوق الأرض انشق جانبها واندفع منها ضوء شق ظلام الملعب. فلمحت آيا مخلوقين آخرين بالداخل ظهرا كظلين أسودين وسط السحب الترابية الهائجة.

سمعت آيا بعد ذلك صوت صياح، فرأت هيرو ورين يخرجان من وسط الزوبعة الترابية بسرعة ويتبعهما لوحان طائران خاليان.

صاح فريز: «لم أركب واحدًا من هذه من قبل!»

قالت آيا: «التصق بي فحسب!» وقفزت فوق لوح وجذبته خلفها، وتمايلا على نحو جامح لحظة، وكان فريز يتأرجح وكأنه طفل صغير فوق عارضة توازن.

صرخ رين قائلًا: «ابقي على مقربة مني وإلا سيقومون بالتشويش على روافعك!» وأخذ يلوح بجهاز الخدع وهو ينطلق بجانبها.

مالت آيا في منعطف شديد وهي تتبع رين وهيرو، وشعرت بالتفاف ذراعي فريز حولها والتحام جسده بها أثناء اكتساب اللوح سرعته.

ارتفع صوت طنين السيارة الطائرة مجددًا وراءهما، وكانت الريح الناتجة عن دوران مراوحها تعصف بالهواء، فبسطت آيا ذراعيها بقوة، وتمنت لو لم ترتد الحذاء العالي ذا النعل السميك هذه الليلة. إلا أنها على الأقل كانت تجني ثمار الأسبوعين المنصرمين، فركوب شخصين على لوح طائر واحد وسط ريح هادرة لم يبلغ في صعوبته نصف صعوبة الركوب فوق سطح القطارات المغناطيسية المعلقة.

ومع ذلك تسبب الوزن الزائد الذي أوجده فريز في مشكلة، وكان هيرو ورين يتقدمان عنهما بالفعل. فمالت آيا إلى الأمام كي تزيد من سرعة اللوح، فإذا ابتعدا عن رين كثيرًا فسيسقطان مثل الكاميرات الطائرة التي تعرضت للتشويش.

ناهيك عن أنهما لم يرتديا حتى الأساور الواقية من الصدمات ...

صاحت آيا: «تشبث!» لكن تبددت كلماتها وسط ضجيج السيارة التي تطاردهما.

ولحسن الحظ لم يكن القصر بعيدًا عنهما الآن، فقد تمكنت من رؤية رواد الحفل فوق سطحه وهم يشاهدون المطاردة، ولعلهم يتساءلون عن ماهية هذا النوع من الحركات الاستعراضية الخطيرة.

دوى هدير السيارة الطائرة فوق رأسيهما مرة أخرى، وأدى تدفق الهواء الذي أحدثته مراوحها إلى دخول آيا وفريز في سلسلة من المنحنيات المتعرجة، فتمايلت آيا بجسدها لتحافظ على بقائها هي وفريز فوق اللوح بصعوبة.

صاح فريز: «هناك!»

قفز مخلوقان من باب السيارة الطائرة المفتوح، وانبسطت أذرعهما وأقدامهما الغريبة وهما يسقطان في الهواء، ووثب الاثنان في الهواء وأخذا يدوران في دوامات الريح الثائرة أسفل السيارة، لكن سرعان ما استعادا السيطرة على حركاتهما. ولاحظت آيا حينئذ انبثاق وسادات رافعة من جسديهما ذوي الأطراف النحيفة.

صاحت آيا: «إنهما يرتديان عدة الكرة الطائرة، اللعنة!»

كان المخلوقان يسرعان تجاههما الآن وهما يركبان الهواء الناتج عن دوران السيارة، وكأنهما يمارسان رياضة ركوب الأمواج وسط ريح هوجاء.

صاحت آيا: «تشبث جيدًا!» ثم التفت باللوح الطائر التفافًا سريعًا في الاتجاه المعاكس عائدة إلى ملعب البيسبول مرة أخرى.

أحكم فريز التفاف ذراعيه حولها جيدًا وتحرك بثقله معها.

لكن هذين المخلوقين الغريبين كانا يقلصان الفجوة الفاصلة بينهما، وعندما استدار هيرو ورين للحاق بهما، مر المخلوقان النحيلان بسرعة بجانبهما دون الاهتمام بهما.

كانت آيا فيوز هي من يريدان.

اتجهت آيا نحو أقرب الأشجار إليهما وحاولت أن تدفع لوحها الطائر ليحلق أسرع في الهواء، لكنه لم يكن سوى دمية مقارنة بالألواح الطائرة عالية السرعة الخاصة بالفتيات الماكرات.

انبثقت الأشجار أمامهما ومالت آيا بجسدها من جانب لآخر، متحاشية الجذوع السميكة للأشجار.

تخللت أشعة الضوء المنبعثة من السيارة الطائرة أوراق الشجر فانتشرت بقع الضوء على أرض الغابة وكأنها عملات لامعة.

أطبق فريز شفتيه بالقرب من أذن آيا ثم قال: «لماذا لم نسقط؟»

طرفت آيا بعينيها، لا بد أن هيرو ورين كانا على بعد خمسين مترًا.

صاحت آيا: «بالطبع! لقد اضطر الحارسان إلى إيقاف التشويش لكي يستخدما جهازي الكرة الطائرة الخاصين بهما، وهو ما يعني أن ... موجل، تعالي إلى هنا! أحتاج إليك!»

صاح فريز: «آيا! إلى جهة اليمين!»

كان أحد المخلوقين الغريبين ينقض عليهما وقد امتدت أصابعه الطويلة كالمخالب، فانحنى فريز وآيا لأسفل أثناء مرور ذلك المخلوق الغريب بهما.

فزع فريز خلفها وقال: «آه! ثمة شيء وخزني!»

قالت آيا: «ماذا؟»، ووقفت مجددًا ودفعت باللوح الطائر إلى منعطف شديد آخر، ومدت عنقها لكي تنظر إليه ثم قالت: «هل أنت بخير؟»

– «أعتقد ذلك، لكنني أشعر ببعض ... انتبهي!»

نظرت آيا حولها فوجدت المخلوق غير الآدمي الآخر ينتظر أمامها مباشرة باسطًا ذراعيه، ورءوس أصابعه تتلألأ بوميض الإبر التي اعتلتها.

مالت آيا بجسدها كله إلى أحد جانبيها، فمال اللوح الطائر حتى توقف، لكن جسد فريز كان يفقد اتزانه وانزلقت ذراعاه من حول خصرها.

نادت آيا بصوت عال: «فريز!» لكنها لم تسمع سوى صوت تأوه ...

وبعد ذلك بدأ يسقط من فوق اللوح.

- «فريز!»

بسطت آيا ذراعيها لكي تمسك به لكنه كان يسقط بسرعة بالفعل في الهواء في خط مستقيم في اتجاه المخلوق الغريب الذي كان ينتظرهما، فارتطم جسداهما مخلفًا صوت ارتطام مكتوم مروع، وسقط المخلوق الطويل النحيل وذراعاه الطويلتان ملتفتان حول فريز، وتهاوى كلاهما إلى الوراء في الظلام.

وفجأة اختل توازن اللوح الطائر بعد تحرره من وزن فريز وأخذ يدور في الهواء مائلًا إلى جانبه، ودارت جذوع الأشجار حول آيا التي كانت غصونها الحادة تضرب وجهها ويديها كالسياط، فجثمت آيا وتشبثت بحواف اللوح، وسمحت للوح بالتخلص من قوته الدافعة عن طريق الالتفاف بحركة لولبية.

عندما هدأت سرعة دوران اللوح قليلًا تحررت آيا وتدحرجت فوق أوراق الشجر، وانتصبت واقفة وركضت إلى حيث يرقد فريز وذلك المخلوق الغريب باسطين أذرعهما وأقدامهما بلا حراك فوق أرض الغابة.

انجذبت عيناها إلى وجه المخلوق الغريب، فقد كانت بشرته شاحبة اللون وذراعاه نحيلتين وبدتا ضعيفتين، لكن الإبر الموجودة برءوس أصابعه لم تكن غامضة، لقد كانت تهدف إلى إلحاق الأذى بالأشخاص.

لكن كانت قدماه أكثر أعضائه غرابة، حيث كانتا خاليتين من الشعر ومشوهتي المنظر، وكانتا تشبهان الأيدي إلى حد بعيد، وكذلك كانت أصابع قدميه الطويلة معقوفة إلى أعلى مثل قدم عنكبوت ميت.

حررت آيا فريز من شرك المخلوق الغريب وقالت: «هل تسمعني؟»

لم يجبها ثم رأت آيا ندبة حمراء صغيرة برقبته، لقد فقد وعيه بسبب ثلم واحد من هذه الأصابع الإبرية ... أو ما هو أسوأ من ذلك.

جذبته آيا إليها وشعرت بدوار يصيب رأسها، فالسيارة الطائرة لا تزال تتحرك فوق رأسها، مرسلة ضوءًا مرتعشًا عبر أوراق الشجر، وكانت الظلال تميل أثناء تحركها وكأن العالم بأكمله يتمايل.

جاء صوت صياح: «آيا!» نظرت آيا إلى أعلى فرأت هيرو ورين يميلان بين الأشجار.

لكن ظهر أمامهما المخلوق الغريب الآخر الذي كان ينطلق بسرعة تجاههما وذراعاه منبسطتان وأصابعه تتلألأ، وكانت بشرته الشاحبة تتوهج في الظلام.

جذبت آيا فريز إليها أكثر وهي تشعر أنها بمفردها تمامًا، أين كان الحراس؟ أين كان الأشخاص البالغ عددهم نصف مليون الذين كانوا يراقبون كل خطوة تخطوها منذ خمس دقائق؟

كان يبعد عنها بمسافة عشرة أمتار، ثم خمسة ...

وهنا اندفع جسم أسود صغير من بين الظلال منطلقًا بسرعة فائقة في اتجاه بطن المخلوق الغريب، فتكور في الهواء والتف حول نفسه وهو يزمجر، ثم مر بجانب آيا بسرعة. وكانت عدة الكرة الطائرة تبقيه محمولًا في الهواء وهو يدور.

قالت آيا بصوت خافت: «موجل»، وثبت الكاميرا الطائرة بعيدًا وشقت طريقها بجلبة صاخبة عبر الشجيرات الصغيرة.

تدلى المخلوق الغريب من عدة الكرة الطائرة فاقدًا الوعي، وقدماه اللتان تشبهان الأيدي تتأرجحان على مسافة متر من الأرض، ثم صدر صوت تأوه من شفتيه وبدأت عيناه تفتحان بحركة سريعة ...

ركضت آيا تجاهه وقفزت إلى أعلى لتمسك بكتفيه، فانزلقا معًا فوق أرض الغابة ولكن استطاعت عدة الكرة الطائرة أن تتكيف مع وزن آيا.

انبسطت يده لكي تمسك بها، ولكن آيا استطاعت أن تمسك برسغه وتغرز عددًا قليلًا من أصابعه الإبرية في رقبته، فأخذ يلفظ بكلمات سريعة غير مفهومة للحظة وعيناه تتسعان، ثم فقد الوعي تمامًا.

مال هيرو بلوحه حتى توقف تمامًا ثم قال: «آيا! هل أنت بخير؟»

– «أنا بخير.» وقفزت إلى أسفل وهي تحدق ببصرها لأعلى في السيارة الطائرة التي كانت منتظرة هناك دون حراك، والأضواء تتفحص أوراق الشجر بارتياب. أردفت: «ساعدني في حمل فريز.»

انحدر هيرو باللوح حتى توقف، ثم قال لها: «سيكون بخير يا آيا، إنهم لا يهتمون لأمره.»

– «أجل، لكنني أهتم.» وركضت نحو جسد فريز فاقد الوعي ساحبة اللوح الطائر خلفها، ثم جثت على ركبتيها وجذبته من ذراعه محاولة أن ترفعه فوق سطح الركوب.

فأصدر فريز أنينًا.

– «هل أنت بخير؟»

تمتم قائلًا: «يراودني شعور غريب ... أشعر بثقل شديد.»

– «أعرف شعورك خير المعرفة!» وكافحت آيا لحمله، ثم أردفت: «لو كنا نجد سبيلًا لـ ...» ثم نظرت إلى المخلوق الغريب الراقد بجوار فريز.

نزل هيرو من فوق لوحه بجوارها وأخذ يحدق في المخلوق الغريب وقال: «يا إلهي! لا أصدق أنك أغفلت ذكر هذا في قصتك؟»

قالت آيا بسخط: «ساعدني في خلع عدة الكرة الطائرة عن هذا الكائن الغريب.» وجذبت بعنف رافعة الساق التي تزود بها المخلوق الغريب، وأردفت: «يمكننا إلباس فريز إياها!»

قال هيرو وهو يجثو على ركبتيه: «لا بأس، إليك طريقة فعل ذلك.»

حل هيرو الأربطة بطريقة محترفة، وحرر الوسادة الرافعة، ووضعها حول قدم فريز، انضم رين إليهما وسألهما: «ماذا حدث له؟»

أجابته آيا: «لقد وخزه ذلك الكائن الغريب بأصابعه الإبرية.» ثم نظرت أعلاها إلى السيارة الطائرة، إذ كان بابها الجانبي ينفتح مرة أخرى واندفع ضوء إلى الخارج أحاط بظلين أسودين لمخلوقين آخرين. قالت: «سحقًا، سيأتي المزيد منهم!»

قال هيرو: «لقد انتهيت.» وكان يربط آخر وسادة للساعد في مكانها ثم أردف: «لقد ضبطت الجهاز على وضع انعدام الشحنة الكهربائية، إذ لا بد أن يحتفظ بحالة انعدام الجاذبية الآن.»

ارتفع فريز بسهولة من فوق الأرض، إذ أصبح فجأة عديم الوزن ونقلت آيا جسده فوق لوحها الطائر وجثت على ركبتيها فوق جسده.

انسل هيرو ورين على لوحيهما إلى جانب لوح آيا وبسطا أيديهما وسحباها إلى الأمام وكأنها طفلة صغيرة تتخذ مكانًا لها بين والديها، وسرعان ما انطلقوا إلى الأمام عبر فجوة بين الأشجار.

سألت آيا: «هل يلاحقوننا؟»

نظر رين إلى الخلف. «لا أظن ذلك، إنهم يرفعون المخلوقين الآخرين.»

قال هيرو: «أظن أن وجود جثمانين غريبين سيكون أمرًا أسوأ من وجود شاهد واحد على قيد الحياة، وفي هذا الصدد، ثمة أمر يجب عليك تفسيره لنا يا آيا.»

– «عندما نصل إلى بر الأمان.»

– «أي عندما نعود إلى الحفل، أليس كذلك؟»

– «لا، سنفعل ما أمرت به تالي، نختبئ.»

سألها رين: «أين؟»

عضت آيا شفتها وهي تحكم قبضتها حول جسد فريز فاقد الوعي كي لا ينزلق من فوق اللوح، ثم قالت: «خزان المياه الكامن تحت الأرض.»

قال رين: «ذلك الخزان البارد المثقل بالرطوبة، لكنه المكان الوحيد في المدينة الذي لا توجد به كاميرات.»

قالت آيا: «بالضبط.» كان هناك شيء يمر بين الأشجار على مرمى بصرها، فحملقت فيه سريعًا، ولمحت كاميرا طائرة ذات طلاء تمويهي أسود لا تزال تترنح من أثر تصادم وقع مؤخرًا.

أطلقت الكاميرا أضواءها الليلية بسرور وبدأت صور غير واضحة تتدفق عبر رؤية آيا. وأيًّا كانت طبيعة هذه المخلوقات غير الآدمية، فهذه المرة ثمة من رآها وليس فقط عينا آيا. فوجدت آيا نفسها تبتسم.

لقد التقطت موجل صورًا لتلك المخلوقات.

حكمة الجماعة

ومض موقع الإنشاءات الجديد بضوء برتقالي خافت، وكانت ماكينات الحفر تقف في سكون في أماكن الحفر.

قال هيرو: «تفقدي رسائلك مرة أخرى قبل أن ينقطع الاتصال.»

تفحصت آيا عدسة عينها ثم هزت رأسها بالنفي؛ إذ وجدت عددًا قليلًا من الرسائل ذات الأولوية ترد على قناة الاتصال الخاصة بالحراس، وقد يكون هناك عشرة آلاف رسالة أخرى تسألها عما كان يحدث، ناهيك عن مليون نظرية تزخر بها المدونات، لكن لا شيء من تالي يانج بلود.

قال رين: «إذا كانت قادمة فوق صاروخ تحت مداري، فستكون خارج نطاق الاتصال لبضع ساعات.»

تنهدت آيا وقالت: «لا يهم ما دامت ستأتي إلى هنا سريعًا.»

انخفضوا جميعًا بالألواح الطائرة تجاه النفق الذي امتد أسفلهم، ثم شقوا طريقهم داخله.

تحرك فريز قليلًا بينما يلتف الظلام من حولهم وأطلق أنينًا قائلًا: «مهلًا، هل سأفقد الوعي ثانية؟»

قالت آيا: «لا، نحن متجهون تحت سطح الأرض فحسب.» ثم ضمته إليها أكثر وأردفت: «أطفئي أضواءك يا موجل، ستفضحين أمرنا.»

تمتم فريز: «القطع المتلألئة بثوبك ... ترسل وميضًا.»

أومأت آيا برأسها وأخذت تطوي أصابعها، فانبعثت الأضواء من القطع المعدنية بثوبها، وعلى الرغم من أن البطارية كانت قد وصلت إلى أضعف درجات طاقتها كان وميض القطع المعدنية كافيًا لإنارة المكان المعتم قليلًا.

قالت آيا: «ألم أقل لك إن هذا هو الثوب المناسب يا هيرو؟»

– «هذا أمر مسل للغاية! هل ستخبريننا إذن بما حدث في تلك الليلة هناك؟»

– «ليس بعد.»

انحدر الأربعة معًا إلى النفق وتلاشى وراءهم الضوء البرتقالي لكشافات العمل الموجودة فوق سطح الأرض، وبعد مرور دقائق طويلة، نما إلى أسماعهم أصداء قطرات المياه المتساقطة، ثم كشفت فوهة النفق عن المساحة الفسيحة لخزان المياه.

أوقفت آيا لوحها الطائر في الهواء.

كان المكان المظلم الفسيح الذي يشبه الكهف يومض بالأضواء المتضائلة المنبعثة من ثوبها، وكذلك كان السقف يومض على نحو واهن بالانعكاسات المهتزة للمياه. ويبدو أن موجل قد تذكرت المكان، فسرعان ما بدأت تتحرك في عصبية بحركات دائرية في أرجاء النفق وهي تتحقق من احتمالية تخفي فتيات ماكرات في النفق يحملن مقابض إغلاق لها.

انزلق هيرو بلوحه ثم توقف بالقرب من آيا وجلس القرفصاء فوق اللوح ثم قال: «يا له من مكان اختباء رائع يا آيا! لا يوجد أرض فعلية للوقوف عليها، أليس كذلك؟»

قال رين: «لا، لكن هناك الكثير من المياه.»

تنهدت آيا وقالت: «إنه لا يماثل تمامًا القصر المتحرك.» فقد علق في مخيلتها ذلك الجناح الذي أراها إياه هيرو، حيث المساحات الشاسعة الضخمة والمناظر الرائعة للمدينة. وها هي ذي تتوارى خوفًا تحت سطح الأرض في أول ليلة من ليالي شهرتها.

حينئذ ترددت أصداء أنفاس فريز البطيئة بين الأجزاء الحجرية قوسية الشكل للنفق، وبدأ يتحرك حركة ضئيلة أسفلها، وقد بدأت آثار وخزة الإبرة تتلاشى. تفحصت آيا الندبة برقبته، كان الاحمرار قد اختفى تقريبًا.

قال رين: «أيًّا كان ما حوته تلك الإبر، فهو كان يهدف إلى إفقادك الوعي يا آيا، لكن فريز من الحسان، وسيكون بخير.»

أومأت آيا برأسها، فالعملية الجراحية التي يخضع لها الحسان تزيد من قوة أجسادهم، وتسرع من قدرتها على الشفاء، إضافة إلى جعلهم حسانًا.

سأل هيرو: «إذن من كان هؤلاء الأشخاص؟»

قالت آيا: «ليس لدي أدنى فكرة، لم أرهم سوى مرة واحدة من قبل.»

سأل رين: «عندما رأيت الجبل يكشف عما بداخله لأول مرة؟»

– «أجل، كنا ننظر أنا وميكي من فوق حافة القطار، كان هناك ثلاثة منهم بأجساد نحيلة وطويلة. لكن المكان كان حالك الظلمة، وظننت أنها ظلال متراقصة ... في البداية.»

تنحنح هيرو: «ولم تكترثي بذكر ذلك؟»

– «لم أكن أملك أي صور لهم! وكان الأمر لا يعقل، لقد ظننت أنه إذا بدأت بالحديث عن هذه المخلوقات الغريبة، فسيظن الجميع أنها ليست سوى قصة أخرى عن قردة جراحات التجميل الغريبة، فذكر المخلوقات الغريبة لا يتناسب مع الموضوع الرئيسي للقصة عن الأسلحة الفتاكة بالمدن.»

صاح هيرو قائلًا: «لا يتناسب مع الموضوع الرئيسي؟ من أي عصر أنت، مدونة من العصر القديم؟ لهذا الغرض وُضعت اللقطات الواردة في الخلفية!»

قال رين: «لنرجئ هذه المحاضرة يا هيرو، نحن الآن نحتاج لأن نعرف من هؤلاء الأشخاص ولماذا يلاحقون آيا.»

زفر هيرو بسخط: «ينبغي لنا الآن العودة إلى سطح الأرض ونشر هذا الحدث! لنستدع الحراس إذا أردتم!»

سأل رين: «وهل سنثق في مدينتنا؟»

قال هيرو بتذمر: «أنا أثق في أي شخص ما دام أن مئات الآلاف من الناس يشاهدوننا. ما لا أفهمه هو كيف عرف هؤلاء المتشبهون بالقردة أنك رأيتهم؟»

قال رين: «ربما هناك شيء في لقطات الخلفية يفسر هذا الأمر، يا له من أمر مزعج، أن ينعدم اتصالنا بالمدونات هنا بالأسفل.»

قالت آيا: «إن موجل لديها نسخة من كل شيء.»

– «حسنًا، سألقي نظرة، نبهيني إذا حدث أي شيء مثير.» تمدد رين فوق لوحه الطائر وأخذت عدستا عينيه تومضان بإشارة الانغماس التام.

ابتلعت آيا ريقها خوفًا، فقد أصبحت عمليًّا بمفردها تقريبًا مع هيرو بعد أن انهمك رين في فحص الصور، وكان فريز فاقدًا الوعي جزئيًّا، وكذلك كانت الأضواء المتلألئة الأخيرة المنبعثة من ثوبها تخبو، وجعل الظلام تعبير وجه هيرو يبدو أكثر غضبًا في كل ثانية.

قالت آيا: «ماذا عن تشغيل بعض الأضواء يا موجل؟»

انبعثت الأضواء الليلية للكاميرا الطائرة وملأت الكهف الكبير، وتحركت الظلال الداكنة أثناء تحرك موجل بضجر في أرجاء الخزان الكامن تحت الأرض، لكن هيرو ظل بلا حراك تمامًا، وأخذ يحدق إليها مباشرة.

تنهدت آيا وهي تقول: «لم أقصد أن أكذب.»

– «كلا يا آيا، فعندما تنتقين الحقائق وتختارين من بينها لإعداد قصتك، ينتهي بك الحال دائمًا إلى الانحراف عن الحقيقة، ولهذا يتميز المدونون الصالحون بنشر كل شيء، اتركي التلاعب للمغمورين الذين لا يشاهدون المدونات إلا عشر دقائق.»

– «دعني أذكرك مرة أخرى بأنني لم أكن أملك أي لقطات لهذه المخلوقات الغريبة!»

– «لكنك رأيتها وأخفيتها، وهذا نوع من الكذب.»

تأوهت آيا وهي تحدق في المياه، وازداد سطحها ظلمة مع انطفاء الأضواء المتلألئة المنبعثة من ثوبها واحدًا تلو الآخر. قالت: «لقد أفسدت كل شيء، أليس كذلك؟»

أجابها هيرو: «ليس كل شيء.» ثم خفض كتفيه وأردف: «لو أنك ذكرت ما رأيت، لكان من الممكن أن نعرف بالفعل من هؤلاء الأشخاص.»

– «كيف؟»

– «إنها حكمة الجماعة يا آيا، فإذا نظر مليون شخص إلى لغز ما، فهناك احتمالية أن يعرف واحد منهم الإجابة، أو ربما قد يكون هناك عشرة أشخاص يعرف كل واحد منهم جزءًا منها، وهذا كافٍ لتجميع الأجزاء معًا.»

تنهدت آيا وقالت: «أظن ذلك، لكنني لم أفكر في المدونات بتلك الطريقة من قبل.»

قال هيرو: «هذا لأن شغلك الشاغل كان الشهرة، فالمدونات أكبر من ذلك، فكما أقول دائمًا، إن هدف المدون هو فهم العالم.»

أشاحت آيا بعينيها، فهذا ما كان ينقصها: أن تصغي إلى محاضرة في الفلسفة من شقيقها الأكبر المتغطرس. كانت الأضواء المتلألئة بالقطع المعدنية بثوبها تلفظ شحناتها الأخيرة، ثم نفدت البطاريات في النهاية. قالت آيا: «حسنًا، لا يوجد هنا أي جماعة، في رأيك من هم هؤلاء؟ هل هم مخلوقات غريبة؟»

– «كلا، إنهم ضرب من قردة جراحات التجميل الغريبة تقريبًا.» وترددت في المكان أصداء صوت نقر هيرو بأصابعه فوق لوحه الطائر في الكهف الكبير، ثم أردف: «في الواقع أظن أنهم قردة حقيقية فعلًا.»

– «ماذا تقصد؟» وتحركت آيا فوق لوحها الطائر، ثم أردفت: «لم ألحظ أي فراء.»

– «لكنك رأيت أصابع أقدامهم، أليس كذلك؟ كانت أصابع ملتوية للإمساك بالأشياء كأصابع القردة، وكأنهم يملكون أربع أيادٍ.»

– «لكن هذا غير منطقي.» وتنهدت آيا ثم أردفت: «ولماذا يجري أي شخص جراحة تجميلية مجنونة إذا كان سيختبئ طوال الوقت؟»

– «لا أعتقد أن الأمر يتعلق ببدعة جديدة يا آيا. إنه أشبه بقصتي عن كبار السن الطامحين إلى الخلود، فالعملية الجراحية لها دلالة ما، لا بد أن هناك حبكة ما تترابط بها الأشياء معًا.»

– «هل تقصد الأسلحة الفتاكة بالمدن والقواعد السرية وأصابع القردة؟»

ابتسم هيرو وقال: «أفهم الآن سبب عنائك في الربط ما بين كل هذه الأمور في عشر دقائق.»

عم الصمت لحظة أخذت آيا خلالها تشاهد الوميض في عيني رين. ربما مع حلول الصباح الباكر ستكون الضجة التي أحدثتها قصة الأسلحة الفتاكة قد هدأت قليلًا. فبغض النظر عن أهمية أي قصة، يحتاج الناس على أي حال إلى أخذ قسط من الراحة أحيانًا، وفي غضون بضع ساعات سيكون من اليسير عليها أن تتسلل إلى سطح الأرض لكي تبعث برسالة إلى تالي يانج بلود.

تذكرت آيا العام الماضي حينما كانت في مدرسة القبحاء حيث كانت تتعلم نشأة ثورة العقول: منطقة الضباب والسلطات الخاصة وحرب دييجو المروعة، واشتركت جميع هذه الدروس في فكرة رئيسية واحدة، وهي أنه ما إن ظهرت تالي-ساما، حتى تلاشت فرص نجاح ذوي النوايا الخبيثة.

مر الوقت في المكان الذي يشبه الكهف بغرابة، فمع انقطاع اتصالهم بشبكة اتصال المدينة، لم تعمل الساعة الموجودة بعدسة عين آيا، لكن بدا أن الدقائق تمر ببطء، وغفت آيا مرة واحدة، واستيقظت في ذعر وهي تتساءل أين هي.

لكن فريز كان لا يزال بجوارها، يداوي آثار وخزة الإبرة بالنوم، ولما كانت آيا ترقد على مسافة قريبة منه فوق اللوح الطائر استشعرت أنفاسه واستدفأت بجسده من برودة المكان. ومهما كان ما قاله هيرو عن أن الشهرة ستحميها، فقد شعرت آيا بأمان أكثر وهي بجوار فريز عن أن تكون وسط أعين مليون شخص.

جلس هيرو القرفصاء فوق لوحه الطائر، وعيناه مغمضتان ورأسه ينحني لاإراديًّا وهو يغفو، في حين كانت عينا رين مفتوحتين وعدستا عينيه تومضان وكأنهما حشرتا سراج ليل حمراوان عالقتان في الهواء، لكنه كان ساكنًا تمامًا.

بعد وقت بدا وكأنه ساعات بدأ فريز يتحرك قليلًا بجانبها، ثم جلس معتدلًا قليلًا ودعك رقبته.

همست آيا قائلة: «كيف تشعر الآن؟»

– «أشعر بأنني أفضل حالًا بكثير.» ثم نظر حوله بنعاس وأردف قائلًا: «أين نحن؟»

– «نحن تحت سطح الأرض.» وأمسكت آيا بيده بقوة وأردفت: «لا تقلق، نحن في أمان هنا حتى تصل تالي-ساما.»

– «هل حملتني إلى هنا؟ كيف استطعت ... ما هذا؟» ولحظة بدأ فريز يرتفع من فوق اللوح من غير جهد منه، فقال: «ماذا يحدث؟»

ابتسمت آيا وقالت: «لقد استعرنا عدة الكرة الطائرة من ذلك المخلوق الغريب، أنت عديم الوزن تقريبًا.»

توقف فريز عن الحركة وجعل نفسه يستقر بجوارها: «لقد أنقذتني.»

تنهدت آيا وقالت: «تقصد أنني أوقعتك في مشكلة كبيرة، لولا حيادي عن الحقيقة، ما كنت لتتورط في هذه المشكلة.»

– «انحراف عن الحقيقة؟»

أومأت آيا برأسها ببطء وقالت: «كما قلت لقد رأيت تلك المخلوقات الغريبة منذ عشرة أيام لكنني لم أعرف حقيقة أمرها؛ لذا فأنا ... أغفلت ذكرها في قصتي؟»

لم ينبس فريز ببنت شفة، وأخذ يحدق في المياه المعتمة فحسب.

همست آيا في النهاية قائلة: «أعتقد أنني كاذبة بالفطرة.»

حرك فريز رأسه بالنفي ثم قال: «كلا، أنت لست كذلك.»

همست آيا باستهجان: «بل أنا كذلك، أنا لا أستطيع قضاء عشر ثوان دون تحريف الحقائق، وأنا أحتل المرتبة السابعة عشرة بين الأشخاص الأكثر شهرة

على مستوى المدينة الآن، بسبب ماذا؟ لأنني خدعت جماعة بأسرها وأقنعتها بأنني واحدة من أفرادها! وبعد ذلك لم أتمكن حتى من نشر القصة دون إغفال شيء ما، لا بد أنك تمقتني.»

أخذ فريز نفسًا بتمهل ثم قال: «أنا لم أخبرك قط من قبل كيف توصلت إلى فكرة الصدق المطلق، أليس كذلك؟»

تنهدت آيا وقالت: «أنا لم أسألك قط. لقد تحدثت كثيرًا عن هوسي بالشهرة فحسب.»

قال فريز: «حسنًا، لقد اعتدت على الكذب ... باستمرار، وكان ذلك أحيانًا لسبب ما، ولكنه في الأغلب كان على سبيل الاستمتاع. كنت أتظاهر دومًا أمام الآخرين، مصطنعًا شخصية جديدة لفريز أمام كل شخص أقابله، وأمام الفتيات على وجه الخصوص.» ثم هز كتفيه ولمعت عيناه الشبيهتان بعيون شخصيات المانجا في الظلام، وأردف قائلًا: «لكنني بدأت أنسى شخصيتي الحقيقية، لعل هذا يبدو غريبًا لك.»

قالت آيا: «في الواقع لا، فهذا أشبه بما حدث معي تقريبًا، وأنا برفقة الفتيات الماكرات، فقد أحببت الشخصية التي تظاهرت بها أمامهن، فقد كانت أكثر شجاعة مني.»

هز فريز كتفيه وقال: «من الممتع أحيانًا أن تقومي بتغيير شخصيتك، لكنني أردت أن أرى كيف يكون الحال دون كذب، وكيف ستنجح علاقة ما عندما يكون المرء غير قادر على إخفاء أي شيء.» ثم أمسك فريز بيدها فاستشعرت وخزًا خفيفًا يسري بجسدها، أردف قائلًا: «كيف يبدو الأمر عندما أفعل هذا ...؟»

ومال فريز إلى الأمام عبر المسافة الصغيرة التي تفصل بين وجهيهما، واقترب منها وقبلها.

بعدها همس قائلًا: «دون أي أكاذيب.»

استردت آيا أنفاسها وقالت: «إنه يشعرني بدوار.» فقد شعرت بدفء يتدفق إلى وجهها كاحمرار الوجه لكنه ليس خجلًا، وشعرت أيضًا بأثر شفتي فريز يتخلف على شفتيها كالطيف وكذلك رجفات تسري عبر جسدها.

ابتسم فريز قائلًا: «أنت على حق، إنه يُشعر المرء بالدوار.»

– «حتى أنا شعرت بذلك، وأنا ملكة الوحل البارعة في الانحراف عن الحقيقة.»

هز فريز كتفيه وقال: «لكنك صادقة أيضًا يا آيا، فبطريقة أو بأخرى، أنت تضفين لمحات من شخصيتك على القصص التي ترويها ... حتى في تلك القصة التي دارت عن ...» وصمت فريز لحظة وهو ينظر حوله في أرجاء الكهف الكبير بتعبير ينم عن تفكير عميق، ثم أردف: «هل نحن على مقربة من موقع قصة النقش على الجدران في الأنفاق الأرضية التي قمت بنشرها؟»

ضحكت آيا بصوت خافت وقالت: «بالطبع، فتلك الأنفاق تؤدي إلى هنا، أتريد أن تراها بنفسك؟»

حرك فريز رأسه بالنفي وقال: «لكن أليست هذه القصة موجودة بمدونتك؟ حيث سيتسنى للجميع مشاهدتها؟»

ترددت آيا؛ فقبل هذه الليلة نادرًا ما شاهد أحد مدونتها، لكن وهي صاحبة الترتيب رقم سبعة عشر، سيتفحص الكثيرون من الناس مدونتها، وفي الوقت نفسه كان الجميع يبدون آراءهم ويتباحثون بشأن المكان الذي اختفت فيه آيا فيوز وسبب اختفائها.

ربما لن يكترث بمشاهدة قصصها القديمة سوى بضعة آلاف من الأشخاص، وغالبيتهم لن يلاحظوا أن الأنفاق المذكورة في قصة جماعة النقش على الجدران مكان مثالي للاختباء، لكن من بين مليون شخص في المدينة، ماذا لو أرسل واحد منهم كاميرا طائرة إلى الأسفل هنا للتحقق من الأمر؟

– «يا إلهي، قد تكون على حق يا هيرو! أظن أن علينا الانصراف!»

انتفض شقيقها مستيقظًا: «ماذا؟ لماذا؟»

– «إن الأنفاق التي تؤدي إلى هذا المكان مذكورة في مدونتي، إنها قصة جماعة النقش على الجدران التي نشرتها.»

قال هيرو: «لكن كان ذلك من أسبوعين ...» ثم خبا صوته.

قالت آيا: «ما المسمى الذي أطلقته على ذلك؟ حكمة الجماعة؟»

انتبه رين إلى أصواتهم، فجلس وطرف بعينيه وميض عدستي عينيه ثم سأل: «ماذا يجري؟»

صاح هيرو: «هذا المكان أصبح شهيرًا من مدونة آيا.»

فهم رين الأمر على الفور، وقال بنبرة تعيسة: «يا لنا من أغبياء!»

همست آيا باستهجان: «موجل، أطفئي أضواءك.»

امتثلت الكاميرا الطائرة لأمرها، وغرقوا جميعًا في ظلام دامس.

أخذت آيا تطرف بعينيها من آثار الضوء الخافتة العالقة بهما، وهي تحتضن فريز بقوة، ثم تكيفت عيناها تدريجيًّا واستطاعت أن ترى شيئًا ما ...

ثم ظهر ضوء خافت للغاية من أحد مصارف مياه الأمطار التي تتسرب منها المياه مرسلًا ظلالًا تنحدر عبر الظلام.

مصورو المشاهير

صاحت آيا وهي تدفع لوحها تجاه أقرب جدار إليها: «تتبعي صوتي يا موجل.»

لم تظهر مصارف مياه الأمطار في هذا الجانب من خزان المياه في قصة النقش على الجدران، ومن المؤكد أنه لا يوجد عدد كاف من مطاردي آيا يمكنه البحث في كل نفق وقناة في المدينة.

همس فريز: «ها هو ذا الجدار.»

بسطت آيا ذراعها ولامست أحجاره الباردة وتحركت في اتجاه صوت قطرات المياه المتساقطة، حتى ترددت أصداء مصرف مياه أمطار أمامهم.

نادت آيا بهدوء: «موجل؟ تعالي إلى هنا.» وبعد لحظة واحدة اصطدمت الكاميرا الطائرة بها. أردفت آيا: «اصعدي إلى أعلى وتفقدي هل الطريق خالٍ أم لا. ولا تضيئي أضواءك!»

انسلت موجل بعيدًا.

ومن فوق كتفها ازدادت حدة الضوء المنبعث من مصرف مياه الأمطار الآخر حتى إنها استطاعت أن تتبين وجهي هيرو ورين في وهجه.

سألت آيا: «هل يمكنك فعلًا تشويش اتصال كاميرا طائرة يا رين؟»

– «يمكنني المحاولة.» وظهر وجهه في الهواء مضاءً بوهج جهاز الخدع.

همس فريز: «إذا أردت الخروج من هنا بسرعة يا آيا، اتركيني هنا فحسب، لا أستطيع ركوب اللوح الطائر، ولا يوجد أحد يطاردني.»

قالت آيا بازدراء: «لا تكن غبيًّا يا فريز، إن تلك المخلوقات الغريبة تعرف أنك رأيتها، ولن أتركك هنا تحت سطح الأرض!»

شغلت آيا عدسة عينها. ومن زاوية رؤية موجل امتد النفق أمامها خاليًا ومظلمًا.

قالت آيا: «هذا المصرف خالٍ.»

همس هيرو قائلًا: «إذن فلنبدأ التحرك، فذلك الضوء يقترب منا أكثر.»

بسطت آيا جسمها فوق اللوح الطائر وضمت فريز إليها، وتحركا داخل النفق ثم ارتفعا إلى أعلى سريعًا.

كانت موجل قريبة من سطح الأرض، إذ ومضت كشافات العمل ذات الأضواء البرتقالية من الطرف الآخر لمصرف مياه الأمطار.

حينئذ بدأت المدونات تظهر مجددًا في عدسة عينها، وأظهرت ساعة المدينة أنه قد تبقى ساعتان على بزوغ الفجر.

همست آيا: «توخي الحذر يا موجل، لا تدعي أي شخص يراك!»

أبطأت الكاميرا الطائرة من حركتها، وأخذت تختلس النظر إلى أعلى من مدخل المصرف، وراقبت آيا المشهد أثناء تفحصها لموقع الإنشاءات، لكن لم يكن هناك سوى الماكينات الساكنة وهيكل حديدي فارغ لأحد المباني غير المكتملة.

– «حسنًا يا موجل، انتظرينا.»

صعدت آيا وفريز نحو السطح، حتى شعرت بنسيم بارد يداعب وجهها، وظهرت موجل في عدسة عينها كظل أسود في ضوء كشافات العمل. وعاد الاتصال بالمدونات بكامل قوته وشغلت رؤية آيا بمئات النقاشات الصاخبة: كالذعر بسبب اختفائها ونظريات حول هوية صانع الأسلحة الفتاكة بالمدن، وشكوك حول ما إذا كانت القصة برمتها ليست سوى خدعة. ظن معظم الناس أن آيا قد اختطفتها السيارة الطائرة الغامضة، إضافة إلى وجهة نظر الشخص النكرة الذي رأى أن الناقل الدفعي للكتل المعدنية كان السلاح السري للمدينة، ونادى أيضًا بالقبض على آيا بتهمة الخيانة.

صرفت آيا هذه الأفكار المزعجة عن تفكيرها وركزت في العالم من حولها، فلقد تعلمت من قصة ملكة الوحل كم من الممكن أن تكون المدونات بلا مغزى.

أحيانًا لا تكمن حكمة الجماعة إلا في إصدارها للكثير من الضجيج ليس إلا.

تفحصت آيا بعينيها موقع الإنشاءات من مدخل مصرف مياه الأمطار، وقالت: «حسنًا، يبدو أن المكان لا يزال خاليًا، هل أنتم جميعًا مستعدون؟»

قال فريز: «لدي سؤال واحد، أين سنذهب؟»

تجهمت آيا وقالت: «أصبت.» إذا استطاع الناس العثور على خزان المياه الكامن تحت الأرض، فأي مكان آخر يمكنها الاختباء فيه؟ فكل الأماكن المثيرة التي

استكشفتها آيا طيلة حياتها نشرتها في إحدى قصصها، فقد ذكرت في مدونتها مقر إقامتها وأسماء أصدقائها جميعًا، وحتى لونها المفضل.

لم تحتفظ آيا بأي أسرار لنفسها.

– «ما رأيك يا هيرو إذا ذهبنا إلى مكان إقامتك؟»

– «مكان إقامتي؟ إنه أكثر مكان يمكن أن يفتضح أمرنا فيه.»

– «على الأقل سنتمتع بقدر وافر من الخصوصية، إنه قصر إحدى الشخصيات الشهيرة، لذا لا تستطيع الكاميرات الطائرة الاقتراب منه، وكذلك حي المشاهير بالبلدة لا يبعد كثيرًا عن هنا.»

– «مستحيل، لن تورطيني في هذا ...» وخبا صوته حتى سكت تمامًا ثم أردف: «لكنك محقة بشأن مسألة الخصوصية، لماذا لا نذهب إلى القصر المتحرك، أتذكرين ذلك الجناح الذي أريتك إياه؟»

قالت آيا: «بالطبع، لكنه ليس ملكي.»

قال هيرو: «لكنه مفتوح، عليك فقط الدخول إليه وإعلان ذلك، إن رتبة شهرتك ... يا للهول! لقد وصلت إلى الرتبة الثانية عشرة.»

قال رين: «لا شيء يتفوق على اختطاف شخص ما على يد مخلوقات غريبة.»

سألت آيا: «ما رأيك يا فريز؟»

تردد فريز ثم أطلق تنهيدة: «أي شيء يبدو أفضل من حفرة تحت الأرض.»

ارتفع الأربعة من مصرف مياه الأمطار ببطء وهم يرتجفون في الريح شديدة البرودة.

نظرت آيا إلى ثوب الحفل الذي كانت ترتديه، كان مغطى بأوراق النباتات المبتلة وقطرات المياه التي تسربت إليه وهي داخل النفق؛ لقد عادت ملكة الوحل. لكن رائحة أشجار الصنوبر والهواء المنعش بثا فيها شعورًا بالارتياح بعد ساعات أمضتها وسط أوراق النباتات المتعفنة ومياه الأمطار.

بدت المدينة أكثر يقظة مما هو معتاد في جوف الليل البهيم، وكانت النوافذ تومض، فالجميع كانوا يشاهدون المدونات. واشتد القلق بآيا لدى رؤيتها لذلك المنظر، إنها الصورة المعكوسة للذعر من غياب الشهرة.

فجأة أصبح الكثيرون من الناس يعرفون اسمها.

اتجه الأربعة عائدين إلى المدينة مرة أخرى قاصدين حي المشاهير الذي يعيش فيه هيرو. وظهرت زخارف الشهرة من حولهم، وتدفقت أحواض السباحة من فوق رءوسهم تصدر بخارًا وسط الجو البارد، وأنارت المشاعل الكهربية الممرات بطول الطريق.

لكن لم يكن هناك أحد بالخارج، وكانت النوافذ تعكس ضوء الشاشة الجدارية حتى في هذا المكان، فبقطع النظر عن مدى شهرة الفرد، بدا أن الجميع يتابعون الكشف عن القصة المثيرة.

صاح رين وهو ينظر إلى أعلى من جهاز الخدع الخاص به: «يا إلهي! لدينا صحبة.»

تبعت آيا نظرته المحدقة، فكانت هناك كاميرا طائرة واحدة تصعد في اتجاههم وتنعكس على عدساتها أضواء المشعل الكهربي.

صاحت آيا: «هل يمكنك تشويشها؟»

حرك رأسه بالنفي وقال: «إنها كاميرا تابعة لمصور مشاهير متفرغ، مصممة من أجل تعقب المشاهير.»

صاح هيرو: «نحن على مقربة من القصر المتحرك، دعونا نذهب إليه!» وانطلق إلى الأمام.

صاحت آيا: «تشبث جيدًا يا فريز.» وانخفضت باللوح نحو الأرض وازدادت سرعتهما وهما يهبطان.

تشبث بها فريز أكثر، والتوى جسداهما وانعطفا معًا كما لو كانا جسدًا واحدًا، وشعر فريز بثقة أكبر هذه المرة مقارنة بالمرة الأولى لركوبهما معًا، ومن ثم قررت آيا أن تجازف بعدد من الحركات الخطرة.

استدارت آيا بقوة حول قصر طويل ورفيع، ومرت بين جناحين متباعدين محمولين على دعامات طائرة، فاهتزت روافع اللوح وأخذ ذيله يتحرك من جانب إلى آخر عدة مرات، وزادت ذراعا فريز من إحكام قبضتيهما حولها، بينما كانت موجل التي تبعد أمتارًا قليلة عن كتفها تهتز بفعل التيارات المغناطيسية القوية.

لكن عندما نظرت آيا مرة أخرى كانت كاميرا مصور المشاهير لا تزال موجودة، لقد كان رين محقًّا حين قال إن هذه الكاميرا تهدف إلى ملاحقة المشاهير، ولن تكفي خدع قليلة بسيطة للتخلص منها.

انخفضت آيا أكثر ومرت سريعًا بمحاذاة ممر لحديقة ترفيهية، ومرت مشاعل مضيئة على كلا الجانبين باعثة الدفء بينهما، مرسلة رائحة دخان وصلت إلى

أنفها. وكانت الكاميرا قد أصبحت الآن قريبة للغاية من ذيل اللوح، لدرجة تسمح لها بالتعرف على وجهيهما. إن آخر ما تتمناه آيا هو أن تصل إلى القصر المتحرك بصحبة مائة كاميرا طائرة.

صاح فريز: «عند نهاية هذه الحديقة اصعدي إلى أعلى مباشرة!»

– «ما خطتك؟»

– «افعلي ذلك فحسب!»

كان آخر زوج من المشاعل يحلق في الهواء ناحيتهما، وأفضى ممر الحديقة المنعزل إلى ساحة من الأضرحة والمعابد ترجع إلى ما قبل العصر القديم. وعندما انطلقا إلى الخارج مالت آيا بثقلها إلى الخلف، فاندفع اللوح إلى أعلى في قوة، وتبعتها موجل بسرور وهي تدور سريعًا في الهواء في تموج حلزوني.

صاح فريز: «عودي إلي والتقطيني!» ثم قفز من فوق اللوح.

صاحت آيا: «فريز»، وأخذت تلتفت حولها فرأته يحلق في الهواء.

بالطبع كان مرتديًا عدة الكرة الطائرة ووزنه لا يزال منعدمًا، وحملته قوته الدافعة مباشرة أمام كاميرا مصور المشاهير ثم تدحرج وكور جسده، فارتطمت الكاميرا بوسادتي قصبتي ساقَي عدة الكرة الطائرة، فدوى صوت الارتطام بالبلاستيك عالي التحمل كصوت التصفيق.

هبط فريز بعيدًا عن مكان التصادم، واستدارت آيا بعنف كي تدفع اللوح متتبعة المسار الذي هبط فيه.

اصطدم فريز بها متسببًا في سقوط آيا من فوق اللوح وصاح بألم، وأخذا يتقلبان في الهواء معًا حتى عادلت روافع عدة الكرة الطائرة وزنها.

صاحت آيا بألم: «موجل»، وكانت ذراعا فريز تطوقان آيا بقوة حتى إنها كانت تتنفس بصعوبة. أردفت: «أحضري اللوح!»

كان اللوح المهجور قد توقف في الهواء في حيرة، فلعله يتساءل لماذا ظل راكباه يقفزان من فوقه. هدّأت موجل من سرعتها بجانب اللوح، ووجهته إلى حيث هامت آيا وفريز في الهواء وهما متعانقان.

سأل فريز: «هل قضيت عليها؟»

نظرت آيا أسفلها ورأت كاميرا مصور المشاهير وهي تسقط وأجزاؤها تتناثر بين الأضرحة والمعابد القديمة، ثم قالت: «أجل، لكن هذه الخدعة أثارت ذعري!»

حركت موجل اللوح ببطء تحت أقدامهما، وأرخى فريز قبضته حول آيا وجعلها تهبط فوق سطح الركوب.

قال فريز وهو يبسط يده إلى أسفل كي يدعك قصبتي ساقيه: «ناهيك عن كونها موجعة.» فلقد تسبب الارتطام في تشقق وسادتي قصبتي ساقيه.

قالت آيا: «هذا ما تستحقه.» واستدارت باللوح تجاه القصر المتحرك.

ظلت آيا تحلق بلوحها على ارتفاع منخفض وتسللت أسفل حوض الاسترخاء الطائر بالحي، وتسلل ضوء النجوم من بين أوراق السوسن الطافية وأسماك الشبوط الياباني.

جاء صوت رين في أذنها وهو يقول: «آيا، نحن هنا أمام القصر؟ أين أنتما؟»

– «نحن نقترب من القصر، لقد تخلصنا من تلك الكاميرا.»

– «أعتقد أن كاميرا أخرى تتابعكما، انظري إلى النوافذ.»

تجهمت آيا: «أي نوافذ؟»

قال رين: «أي نافذة من النوافذ، فجميعها متطابقة.»

بدأت آيا في سؤالها: «ماذا تق ...؟» لكن عندما انسلت من أسفل حوض الاسترخاء امتد أمامها قصر عريض عتيق الطراز، كانت نوافذه تعكس وميض الشاشات الجدارية.

كانت النوافذ جميعها تومض معًا، فمئات النوافذ كان يتبدل حالها في الوقت نفسه من نوافذ منيرة إلى نوافذ معتمة، وهذا يعني أن جميعها تتابع المدونة نفسها.

قال فريز: «يا للهول، هل ترين ذلك؟»

ابتلعت آيا ريقها وقالت: «أجل، الجميع يتابعون مدونة واحدة، وهذا لا يحدث أبدًا تقريبًا، إلا إذا ...»

قال فريز: «إما أن تكون نانا لاف قد أعلنت خطبتها للتو، أو ربما هناك كاميرا طائرة واحدة فقط تصورنا.»

أدارت آيا رأسها وتفحصت المكان حولهما، وأخيرًا رأتها، فثمة كاميرا أخرى لأحد مصوري المشاهير موجودة على بعد أمتار قليلة منهما، وعدستها الدقيقة قد ركزت على وجهها مباشرة.

قالت آيا: «تبًّا!»

ثم رأت سربًا من الكاميرات؛ عشرات الكاميرات الطائرة بمختلف الأشكال والأحجام تندفع تجاهها من كل حدب وصوب. كانت أعداد كبيرة من الكاميرات تتحرك ببراعة معًا، وتندفع عبر المنعطفات كسرب من الأسماك.

صاح فريز: «انطلقي فحسب يا آيا!»

– «احجبي رؤيتهم يا موجل!» وانحنت آيا إلى الأمام ثم انطلقت مباشرة تجاه القصر المتحرك.

انطلقت موجل من خلفهما ووجهت أضواءها الليلية وراءها بكل قوتها، فلمعت عدسات الكاميرات المطاردة كألعاب نارية تبكي أزهار الصفصاف في السماء.

عندما وصلا إلى القصر المتحرك، لحق بهما سرب الكاميرات والتف حولهما ملتقطًا الصور من كل زاوية، حينما كانت آيا تنخفض بلوحها في اتجاه سلم القصر.

قال هيرو بنبرة جافة، وهو يستدير ناحية الباب: «أحسنت صنعًا بالتخلص من الكاميرات.» ثم خاطب الباب قائلًا: «اسمح لنا بالدخول بسرعة.»

قال الباب: «معذرة، ولكن القصر المتحرك مبنى آمن.»

قالت آيا: «حقًّا، هذا سبب مجيئي إلى هنا، أعلن ... إممم ....»

قال هيرو ملقنًا إياها: «إنه محل إقامتي القانوني ... رقم الجناح تسعة وثلاثون.»

قالت آيا: «أعلن أن الجناح رقم تسعة وثلاثين هو محل إقامتي القانوني وأطالب بخصوصية كاملة! وبالمناسبة، أنا آيا فيوز ... إممم ... مرحبًا.»

صمت الباب لحظة؛ إذ ومضت أضواء ليزر ذات لون أحمر داكن فوق وجهها ويديها. ومن فوق كتفها كان قد تجمع جدار من الكاميرات الطائرة التي كانت تصرخ بألم حتى توقفت عند حد الخصوصية، في حين انزلقت بضع كاميرات على مقربة شديدة للغاية منها فسقطت على الفور من السماء. فالخصوصية الشديدة كانت العلامة المميزة للقصر المتحرك.

انفتح الباب بصوت صرير خافت.

قال الباب: «قُبل الإعلان، مرحبًا بك في منزلك الجديد يا آيا فيوز.»

القصر المتحرك

شكلت نوافذ القصر إطارًا لأفق المدينة وكأنها لوحة تجمع مشاهد للبحر والجبال، بل ضمت حتى إطلالة على ملعب كرة القدم الكبير، كان المنظر رائعًا ...

فيما عدا وجود هذا الكم الهائل للكاميرات.

ومع أنه لم يعد الكثير منها موجودًا بعد أن انتهت المطاردة، فقد كان بضع عشرات منها لا تزال تنتظر في الخارج عند حاجز الخصوصية الواقع عند مسافة خمسين مترًا من القصر. وكان باستطاعة آيا أن ترى منحنى حاجز الخصوصية، بالطريقة التي أحاطت بها الكاميرات بالقصر من كل جانب في السماء، كهالة من الشهرة ممتدة حول القصر، حتى إن موجل اضطرت إلى الانتظار بالخارج لأن الأروقة كانت مزودة بخاصية المراقبة بما يضمن الخصوصية أيضًا.

لوحت آيا بيديها وتمنت لو أن موجل تراها.

ومن حيث كان هيرو يجلس القرفصاء فوق الأرض أصدر أمره إلى الغرفة قائلًا: «أغلقي النوافذ.»

وللحظة تساءلت آيا لماذا لم تمتثل الغرفة لأمره؟ ثم ابتسمت ابتسامة عريضة.

– «هذه غرفتي يا هيرو! لا يمكنك أن تأمرها بما تفعل.»

صحح رين قولها: «تقصدين الغرف، بصيغة الجمع.»

ضحكت آيا وعطلت خاصية الاحتكاك بحذائها العالي سميك النعل؛ لكي تتزلج في أرجاء الجناح. وشعرت برفاهية المكان في كل جوانبه، ولا سيما الخزانات الفسيحة التي تنتظر أن تمتلئ بالملابس. وكانت آيا قد دفعت بالفعل بثوب الحفل الملطخ بالوحل داخل الكوة الذكية، وارتدت حذاءً جديدًا وسروالًا خاصًّا بحراس الغابات، به خاصية تدفئة داخلية ومرشحات مياه مدمجة وجيوب عديدة.

كان الرداء مقاومًا للوحل أيضًا.

سألها هيرو: «إذن لا تمانعين أن ترانا تلك الكائنات الغريبة؟ يمكنها مشاهدة المدونات أيضًا، أتذكرين؟»

تنهدت آيا وقالت: «أظن ذلك.» ثم لوحت للنوافذ كي تحجب الرؤية. «الرجاء مضاعفة الخصوصية والأمان.»

قالت الغرفة: «لك هذا يا آيا-سنسي.»

قالت آيا وهي تدور في مكانها: «أسمعتم ذلك، إن الغرفة تناديني بلقب سنسي!»

قال رين: «إنك من ضمن المشاهير في مرتبة الألف درجة الأولى.» وكان رين منبسطًا فوق الأرض يحدق في الثريات وعدستا عينيه تومضان.

قالت آيا: «تقصد في المرتبة العشرين.» في الواقع لقد حصلوا هم الأربعة جميعًا على لقب سنسي الآن، فقد ارتفعت رتبة الآخرين وسط مسارها الحلزوني للشهرة.

قال هيرو: «لنتفق جميعًا على أن آيا أصبحت مشهورة للغاية؟ والآن هل من الممكن أن نعود مجددًا إلى القضية الرئيسية؟»

توقفت آيا عن التزلج ثم هزت كتفيها وقالت: «أي قضية يا هيرو؟ لا بد أن تالي على وشك الوصول عما قريب، وحينها سنفعل ما تأمرنا به.»

– «أتقصدين أنك لا تريدين نشر أي من هذه الأحداث؟»

أدارت آيا عينيها عنه باستنكار، فلقد حدثت ثورة العقول بعد أن ترك هيرو المدرسة، من ثم فاتته كل الدروس المتعلقة بتالي يانج بلود. يبدو أنه لا يدرك أن كل شيء سيكون على ما يرام عندما تصل تالي إليهم.

قالت آيا: «سننتظر وصول تالي قبل أن نقرر أي شيء، نحن بأمان هنا، أليس كذلك؟»

– «هكذا يبدو الأمر.» ودق رين على النافذة الحاجبة للرؤية وقال: «أيتها الغرفة، مما صنع هذا؟»

ردت الغرفة قائلة: «من طبقة من الماس الصناعي ممزوجة بالمادة الذكية ومواد إلكترونية، وهدفها هو حماية النزلاء من مطاردي المشاهير والمتطفلين الذين يستخدمون جزيئات النانو، ومن المستحيل اختراقها.»

قال هيرو: «كان يجدر بنا المجيء إلى هنا أولًا، ولكن كان عليكم يا رفاق اتباع أوامر تالي-ساما بصرامة.»

قالت آيا بازدراء: «لقد كنت تريد العودة إلى الحفل يا هيرو! هل تعتقد حقًّا أن مجموعة من المهووسين بالبكسلات كانوا سينقذوننا؟»

قال هيرو بتذمر: «كنت سأفكر في هذا المكان عاجلًا أم آجلًا.»

قال فريز: «عاجلًا أم آجلًا تعني عادة وقوع الشيء بعد فوات الأوان.»

استدار هيرو ليحملق في فريز غاضبًا، لكن فريز كان قد قفز بالفعل من مكانه واندفع إلى أعلى لفحص زوج الثريات الذي كان يتدلى من السقف العلوي، وكل واحدة منهما مصنوعة من آلاف الشظايا من الزجاج ومكسوة بضوء ليزر أزرق اللون.

والآن وبعد أن استرد فريز عافيته أخذ يجرب عدة الكرة الطائرة، ويسبح في أرجاء الجناح الشاسع عديم الأثاث بحركات سريعة بذراعيه، ولكن وجدت آيا هذا المنظر مزعجًا، فقد ذكرها كثيرًا بالمخلوقات الغريبة وهي ترتدي أجهزتها الرافعة.

صاح فريز مناديًا: «لماذا يقول الجميع إن هذه الأشياء تتطلب براعة شديدة؟»

قال هيرو: «لأن الطيران الحقيقي يتطلب براعة شديدة، فكل ما تفعله هو الوثب في حالة انعدام للجاذبية.»

– «كيف يمكنني أن أُجرب الطيران الحقيقي؟»

– «لا يمكنك ذلك يا مشوش الذهن، فقد يؤدي ذلك إلى خلع ذراعيك!»

قال فريز: «ربما أكون قد أجريت جراحة للمخ، لكنني لست مشوش الذهن!»

دمدم هيرو قائلًا: «ليس من الناحية الفنية.»

قالت آيا باستهجان: «من هو مشوش الذهن يا هيرو؟ لولا فريز لكانت كاميرات مصوري المشاهير قد حاصرتنا في خزان المياه.»

تنهد هيرو واعتدل في جلسته ثم انحنى قليلًا نحو فريز وقال: «أجل، أظن ذلك. معذرة لأنني نعتك بمشوش الذهن، في واقع الأمر أنت ذكي إلى حد بعيد.»

انحنى فريز ردًّا عليه وهو لا يزال يحلق في الهواء، وقال: «وأنت لست متعجرفًا للغاية كما قالت عنك آيا.»

فغر هيرو فمه، وقال: «ماذا قلت يا آيا؟»

اعتدل رين فجأة في جلسته فوق أرضية الجناح الخالية من الأثاث، وقال: «وجدت شيئًا في اللقطات الخلفية بمدونتك يا آيا، عندما رأيت المخلوقات الغريبة.»

واستدارت آيا بلهفة بعيدًا عن نظرة أخيها الحانقة قائلة: «رائع!» ثم أردفت: «هل يمكنك أن ترينا إياه؟»

– «بالطبع، ما إن أعثر على الشاشة الجدارية هنا.»

بدأت آيا سؤالها: «أجل، أين ...؟» ولكن كانت النافذة التي امتدت من أرضية الجناح حتى السقف تومض بالفعل.

قال رين بهدوء: «يا للهول! ماس يتحول إلى شاشة جدارية، هذا المكان غاية في الإثارة.»

حينئذ ظهرت صورة غير واضحة ومشوهة على الشاشة، وأدركت آيا أن الصورة من كاميرا التجسس التي كانت مخبأة بزر سترتها، إذ التقطت الكاميرا منذ أسبوع مضى صورة لميكي وهي تتفحص جدار النفق الذي يمر خلاله القطار المغناطيسي المعلق باحثة عن الباب السري.

كانت رؤية آيا لوجه ميكي الشبيه بوجه أفراد جماعة الفتيات البسيطات مجددًا يثير داخلها الشعور بالذنب الذي كتمته شهرتها المفاجئة. وتساءلت آيا عن رأي ميكي فيها الآن بعد أن تسنى للناس جميعًا رؤية الطقوس السرية والخدع الخاصة بالفتيات الماكرات.

وجاء صوت إيدن مارو من خارج المشهد وقد ترددت أصداؤه داخل النفق: «هذا هو الباب، ارجعن إلى الخلف، قد يكون هناك أي شيء خلف الباب.»

ثم تنفست ميكي بتمهل وهمست قائلة: «أو قد يكون هناك أي شخص.»

جاء صوت آيا مجيبًا: «لكن هؤلاء الأشخاص أصحاب الأجسام الغريبة كانوا يخزنون شيئًا ما هنا ليس إلا، ولا يعيش أحد في هذا المكان.»

توقفت الصورة، ثم قال هيرو بصوت أجش: «الأشخاص أصحاب الأجسام الغريبة؟ هكذا عرفوا أنك رأيتهم، أخبرتهم بذلك في اللقطات المعروضة في الخلفية!»

هزت آيا رأسها بالنفي وقالت: «لكن هذا الأمر لا يزال غير منطقي، كيف تمكنوا من تصفح كل تلك اللقطات بهذه السرعة؟ فمدة عرض لقطات كاميرا التجسس تستغرق ساعات وساعات، ولقد جاءوا لمطاردتنا لحظة مغادرتنا الحفل.»

قال رين بهدوء: «ماذا لو ارتبط ذلك بحكمة الجماعة؟»

تجهمت آيا وقالت: «ماذا تقصد؟»

قال رين: «نحن لا ندري عدد تلك المخلوقات غير الآدمية، قد يوجد المئات منها، وربما ثمة جبل يمتلئ بها في مكان ما.»

أضاف فريز: «أو مدينة كاملة، فلقد احتاج بناء الناقل الدفعي للكتل المعدنية إلى جهود شاقة لبنائه.»

شعرت آيا بقشعريرة تسري عبر جسدها، لقد ظنت أن المخلوقات الغريبة ليست سوى جماعة صغيرة، لكن فكرة أن هناك مدينة كاملة تكتظ بها أصابتها بالدوار.

قال هيرو: «هذا غير منطقي، لماذا ستريد مدينة كاملة أن ...»

قال رين: «اصمت يا هيرو!» ثم أغلق عينيه وأردف: «هل تسمعون هذا؟»

أرهفت آيا السمع، فالتقطت أذناها صوت طنين خافت تتردد أصداؤه عبر الغرفة.

دفع فريز نفسه بعيدًا عن السقف ونزل إلى أسفل ثم قال: «أعتقد أن هذا الصوت يصدر من الشاشة الجدارية.»

عندئذ شعرت آيا بمذاق في فمها، كان يشبه مذاق المطر والعواصف الرعدية.

قالت آيا: «إنها المادة الذكية، هذه النافذة مصنوعة من المادة الذكية ...»

استداروا جميعًا لمواجهة الشاشة الجدارية، كان سطحها يتموج، وكانت صورة ميكي الساكنة على الشاشة تلتوي وتنحني وكأنه قد حدث تشوش في الإرسال. وبدأ الطنين يزداد نشازًا، إذ تناهى لحن غير متجانس النغمات إلى أسماعهم، مما تسبب في اهتزاز الهواء نفسه. وتحول مذاق المطر إلى مذاق مر في فم آيا.

صاح رين وهو يثب واقفًا على قدميه: «هناك شخص يخترق نافذتك!»

بدأت أجسام تتجلى لهم، إذ نتأت ثلاثة أجسام بهيئة بشرية من الشاشة المسطحة، وبرزت ذراع غطتها الصورة الساكنة لميكي، وكأنها مومياء مغطاة بشاشة جدارية.

أمسك فريز بآيا وبدأ يجذبها إلى الخلف نحو الباب.

صاحت آيا: «انتظر لحظة! انظر إلى أجسادهم ...»

لم تكن الأجسام البشرية التي انبثقت من الجدار مشوهة الملامح كالمخلوقات الغريبة، بل كانت لأفراد طوال القامة وأقوياء البنيان. تقدموا إلى الغرفة، وكانوا بلا وجوه على نحو غريب، ولا تزال ألوان الشاشة تغطيهم، كما لو كانت المادة الذكية قد تمددت حولهم.

قالت آيا بهدوء: «هل هم من المهووسين بالبكسلات؟»

تحركوا برشاقة الحيوانات الضارية، وأخذت الألوان تبهت مع كل خطوة يخطونها، حتى تحولت إلى اللون الرمادي الباهت.

قال رين بصوت هامس: «كلا، إنهم يرتدون بذلات تخف.»

بسطت أطول الشخصيات الثلاث ذراعها إلى أعلى، وأزاحت طبقة اللون الرمادية من فوق رأسها، كاشفةً عن وجه له جمال بارد يثير الرهبة، وكانت عيناها حالكتي السواد متقدتين بالدهاء كعيون الذئاب، وجسدها مغطى بالوشوم المتحركة، وكل قسمة من قسمات وجهها تنم عن قسوة وضراوة.

لقد كانت الشخصية الأشهر بالعالم.

قالت: «اسمي تالي يانج بلود، أنا آسفة على إزعاجكم، لكن هذه الحالة تقع ضمن نطاق اختصاص السلطات الخاصة.»

مكتبة
t.me/t_pdf

الجارحون

تعلمت آيا بالطبع كل ما يتعلق بالسلطات الخاصة في المدرسة.

منذ زمن بعيد ابتدعت مدينة تالي يانج بلود نوعًا خاصًّا من الحسان، يتصفون بجمال قاس ومميت بدلًا من تشوش الذهن. وكان من المفترض في الأساس أن يحمي أفراد السلطات الخاصة المدينة ويقبضوا على الهاربين ويحفظوا النظام، لكن شيئًا فشيئًا أصبحوا جماعة سرية مستقلة بذاتها، وكل جيل منها يغير من الجيل التالي له، فأصبحوا كالأعشاب الضارة التي تنمو بشكل لا يمكن السيطرة عليه. كانوا يزدرون كل من لا ينتمي إلى السلطات الخاصة، وأرادوا أن يُحكموا سيطرتهم على العالم بأسره. وفي النهاية استولوا على السلطة من حكومة مدينتهم وأشعلوا فتيل حرب دييجو.

كانت تالي وأصدقاؤها من السلطات الخاصة أيضًا، لكن من نوع خاص يطلق عليه الجارحون. كانت جماعة الجارحين تضم صغار السن المستقلين، واكتشفوا بطريقة أو بأخرى كيفية إعادة برمجة عقولهم، ومن ثم تمردوا على القائدة الفاسدة لجماعة السلطات الخاصة، وحرروا مدينتهم، وأنقذوا دييجو، ثم نشروا ثورة العقول في أرجاء العالم، وأنهوا بذلك عصر الحسن إلى الأبد.

عندما وقفت آيا أمام تالي، شعرت برجفة هائلة تسري بجسدها تقديرًا لشهرة تالي، فهي من صنعت العالم الذي تعيش فيه، من مدونات وخبراء تكنولوجيين وشهرة؛ فكل شيء له قيمة بالنسبة لها خرج من كنف ثورة العقول.

ويا له من مشهد يصيب الرأس بالدوار، أن تنظر إلى وجه مألوف للغاية ولكنه غريب للغاية!

فمن ناحية، لم تصف الدروس التي حضرتها آيا في المدرسة تالي-ساما على أنها مخيفة أبدًا، ولكن عندما رأتها وجهًا لوجه كانت أظافر أصابعها طويلة

وحادة، وعيناها ثاقبتين وحالكتي السواد. لقد أصبحت الآن بالطبع أكبر سنًّا بثلاث سنوات من أيام ثورة العقول، فهي توشك أن تتم عامها العشرين، وتعيش الآن في البرية وتحرسها من المدن التي تزداد توسعًا.

عكست تالي البرية في ملامحها، فقد كان شعرها طويلًا وأشعث، وبهتت الوشوم المتحركة التي علت جسدها بفعل تأثير الشمس، وأضحت بشرتها أكثر سمرة.

حررت آيا نفسها من قبضة فريز وانحنت بتوتر لتالي احترامًا لها، وتمنت ألا تخذلها لغتها في التعبير عما تريده: «تشرفت بمقابلتك يا تالي-ساما.»

– «إممم. في الواقع أنا اسمي تالي يانج بلود.»

انحنت آيا مرة أخرى وقالت: «أنا آسفة، فلفظة ساما هي لقب للاحترام.»

أشاحت تالي بعينيها قائلة: «عظيم، ها هي ذي طائفة أخرى تنحاز إلي، هذا ما ينقص العالم بالفعل.»

سمعت آيا صوت قهقهة، إذ انتزع الجارحان الآخران بذلتين تخفيهما ليكشفا عن وجهين يشبهان وجه تالي، وظهر صبي وفتاة علت وجهيهما وشوم متحركة وجمال قاس. نظرا سريعًا في أرجاء الغرفة بحماسة وتوتر، لكنهما كانا في الوقت نفسه يبتسمان، كما لو أنهما كانا يستمتعان بالإثارة.

– «اسمي آيا فيوز.»

لم ترد تالي الانحناءة، بل ضحكت فحسب ثم قالت: «لا حدود لشهرتك! يبدو أن كل مدونة في المدينة تعرفك. توقفي عن الانحناء!»

قالت آيا: «أنا ... آسفة.» ووجدت نفسها تومئ برأسها، وتمنت لو بادر أي شخص آخر بقول أي شيء، لكن هيرو ورين وفريز اجتاحتهم حالة من الذهول أمام شهرة تالي.

تحرك الجارحون الثلاثة عبر أرجاء الجناح وهم يتفقدون الغرف الأخرى.

صاحت تالي: «هل حاول أي شخص آخر الدخول إلى هنا؟»

قالت آيا: «لا، هذا المبنى آمن للغاية.»

قالت الفتاة الأخرى من جماعة الجارحين: «أجل، لاحظنا ذلك خلال الثواني العشر التي قضيناها في اقتحامه. أهذا ما تسمونه اختباء، بالمناسبة هناك ما يقرب من خمسين كاميرا طائرة بالخارج!»

– «حاولنا الاختباء، لكن رتبة شهرتي ارتفعت للغاية مؤخرًا.»

نظرت الفتاة إليها نظرة خالية من التعبير، كما لو كانت كلماتها غير مفهومة، ثم قالت: «رتبة شهرة؟ هل هذا يعني أنك مسئولة ما في الحكومة؟ ألست صغيرة قليلًا؟»

– «كلا، الوجه هو مقياس ... الصيت.»

ألقت الفتاة نظرة شاملة في أرجاء الجناح الرحب، ثم أردفت: «أتعيشين هنا فعلًا؟ لا عجب إذن أن المدن تتوسع، فهي لا تزال من القبحاء ولديها خمس غرف!»

– «أنا أعيش هنا، لكن لا يتسنى لكل قبيحة أن ...» وخبا صوت آيا، وتوقفت عن حديثها بخيبة أمل من لغتها. كان هيرو محقًّا، لن يفهم أحد من خارج المدينة معنى الاقتصاد القائم على الشهرة. ولم يبد أن هذا هو الوقت المناسب للشرح.

قال فريز وهو يوقف دوران عدسة عينه فجأة: «أنت شاي-ساما!» وهمس باليابانية: «مائتان وأربع عشرة درجة، وذلك في الأغلب وفقًا لما ذكر في دروس التاريخ.»

أومأت آيا برأسها وشعرت بحماقتها لأنها لم تتعرف على شاي، فجميع أفراد جماعة الجارحين مشهورون، حتى إن بعضهم كان لهم معتقداتهم الخاصة، لكن لم تستطع آيا قط أن تتبع أخبارهم جميعًا.

قالت آيا: «معذرة يا شاي-ساما، فالتاريخ الحديث ليس المادة المفضلة لي.»

قهقهت تالي والفتى، ورفعت شاي أحد حاجبيها، فشعرت آيا باحمرار وجهها وكأنها طفلة صغيرة تطلب توقيع أحد المشاهير.

قالت شاي: «لا عليك، ولا تطلقي علي أنا الأخرى لقب «ساما».»

قالت تالي بازدراء: «أجل، هي تفضل أن يناديها الناس بالقائدة.»

قالت شاي: «لقد افتقدتك أنا أيضًا يا تالي-وا.»

قال فريز: «أشعر بالحيرة.»

أومأت آيا برأسها موافقة وهي تتساءل هل أفراد جماعة الجارحين يستخدمون لغة خاصة بهم لم يشملها درس المستوى المتقدم للغة الإنجليزية؟ وبدا أن هيرو ورين لا يفهمان على الإطلاق، فلم تكن اللغات الأجنبية شائعة قبل حدوث ثورة العقول، عندما ارتاد كلاهما المدرسة.

لكن فريز جاء لنجدتها، قائلًا: «نحن نريد فقط إظهار الاحترام اللائق.»

قالت تالي وهي تستدير ناحية آيا: «حسنًا، احترمي ما سأقوله الآن. يجب علينا إخراجك من هنا سريعًا، إن ما اكتشفته بالمصادفة أكبر كثيرًا مما تظنين.»

قالت آيا: «أكبر؟ أكبر من نهاية العالم؟»

– «أكبر من ذلك الناقل الدفعي للكتل المعدنية، لقد عثرنا عليه في كل مكان في العالم.»

ابتلعت آيا ريقها وتساءلت هل رين على صواب، فربما توجد أعداد ضخمة من تلك المخلوقات الغريبة، مدينة كاملة في مكان ما: «لماذا لم تخبروا المدونات العالمية؟»

قالت تالي: «كانت الجبال الأخرى خالية تمامًا، أنت أول شخص يعثر على القذائف، ونحن لم نرد أن يبحث أحد عن صانعيها، إنهم خطرون.»

أومأت آيا برأسها موافقة ثم قالت: «أعرف ذلك يا تالي-ساما، فلقد رأيتهم وجهًا لوجه.»

قالت تالي: «لقد حسبنا ذلك ما إن بدءوا في مطاردتك.» ثم ضيقت تالي عينيها وأردفت: «فالناس الذين يرونهم يختفون ومن بين من اختفوا صديق لنا، لهذا السبب حضرنا إلى هنا.»

قال الفتى من جماعة الجارحين: «يجب علينا أن نذهب يا تالي-وا، فستبزغ الشمس قريبًا.»

– «حسنًا يا فاوستو، لكن قبل ذلك ثمة سؤالان أود طرحهما.» فتسمرت آيا في مكانها أمام عيني تالي السوداوين اللتين حدقتا فيها. أردفت تالي: «لم تخبري أحدًا بقدومنا، أليس كذلك؟»

هزت آيا رأسها بالنفي وقد غمرها الشعور بالفخر، وكبحت بداخلها رغبتها في الابتسام بتكلف في وجه هيرو.

ابتسمت تالي: «أحسنت صنعًا أيتها الفتاة، أما عن السؤال الثاني فأنا أعلم أنك ماهرة في الركوب فوق سطح القطارات المغناطيسية المعلقة، لكن هل ركبت مع شخص آخر فوق نفس اللوح الطائر من قبل؟»

– «أجل.»

أضاف فريز: «كان ذلك مؤخرًا في واقع الأمر.»

قالت تالي: «إذن يمكنك الركوب معي.» ثم التفتت إلى الفتى من جماعة الجارحين: «حسنًا يا فاوستو، كيف يمكننا التخلص من تلك الكاميرات الطائرة؟»

هز فاوستو كتفيه وقال: «جزيئات النانو، وربما بقنابل وامضة؟»

قالت تالي وهي ترتجف: «بالقنابل الوامضة حتمًا، فلقد مررت أنا وشاي بتجربة سيئة مع جزيئات النانو.»

قال فاوستو: «لتكن القنابل الوامضة إذن يا تالي-وا.» ثم أنزل حقيبة من على كتفه وبدأ ينقب فيها.

قالت آيا: «معذرة، يا تالي ... وا؟» وتمنت أن تكون قد نطقت اللقب الصحيح، ثم أردفت: «أصدقائي رأوا أيضًا ... الأشخاص غرباء الشكل.»

التفتت تالي إلى الآخرين: «أرأيتموهم؟ أنتم الثلاثة جميعًا؟»

انحنى هيرو ورين وفريز معبرين عن اعتذارهم، وهمهمت تالي باستنكار.

قالت شاي: «قد نجذب درجة أقل من الانتباه إذا رافقنا أربعة منهم يا تالي-وا، وسيكونون في أمان أكثر معنا من أن يمكثوا هنا ويُختطفوا.»

قالت تالي: «ولكن ليس لدينا سوى ثلاثة ألواح طائرة! وهذا غير كاف لسبعة ركاب.»

قال هيرو بإنجليزية ركيكة: «هذه الكوة الذكية الموجودة بالجدار يمكنها صنع أشياء عظيمة.»

سأل فاوستو: «كألواح بمراوح رافعة يمكنها أن تعمل خارج المدينة، أي بعيدًا عن الشبكة المعدنية؟»

تجهم هيرو ثم قال: «ربما لا.»

قالت تالي: «عظيم، سنضطر إلى استدعاء ديفيد إلى المدينة، وهو ما سيفسد الخطة كلها، وأنتم تعرفون مدى بغضه للمدن.»

تحدث رين بالإنجليزية وهو يتلعثم: «معذرة يا تالي-ساما، إن هيرو ماهر في الطيران بعدة الكرة الطائرة، إذا ظل على مقربة منا يمكننا سحبه.»

ترددت تالي لحظة ورمقت شاي بنظرة ثم أومأت برأسها بالموافقة: «حسنًا، لعل هذا الأمر ينجح.»

بدأ هيرو في فك أحزمة عدة الكرة الطائرة من حول فريز ثم ربطها حول نفسه، متذمرًا من الأجزاء الواقية المتصدعة عند قصبتي الساقين، وأمر رين الكوة الذكية بصنع بعض الأساور الواقية من الصدمات وذكر الجميع بإطفاء أجهزة تحديد المواقع. وبدأ الجارحون في وضع بلاستيك ذكي على وجوههم وأياديهم، وأخفوا آثار الوشوم المتحركة وملامح وجوههم التي تنم عن جمال قاس.

تساءلت آيا لماذا احتاجوا إلى أقنعة تنكرية قبيحة في البرية؟

– «معذرة يا تالي-وا، إلى أين نحن ذاهبون؟»

تبادل الجارحون الثلاثة النظر، ولم يأت رد على السؤال للحظة.

أجابت تالي في النهاية: «لا ندري بعد، لكننا سنعرف ذلك قريبًا.»

العضوية الشرفية بجماعة الجارحين

كانت ألواحهم الطائرة منتظرة فوق السطح.

انطلق الجارحون الثلاثة إلى الأمام وأشكالهم الخفية تتحرك في البراح المظلم وكأنها تموجات رشيقة الحركة في الهواء، وتمكنت آيا بصعوبة من متابعة هجومهم على الكاميرات الطائرة، إذ كانت أذرعهم تدور على نحو لا يرى تقريبًا، وكانت حركات إلقاء القنابل أشبه بهبوب نسيم هواء مفاجئ يحرك الثرى وأوراق الشجر الممتدة فوق السطح.

عم الصمت الشديد المكان، وكأن ما يحدث أمر وهمي ... حتى بدأت الانفجارات.

وامتلأت سماء الليل بأشعة متناثرة من الوميض الأبيض اللامع، فأرسلت ظلالًا سريعة الحركة على السطح، ومرت سلسلة من الانفجارات المتتابعة التي قرعت أذني آيا بأصواتها المدوية.

قال فريز: «هيا بنا!» وأمسك بيدها ليجذبها إلى الأمام.

وعلى بعد اثنتي عشرة خطوة شعرت آيا التي أفقدتها أشعة الوميض رؤيتها جزئيًّا بسطح ركوب أسفل قدميها. وشعرت بشخص طويل ومفتول العضلات يضمها إليه ويلف ذراعًا واحدة حول خصرها.

صاحت تالي: «تشبثي.» وارتفع اللوح بقوة وسرعة، وامتلأ الهواء بضجيج المراوح الرافعة. كان جسد تالي نحيلًا ولكنه قوي مرن كجسد لاعبة جمباز. قالت تالي: «ألم نخبرك بأن تبقي على عينيك مغمضتين؟»

– «أنا آسفة.» وأحكمت آيا قبضتها حول خصر تالي وأخذت تطرف بعينيها حتى اندثرت آثار الضوء البراق العالقة بها. وذكرها ذلك بالمرات العديدة التي كانت موجل تفقدها فيها الرؤية ...

موجل! لا بد أنها هناك بالخارج في مكان ما، ولعلها تعرضت للقصف، ومشوشة بسبب القنابل الوامضة.

– «عذرًا يا تالي-وا، هل يمكن أن نصطحب معنا موجل أيضًا؟»

– «من؟»

– «كاميرتي الطائرة.»

– «كاميرتك ... انتظري، ألديك كاميرا طائرة؟»

طرفت آيا بعينيها مرة أخرى وبدأت تستعيد رؤيتها ببطء ثم قالت: «جميع الناس هنا تقريبًا لديهم كاميرا طائرة، وإلا كيف سيتسنى لنا نشر القصص في مدوناتنا؟»

ضحكت تالي ثم قالت: «أتقصدين أنكم جميعًا هنا تمتلكون قنوات تدوينية أيضًا؟ يا لها من مدينة مهووسة!»

التفتت آيا، فرأت الكاميرات التي حجب حاجز القنابل الوامضة رؤيتها تتخبط باضطراب، وكانت ألواح جماعة الجارحين فائقة السرعة قد تجاوزتها في غضون ثوان قليلة.

– «أرجوك؟ موجل لا تحب أن تُترك وحيدة.»

صاحت تالي كي يعلو صوتها فوق صوت الريح: «مستحيل! ألم تدركي أننا نحاول الاختباء هنا؟»

– «بالطبع ... لكن هذا الحدث سيُسجل للأجيال القادمة، للتاريخ.»

– «مستحيل! فالتاريخ ليس المادة المفضلة لي أنا أيضًا، خاصة عندما يتعلق بي.»

نظرت آيا إلى وجه تالي التنكري، وللحظة غلبها فيها الدوار ذكرتها تالي بالفتاة الماكرة لاي، ولكن من الحماقة أن تعقد مقارنة بينهما؛ فتالي هي أشهر شخص في العالم، أما لاي فكانت فتاة تسعى لأن تكون مغمورة عن قصد، أو بالأحرى كانت كذلك قبل أن تزج بها آيا نحو شهرة غير مرغوب فيها.

– «تالي-وا، لماذا تتنكرون على هيئة قبحاء؟»

– «تحسبًا لأن تتمكن أي من تلك الكاميرات الطائرة من التقاط صورة لنا، لا يجب أن يعرف أحد أننا في المدينة، وبمناسبة ذكر ذلك ...» أصدرت تالي إشارة، فبدأت بذلة تخفيها في التغير واتخاذ نسيج زي مسكن الطلاب وشكله.

أومأت آيا برأسها باستيعاب، لكن هذا لا يزال مثيرًا للإحباط. ها هي ذي تركب فوق لوح طائر برفقة تالي يانج بلود، ولا يتسنى لأحد رؤية ذلك. وهي لا تضع حتى كاميرا تجسس!

أدركت آيا أن الصور الحقيقية التي رأتها لتالي قليلة للغاية، حتى في كتب التاريخ، حيث كانت الصور الموجودة كلها صورًا زيتية أو كرتونية، كما لو كانت تالي تنتمي إلى ما قبل العصر القديم، قبل اختراع الكاميرات.

ومع ذلك أراد المغمورون أن تجمعهم صلة بأبطالهم، وهذا هو السبب وراء تلقيب نانا لاف بالاسم نانا تشان دائمًا ولم تُلقب بنانا-سنسي أبدًا، بغض النظر عن مدى الشهرة التي تحظى بها، فالمشاهير يدينون بالفضل للمغمورين عن الصور الرائجة لهم.

لكن لا ضير من التقاط بضع صور لتخليدها على مدار التاريخ.

وأثناء انطلاقهما عبر موقع الإنشاءات الجديد، وفي غمرة ضجيج المراوح الرافعة ومرورهما بجانب الدروب المعدنية التي ترجع إلى العصر القديم، شغلت آيا عدسة عينها وشغلت إشارة تعقب، وهمست برسالة قصيرة إلى موجل باليابانية ...

– «تعقبينا بأقصى سرعة لديك.»

فأيًّا كان ما سيحدث بعد ذلك، فسيُحدث ضجة في المدونات.

* * *

شقوا طريقهم تجاه حافة المدينة متجاوزين كل المطاردات.

كان الهواء الذي يسبق بزوغ الفجر قارس البرودة، ولكن بدا أن تالي نادرًا ما تعير الأمر انتباهًا، بينما شغلت آيا جهاز التدفئة في سروالها الخاص بحراس الغابات، وهي مسرورة لأنها تخلصت من ثوب الحفل المغطى بالوحل.

كانت ألواح جماعة الجارحين قوية بشكل مذهل، حتى وإن حمل كل واحد منها راكبين. ولا شك أنهم أبطئوا من سرعتها بعد أن خرجوا عن نطاق الشبكة المعدنية للمدينة واضطروا لسحب هيرو.

وبخروجهم من المدينة لن تتمكن موجل من تعقبهم مطلقًا.

استجمعت آيا شجاعتها وقالت: «يمكننا اتباع مسار خط القطار المغناطيسي المعلق إلى خارج المدينة يا تالي-وا، فهناك الكثير من المعدن.»

هزت تالي رأسها بالنفي وقالت: «هناك حركة شديدة في ذلك المكان، فملايين من الحراس يتجهون إلى الجبل، هذا فضلًا عن أن لجنة الوفاق العالمي في طريقها إلى هناك.»

– «لكن سيسرهم السماح لك بالعبور، أليس كذلك؟ فأنت تالي يانج بلود! لا بد أن لديك الملايين من نقاط الاستحقاق؟»

– «نقاط استحقاق؟»

قالت آيا: «حسنًا، نقاط الاستحقاق في مدينتي هي ...» وأخذت تفتش في عقلها في حيرة عن التعبير الإنجليزي الصحيح المكافئ، ثم أردفت: «إنها احترام تبديه السلطة، شأنها شأن الشهرة، لكن في مقابل القيام بخدمات مجتمعية. ونظرًا لأنك أنقذت العالم من عصر الحسن، فستقدم لك مدينتي أي مساعدة تحتاجينها.»

– «لا أرغب في مساعدتها.»

صمتت آيا لحظة وتساءلت هل ذلك الفتى من معجبي الشخص النكرة محق في رأيه. قالت: «هل أنت قلقة من أن تكون مدينتي هي من صنعت هذا السلاح؟»

هزت تالي كتفيها وقالت: «لم أكن لأصف ذلك بأنني قلقة بالضبط، في واقع الأمر هذا سيجعل الأمور أبسط، فلقد فقدت الحكومات هيبتها من قبل.» ثم استدارت نحو آيا وابتسمت في وجهها ابتسامة كشفت عن أسنانها، ثم أردفت: «وذلك بسببي.»

بدأ الفجر يبزغ، وامتدت البرية أمامهم مظلمة وبلا نهاية، وتضاءلت أضواء المصانع أسفلهم وبدأت المدونات تتلاشى من عدسة عين آيا.

لم يكن بالمدونات أي جديد، فكل ما كان هناك هو تساؤلات عن المكان الذي اتجهت إليه آيا فيوز الآن، وهل مرات الاختفاء المثيرة ليست سوى حركات استعراضية مثيرة للدعاية؟ وهل الناقل الدفعي للكتل المعدنية بداية لعصر مظلم جديد من الحروب؟

لم يدرك أحد بعد أن تالي يانج بلود كانت في المدينة، وربما لم تسر أول ليلة من ليالي الشهرة لآيا مثلما خططت تمامًا، ولكن على الأقل صار في جعبتها تطور مثير لقصة الأسلحة الفتاكة بالمدن.

ابتسمت آيا، يا له من تطور مثير أن تنقذها تالي يانج بلود من مخلوقات غريبة!

وعندما اقتربوا من حافة الشبكة المعدنية، اقتربت الألواح الطائرة بعضها من بعض، وامتزجت قواها المغناطيسية معًا، وشعرت آيا باهتزاز عدة الكرة الطائرة التي يرتديها هيرو أثناء اتصاله بالألواح.

همست آيا باليابانية: «وداعًا يا موجل، فلتصحبك السلامة.»

سألتها تالي: «هل أنت مستعدة؟ قد تصير الأمور الآن مثيرة للتوتر قليلًا.»

– «لا تقلقي بشأني، لا يمكن أن يكون الوضع أسوأ من الركوب فوق سطح القطارات المغناطيسية المعلقة.»

التفتت تالي قائلة: «ربما.» وضيقت عينيها ثم أردفت: «عندما شاهدت أنا وشاي قصتك على المدونة، وشاهدت كل تلك الخدع التي قمت بها، من تخف لركوب فوق قطار مغناطيسي معلق، ثم الانطلاق عبر الناقل الدفعي للكتل المعدنية إلى الفضاء، قررنا أنك فتاة قوية إلى حد بعيد.»

انحنت آيا قليلًا وشعرت باحمرار وجنتيها خجلًا وقالت: «حقًّا؟»

– «أجل، أدركنا أنك لن تمانعي أن تقومي بمغامرة أخرى يا آيا-لا؛ نظرًا لأنك تضعين أهمية إنقاذ العالم في مرتبة عالية ضمن قائمة أولوياتك.»

نظرت آيا في عيني تالي، وحاولت قراءة تعبير وجهها، وكانت واثقة تمامًا من أن لقب «-لا» لقب رفيع، فقد نادت تالي صديقتها بلقب شاي-لا مرة واحدة على الأقل.

– «مغامرة؟»

– «هذا سبب حضورنا إلى هنا، لنأخذك معنا في مغامرة.»

أومأت آيا برأسها، لكنها كانت لا تزال ترتاب في الأمر، وقالت: «لكنكم جئتم لحمايتي من ...» ولكنها لم تكن تعرف التعبير الإنجليزي المكافئ لكلمة مخلوقات غريبة، فأردفت: «الأشخاص غير الأسوياء، أليس كذلك؟»

هزت تالي كتفيها قائلة: «حسنًا، ذلك جزء من الأمر.» ثم أردفت: «نريد أيضًا أن نصل إلى أعماق كل هذا ونجد له تفسيرًا، ونبحث عن صديقنا الذي اختفى؛ لذا أدركنا أن فتاة قوية مثلك سترغب في مساعدتنا في ذلك الأمر يا آيا-لا، بصفتك عضوًا شرفيًّا في جماعة الجارحين.»

شعرت آيا بابتسامة عريضة تعلو وجهها واضطرت إلى تذكير نفسها بعدم الانحناء، ثم قالت: «بالطبع، هذا من دواعي سروري.»

– «خلت أنك ستقولين ذلك، وأنا آسفة لاضطرار أصدقائك إلى الحضور.»

– «لا بد أن ذلك سيكون من دواعي سرورهم أيضًا يا تالي-وا.»

– «لا تكوني واثقة للغاية هكذا، ماذا عن إشارة التعقب التي كنت ترسلينها إلى كاميرتك الطائرة؟»

– «ماذا؟»

– «كاميرتك الطائرة يا آيا-لا ... تلك الكاميرا التي كانت تتعقبنا عن قرب.»

ابتسمت تالي ابتسامة عريضة كشفت عن أسنانها مرة أخرى، ثم أردفت: «لقد كنا نقوي إشارتك قليلًا، ليس بدرجة كبيرة كي لا يتسنى للحراس المحليين إزعاجنا، ولكننا قويناها بدرجة كافية.»

ابتلعت آيا ريقها وقالت: «درجة كافية لماذا؟»

استدارت تالي لكي تواجه الحافة الأمامية للوح وقالت: «كافية لهذا.»

حدقت آيا في الأفق أمامها، فلم تر شيئًا سوى ظلام البرية ووهج الفجر وقد بدأ يطوق الأفق.

قالت تالي: «أخبريني عندما تتمكنين من رؤيتهم، أريد أن يبدو ذلك واقعيًّا.»

همهمت آيا: «واقعيًّا؟» وبعد بضع لحظات رصدت عيناها مجموعة من الأضواء الوامضة وسط النجوم الآخذة في الأفول. ضيقت آيا عينيها وأزالت الآثار الأخيرة لشبكة اتصال المدينة من عدسة عينها، وأدركت ماهية تلك الأشياء.

إنها أضواء التشغيل لثلاث سيارات طائرة.

– «أهؤلاء أصدقاء لك يا تالي-وا؟»

– «لم أقابلهم قط، لكنني أعتقد أنكِ قابلتهم.»

طرفت آيا بعينيها، فقد اتخذت الإثارة مسارًا جديدًا مثيرًا للتوتر. كانت السيارات الطائرة تقترب منهم بسرعة، وترددت أصداء ضجيج المراوح الرافعة عبر البرية ... لقد عثرت عليهم المخلوقات الغريبة مرة أخرى.

وتالي يانج بلود هي من سمحت بحدوث ذلك.

الخطة

صاحت تالي: «يا رفاق! عودوا أدراجكم إلى المدينة!»

التف اللوح سريعًا أسفل قدميهما، وتشبثت آيا بقوة بعد أن تذكرت أن الأساور الواقية من الصدمات عديمة الفائدة هنا في البرية.

صاحت آيا: «ماذا عن أخي؟»

قالت تالي: «سأتدبر أمره.» وانحرفت باللوح لتقترب من هيرو، وصاحت: «يجدر بك التشبث كي تبقى في أمان!»

صعدت تالي باللوح أعلى ذراعي هيرو المنبسطتين، وبعد ثوان رأت آيا أصابعه تتشبث بجانبي اللوح.

انطلق اللوح إلى الأمام عائدًا في اتجاه المدينة، وحتى مع وجود الاتصال المغناطيسي، صارت مفاصل أصابع هيرو بيضاء اللون مع ازدياد سرعتهما.

حدقت آيا أسفلها حيث كانت الغابة المظلمة تمر بهما سريعًا، لقد بدا سحب هيرو برمته أمرًا صعبًا بما فيه الكفاية مع تحركهم بتمهل.

صاحت آيا في أذن تالي: «ماذا لو سقط هيرو هنا؟ نحن جميعًا عاجزون هنا! لقد استخدمتنا ك ...» وتلعثمت آيا في التعبير عما تريده باللغة الإنجليزية.

صاحت تالي: «طُعم! هي الكلمة التي تقصدينها، سأفسر كل شيء لاحقًا يا آيا-لا، وعليك في هذا الشأن أن تثقي بي!»

أغمضت آيا عينيها وهي تذكر نفسها بمن هي تالي. إنها تركب لوحًا طائرًا برفقة تالي يانج بلود — الشخصية الأشهر في العالم — وليس برفقة فتاة ماكرة مختلة.

وطمأنت نفسها بأنه مهما يبدو عليه الأمر من إثارة للذعر، فسيكون كل شيء على ما يرام.

استجمعت آيا شجاعتها ونظرت خلفها، فرأت ثلاث سيارات طائرة توشك بسهولة على بلوغ الألواح المحملة بعدد زائد من الركاب، وكلما اقتربت منهم بدأت مراوحها الرافعة في إحداث اهتزازات في الهواء.

بدأت تالي تتمايل باللوح، فأحكمت آيا قبضتها حولها أكثر، وقالت: «ماذا تفعلين!»

– «إنهم يحاولون ترهيبنا، يجب أن نجعل الأمر يبدو وكأنهم نجحوا في ذلك!»

صاحت آيا وهي تحاول أن تحافظ على توازنها دون أن تحرك قدميها: «ولكن لماذا؟» فإذا وطئت بقدميها في الموضع غير الصحيح، فستسحق أصابع هيرو!

صاحت تالي: «ألم تسمعي ما قلته؟ نحن لا نريد أن يُفضح أمرنا!»

تجهمت آيا، ما الهدف من أن نبدو عاجزين؟ فأيًّا كان الشرك الذي يدبره الجارحون، أليس هذا الوقت المناسب للكشف عنه؟

ظهرت حافة المدينة في الأفق، ربما قد ينفذون خطتهم هناك، فما إن يكونوا فوق الشبكة المعدنية للمدينة حتى يتمكن هيرو من الطيران مرة أخرى، وستعمل الأساور الواقية من الصدمات.

نظرت آيا حولها، فرأت فريز وفاوستو على بعد عشرة أمتار فقط، وكانت عينا فريز متسعتين أكثر من أي وقت مضى، وكان فاوستو يتمايل باللوح إلى الأمام والخلف، وقد علا وجهه البلاستيكي القبيح تعبير ينم عن بهجة جامحة، أما رين وشاي فكانا في المقدمة يقودان لوحهما على ارتفاع منخفض في خط مستقيم.

اقتربت إحدى السيارات الطائرة بمحاذاة آيا وتالي، وفُتح الباب الجانبي كاشفًا عن مخلوقين غريبين يحدقان فيهما، وأحزمة أجهزة الرفع تطوقهما.

صاحت تالي: «إنهما ينتظران حتى نصبح فوق الشبكة المعدنية للمدينة، هذا يعني أنهما لا يريدان قتلنا.»

ابتلعت آيا ريقها وقالت: «رائع!» ثم دار بخلدها جميع الاحتمالات الأسوأ من الموت التي ربما تخطط لها تلك المخلوقات الغريبة.

مرت إحدى السيارات الطائرة بالقرب منهما، وشعرت آيا باهتزازة مألوفة تزداد تدريجيًّا في الهواء.

صاحت آيا: «موجة تصادمية!» تشبه تمامًا موجة الاضطرابات الهوائية.

شعرت آيا بتغير الضغط الجوي في أذنيها، وضربت الرياح الهادرة عينيها فأغلقتهما، ثم ارتطم اللوح بمطب هوائي منخفض الضغط، ثم انخفض، فارتفعت قدما آيا من فوق سطح الركوب، وتشبثت بخصر تالي بأقصى قوة لها.

ثم ارتفع اللوح ثانية، والتوى كاحل آيا إذ ارتطمت قدماها بنتوء بسطح الركوب.

كانت أصابع هيرو ...

سمعت آيا صرخة هيرو وهو يسقط بعيدًا، ولكن لا تزال حافة المدينة على مرمى البصر.

صرخت آيا: «تالي!»

قالت تالي: «لا تقلقي.» والتف جسدها وسط قبضة آيا، فانعطف اللوح انعطافًا قويًّا كاد قلبها أن يتوقف معه.

وللحظة لم يكن هناك أي شيء أسفل آيا سوى الأشجار والأجمة، إذ كانت واقفة رأسًا على عقب تقريبًا، ومراوح الروافع الصارخة تدفعها إلى أسفل لتتجاوز هيرو الذي يتقلب في الهواء.

أرادت آيا أن تصرخ، لكن كل قوتها كانت موجهة إلى إحكام قبضتها حول خصر تالي.

سقطتا في الهواء بجوار هيرو، ومرت صرخاته المذعورة واهنة على أذنيهما، ثم التف اللوح مرة ثانية، واندفع بسرعة إلى أعلى أسفل قدميهما، فبسطت تالي ذراعها وأمسكت بذراعه في سلاسة، وأخذ يتأرجح حتى رفعته فوق اللوح الطائر.

كان وجهه شاحبًا.

قالت تالي وهي تنظر بعينيها إلى أعلى حيث كانت السيارات الطائرة: «آسفة يا هيرو لأنني أنقذتك في اللحظة الأخيرة؛ لم أرد أن يبدو الأمر سهلًا للغاية.»

تمايل ثلاثتهم بشدة فوق اللوح غير المستقر، وقد التفت أذرعهم بعضهم حول بعض، في حين عوت مراوح الرفع تحت عبء وزن هيرو الزائد.

حينئذ تسلل إلى أنف آيا رائحة معدن محترق فقالت: «هل هناك سخونة زائدة؟»

قالت تالي: «نعم، يا له من توقيت مناسب لحدوث ذلك الأمر!»

انطلقوا عبر حافة المدينة، بينما اتصلت المراوح بالشبكة المعدنية محدثة جلبة شديدة، واهتز اللوح حينما تولى نظام الرفع المغناطيسي زمام الأمور.

إلا أنهم كانوا لا يزالون يهبطون ...

صاح هيرو: «إن وزننا ثقيل للغاية، دعوني أترك اللوح! بوسعي الطيران الآن!»

قالت تالي: «ليس بعد.» وكانت لا تزال تلف ذراعًا حوله.

حينئذ قفز من فوقهم ستة مخلوقات غريبة من السيارات، وسعى كل اثنين في مطاردة كل لوح من الألواح الطائرة للجارحين، وكانت أصابعهما الإبرية تلمع في ضوء الفجر كعناقيد ثلج مدببة.

سألت آيا: «هنا ستوقعين بهم، أليس كذلك؟» وتمنت أن تكون موجل على مقربة منهم بدرجة كافية؛ كي تلتقط صورًا للجارحين وهم ينفضون عنهم أقنعتهم التنكرية ويفاجئون المخلوقات الغريبة.

قالت تالي: «ليس بعد.»

ومن مسافة بعيدة رأت آيا لوح فريز وفاوستو وهو يدور ويفقد السيطرة حينما اقترب منهما اثنان من المخلوقات الغريبة.

نظرت آيا أسفلها، كانت الأرض لا تزال تقترب منهم بسرعة على عكس ما ترغب، ووجهتهم تالي نحو زقاق ضيق بين مصنعين، حيث كان أحد هذه المخلوقات واقفًا، وقد بسط أذرعه الأربعة كلها.

صاح هيرو: «أطلقي سراحي!»

أومأت تالي برأسها: «حسنًا، في غضون ثلاث ثوان ... اثنان ...»

وعندما نطقت بالرقم واحد دفعت تالي بهيرو من اللوح، فقفز إلى الأمام، وذراعاه منبسطتان، لكن كان هناك خطب ما.

كان هيرو يدور في الهواء بشدة في حالة من انعدام السيطرة، وأطرافه تدور بسرعة كبيرة، وارتفع أحد المخلوقات الغريبة بمحاذاة جسده المترنح ووخزه بإبرة.

صرخت آيا: «هيرو! افعلي شيئًا يا تالي!»

– «لا تنزعجي يا آيا-لا، إن الأمور تسير وفقًا للخطة.»

انعطفت تالي باللوح بعيدًا عن المخلوق الغريب، لكن كان هناك مخلوق غريب آخر يقف عند الطرف الآخر للزقاق، وكانا يتجهان نحوه مباشرة.

– «تالي! اصعدي باللوح!»

– «توقفي عن تحريك ذراعيك يا آيا-لا، وإلا سيسوء الوضع.»

– «الوضع سيئ بالفعل!»

انطلقت تالي وآيا مباشرة نحو أذرع المخلوق الغريب المنبسطة، وشعرت آيا بوخزة إبرة في خاصرتها، وبدأ إحساس بالبرودة يسري بجسدها كله، وكأن سيقان نبات معترشة تطوق قلبها ورئتيها.

همست آيا: «افعلي شيئًا.» كانت آيا لا تزال تنتظر أن تنزع تالي قناعها المصنوع من البلاستيك الذكي وتكشف عن وجهها الجارح المريع.

وهنا رأت في يد تالي إحدى وسادات الكتف لعدة الكرة الطائرة التي كان يرتديها هيرو، وأحزمتها مفكوكة. لقد نزعتها تالي عن عمد وأسقطتها عندما بدأ اللوح يدور في اتجاه الأرض.

قالت تالي: «تشبثي بضع ثوان أخرى يا آيا-لا، كي لا ترتطم رأسك بالأرض.» ثم مالت تالي بجسدها إلى أسفل نحو سطح الركوب، ورمشت بعينيها ثم أغمضتهما، لكنها بدت متيقظة تمامًا عندما همست باستهجان: «وأينما استيقظت، لا تناديني بتالي، نحن فقط أصدقاؤك القبحاء، أفهمت ذلك؟»

– «لكن لماذا ...؟»

– «ثقي بي يا آيا-لا، أحيانًا تكون مهمة إنقاذ العالم مربكة.»

شعرت آيا بدوار جراء وخزة الإبرة، ولم تعد في كامل وعيها، ولكنها فهمت الخطة المدبرة منذ البداية شيئًا فشيئًا: لقد كانت وسيلة استخدمها الجارحون المتنكرون ليقعوا في الأسر.

وآيا والآخرون ليسوا سوى طعم ...

أما تالي يانج بلود — العقل المدبر لثورة العقول والشخصية الأشهر في العالم — فلم تكن سوى ملكة للوحل تهوى الحياد عن الحقيقة.

الجزء الثالث

الرحيل عن الوطن

الشهرة أكثر المطالب تفاهة وزيفًا، غالبًا ما يحصدها من لا يستحقون ويفقدها من هم جديرون بها.

مسرحية عطيل
(إياجو، الفصل الثاني، المشهد الثالث)

الأسر

كان العالم بأسره يصيبها بالدوار.

كان كل شيء يدور ويلف من حولها ويبدو مبهمًا وغير مستقر أسفل قدميها، ووقعت أفكارها فريسة لمزيج من مشاعر الغضب والانتباه والذعر تخلله شعور قاس بالخيانة. وذابت كل حواسها الخمس في هدير متواصل، وكأن كل الحقائق قد تداخلت معًا.

ثم طرأت بؤرة تركيز مفاجئة عندما انتابها شعور طفيف بالألم وسط أحاسيسها المختلطة، فثمة شيء حاد وخزها في كتفها، وتدفق بحرارة في عروقها ... استيقظت آيا فيوز فجأة.

فانتصبت جالسة وهي تصرخ: «لا!» إذ تفجرت ثورة غضب مفاجئة داخلها، لكن ثمة أيادٍ قوية دفعتها إلى الوراء ثانية.

صاح أحدهم: «لا تصرخي، من المفترض أننا نائمون.»

نائمون؟ كان قلب آيا يخفق بشدة والدم يفور بعروقها، وسيطرت الرجفات على جسدها بينما كانت يداها تتحركان وتخدشان الأرضية المعدنية الصلبة الموجودة أسفلها.

وبعد لحظة أخرى عانت فيها الارتجاف، اتضحت رؤيتها أخيرًا.

كان وجه قبيح يحدق فيها، وامتد إصبعان ناحيتها وفتحتا عينيها بحذر لكي تصيرا أكثر اتساعًا، وتفحصتا إحدى عينيها ثم الأخرى.

– «حاولي أن تسترخي، أعتقد أنني أعطيتك أكثر من اللازم.»

سألت آيا وهي تلهث: «الكثير من ماذا؟»

قالت الفتاة القبيحة: «محلول الإفاقة، ولكنك ستكونين بخير في غضون دقيقة.»

استلقت آيا هناك وقلبها يخفق بشدة، وبدأ إحساس الالتهاب بكتفها يتلاشى، وأخذت أنفاسًا مستقرة، وانتظرت حتى يتوقف العالم من حولها عن الدوران.

بيد أن الاستقرار كان مفهومًا نسبيًّا، ففي الوقت الذي تشبعت فيه آيا بالطاقة الثائرة التي سيطرت عليها، أدركت تدريجيًّا أين هي، فقد كانت في حجرة الشحن بسيارة طائرة ضخمة تمر عبر عاصفة عاتية. واهتز هيكل السيارة من حولها واضطربت الأرضية المعدنية بشدة أسفلها، وارتطمت الأمطار الغزيرة بالنوافذ.

صرخت مراوح الرفع وهي تناضل من أجل الحفاظ على توازن السيارة الطائرة، وأضافت صوتها المزعج إلى صوت الريح الهادرة.

وفي ظل الضوء الخافت المتغير، استغرقت آيا لحظة حتى تذكرت أن الفتاة القبيحة التي أيقظتها كانت متنكرة.

قالت آيا بهمس: «تالي يانج بلود، أنت فتاة تافهة تحيد عن الحقيقة وغير جديرة بالثقة.»

قهقهت تالي: «أنا سعيدة أنك قلت ذلك باليابانية يا آيا-لا، لأنه لم يبد مهذبًا.»

أغمضت آيا عينيها بقوة وهي تحاول جاهدة أن تمنع ذهنها من تحويل ذلك إلى اللغة الإنجليزية ثم قالت: «أنت ... كذبت علينا.»

قالت تالي بهدوء: «لم أكذب قط، كل ما هنالك أنني لم أفسر تفاصيل خطتنا.»

– «أتسمين هذا تفاصيل!» ونظرت آيا حولها في الحجرة المظلمة التي تتقاذفها العاصفة. كان هناك باب معدني بلا نوافذ يفصل بينهما وبين حجرة القيادة، وعلى الجدران طبقة من شباك تغليف شحنات البضائع التي كانت تلتوي وتتمايل مع اهتزاز السيارة. كان الجو حارًّا ورطبًا، وشعرت آيا بقطرات العرق تسيل داخل سروالها الثقيل. أردفت: «لقد وثقنا بك، وأنت أوقعت بنا في أسر تلك المخلوقات الغريبة! عن قصد!»

– «أنا آسفة يا آيا-لا، لكن شرح خططنا لفتاة مهووسة بالمدونات لم يبد فكرة سديدة للغاية. كانت هذه هي فرصتنا الوحيدة لمعرفة من أين يأتي هؤلاء المختطفون. لم يكن بوسعنا المخاطرة بجعل هذا الأمر قصتك الرائعة التالية.»

– «ما كنت لأفعل هذا قط!»

– «هذا ما قلته للفتيات الماكرات.»

فغرت آيا فمها دون أن تنطق بأي كلمة، وبدأت ثورة غضبها تحتدم مجددًا، والآثار الباقية من محلول الإفاقة تتقد في دمها، لماذا تُحرف تالي كل شيء؟

تمكنت آيا في النهاية من التحدث قائلة: «كان الأمر مختلفًا تمامًا! فأنا ربما قد خدعت الفتيات الماكرات، لكنني لم أستخدمهن طعمًا.»

– «نعم، لكنك استغللتهن بالفعل يا آيا-لا، ونحن اضطررنا لفعل الشيء نفسه معك.»

– «لكنكم كذبتم علينا!»

هزت تالي كتفيها وقالت: «ما الذي قلته في حوارك الصحفي؟ إن المرء يضطر أحيانًا إلى الكذب لاكتشاف الحقيقة.»

وجدت آيا نفسها عاجزة عن الكلام مجددًا، وقد تملكها الخوف الشديد من أن تُستخدم ضدها كلمات نطقت بها، ثم تذكرت من قال هذه الكلمات في البداية، إنه فريز، ففي آخر مرة رأته فيها كان يسقط بحركة دائرية تجاه الأرض فوق لوح فاوستو.

– «أصدقائي ... هل هم بخير؟»

تنحت تالي جانبًا وقالت: «هدئي من روعك، الجميع بخير.»

نهضت آيا واتكأت على جدار السيارة الطائرة المهتز. كانت شاي وفاوستو يجلسان القرفصاء على الجانب الآخر من الحجرة، بينما كان هيرو مستلقيًا بينهما ولا يزال فاقد الوعي، وكان جسد رين الطويل متمددًا في منتصف الحجرة وهو يغط بسعادة في نوم عميق.

أما فريز فكان يرقد بجوار آيا دون حراك تمامًا، فتدحرجت آيا بالقرب منه وضغطت على يده ... لكنه لم يستجب لها.

سألت آيا: «هل أنت واثقة أنه بخير، لقد وخز فريز بتلك الإبر مرتين الليلة الماضية.»

أجابتها تالي: «لقد سبق أن نجحت في مقاومة جزيئات النانو التي يرهبونكم بها، إنه نائم فحسب.» ورفعت كم ثوبها إلى أعلى ونظرت إلى الوشوم المتحركة التي اعتلت ذراعها، حيث ظهرت الرسومات وكأنها شبكة اتصال، وليست فقط نقوشًا للتزين، ثم أردفت: «لقد غبتم عن الوعي مدة ست ساعات، وهذا يبدو مبالغًا فيه قليلًا في رأيي، هل تنامون دائمًا حتى الظهيرة؟»

وفجأة تمايلت السيارة الطائرة وأثارت أوجاع آيا وكدماتها، فكانت عضلاتها متألمة بعد قضاء ساعات في وضع انحناء في خزان المياه الكامن تحت الأرض، والفرار من مصوري المشاهير، والنوم فوق أرضية معدنية مهتزة.

– «كلا، كنا مرهقين للغاية بعد قضاء الليلة في الهروب وانتظار مجيئك لإنقاذنا.» ونطقت آيا آخر كلمتين بعدائية.

– «أصغي إلي يا آيا-لا، صدقي أو لا تصدقي، أنت هنا معنا في أمان أكثر من أن تكوني في المدينة، فالمخلوقات الغريبة كانت ستختطفك عاجلًا أم آجلًا، فهي دائمًا تفعل ذلك، فعلى الأقل بهذه الطريقة نحن هنا بجوارك لحمايتك.»

قالت آيا بازدراء: «ولقد أحسنتم صنيعًا حتى الآن.»

ضيقت تالي عينيها بحنق، وقالت: «أنت لا تزالين حية حتى الآن.»

صاحت آيا: «لكن في رأيك ما انطباعنا عما حدث؟ أنت أشهر شخص في العالم وها أنت قد استغللتنا!»

قالت تالي: «أتريدين معرفة رأيي بشأن انطباعكم؟» ثم مالت تالي إلى الأمام واقتربت منها وعيناها السوداوان يتطاير منهما الشرر، ثم قالت: «أنا أعرف كيف يكون حال المرء عندما يتعرض للاستغلال يا آيا-لا، وأعرف أيضًا شعوره عندما تكون حياته على المحك، ففي الوقت الذي كانت فيه مدينتك تبني لكم قصورًا تعيشون فيها، كنت أنا وأصدقائي نحارب من أجل حماية هذا الكوكب. لقد سفكنا دماءً أكثر من تلك التي تجري في عروقك؛ لذا لا تحاولي أن تبثي داخلي الشعور بالذنب!»

انكمشت آيا خوفًا؛ فلبضع ثوان شعرت فيها بالذعر رأت آيا الوجه الآخر لتالي المختبئ وراء القناع بوصفها فردًا من السلطات الخاصة، ولمست نبرة حادة في صوتها، وتذكرت الشائعات المخيفة التي راجت أثناء دراستها بالمدرسة عن المعنى الحقيقي لكلمة «جارحين».

وفجأة صدقتها آيا.

قالت شاي من الجانب الآخر للحجرة: «هدئي من روعك يا تالي-وا، إن الفطريين ضعاف، ونحن لا نزال بحاجة إلى مساعدتهم.»

حينئذ تلاشى الغضب من وجه تالي، وارتمت بظهرها على شباك تغليف البضائع، وكأن ثورة غضبها قد أنهكتها. وفجأة بدت كفتاة قبيحة عادية مرة أخرى ثم قالت: «لا بأس، ولكن تحدثي إليها أنت، فهي تثير غضبي.»

استدارت شاي إلى آيا وبسطت يديها ثم قالت: «أتفهم سبب انزعاجك يا آيا-لا، أقصد ذلك الشعور الذي يتمالكك تجاه تالي الآن، ولنقل إن هذا الشعور راودني من قبل بضع مرات.»

ابتسمت تالي وقالت: «ما كان يمكنك العيش من دوني يا شاي-لا.»

قالت شاي: «لقد كنت أعيش من دونك، وكان باقي أفراد جماعة الجارحين يمضون وقتًا سعيدًا في دييجو إلى أن جئت بهذه الخطة المجنونة.»

– «مجنونة؟» نظرت آيا إلى شاي وتالي وهي في حيرة ثم قالت: «ولكنكما صديقتان، هكذا ظننت.»

قالت شاي بهدوء: «أقرب صديقتين إلى الأبد، كل ما في الأمر أن رغبتي في قضاء وقت ممتع ليست معناها وقوعي في أسر مجموعة من المخلوقات الغريبة، ما رأيك يا فاوستو؟ أتحب أن تكون محتجزًا في هذه السيارة الطائرة المثيرة للضجيج؟»

رد فاوستو بشرود: «أحب كل دقيقة أقضيها هنا.» وأخذ يُغير بذلة تخفيه إلى الأنسجة المختلفة لزي مسكن الطلاب، وكأنه لا يود المشاركة في الحديث.

قالت تالي: «لا أتذكر أنك اقترحت فكرة أفضل.»

ردت شاي قائلة: «كان لدي الكثير من الأفكار.» ثم استدارت إلى آيا وأردفت: «لكنني تعلمت أنه عندما يكون لدى تالي خطة في رأسها، فمن الأيسر مسايرتها، وإلا ستكتشفين أن تالي يمكن أن تتحول إلى شخص خاص للغاية.»

ابتلعت آيا ريقها وهي تتساءل هل ما تعرفه من الإنجليزية قد حُجب عنها جراء تلك المادة التي وخزتها بها المخلوقات الغريبة. كانت هذه المحادثة ستصيب رأسها بالدوار ثانية؛ فلقد كان الجارحون مختلفين تمام الاختلاف عما يفترض أن يكون عليه الأشخاص المشهورون الذين أنقذوا العالم ولديهم عدد هائل من نقاط الاستحقاق.

سألت آيا: «هل تقصدين بكلمة «خاص» شيئًا سيئًا أم طيبًا؟»

هزت شاي كتفيها وقالت: «ليس سيئًا أو طيبًا، بل خاصًّا فحسب، فتالي من الأشخاص الذين يحولون الأقوال إلى أفعال، وهذا كل ما في الأمر، وأيسر شيء هو أن تساريها فحسب، إذن هل توافقين على أن تكوني فتاة فطرية مطيعة تقدم لنا يد العون؟»

قالت آيا: «لكنكم جماعة الجارحين! فلقد انتهى عصر الحسن على أيديكم، وأنا ما زلت في الخامسة عشرة من عمري، كيف يمكنني مساعدتكم؟»

ابتسمت شاي قائلة: «حسنًا، بناءً على الترجمة الأولية للأجزاء التي شاهدناها من قصتك، يبدو أنك بارعة في خداع الناس.»

تنهدت آيا وقالت: «شكرًا لتذكيري بذلك.»

قالت شاي: «على الرحب والسعة، فكل ما نطلبه هو أن تكذبي قليلًا مرة أخرى، وتفسري للآسرين المهووسين بالجراحة لماذا كان هناك مجموعة من القبعاء الغرباء يحاولون إخراجك من المدينة خفية.» ثم أشارت إلى قناعها القبيح وأردفت: «سيكشفون أمر هذه الأقنعة التنكرية إذا شكوا في الأمر.»

قطبت آيا جبينها وبدأت تدرك تدريجيًّا مدى الصعوبة التي سيصبح عليها هذا الأمر، ثم قالت: «لكنكم لا تتحدثون حتى اليابانية؟»

قالت شاي: «أنا واثقة من أنك ستفكرين في تفسير ما.» ثم أطلقت ضحكة، وأردفت: «تخيلي فحسب القصة الرائعة التي ستحصلين عليها من هذه المغامرة أيتها العضو الشرفي بجماعة الجارحين.»

أومأت آيا برأسها ببطء، فستكون قصة رائعة؛ فتاة قبيحة تُستقطب لمساعدة الجارحين في إنقاذ العالم، إضافة إلى أنها ستتمكن من إظهار الوجه الحقيقي لتالي يانج بلود الشهيرة.

– «لكنني لا أملك حتى كاميرا تجسس، فالقصص لا قيمة لها دون وجود لقطات.»

– «هل أنت واثقة من ذلك؟ تفقدي عدسة عينك.»

طوت آيا بنصرها، فلم تظهر لها المدونات المألوفة، بيد أنه كان هناك بضع إشارات تلوح عند حافة رؤيتها، وهي بلغة لم تستطع التعرف عليها، وترتبط بمناطق المدن التي يمرون بها كجزء من شبكة اتصال السيارة الطائرة التي لا تتخطى المستويات الأمنية، وفي زاوية رؤيتها ظهرت آخر رتبة شهرة التقطتها العدسة أثناء انطلاقهم من بين الكاميرات الطائرة التي هوجمت بالقنابل الوامضة: المرتبة الثامنة.

قالت آيا بصوت خافت: «لقد أصبحت ضمن العشرة الأكثر شهرة.»

ثم رأت آيا إشارة موجل، وقد ضعفت قوتها، بيد أنها كانت ثابتة، إذ كانت قادمة من بعد أمتار قليلة فقط.

اتسعت عينا آيا وقالت: «لقد التصقت موجل بقاعدة السيارة.»

قالت شاي: «أجل، لقد علقت هناك أثناء حملنا داخل السيارة، يا لها من كاميرا طائرة ذكية!»

نظرت آيا إلى رين النائم وقالت: «إنه هو من أدخل التعديلات بها وليس أنا.»

– «كم هو داهية!»

قالت تالي: «إذن ستحصلين على قصة رائعة، فهل يمكنك مساعدتنا في إنقاذ العالم؟»

– «أتعدينني أنك ستحميننا؟»

قالت تالي: «أجل أعدك بذلك.»

أخذت آيا نفسًا بطيئًا وتذكرت كلمات لاي لها فوق المزلجة الصاروخية.

– «بالطبع سأساعدكم، فأنا أحب العالم على الرغم من كل شيء.»

قالت شاي: «كم أنت رائعة يا آيا-لا، الآن ماذا عن أصدقائك؟ هل سيشكلون عائقًا؟»

– «كلا، أنا واثقة من أنهم سيساعدونكم أيضًا.» ثم أمسكت آيا بيد فريز وتساءلت هل ينبغي لها إيقاظ الآخرين، فسيكون من الأفضل أن يعرفوا جميعًا ماذا يجري الآن، قبل أن يتسنى لأحدهم فرصة ... فضح أمرهم.

نظرت آيا إلى فريز واتسعت عيناها، وكان قد بدأ يتحرك قليلًا مع ملامستها له، ثم خرج أنين هادئ من شفتيه الجميلتين اللتين لا تنطقان إلا بالحقيقة.

وفجأة أدركت آيا أن هذا ليس الوقت المناسب للصدق المطلق.

المستوى المتقدم للغة الإنجليزية

تمتم فريز بصوت خافت: «آيا»، ورمشت عيناه حتى اتسعتا، ثم أردف: «أهو أنت؟»

مالت آيا بالقرب منه وقالت: «أجل، هو أنا، هل أنت بخير؟»

أجابها فريز: «أظن أن جسدي مليء بالكدمات، وأعرف أنني أشعر بغضب شديد تجاه تالي يانج بلود.»

ضغطت آيا على يده وهي لا تزال غير واثقة من قدر حقيقة الموقف الذي ستفصح له عنه. فبعد ما قالته شاي، تساءلت عما قد تفعله تالي بفريز إذا اكتشفت أن جراحة المخ التي أجراها تشكل تهديدًا لخطتها.

هل ستجعله يفقد الوعي ثانية؟ أم ستقذف به خارج السيارة الطائرة؟

قررت آيا أنها في حاجة إلى المساعدة في هذا الأمر.

استدارت آيا إلى شاي وقالت: «أيقظي هذين الاثنين يا شاي-لا؟ سيكون من الأفضل أن أفسر كل شيء في الحال.»

أومأت شاي برأسها بالموافقة ثم وكزت هيرو ورين برفق، فاستيقظا تدريجيًّا، وعيناهما تتحركان في أرجاء حجرة الشحن المتمايلة وهما في حالة عدم تصديق.

قال هيرو وهو يستقيم جالسًا: «ماذا حدث؟» فقد أزيل جهاز الرفع من حوله، وصارت ملابس الحفل بالية للغاية لدرجة لا يمكن معها إصلاحها.

ساعدت آيا فريز على القعود، ثم أشارت إلى كل من هيرو ورين كي يقتربا منها، وعندما أصبحوا على مقربة بعضهم من بعض، تحدثت آيا باليابانية سريعًا.

– «لقد استخدمونا كطعم، وأوقعوا بنا جميعًا في الأسر؛ لذا أعتقد أننا متجهون إلى المكان الذي تأتي منه تلك المخلوقات الغريبة.»

رمق رين شاي بنظرة ثم قال: «هذا هو إذن السبب الحقيقي لتنكرهم.»

قالت آيا: «أجل، والآن هم يحتاجون إلى مساعدتنا، فهم يريدون التسلل إلى القاعدة الأساسية لتلك المخلوقات الغريبة دون أن يعرف أحد هويتهم، علينا أن نتظاهر أنهم أصدقاؤنا.»

صاح هيرو: «هل أصابهم الجنون؟ كيف يجرءون على توريطنا في هذا الأمر؟»

استدارت آيا إليه وهزت كتفيها ثم قالت: «أعتقد أن تالي ترى أن شهرتها الواسعة تبرر لها فعل أي شيء.»

وضع هيرو ذراعًا فوق الأخرى وقال: «حسنًا، أنا لن أساعدهم، لا سيما بعد أن عرضونا للاختطاف عن قصد!»

قال فريز: «إننا بذلك لا نساعدهم هم فحسب، لقد قالت تالي إن هناك نواقل دفعية أخرى، بل الكثير منها، ألا تعتقد أنه قد يكون هناك في مكان ما أسطوانة موجهة إلى مدينتنا يا هيرو؟ وربما تكون مبرمجة لتدمير قصرك؟»

تمتم هيرو وهو ينظر سريعًا باستياء تجاه تالي: «حسنًا، ربما قد يكون الأمر كذلك.»

سألت آيا: «ألا ترى أننا سنحصل على قصة أفضل إذا ساعدناهم، إنهم يريدوننا أن نكون ... أعضاء شرفيين بجماعة الجارحين.»

همس رين قائلًا: «أعضاء شرفيين؟ ستكون هذه قصة مهمة إلى حد بعيد.»

هز هيرو رأسه بالنفي وقال: «بل ستكون قصة سيئة إلى حد بعيد إذا كنا لا نملك كاميرات.»

قالت آيا: «لا تقلق، إن موجل ما زالت معنا، إنها ملتصقة بقاعدة السيارة.»

ضحك رين ثم قال: «أفعلت موجل هذا ونحن غائبون جميعًا عن الوعي؟ إن تعديلاتي ليس لها مثيل!»

أومأت آيا برأسها ثم قالت: «ما رأيك إذن يا هيرو؟ هل سننشر هذا؟»

حينئذ مرت السيارة الطائرة بمطب هوائي شديد، وانخفضت السيارة من أسفلهم لحظة.

وارتفعوا جميعًا في الهواء، ثم سقطوا بقوة فوق الأرضية المعدنية. لكن هيرو لم يحرك ساكنًا وكأن العاصفة لم تكن تحدث وأخذ يفكر بتمعن.

وأخيرًا، أومأ هيرو برأسه موافقًا ثم قال: «لا بأس، لكننا جميعًا سننشر قصصنا في الوقت نفسه، ويحق لأي شخص استخدام أي لقطات تلتقطها موجل كيفما يشاء.»

قالت آيا: «اتفقنا.»

قال فريز: «أحيانًا تكونان أنتما الاثنان غرباء للغاية. هل يمكنني إيضاح أن مشكلتنا الكبرى لا تتعلق بكيفية نشركما لهذه القصة؟»

تنهدت آيا ثم قالت: «أنت محق في ذلك.»

تلاشى شعور الحماسة عن وجه رين وتنفس بتمهل، ثم قال: «المشكلة هي الصدق المطلق.»

قال هيرو: «وماذا في ذلك؟ ألا يمكنك التزام الصمت فحسب؟»

هز فريز رأسه بالنفي ثم قال: «لا يمكنني حتى الاحتفاظ بسر إقامة حفلة مفاجئة طي الكتمان، فكيف يفترض بي أن أخفي حقيقة أن أشهر فتاة في العالم تقف بجواري متنكرة؟»

قال هيرو: «لا يمكنك حفظ سر إقامة حفل عيد ميلاد مفاجئ طي الكتمان؟ يا إلهي، إن الصدق المطلق هي أحمق جماعة سمعت بها على الإطلاق!»

صاح فريز: «حسنًا، عندما توصلت إلى فكرة العملية الجراحية للصدق المطلق، لم أكن أعتزم مساعدة تالي يانج بلود على التسلل إلى مكان ما مليء بالمخلوقات الغريبة. وكذلك الحال فيما يخصك أنت أيضًا، حتى اكتشفت أنه بوسعك نشر هذه القصة!»

سأله هيرو: «ماذا تقصد؟»

قاطعتهما آيا قائلة: «وهناك أمر آخر، أعتقد أن تالي ... عاجزة عن التحكم في عواطفها قليلًا.»

نظر كل من رين وهيرو إلى آيا وكأنهما يعتقدان أنها تمزح بشأن ما قالته، ولكن فريز أومأ برأسه تأييدًا لما قالته، وقال: «عندما خطرت لي فكرة الصدق المطلق للوهلة الأولى، قضيت بعض الوقت في دراسة تاريخ العمليات الجراحية التي تجرى للمخ. ولم يقتصر ذلك على مشوشي العقل وإنما كل شيء، ومن بينه ما فعلته تالي لأفراد السلطات الخاصة.» ثم رمق فريز الجارحين الثلاثة بنظره، وأردف: «هم قد يكونون شديدي الخطورة إن اعترض الآخرون سبيلهم، فشعارهم هو «لا أريد أن أجرحك، ولكنني سأفعل إن اضطررت إلى ذلك.» ولقد فعلوا ذلك بالفعل، بل وصل الأمر إلى حد قتلهم الناس.»

رمق هيرو آيا بطرف عينيه، ثم قال: «وأنت تريدينا أن نكون «أعضاء شرفيين بجماعة الجارحين»؟»

قالت آيا: «لكنني خلت أنهم تماثلوا جميعًا للشفاء.»

أومأ فريز برأسه بالموافقة ثم قال: «لقد نزعت سمات أفراد السلطات الخاصة من غالبيتهم تمامًا، بيد أن الجارحين الذين حموا دييجو سمح لهم بالإبقاء على استجاباتهم وقوتهم، لأن عقولهم كانت قد شفيت.» ثم انحنى أكثر نحو آيا وأردف: «لكن تالي يانج بلود لم تتغير مطلقًا، فهي لم ترغب في أن يقوم أي شخص «بإعادة برمجة» عقلها حسب قولها، ولهذا السبب اختفت في البرية.»

قال رين: «سحقًا! إنهم لا يقصون الأمر هكذا في مدونات التاريخ.»

ابتلعت آيا ريقها، فما قاله فريز أسوأ كثيرًا مما ظنت.

استدارت آيا إلى فريز ثم قالت: «إذن أنت تعي موطن المشكلة؟ فلا يمكنك إخبار تالي بشأن الصدق المطلق، فمن المستحيل التنبؤ بما ستفعله إذا اكتشفت أنك قد تدمر خططها.»

رفع فريز حاجبيه ثم قال: «دعيني أصوغ لك الأمر بوضوح يا آيا-تشان، أنت تريدين من شخص لا يمكنه الكذب أن يكذب بشأن حقيقة أنه لا يمكنه الكذب؟»

قال هيرو: «نحن نحتاج إلى خطة أخرى.»

قال رين: «ماذا عن حاجز اللغة؟ ربما يمكنك إخبارها بكل شيء ... ولكن باليابانية.»

هز فريز رأسه بالنفي ثم قال: «إن الأمور لا تسير على هذا النحو يا رين، فالتحدث باللغة الخاطئة هو مجرد وسيلة أخرى لإخفاء الحقيقة، وأنا لا يمكنني خداع الناس.»

سأل رين: «لكن ألا يمكنك بشكل ما نسيان حقيقة أنهم لا يتحدثون اليابانية؟»

قال فريز: «لا يمكنني الكذب على نفسي أكثر مما يمكنني الكذب عليهم.» ثم تأوه بخيبة أمل وأردف: «فكلما تحدثنا في هذا الأمر زاد تفكيري فيه، وكلما فكرت فيه أكثر ازدادت حاجتي إلى إخبارهم أننا نخفي سرًّا!»

تأوه فريز بتعاسة مرة أخرى وهو ينظر تجاه تالي.

نظرت إليه تالي ثم قالت: «حسنًا يا رفاق، كيف تدرسون الأمر؟ هل توصلتم إلى أي قرارات؟»

رد عليها فريز بإنجليزية مثالية: «إنهم لا يريدونني أن أتحدث إليك!» ثم وضع يديه بقوة فوق فمه حابسًا أنفاسه.

رفعت تالي حاجبها وقالت: «ماذا؟»

قالت آيا بالإنجليزية: «لا شيء! نحن لا نزال نناقش كل شيء، هذا كل ما في الأمر.»

أومأت شاي بذقنها وقالت: «حسنًا من الأفضل أن تسرعوا، يبدو أن أحدهم قادم إلينا.»

نظرت آيا إلى أعلى ورأت الباب المعدني المؤدي إلى حجرة القيادة ينفتح تدريجيًّا.

قالت آيا لنفسها: «عظيم، ها قد جاء آخرون ليتحدث إليهم فريز.»

أودزير

دخل اثنان من المخلوقات الغريبة محلقين في الهواء.

كانا يرتديان عدة الكرة الطائرة حتى هنا داخل السيارة. تحرك الرجل عبر أرجاء حجرة الشحن فوق رءوسهم. أما المخلوق الغريب الآخر فكان امرأة، وكانت واقفة ويداها تمسكان بحافتي مدخل الباب، وأصابعها تتلألأ برءوسها إبرية الشكل. واستطاعت آيا رؤية حجرة القيادة من ورائها، حيث يجلس مخلوقان غريبان آخران عند جهاز التحكم بالسيارة.

ومن مسافة قريبة كانت الوجوه الغريبة أكثر إثارة للقلق، فكانت عينا كل واحد منهم متباعدتين للغاية، حتى بدا وكأن كل عين تنظر إلى اتجاه مختلف. وبينما نظر الرجل المحلق في الهواء إليهم جميعًا بنظرة واحدة فاحصة دون أن يدير رأسه، حدق بنظره في آيا بعين واحدة بدت فولاذية الشكل، وكان يحافظ على ثباته في الهواء عن طريق تحريك يديه وقدميه العاريتين غريبتي الشكل في الهواء الحار الرطب.

قال: «أرى أنكم مستيقظون، ولم يتعرض أحد لأذى؟»

كانت لغته اليابانية غير متقنة، وأدركت آيا أنه بعد التحليق في الجو مدة ست ساعات قد تكون السيارة الطائرة في أي مكان في آسيا، وتساءلت من أين أتت المخلوقات الغريبة فعلًا.

قالت آيا: «كلنا بحالة جيدة، لكننا لسنا راضين تمامًا.»

أجابها وهو ينحني لها قليلًا في الهواء: «لم نتوقع أن نأخذ سبعة منكم، ونأسف على الإزعاج.»

صاح هيرو: «إزعاج! لقد اختطفتمونا!»

أومأ الرجل الغريب برأسه وقد ظهرت على ملامحه الغريبة نظرة ندم ثم قال: «من الضروري أن نخفي أنفسنا في الوقت الراهن، كان يجب إسكاتكم.»

قالت آيا وهي تبلع ريقها: «إسكاتنا؟ هل هذا يعني أنكم ستقتلوننا؟»

قال: «كلا! وأنا آسف على لغتي اليابانية الضعيفة، فكل ما أقصده هو أنه لا يمكنكم الاتصال بوطنكم، لكن في القريب العاجل لن يكون هناك أي حاجة للسرية، وربما يمكنكم العودة إليه.»

سألت آيا: «ولماذا لا يمكننا الذهاب الآن؟»

قال: «سنهبط بعد قليل، وحينها سأفسر كل شيء، أما في الوقت الراهن فأنا أدعى أودزير، هل لي أن أعرف أسماءكم؟»

صمتت آيا لحظة، ثم انحنت إليه وقدمت نفسها، وتبعها رين وهيرو، وحينئذ فهم الجارحون ما تبادر من تلميح، وذكروا أسماء مزيفة عندما استدار أودزير إليهم.

لكن نظرته تجاه تالي تباطأت.

قال أودزير: «تبدين مختلفة عن الآخرين.»

تساءلت آيا عما يعنيه بذلك بالضبط. فقديمًا في عصر الحسن، وضعت لجنة الوفاق العالمي تصنيفات متوسطة للمناطق المختلفة من العالم، ولم يكن من الجراحة التجميلية المجنونة التي أجراها الأشخاص منذ ثورة العقول سوى أن تفسد التصنيفات الجينية القديمة لسكان العصر القديم، ولكن القبحاء كانوا يظهرون سماتهم المتوارثة، ولم تبد الأقنعة المصنوعة من البلاستيك الذكي التي يرتديها الجارحون آسيوية الملامح على وجه الخصوص.

بيد أن أودزير كان يرى تالي مختلفة عن بقية أفراد المجموعة، فُترى هل لمح في عينيها صورة لفرد من أفراد السلطات الخاصة لم يفقد سماته بعد؟

قال فريز وهو يصر على أسنانه: «صحيح، إنها ليست مثلنا.»

خرجت آيا فجأة عن صمتها وقالت: «إن ما يعنيه فريز هو أن أصدقاءنا هم طلاب من مدينة أخرى، ولا يتحدثون اليابانية بطلاقة.»

أوضح فريز الأمر: «هم لا يتحدثونها على الإطلاق!» فضغطت آيا على يده وأوصته بأن يلزم الصمت.

غير أودزير لغته بسهولة بالغة: «هل سنتحدث الإنجليزية إذن؟»

أومأت تالي برأسها ثم قالت: «أجل، من الأفضل ذلك، هل قلت إلى أين نحن ذاهبون؟»

– «سترين قريبًا.»

قال فاوستو: «نحن نحلق ناحية الجنوب منذ ساعات، والجو حار للغاية، لا بد أننا على مقربة من خط الاستواء.»

أومأ أودزير برأسه مبتسمًا ثم قال: «أرى أنكم طلاب أذكياء للغاية، أود أن أكافئكم على دهائكم: سنهبط قريبًا فوق جزيرة كان سكان العصر القديم يطلقون عليها اسم سنغافورة.»

اكفهر وجه آيا وهي تحاول أن تتذكر ما درسته في مادة الجغرافيا، ولم يذكرها الاسم بأي شيء، لكن المئات من مدن العصر القديم مفقودة، وعلى الأقل كان تغيير موضوع الحديث سيهدئ من رغبة فريز في التحدث بصدق مطلق.

حينئذ شرعت السيارة الطائرة في الهبوط، إذ ازدادت الرحلة صعوبة مع ازدياد ظلمة السحب عبر النوافذ. بدأت حجرة الشحن تتمايل من جانب لآخر، وتمايلت معها شباك تغليف البضائع، فشعرت آيا بثورة في معدتها، وسرها أنها لم تتناول أي شيء منذ وجبة العشاء في الليلة السابقة.

لم يبد على تالي وفاوستو وشاي أي انزعاج من تلك الحركات الاضطرابية، بل حركوا أجسادهم وكأنهم يركبون ألواحًا طائرة للحفاظ على توازنهم وتخفيف حدة كل حركة للسيارة. بدا الأمر وكأنهم تعلموا استقراء صوت العاصفة وتوقع الحركة التالية للريح.

أما أودزير فبدا رابط الجأش في الهواء، ونظر إلى أفراد جماعة الجارحين باهتمام متزايد. قال: «هل سافرتم خلال عاصفة استوائية من قبل؟»

قالت تالي ببساطة: «نحن نسافر كثيرًا.»

– «لاحظت أن ألواحكم الطائرة مصممة بحيث تطير في البرية، وهذا أمر غير معتاد إلى حد بعيد، خاصة عند القبجاء.»

قالت شاي: «فعلًا؟ إنها رائجة للغاية في وطننا.»

شعر فريز بالتوتر بجانب آيا فغرزت أظافرها في يده.

سأل أودزير: «وأين يقع وطنكم على وجه التحديد؟»

قالت شاي: «دييجو.» وشعرت آيا بالاسترخاء يتسلل إلى فريز قليلًا لدى سماعه الحقيقة.

أجابها أودزير مؤيدًا قولها: «إنها مدينة تعرف بسعيها إلى التطور، لعلكم ستعجبون بمشروعنا.»

سألت تالي: «وما مشروعكم؟»

قال الرجل: «ستعلمين عندما نهبط» ومالت السيارة الطائرة فجأة، ثم نظر تجاه حجرة القيادة وأردف: «حسبما ستفهمون قريبًا للغاية. وإذا أردتم أن تلقوا نظرة على وطننا، باستطاعتكم فعل ذلك.»

قالت تالي: «ولم لا؟» ثم نهضت وأنعمت النظر خلال إحدى النوافذ الصغيرة، وحذا الجارحان الآخران حذوها.

كانت موجل على الأرجح تلتقط الصور من أسفل السيارة، لكن آيا قررت أن تنظر بنفسها، فأخذت نفسًا عميقًا من الهواء الكثيف الحار الرطب كي تقاوم حالة الغثيان التي ثارت داخلها، ونهضت ممسكة بشباك تغليف البضائع.

قال فريز: «احترسي يا آيا.»

أومأت آيا برأسها وهي في حالة عدم توازن. كانت النافذة صغيرة وقطرات المطر تسيل عليها في شكل خطوط، وكذلك كانت من البلاستيك السميك الذي لا يساعد على الرؤية بوضوح.

كانت السيارة تمر عبر طبقة من السحب، ولم تكشف النافذة عن أي شيء سوى كتلة رمادية مظلمة وخطوط من المطر. ولكن تدريجيًّا بدأت السحب تقل كثافة وتأخذ شكل خيوط كلما هبطت السيارة.

اتضحت الرؤية واستقرت السيارة على نحو مفاجئ.

تدلت طبقة صلبة من السحب فوقهم وكأنها سقف فولاذي رمادي اللون، وأسفل العاصفة امتدت غابة مطيرة كثيفة على طول الطريق حتى المحيط الذي ظهر كوميض متلألئ. وكانت الغابة الكثيفة تطوق أكبر منطقة من الأطلال رأتها آيا على الإطلاق، ومن فوق قمم الأشجار التي تهزها الرياح هزًّا عنيفًا تراءت لهم مجموعات من الأبراج اختفت هياكلها المعدنية وسط السحب.

حتى في ظل هياج العاصفة، كانت روافع البناء ملحقة بالمباني العتيقة للعصر القديم وهي تمسك بالدعامات الحديدية كالطيور الجارحة، وكأنها تنتظر لحظة تهدأ فيها العاصفة لتمزقها.

مالت السيارة ميلًا شديدًا، فانحرفت الرؤية على نحو يصيب بالدوار، وتوارت معها أبراج سكان العصر القديم.

في تلك اللحظة صار بإمكان آيا رؤية مساحة كبيرة منزوعة الأشجار وسط الغابة الكثيفة امتد أسفله ميناء للسيارات والألواح الطائرة، وقد اصطفت مئات

السيارات والروافع الثقيلة عبر ساحة الهبوط، وكانت خطوط القطارات المغناطيسية المعلقة تأتي من كل اتجاه لتلتقي في محطة مركزية.

قالت تالي بصوت خافت: «هذا مكان ضخم!»

رد أودزير قائلًا: «أجل، نحن فخورون للغاية بكل ما أنجزناه.»

قالت تالي: «لكنكم تقطعون أشجار الغابة!» وشعرت آيا بالنبرة الحادة والخشنة التي اعترت صوتها.

قال أودزير: «نحن نخدم قضية أعظم، فريثما ترين المزيد، ستفهمين التضحيات التي قدمناها.»

مالت السيارة بصورة أقوى وهي تلف في حركة دائرية حول الميناء، وكأنها قارب صغير دخل عنوة في دوامة كبيرة، فتراءى لآيا المزيد من هياكل البنايات، إذ بدت المخازن المرتفعة والمنازل الجاهزة والمصانع الآلية مبعثرة بصورة عشوائية في غير نظام أو نسق تخطيط، وتحركت المخلوقات الغريبة بينها وهي ترتدي معاطف بلاستيكية ثقيلة لتقيها من المطر ... وكانت هائمة في الهواء.

لم تمش المخلوقات على أقدامها، بل حلقت بميل من مكان إلى آخر مستعينة بقوائم مثبتة بالأرض، إذ كانت تمسك بها بأياديها وأرجلها لمقاومة الريح.

تحركت آيا بعيدًا عن النافذة، وانزوت فوق الأرضية المعدنية مرة أخرى بعد أن شعرت بنوبة غثيان أخرى.

قال فريز: «ماذا بك؟»

قالت آيا بصوت خافت: «كنت محقًّا يا رين، هناك بالفعل مدينة كاملة تكتظ بهؤلاء.»

قال أودزير: «نحن لسنا مدينة، بل حركة.»

قالت تالي: «يبدو ذلك مثيرًا، ما نوع تلك الحركة؟»

دار أودزير في الهواء وبسط يده ليمسك بشبكة تغليف البضائع في سقف الحجرة وقال: «نحن ننقذ العالم من البشر، ربما سترغبون في الانضمام إلينا.»

ابتسمت تالي وقالت: «قد نفعل.»

تمتم فريز: «أشك في ذلك.»

أدركت آيا النظرة المتألمة التي كانت تعلو وجه فريز، فقد ظهرت عليه من قبل عندما كان يحاول عدم الإفصاح برتبة شهرتها أمامها، فقد كان يوشك على الانفجار! ليت أودزير يكف عن الحديث ويعود إلى حجرة القيادة.

بيد أن المخلوقين الغريبين أخذا يحدقان الآن في فريز بفضول، وكأنه كرر شيئًا صادقًا أكثر من اللازم.

قال أودزير: «إن مدنكم تلتهم الغابات كالنار في الهشيم أيها الشاب؛ لذا لا تصدر الأحكام قبل أن تعرف نوايانا.»

قال فريز وهو يضغط على يد آيا بدرجة شديدة آلمتها: «أنا لا أصدر الأحكام عليكم.»

اكفهر وجه أودزير ثم قال: «إذن ماذا تفعل بالضبط؟»

قالت آيا: «كل ما في الأمر هو أنه مصاب بدوار الجو.»

قال فريز بصوت مختنق: «أنا لست مصابًا بدوار الجو، أنا أحاول عدم إخباركم بكل شيء!»

قالت شاي: «ماذا بحق ...؟»

قال أودزير بنبرة حادة: «وما الذي تحاول عدم إخبارنا به؟»

لاحظت آيا قوة إرادة فريز وهي تخور، فمدت يديها كي تحاول إسكاته، لكن إحدى يديها كانت في قبضة يد فريز، بينما تشابكت أصابع اليد الأخرى في شبكة تغليف البضائع.

تحدث فريز فجأة وبعنف: «ما أحاول عدم إخباركم به هو أن هذه هي تالي يانج بلود! وجاءت إلى هنا لتقضي عليكم!»

هبوط عنيف

مرت لحظة لم ينبس أي منهم ببنت شفة.

ثم كسرت شاي حالة الصمت وصاحت في وجه فريز قائلة: «أيها الأبله الحقير!»

انطلقت تالي بقوة إلى الجهة الأخرى من حجرة الشحن، ومرت أسفل أودزير متوجهة ناحية المرأة الهائمة في الهواء عند الباب، وأثناء انطلاقها بدأ وجهها ينفجر غضبًا، والقناع التنكري المصنوع من البلاستيك الذكي يذوب في نفخة غاضبة.

لوحت المرأة بأطراف أصابعها الإبرية، بيد أن تالي أمسكت برسغيها سريعًا ودفعت إحدى كتفيها داخل بطن المرأة، ففقدت المرأة وعيها على الفور، ومرت تالي من فوقها تجاه حجرة القيادة.

وعبر أرجاء الحجرة، نهضت شاي بطريقة تكاد تكون عرضية لكي تسدد لكمة لأودزير في وجهه، وأثناء دورانه في الهواء، مرت من فوق أطرافه المتهاوية لتلحق بتالي.

نهض فاوستو وتبدد القناع عن وجهه فجأة كاشفًا عن ملامح تنم عن جمال قاس.

قال فاوستو: «لا أريد إيذاءكم، فلا يتحرك أحد.»

قال هيرو: «لن نتحرك!»

استدارت آيا إلى فريز الذي كان وجهه شاحبًا وقالت: «هل أنت بخير؟»

قال فريز: «أنا آسف، لم أستطع منع نفسي.»

فجأة مالت السيارة الطائرة إلى جانبها وانحرفت في انعطاف قوي، وارتطم أودزير الذي كان فاقد الوعي بالسقف ثم ارتد مجددًا وسط حجرة الشحن وأخذ يدور في الهواء. وبينما كانت آيا تمسك بالشباك المعلقة بحجرة الشحن شعرت

بغثيان شديد، وأدركت أن أودزير لم يكن يدور في الهواء بالفعل، بل كان مستقرًا في الهواء وإنما كانت السيارة الطائرة هي التي تدور من حوله ...

ظهرت شاي عند باب حجرة القيادة وهي تدفع المرأة فاقدة الوعي بعيدًا عن طريقها.

قالت شاي وهي تحاول تثبيت نفسها عند إطار الباب: «ثمة سؤال سريع، هل يعرف أي منكم أيها الأغبياء كيفية قيادة سيارة طائرة؟»

صاحت آيا: «ماذا؟ ألا تعرفون؟»

بسطت شاي يديها وقالت: «ماذا يفترض بنا أن نكون؟ سحرة؟»

حينئذ قفزت السيارة إلى أعلى قفزة جامحة، وأخذ المخلوقان الغريبان منعدما الوزن يتقلبان في الهواء مجددًا، وكانت أطرافهما ترتفع وتنخفض بارتخاء وكأنهما دميتان مصنوعتان من القماش. ومرت أصابع المرأة ذات الرءوس الإبرية أمام وجه آيا ولكنها لم تصبه؛ إذ كانت على بعد بضعة سنتيمترات منه.

صاحت آيا: «ليمسك بها أحد!»

بسط فريز ذراعيه وأمسك بساق المرأة بسرعة على نحو غير متوقع فارتطمت المرأة بأرضية الحجرة بصوت دوي مزعج.

قال فريز: «يا إلهي! معذرة.»

قالت شاي من عند مدخل الباب: «قد يجول بخاطرك أن تالي كان عليها أن تسأل عن أمر قيادة السيارة الطائرة قبل أن تُفقد السائقين الوعي، لكن هذه هي تالي.»

حينئذ جاء صوت تالي: «تعالي هنا وساعديني!» فاستدارت شاي واختفت مع دخول السيارة الطائرة في سلسلة أخرى من الدورانات العنيفة وأخذت تنخفض مجددًا.

قفز فاوستو إلى الجهة الأخرى من الغرفة وأمسك بالمرأة فاقدة الوعي وحركها نحو شباك تغليف البضائع، وتأكد من أن أصابعها الإبرية غير بارزة للخارج.

انخفضت السيارة والتفت، ودارت حجرة الشحن بالكامل كل بضع ثوان، لكن فاوستو استطاع جذب أودزير وتثبيت جسده بسهولة، ثم انطلق فوق الأسطح المتقلبة وهو يترنح بين الجدار والأرضية والسقف كطفل صغير يلهو في حديقة ملاهٍ.

علا صراخ مراوح الرفع الغاضب على عواء الريح، وتشبثت آيا بشباك تغليف البضائع بقوة حتى ابيضت مفاصل أصابعها واستطاعت بالكاد أن تحكم قبضتها

عليها. تغير اتجاه الجاذبية من حولها وكأنها حيوان ضارٍ يحاول دفعها بعيدًا عن الجدار.

وفجأة استقرت السيارة في وضع أفقي وتحول صراخ مراوح الرفع إلى هدير ثابت، وأخيرًا عادت أرضية حجرة الشحن إلى وضعها الطبيعي أسفل أقدامهم مرة أخرى.

ظهرت شاي عند مدخل الباب: «هل الجميع بخير؟»

قال فاوستو: «تقريبًا، لقد استغرقتما وقتًا طويلًا في العثور على جهاز القيادة الآلي.»

قالت شاي: «ليتنا لم نعثر عليه، فهو مبرمج لأخذنا مباشرة إلى ميناء سياراتهم الطائرة، ويبدو أن قادة السيارة قد بعثوا بتحذير؛ لذا سيكون الأفراد هناك في انتظارنا، علينا أن نقفز. الجميع يرتدون أساور واقية من الصدمات، أليس كذلك؟»

سأل فاوستو: «بالطبع، لكن هل ما زلنا فوق مدينتهم؟»

– «بعد كل تلك التقلبات المجنونة التي مررنا بها؟ نحن نبعد عنها ببضعة كيلومترات، لكن هناك كمية كبيرة من معادن أطلال العصر القديم أسفلنا على حد علمنا.»

اتسعت عينا فاوستو وقال: «هل تمزحين؟ أليس في هذا بعض الخطر؟»

هزت شاي كتفيها وقالت: «هذا أكثر أمانًا من أن نمكث هنا.»

قال فاوستو: «في ظل هذه السرعة سنحتاج إلى ما هو أكثر من الأساور الواقية من الصدمات.» ثم جثم على ركبتيه ونزع الوسادات الرافعة للساعد من أودزير وقذف بها إلى شاي.

لفت شاي الوسادات حولها واستدارت إلى رين ثم قالت: «هيا بنا، لننطلق أنا وأنت أولًا.»

صاح رين: «هل سنقفز وسط عاصفة ونعتمد فحسب على وجود أطلال تلتقطنا؟ لكن هذا جنون!»

ضحكت شاي ثم قالت: «أتفضل أن ينتهي بك الحال مع مجموعة من قردة جراحات التجميل الغريبة؟ هل تفكر في الانضمام إليهم؟»

تأوه رين بسخط، وبدأ يحرر نفسه من شباك تغليف البضائع.

صاحت شاي مخاطبة تالي: «افتحي الباب الجانبي! وسنقابلك في المكان المعتاد!»

بدأ الجدار الموجود خلف آيا وفريز يتحرك، فزحفا بصعوبة بعيدًا عنه وفجأة غمرتهما الأمطار الغزيرة وتخللت الريح ثيابهما وشعرهما بقوة. وعندما انفتح الباب، فقدت السيارة الطائرة ثباتها مجددًا، وسرت اهتزازات عبر الهيكل المعدني للسيارة واندفعت العاصفة إلى الداخل بقوة.

وفي الضوء الرمادي الشديد الذي تدفق داخل حجرة الشحن لاحظت آيا أنهم يقتربون بشدة من الارتطام بالأرض، فقد مرت قمم الأشجار التي تهزها الرياح بعنف من جانبهم سريعًا وأغصانها العلوية تضرب بقوة الجانب السفلي للسيارة.

صاحت شاي وسط الريح: «هل أنت مستعد؟»

أومأ رين برأسه، فلفت ذراعيها حوله وقفزا عبر الباب الجرار بصرخة مدوية لم تصاحبها أي كلمات.

قال فاوستو وهو يهب على قدميه وقد لف الوسادات الرافعة الخاصة بالمرأة غير الآدمية حول ساعديه في عجالة: «حان دورنا يا هيرو!»

صاح هيرو: «أتمنى أن ينجح الأمر!» ثم استدار إلى آيا وقال: «حظ سعيد، ولا تنسي موجل.»

أمسك فاوستو بهيرو وجذبه بعنف إلى خارج السيارة، واختفى الاثنان وسط الأمطار الغزيرة دون أن ينبسا ببنت شفة.

قال فريز: «لم يتبقَ سوانا، وليس هناك ...»

قالت تالي: «سواي.» كانت تالي تقف عند مدخل حجرة القيادة وترتدي سريعًا وسادة قصبة الساق الخاصة بعدة الكرة الطائرة. قالت: «من حسن حظنا أن هؤلاء الأشخاص الغرباء يرتدون هذه الأشياء، أعتقد أنهم لا يستطيعون السير على أقدامهم.»

سألت آيا: «هل يمكنك حملنا نحن الاثنين؟»

قطبت تالي جبينها وقالت: «ولماذا ينبغي لنا أخذ ذلك الأبله؟ لقد خاننا!»

صاحت آيا: «إن الأمر خارج عن إرادته!»

– «ماذا في الأمر، هل هو غبي؟»

قال فريز: «كلا، لكنني مضطر إلى قول الحقيقة.»

– «مضطر إلى ماذا؟»

قال فريز: «إنه الصدق المطلق؛ نوع من الجراحات التي تُجرى للمخ.»

ضيقت تالي عينيها وقالت: «هذا مذهل، إن مدينتكما أغرب مكان على وجه الأرض على الإطلاق ودون منازع، لماذا يفعلون بك شيئًا كهذا؟»

حاولت آيا أن تفكر في شيء ما يصرف انتباهها بيد أن فريز كان يفسر الأمر بالفعل قائلًا: «أنا طلبت إجراء تلك العملية الجراحية، لقد ابتكرتها في واقع الأمر.»

– «أتقصد أنك غبي طواعية؟ كفى لقد طفح الكيل، سأتركك هنا، هيا بنا يا آيا، لا وقت لدينا للجدال!»

حاولت آيا أن تفلت من قبضتها وقالت: «لا يمكنك تركه هنا! سينال منه هؤلاء الأشخاص غريبو الشكل!»

– «وماذا في ذلك؟ فهو غريب أيضًا، ويكفي من الخطورة وجود اثنين منا فقط.»

قال فريز: «أنا لست غبيًّا، لكنها محقة يا آيا، ستكونين في أمان أكثر بدوني، اتركيني هنا!»

دمدمت تالي بغضب: «سحقًا، لقد استدررت عطفي!»

ثم أمسكت بهما معًا وقفزت.

في ظل هذه السرعة كانت الأمطار تنهمر عليهم كالحجارة.

صاحت آيا أثناء سقوطهم باضطراب بعيدًا عن السيارة الطائرة: «موجل! اتبعيني!»

ثم اصطدموا بقمم الأشجار، ولطمت أوراق السرخس المبتل وجهها ويديها بعنف، وانسحقت الأغصان أسفلهم وسط تقلبهم في الهواء، وكانت قبضة تالي حول آيا شديدة للغاية حتى إن آيا شعرت بأن رئتيها تنسحقان. وكان الضوء الرمادي يتحول إلى ظلام كلما انخفضوا أسفل ظلة الغابة.

ابتعد هدير السيارة الطائرة عنهم ببطء، والتوت تالي لتجاور آيا، وكان جهاز عدة الكرة الطائرة المستعار من المخلوقات الغريبة يحاول بجد أن يتحرك ببراعة بين جذوع الشجر والأعمدة الحديدية لأطلال العصر القديم. وشعرت آيا بالقوى المغناطيسية تجذب أساورها الواقية من الصدمات بقوة، وارتفع ثلاثتهم فوق الأشجار مجددًا في ارتداد هوائي طفيف، كحجر مسرع يرتد فوق سطح المياه بعد ارتطامه به.

انخفضوا مجددًا واندفعوا بعنف بين النباتات المعترشة وأوراق السرخس المتشابكة، وكان قد تشبع كل مكان يرتطمون به بمياه الأمطار، وشعرت آيا بالأشواك تمزق ملابسها وشعرها، وفجأة اختفت القوى الموجودة بالأساور الواقية من الصدمات، واقتربت الأرض منهم بسرعة.

ارتطموا بالأرض بميل طفيف، وأخذوا يتقلبون بين الأجمة وأوراق الشجر وانزلقوا عبر أمتار من الطين الثخين الرطب. وشعرت آيا بطقطقة ضلوعها في قبضة تالي وهي تتنفس بصعوبة شديدة تثير أوجاعها.

أخذوا ينزلقون ويتدحرجون حتى توقفوا.

أخذت آيا أنفاسًا عميقة مؤلمة وفتحت عينيها ببطء.

دارت فوقهم أسراب كبيرة من الطيور بعد أن شتتها وصولهم العنيف غير المتوقع. وكانت الغابة كثيفة بالأسفل، إذ كادت السماء تختفي فوقها تمامًا. وتمكنت آيا من رؤية المسار الذي سار فيه سقوطهم المائل، فقد كان يشكل نفقًا من الفروع المتهشمة التي انبسطت أمامهم على مسافة بعيدة.

كانت المياه لا تزال تنهمر من الفروع وأوراق السرخس التي اهتزت مع مرورهم، وكأن العاصفة قد تبعتهم إلى هنا.

سألت تالي: «هل أنتما بخير؟»

قالت آيا بصعوبة: «أجل.» وكانت تجد مشقة في التنفس.

قال فريز: «دعيني أخمن، لقد نفد المعدن الذي يدعمنا.»

قالت تالي: «كان هناك كمية ضئيلة تكفي بالكاد، فلو كانت أقل من ذلك لكنا ارتطمنا بالأرض بقوة.»

قالت آيا بصوت أجش: «لقد ارتطمنا بالفعل.» وكان شعرها المبلل متشابكًا حول وجهها، وأوراق الشجر والسرخس والطين تغطي جسدها تمامًا.

نهضت تالي وجثت على ركبتيها وأشارت إلى مبنى شاهق الارتفاع امتد بجانبهم ثم قالت: «أجل، لكن لو لم نتجاوزه ونحن نسقط، لكنا قد تفتتنا، فأيًّا كان ما ينوي هؤلاء المعتوهون فعله، فمن ضمنه انتشال كل المعادن بالأرض من بين هذه الأطلال وإعادة استخدامها.»

تأوهت آيا وجلست ببطء، إذا كانوا قد تفادوا ارتطامًا محققًا، فماذا عن ...؟

بدأت آيا تطوي بنصرها لتشغيل شبكة الاتصال.

قالت تالي وهي تنتفض من مكانها ممسكة برسغ آيا: «ممنوع الرسائل! ستفضحين أمرنا، وفوق ذلك، لا بد أننا نبعد عن الآخرين ببضعة كيلومترات وهذه مسافة كبيرة للغاية لا يمكن لقرن الاستشعار المغروس في جلدك بلوغها.»

– «لكنهم ربما تعرضوا لأذى!»

أمسك فريز بيد آيا وجذبها برفق من بين قبضة تالي وقال لها: «لقد حمل لوحي فاوستو وشاي راكبين فقط، هم على الأرجح قد هبطوا هبوطًا أكثر سهولة منا نحن الثلاثة.»

صاحت آيا: «على الأرجح؟ تقصد إذا لم يرتطموا مباشرة بشجرة!» وقاومت رغبتها في تشغيل عدسة عينها، فتفحصت الغابة بعينيها وتساءلت هل وجدت موجل معدنًا كافيًا يساعدها في أن تهبط بسهولة، ثم أردفت: «هل تمانعين إذا ناديت بصوت عال فحسب؟»

هزت تالي كتفيها وقالت: «لك ذلك.»

أخذت آيا نفسًا عميقًا وصاحت: «موجل!»

ومن بين أغوار الغابة رأت آيا وميضًا لأضواء ليلية يجيبها، ورأت كاميرا طائرة تشق طريقها نحوهم من بين أوراق السرخس والنباتات المعترشة المتدلية، متخذة مسارًا متعرجًا تنتقل فيه من جانب لآخر، إذ كانت روافعها تتشبث بما تبقى من معدن بالأرض.

صاحت آيا: «هل صورت الهبوط؟»

ومضت الأضواء الليلية مرة أخرى فابتسمت آيا.

لقد نجحت تعديلات رين مجددًا.

الغابة

مكتبة
t.me/t_pdf

لم تدرك آيا قط كم من الممكن أن تكون البرية مثيرة للضجر.

كانت الغابة حارة ومتشابكة الأغصان وغير واضحة المعالم على نحو لا يمكن تصوره؛ إذ كان المسار في كل اتجاه مسدودًا بجذور ضخمة ممتدة من الأشجار، وتلألأت بيوت العنكبوت بين أوراق السرخس، وكان هواؤها الرطب مختنقًا بأعداد هائلة من الحشرات، وكذلك غطت النباتات المعترشة المعرقلة الأرض التي حولتها الأمطار إلى متاهة من الشلالات والجداول النهرية الصغيرة والجروف الوحلية، ولم ينجح سروال آيا الخاص بحراس الغابات في مقاومة الوحل، وكذلك كانت ملابس فريز الأنيقة التي ارتداها لحضور حفل مهاويس التكنولوجيا ليلة أمس على وشك أن تتمزق تمامًا.

ومع ذلك كان للنباتات الكثيفة ميزة تعويضية واحدة، وهي أنها خففت من وطأة الأمطار الغزيرة المنهمرة لتجعلهم يتحملونها. فعلى الرغم من أن الأمطار وجدت سبيلها بثبات إلى أرض الغابة، عبر سيلانها من جذوع الأشجار وتقاطرها من أوراق الأشجار المشبعة بالماء، فإن ذلك جعلها على الأقل لا ترتطم برءوسهم بقوة.

كان من غير المتوقع أن يبقى أي من أطلال العصر القديم في ظل هذا المناخ، إلا أن آيا لمحت هياكل معدنية لمبان عتيقة بين الأشجار كانت تلفها النباتات المعترشة وفروع السرخس، فانتشار الغابة أدى إلى تمزيق كل خطوطها المستقيمة وزواياها القائمة.

سأل فريز: «إلى أين نحن متجهون؟ كيف سنجد الآخرين دون مراسلة؟»

قالت تالي: «لقد قالت شاي إنها ستنتظر في المكان المعتاد.»

قالت آيا وهي تلوح بيديها لإبعاد بعوضة عن أنفها: «معتاد! خلت أنكم لم تأتوا إلى هنا من قبل.»

قالت تالي وقد ارتسمت ابتسامة على شفتيها: «لقد قصدت شاي أطول برج في الأطلال. كنا دومًا نلتقي مرة أخرى بالناس في ذلك المكان أيام القبح.»

تجهم فريز وشعرت آيا بعودة الصدق المطلق مجددًا.

قال فريز: «إن العلاقة بينك أنت وشاي غير منطقية، فأحيانًا تبدوان صديقتين مقربتين، وأحيانًا أخرى تبدوان وكأن إحداكما تكره الأخرى.»

قالت تالي: «ربما هذا يرجع إلى أننا نكون أحيانًا صديقتين مقربتين، وأحيانًا أخرى تكره إحدانا الأخرى.»

قال فريز: «لا أفهم.»

تنهدت تالي وقالت: «قديمًا في عصر الحسن، كان ينتهي بنا الحال دومًا ونحن نتناحر، لم يكن هذا بسبب رغبتنا في الشجار، لكن الناس كانوا يعيدون برمجة عقلينا باستمرار، ويستغلوننا لكي تخون إحدانا الأخرى.» ثم خفت صوتها أكثر وأردفت: «أعتقد أننا قد صرنا فريسة لهذا الأمر.»

قال فريز: «لكنك طلبت مساعدتها عندما نُشرت قصة الناقل الدفعي للكتل المعدنية، إذن فهي صديقتك، أليس كذلك؟»

– «بالطبع هي كذلك، لقد أنقذتني من حياة تشوش الذهن، إلى جانب الناس جميعًا، ولكن في تلك الأثناء تنشب بيننا الكثير من الشجارات.»

ضيقت تالي عينيها في وجه فريز ثم أردفت: «لهذا السبب تثير جراحتك المخية ذعري، فحينما يُجري أناس آخرون عمليات جراحية لك، قد تحدث أمور سيئة، أمور لا يمكنك معالجتها فيما بعد.»

قال فريز: «ربما يمكنك معالجة الأمور بالفعل، إذا تحدثت مع الناس بدلًا من الفرار في البرية.»

رفعت تالي حاجبيها وقالت آيا بسرعة: «ربما علينا أن نتبين إلى أين نحن ذاهبون، ونترك هذا النقاش إلى وقت لاحق.»

قالت تالي لفريز: «دعني أستوضح الأمر، لقد اضطررت إلى إجراء جراحة للمخ حتى يمكنك التحدث عن الأمور فحسب!»

قال فريز: «لقد اعتدت أن أكذب طيلة الوقت، لم يعد بإمكاني الوثوق بنفسي؛ لذا كان علي أن أتغير.»

قالت تالي: «هذا جبن! ألم يمكنك تعلم الإفصاح عن الحقيقة فحسب؟»

– «إن الإفصاح عن الحقيقة هو ما أتعلمه يا تالي.»

وأجابته تالي: «لكنك بذلك لا تختار!» وأشارت إلى صدغها وأردفت: «ما زالت برمجة السلطات الخاصة قابعة برأسي، لكنني أحاربها كل يوم.»

قال فريز: «وأحيانًا تخسرين الحرب، هذا ما لاحظته.»

حركت تالي شفتيها بشكل لولبي حانقة ثم قالت: «أنت لم ترني أخسرها حقًّا أيها الغبي، وعليك أن تتمنى ألا تراني أخسرها أبدًا.»

– «في واقع الأمر أنا لست ...»

وقفت آيا بينهما وقالت: «ربما علينا التفكير في أي طريق نسلك بدلًا من عقد مقارنات بين جراحات المخ؟ لقد بدأ الجو يصفو قليلًا.»

حدقت تالي في فريز لحظة طويلة ثم نظرت إلى أعلى. كان صوت قرع الأمطار الثابت فوق أوراق الشجر قد خفت.

قالت تالي بغضب: «لا بأس.»

التفتت تالي ووثبت تجاه أقرب شجرة ودفعت نفسها إلى جذعها وتسلقت نحو قمم الأشجار، شاهد فريز وآيا تالي في صمت، كان من المذهل لهما مشاهدة تالي وهي تتحرك سريعًا وتشق طريقها بين أغصان السرخس برشاقة كبيرة وتعدو بسرعة فوق فروع الأشجار التي لم تبد قوية بما فيه الكفاية لتحمل وزنها.

قال فريز: «أنا أغضبها باستمرار.»

تنهدت آيا وقالت: «أعتقد أن تالي والصدق المطلق لا يتفقان معًا، لقد عانت هي وشاي كثيرًا، وعلى أية حال فإنهما خاضتا حربًا وهما في مثل سننا.»

خفض فريز نظره عن قمم الأشجار ثم قال: «ماذا لو كانت محقة؟ ربما أنا بالفعل شخص كسول لم أشأ بذل الجهد للإفصاح عن الحقيقة دون إجراء جراحة.»

– «أنت لست كسولًا يا فريز، فليس باستطاعة أي فرد إنشاء جماعة خاصة به.»

قال فريز: «ربما!» ثم صفع بعوضة على ذراعه وأردف: «لكن لولا الصدق المطلق ما كنا لنعلق هنا بالغابة.»

أجابته آيا: «كلا، حينها كنا سنقع في الأسر.» ثم استدارت إليه ونظرت في عينيه الواسعتين وأردفت: «ولولا صدقك المطلق ما كنت على الأرجح لتوقفني في تلك الليلة لتمتدح أنفي.»

قال فريز: «لا تقولي ذلك.» ثم جذبها إليه وأردف: «أحيانًا يفزعني أننا تقابلنا بالصدفة، فلو كنت قد غادرت الحفل قبل ذلك بدقيقة واحدة، ما كان ليعرف أحدنا الآخر.»

انتزعت آيا ورقة سرخس مبتلة عالقة بشعره وقالت: «وما كنت لتصبح عالقًا في هذه الغابة التي يغطيها الطين.»

قال فريز: «أفضل أن أكون هنا بجوارك عن أي مكان آخر.»

لفت آيا ذراعيها حول كتفيه، وكانت سترته مشبعة بالمياه وممزقة الظهر جراء هبوطهم العنيف، وعلى الرغم من أن ضلوعها كانت لا تزال تنبض بالألم، عانقته بقوة وقالت: «لا يهمني ما تعتقده تالي-وا، فعندما تتحدث بأشياء كهذه، أشعر بالسرور لأنك لا تستطيع الكذب.»

جذبها فريز إليه أكثر برفق وقبّل أحدهما الآخر، وللحظة تلاشى أزيز البعوض وصوت تساقط قطرات الأمطار من حول آيا، ولم تشعر بشيء سوى دفء جسد فريز المرتجف بين ذراعيها.

ثم دوى صوت ارتطام قوي في الأشجار أعلاهما، فنظرا إلى أعلى.

رأيا تالي ... كانت تهبط في الهواء واندفعت بسرعة محركة يديها للإمساك بفروع الأشجار والنباتات المعترشة، كانت تتأرجح وتثب من فرع شجرة لآخر، ومن نتوء بارز في الأشجار لآخر.

نزلت على بعد أمتار قليلة منهما، وهبطت برفق بين نبات السرخس، وللحظة حدقت بهما بملامح الجارحين الانفعالية غير الحذرة.

سألتها آيا وهي تبتعد عن فريز: «ما الأمر؟»

– «رأيت عددًا من المخلوقات الغريبة بالقرب من هنا.»

– «هل رأوك؟»

قالت تالي وهي تستدير بعيدًا عنها بوجه ارتسم عليه الغضب: «بالطبع لا.»

قال فريز: «لكنك غاضبة.»

– «لا شيء.»

قررت آيا عدم السؤال عن السبب، ولكن بالطبع راودت فريز أفكار أخرى.

– «إن قبلتنا أغضبتك، أليس كذلك؟»

استدارت تالي إليه وقد تحولت نظرة الدهشة التي شغلت عينيها المتسعتين إلى نظرة غضب ثم إلى شيء آخر ...

قالت آيا بهدوء: «فريز، لا أعتقد أن تالي-وا تهتم بما إذا كنا ...»

قالت تالي ببساطة: «آخر مرة قبلت فيها شخصًا انتهى بي المطاف وأنا أشاهده يموت أمام عيني، وكل ما فكرت فيه هو أن الموت أحد تلك الأمور التي لا يمكن معالجتها، لا بالحديث عنه ولا بأي جراحة مخية في العالم.»

ابتلعت آيا ريقها وتشبثت بفريز بإحكام أكثر؛ إذ كان قلبها يخفق بقوة.

قال فريز: «أنا آسف يا تالي-وا، هذا أمر محزن.»

أشاحت تالي بوجهها بعيدًا ثم قالت: «ليس هذا بأمر جديد لي! لا أصدق أنني قلت ذلك للتو، هل تلك الجراحة المخية الغبية التي أجريتها معدية أو شيء من هذا القبيل؟»

أومأت آيا برأسها ببطء.

قال فريز: «لكن لا ينبغي لك الامتناع عن تبادل القبلات لذلك السبب فحسب.»

حدقت تالي فيه لحظة ثم ضحكت بمرارة وقالت: «أترغب في أن نقف هنا ونناقش التاريخ القديم.»

أسرعت آيا بقولها: «كلا، أعتقد أننا أفسحنا مساحة كافية من اهتمامنا للصدق المطلق في الوقت الحاضر.»

قالت تالي: «فلتتبعاني إذن.»

استدارت تالي وأخذت تقفز بعيدًا بين أوراق السرخس والأشجار والطين، فحدقت آيا فيها ثم تنهدت.

فأيًّا كان المكان الذي يتجهون إليه، فستكون الرحلة طويلة سيرًا على الأقدام.

الأطلال

لم يكن اللحاق بتالي أمرًا ممتعًا بدرجة كبيرة.

فلم يكن هناك شيء ليعوق مسارها بفضل عضلاتها واستجاباتها السريعة المميزة لذوي الصفات الخاصة، ولا حتى الأغصان المتشابكة للأجمة العملاقة أو الأشجار الهالكة المهشمة إلى عشرات الأجزاء أو هدير الأمطار المزعج. تسلقت تالي جذوع الأشجار لتفقد الطريق، وقفزت عبر الشباك المتشابكة للأغصان أعلاهما، وبسطت أطرافها كقرد يقفز في الهواء. وبينما كانت تنتظر أن تلحق بها آيا وفريز — وعلى وجهها نظرة ضجر — انزلقت الأمطار والطين من فوق بذلة تخفيها مرقطة باللون الأخضر التمويهي.

أخذت موجل تثب بين هياكل الأطلال المعدنية باستخدام مجالاتها المغناطيسية، وكأنها شخص يجتاز مجرى نهريًّا ضحلًا بالقفز فوق الأحجار الناتئة فيه. وفي الأماكن القليلة التي لم تجد فيها الكاميرا الطائرة سبيلًا، اضطرت آيا وفريز إلى حملها في الأجواء شديدة الحرارة، إذ رفضت تالي حملها بحجة أنها لا تحب الكاميرات. كان المذهل بالنسبة لآيا هو ثقل موجل التي كانت كتلة في حجم كرة القدم تضم روافع وأليافًا بصريةً وعقلًا إلكترونيًّا.

ولكن كان أسوأ ما في الأمر هو الزحف أسفل الكتل المتشابكة من جذور الأشجار المتدلية، والزحف كالأفاعي في الطين وتمزيق بيوت العنكبوت والنباتات المعترشة. إذ تهشمت أوراق الأشجار العفنة تحت يديها وتبعثر عش لحشرة أم أربعة وأربعين أسفلها إثر خطوة خاطئة من قدمها، ومن بين الأشجار ظهر بصيص ضئيل لضوء السماء الرمادية الممتلئة بالسحب مما طوق الغابة بظلام دامس.

وفي محاولة من آيا لإلهاء نفسها تساءلت عن الشخص الذي كانت تقصده تالي في حديثها. لقد مات الكثيرون في حرب دييجو بالطبع ولكن ليس من الجارحين

على حد تذكرها، فمن ذلك الشخص الآخر الذي كانت تقبله تالي؟ كان الجميع في ذلك الوقت إما من القبحاء أو من مشوشي الذهن، لم يكن الأمر منطقيًّا.

كانت تالي مختلفة تمامًا عن المشاهير العاديين، فلو مات صديق نانا لاف، لعرف كل من في المدينة اسمه، لكن تالي كانت شخصية انعزالية إلى حد بعيد، فالغموض قد شاب حتى ما باحت به من أمور في نوبات الصدق المطلق التي اعترتها.

حينئذ شعرت آيا بلدغة بعوضة في ذراعها فسحقتها، ولكن بعد فوات الأوان. لقد كان الدم يكسو كل جسدها الصغير المشوه، أطلقت آيا تنهيدة ونقرت البعوضة بإصبعها بعيدًا.

تمتمت آيا إلى فريز: «كيف تحتمل تالي-ساما العيش هنا؟ إنه مكان غير مريح بالمرة.»

قال فريز بصوت أجش: «لا أعتقد أنها تهتم بمسألة الراحة.» كان فريز يحمل موجل وهو يحاول أن يشق طريقه بجهد عبر جذع شجرة متعفن دون أن يُسقط موجل.

أخذت آيا الكاميرا الطائرة منه وقالت: «ومن الواضح أنها بالمثل لا تحب أصدقاءها كثيرًا، فما الذي تهتم به إذن؟»

قال فريز: «حسنًا، هي تهتم بكوكب الأرض في المقام الأول.» ثم تراجع إلى الوراء نحو الأرض الطينية، وأخذ منها موجل ثانية، ثم أردف: «لهذا السبب جئنا إلى هنا، أتذكرين؟»

أجابته آيا: «أجل ...» وأطلقت تنهيدة وهي تشق طريقها في الوحل بإجهاد ثم أردفت: «لم أتوقع أبدًا أن يتطلب إنقاذ العالم السير في أجواء حارة للغاية والتدثر بالوحل، فهل نحن نسير حتى في الاتجاه الصحيح؟ أنا لم أر تالي منذ فترة طويلة، لا بد أنها تجري مجددًا مهمة استكشافية في مكان ما.»

قال فريز: «لا يهم إلى أين نحن متجهون، فعلى الأقل هناك قدر من المعادن حولنا.» وكانت موجل ترتفع من بين ذراعيه وتتحرك إلى الأمام بحماسة بعد أن وجدت روافعها شيئًا تحكم قبضتها عليه.

تبع فريز وآيا الكاميرا الطائرة إلى أن وصلا إلى مفترق طريق في الغابة، حيث وقف برجان عتيقان في منتصف جزء نزع عنه الشجر حديثًا، وكانت النباتات المعترشة تلتف حول عوارضهما المعدنية.

طرفت آيا بعينيها وسط السطوع المفاجئ للضوء، فلا بد أن الأمطار الغزيرة قد توقفت في وقت سابق، لقد بدا الأمر وكأنه يوجد عالمان مختلفان: كانت الأمطار لا تزال تهطل في الغابة والأشجار تُسقط قطرات المياه كالملابس المبتلة، أما هنا في ذلك المكان الفسيح، فكانت أشعة الشمس تتلاعب فوق نبات السرخس.

هبطت تالي بجانبهما محدثة صوت ارتطام مكتومًا.

قالت تالي بصوت خافت وهي تنظر إلى البرجين: «اصمتا، إن المخلوقات الغريبة التي رأيتها لا تزال هناك.»

تراجعت آيا خطوة إلى الوراء نحو ظلال الغابة وهمست قائلة: «أتقصدين أنك أخذتنا إليها مباشرةً؟»

– «علينا أن نستولي على وسيلة انتقال، أكنتما تعتقدان أنني كنت سأقف مكتوفة اليدين وأنتما تمشيان بهذا البطء؟»

سأل فريز: «هل تريدين أن توقعي بنا في الأسر مجددًا؟»

تنهدت تالي وقالت: «لن يتسنى لي ذلك في ظل جراحة مخك الحمقاء، فأنت ستفضح أمرنا على الفور.»

– «في واقع الأمر أنا لست ...»

قالت تالي: «انتظراني هنا.» وانطلقت عبر المكان الخالي من الأشجار متجهة نحو الشجيرات الصغيرة النامية حول قاعدة أطلال البرجين العتيقين.

حدقت آيا إلى أعلى في البرجين.

كان أحدهما أكثر ارتفاعًا من الآخر، ولكنهما لم يظهرا بالضخامة نفسها التي كانت عليها الأبراج التي لمحتها آيا من السيارة الطائرة. ومع ذلك كان البرج يتسم بالضخامة والبساطة شأنه شأن جميع مباني العصر القديم، إذ كان زوايا مربعة بسيطة لا تحوي أي فجوات أو أجزاء متحركة، فلم يكن سوى عمود ضخم ينبثق في الهواء. وتسلقت النباتات المعترشة حول عوارضه المعدنية، والتفت حولها بإحكام، وكأن الغابة نفسها كانت تحاول هدم الهيكل المعدني الضخم.

وعند قمته رأت آيا ثلاثة مخلوقات غريبة يشرفون على عمل إحدى آلات الرفع. وبدوا وهم يرتدون عدة الكرة الطائرة كسباحين يشقون طريقهم في الهواء الحار الرطب، وأرجلهم ذات الأصابع الطويلة تتحرك كما لو كانت أيادي إضافية.

أشار فريز قائلًا: «إنها تتجه إلى هناك.»

كانت تالي تتسلق عبر منتصف البرج الأكثر ارتفاعًا ومن بين الفراغات في الأرضيات البالية العتيقة لطوابق المبنى والنباتات التي غزته. وثبت تالي من طابق إلى آخر، وهي ترفع نفسها مستعينة بعدة الكرة الطائرة المستعارة، وكانت تتحرك برشاقة وفي صمت كقطة تنسل خلسة تجاه فريستها.

قالت آيا بهمس: «تعقبيها يا موجل، لكن كوني بمنأى عن الأنظار.»

دفعت آيا الكاميرا الطائرة إلى الأمام لتنطلق سريعًا عبر الأرض المجردة من الأشجار واختفت بين الأطلال.

كانت تالي قد وصلت بالفعل إلى قمة البرج، لكن لم يلحظ أي من المخلوقات الغريبة اقترابها منهم نتيجة لانهماكهم الشديد في العمل، كانوا يوجهون مخالب آلة الرفع ويضبطون نصولها القاطعة لتمزق مجموعة كبيرة من العوارض المعدنية.

ارتفعت موجل سريعًا عبر البرج العتيق وعدساتها تتلألأ بالأشعة المتناثرة لضوء الشمس. وكانت آيا تتحرق شوقًا لمشاهدة تالي من زاوية رؤية الكاميرا الطائرة، لكن استخدام قرن الاستشعار الجلدي قد يكشف أمرهم.

دبت الحياة في نصول آلة الرفع ودوت أصوات عالية مع احتكاك أسنانها بالمعدن، وانطلقت مجموعات كبيرة من طيور صغيرة بنية اللون من الظلام داخل البرجين إثر حدوث تلك الجلبة المفاجئة، وأدركت آيا بعد برهة أنها خفافيش، وانهمر وميض الشرارات في شكل أقواس متوهجة.

وبينما انتشر الصوت في أرجاء الغابة، انطلقت تالي من مخبئها في البرج المتهدم الذي تلفه النباتات المعترشة، واندفعت مباشرة صوب إحدى المخلوقات الغريبة، فتهاوت، ثم دارت وسقطت من البرج وهي تهيم بوهن في الهواء.

استدار المخلوقان الآخران لينظرا حولهما، لكن تالي كانت قد اختبأت بالفعل ثانية، إذ استقامت بسرعة بعد الارتطام واختبأت ثانية بين الأطلال. أومأ المخلوقان الآخران أحدهما للآخر بارتباك، وتحركا في الهواء بذعر محاولين فهم ما حدث.

انطلقت تالي مرة أخرى نحوهما بسرعة من مكان اختبائها، وانهالت عليهما بضربات سريعة فتهاويا بحركات دائرية في الهواء.

قال فريز: «يا إلهي!»

كان فريز يشير إلى الضحية الأولى لتالي التي كانت تهيم في الهواء بعيدًا عن هياكل الأطلال، وبينما كانت تبتعد أكثر فأكثر عن المجال المغناطيسي للبرجين، بدأت تسقط ...

سألت آيا: «هل تعتقد أن هذا سيكون هبوطًا سهلًا؟»

قال فريز: «أشك في ذلك.» ثم خطا بعيدًا عن الظلال وصاح إلى أعلى قائلًا: «تالي، انظري!»

بيد أن نصول آلة الرفع كانت لا تزال تحتك بالحديد مطلقة صرخات مدوية في الغابة، والشرارات تنهال كالشلالات حول تالي وهي تتغلب على المخلوقين الغريبين الآخرين.

صاحت آيا: «لا يمكنها سماعك! ماذا عسانا أن نفعل؟»

سأل فريز: «هل يمكن لموجل أن تلتقطها مثلما حدث في المدينة، عندما سقطنا من فوق لوحك الطائر؟»

– «لكن لا يمكن لموجل أن تسمعنا أيضًا.»

صارت المخلوقة الغريبة فوق الغابة الآن وأخذت تهبط وتتقلب في الهواء بسرعة أكبر وهي لا تزال فاقدة الوعي، متجهة نحو الأشجار.

صاح فريز: «إذن فلتبعثي لها برسالة!»

– «لكن تالي قالت إنه لا يجب علينا ...»

– «أنت مضطرة لذلك!»

ابتلعت آيا ريقها وطوت بنصرها، ثم قالت: «موجل، اذهبي وأمسكي بالمخلوقة الغريبة التي تسقط! بسرعة!»

قطعت آيا الاتصال وتمنت ألا تكون الرسالة طويلة بما يكفي لتعقبها.

انطلق جسم موجل الصغير أعلاهما بعيدًا عن الأطلال، مندفعة نحو المخلوقة المتهاوية، فاصطدمت موجل بها عند قمم الأشجار بالضبط، واختفت الاثنتان بين الأغصان العلوية الكثيفة للأشجار.

تمتم فريز: «أتمنى ألا نكون قد تأخرنا كثيرًا.»

وأخيرًا توقف صوت احتكاك النصول بالحديد فجأة، وتلاشت الأصداء الأخيرة له بين صياح الطيور المضطربة. وابتعدت آلة الرفع بضعة أمتار عن الأطلال، ثم بدأت في الهبوط، كما لو كان زوج ضخم من المخالب يتجه نحوهما.

كانت تالي تقف عند جهاز تحكم الرافعة التي كان على متنها المخلوقان الغريبان وهما فاقدا الوعي.

صاحت تالي من أعلى: «لقد أحضرت لكما بعض عدة الكرة الطائرة! لا بد أن هناك خطًّا مغناطيسيًّا هنا لحمل هذا الركام المعدني بعيدًا، لا سير بعد الآن!»

صاحت آيا إلى أعلى ردًّا عليها: «رائع! لكن هل رأيت ما حدث مع ثالثتهم؟»

تفحصت تالي الأفق: «هذا غريب، أين ذهبت؟»

انتظرت آيا بضع ثوان أخرى ريثما تهبط آلة الرفع وهي في حيرة تتساءل كيف ستفسر لها ما فعلت.

لكن صدق فريز المطلق وفر عليها المشقة.

قال: «لقد كانت تتقلب في الهواء بعيدًا، وتجاوزت المجال المغناطيسي للأطلال.»

سألت تالي: «هل سقطت؟»

هز فريز رأسه بالنفي وقال: «كلا، لقد أرسلنا موجل لالتقاطها.»

ابتسمت تالي وقالت: «تفكير صائب، أعتقد أن صبية المدينة ليسوا عديمي الفائدة تمامًا.»

قال فريز: «ثمة مشكلة واحدة، كانت موجل معك عند أطلال البرج بالأعلى، فكان من المستحيل أن تسمعنا؛ لذا اضطررنا إلى بعث رسالة إليها.»

– «هل بعثتم برسالة؟»

أومأ فريز برأسه ثم قال: «لم يكن أمامنا خيار؛ إما أن نبعث برسالة أو نتركها تسقط.»

ابتلعت آيا ريقها وهي تستجمع شجاعتها لمواجهة ثورة غضب عارمة للجارحة.

ولكن جاء صوت تالي هادئًا وناعمًا: «كان عليكما أن ترسلا تلك الدمية في أعقابي، أليس كذلك؟ هل طرأ لذهنيكما أن كاميرا طائرة قد تكشف أمري؟ أو أنني قد لا أكون راغبة في وضع كل شيء أفعله في قصة غبية تنشر بالمدونات؟»

قالت آيا بصوت حاد وهي لا تزال تتوقع انفجار ثورة الغضب: «أنا آسفة.»

لم يكن من تالي سوى أن تنهدت وقالت: «لا بأس، من الأحرى بنا التحرك الآن، سيتجهون إلى هنا قريبًا.»

جثت تالي على ركبتيها وبدأت في نزع عدة الكرة الطائرة عن المخلوقين الغريبين. وقذفت بزوج من وسادات قصبتي الساق إلى أسفل حيث كانت آيا.

قالت آيا بنبرة متوترة: «ماذا يا تالي؟ نحن لا نعرف كيفية استخدام هذه الأشياء.»

قالت تالي بنبرة لاذعة: «اضبطيها فحسب على وضع انعدام الجاذبية وأنا سأسحبكما.»

وأثناء قيامهما بربط أحزمة الوسادات، نظرت آيا بسرعة تجاه المكان الذي سقطت فيه موجل والمخلوقة الغريبة.

لم يتحرك شيء بين قمم الأشجار عدا عدد قليل من الطيور التي عادت مجددًا إلى مكانها بعد حالة الاضطراب. وتمنت آيا أن لو كان بإمكانها أن تفحص المكان من منظور موجل كي تتحقق من نجاة المخلوقة الغريبة وكاميرتها الطائرة.

بيد أن تالي لن تحبذ هذه الفكرة على الأرجح.

ما إن ارتدت آيا عدة الكرة الطائرة، حتى شغلها فريز لها، وباغتتها حالة غريبة من انعدام الوزن، وكأن أرواحًا خفية أمسكت بيديها وقدميها. خطت آيا إلى الأمام، فوجدت نفسها تتحرك بخفة إلى أعلى في الهواء، والنسيم يدفعها برفق إلى الأمام.

أمرتها تالي: «توقفي عن اللعب! أمسكي بيدي.»

– «لكن موجل لم تعد بعد!»

– «وهل تعتقدين أنني أبالي بذلك؟ علينا الانطلاق!»

– «هل يمكنني مراسلة موجل لكي تلحق بنا؟ وإلا ستنتظر هنا فحسب!»

قالت تالي وهي تمسك برسغها بقوة: «لا تقلقي يا آيا-لا، سيظل ما سترونه حقيقيًّا حتى في حالة عدم وجود كاميرا طائرة معك.»

أمسكت تالي بيد فريز الممتدة لها وسحبتهما بعيدًا في الهواء.

المعادن

انطلق الثلاثة في الهواء فوق قمم الأشجار وأخذوا يتفحصون السماء بحثًا عن أي علامة تدل على وجود من يطاردهم.

كانت تالي محقة، فقد كان هناك لفة من الأسلاك السميكة ممتدة عبر أغصان الأشجار بالغابة لتوفير مجال مغناطيسي لنقل الحديد الذي يأخذونه من الأطلال، وكان هناك وفرة من المعادن تسمح بحملهم وانتقالهم في الهواء. ومقارنة بأطنان الركام المعدني، كان حمل ثلاثة أشخاص يرتدون عُدد كرة طائرة أمرًا يسيرًا للغاية.

شعرت آيا بتوتر وهي تطير دون لوح طائر، فقد أظهرت إيدن مارو أن الأمر يبدو سهلًا، لكن آيا شعرت بأنها تتأرجح في الجهاز الرافع، وكأنها تحاول الحفاظ على توازنها وهي تسير فوق عمودين خشبيين غير مرئيين مثبتين بأطرافها.

وزاد غياب موجل من حيرتها وقلقها، فقد كانت موجل، التي بمثابة زوج ثان من العيون لها، ضائعة ووحيدة وتالفة على الأرجح، وهي تبتعد عنها في كل ثانية.

بل إنها لا تملك حتى كاميرا تجسس صغيرة.

قالت تالي: «أتريان تلك الأطلال؟ من المفترض أن نقابل شاي وفاوستو هناك.»

وتحت بصيص طفيف لمحيط متلألئ بأشعة الشمس بدا أمامهم على الجهة اليمنى مبنى شاهق الارتفاع يرتفع عن الغابة وتحجب قمته تلك السحب المنقشعة ببطء، وظهرت حوله مجموعة من الأبراج المعدنية المجوفة، جميعها في مراحل مختلفة من التفكيك. وعلى الرغم من وجود آيا على مسافة بعيدة فقد تمكنت من رؤية الشرارات المنبثقة من النصول القاطعة للمعادن.

ومن موقعها أعلى الغابة استطاعت أن ترى إلى أي مدى امتدت الأطلال، وتذكرت أن مدن العصر القديم كانت تضم أعدادًا من السكان تصل إلى عشرة

وعشرين مليونًا، أي كانت أضخم كثيرًا من أي مدينة في العالم الحديث، وها هي ذي المخلوقات غير البشرية تفككها تمامًا الآن.

قالت آيا: «لماذا يحتاجون إلى هذه الكميات الكبيرة من المعادن؟»

استدار فريز إليها وقال: «ربما يصنعون هنا تلك القذائف التي عثرت عليها، ويمكن أن ينقلوها عبر القطارات المغناطيسية المعلقة إلى الجبال التي جَوَّفوها.»

قالت تالي: «نظرية منطقية يا فريز-لا، لكنني أشك أن الأمر بهذه البساطة، فلقد ذهبت أنا وديفيد إلى جميع أنحاء العالم، وفي كل مكان نذهب إليه، ثمة شخص ينقض على الأطلال سرًّا ويستولي على المعادن بشكل أسرع من المدن نفسها».

سألت آيا: «وهل المخلوقات الغريبة هي من يقف وراء ذلك دائمًا؟»

قالت تالي: «أجل على حد علمنا، لقد شاهد أحد أصدقائنا أفرادها وهم ينهبون الأطلال الضخمة بالقرب من مدينتي، وهو الشخص الذي أخبرنا عنهم.» ثم نظرت إلى آيا مرة أخرى وأردفت: «ومن بعدها اختفى، وهو المصير نفسه الذي كان بانتظارك إذا لم نأت إليك.»

قال فريز: «هذا يفسر سبب تزاحم الجميع للحصول على المعادن، حتى إن المسئولين بمدينتنا كانوا يتحدثون عن حفر الأرض للتنقيب عما خلفه سكان العصر القديم في مناجمهم.»

رمقته تالي بنظرة خالية من أي تعبير وقالت: «إذا حاولوا فعل ذلك فستزورهم السلطات الخاصة الجديدة.»

صمتت تالي لحظة، ثم سحبتهما حتى أوقفتهما فجأة وجذبتهما إلى الأسفل بين الأشجار، وانخفضوا بين الطبقات الكثيفة لأغصان الأشجار والنباتات المعترشة المتشابكة وبيوت العنكبوت اللزجة الممتدة.

قالت آيا بهمس: «ما الخطب؟»

– «سمع أحدهم رسالتك.»

حدقت آيا إلى أعلى في السماء التي ظهرت كالشظايا من بين أغصان الأشجار، لكنها لم تر شيئًا.

بدأ سطح بذلة التخفي التي ترتديها تالي في التحرك، وأخذت أجزاء البذلة المرقطة باللون الأخضر التمويهي في التحرك بانسيابية كالحية، وكأنها تتفتت إلى أجزاء منفصلة، ثم بدأت قشور البذلة في الانتشار والزحف ببطء فوق السروال

الذي ترتديه آيا، فنظرت آيا إلى فريز، ورأت القشور تغلفه هو أيضًا، فقد كانت بذلة التخفي تتمدد وكأنها جناحان من القشور.

همست تالي قائلة: «هذا سيخفي ما لديكما من الأشعة تحت الحمراء، لا تتحركا فحسب.»

حينئذ تحرك ظل في الغابة وحجب أشعة الشمس المتناثرة التي كانت تتخلل أوراق الشجر، ولمحت آيا مصدر هذا الظل قبل أن تغطي بذلة التخفي وجهها، فقد كان زوجًا من السيارات الطائرة يمر ببطء من فوقهم.

امتلأت الغابة بصوت صرير أصدرته الأسلاك عند تدليها نتيجة لضغط السيارتين عليها، وانتشرت الطيور في الهواء، وامتلأ المكان لحظة بأجنحة خضراء مهتاجة. ومع ازدياد التيارات المغناطيسية كان باستطاعة آيا أن تشعر باهتزاز عدة الكرة الطائرة التي ترتديها، وتشتت خصلات شعرها.

وبدا أن السيارتين قد توقفتا فوقهم، وسمعت آيا أصواتًا، إذ كانت المخلوقات الغريبة على الأرجح تنحدر بجانبهم بعدة الكرة الطائرة التي ترتديها وتنظر في الغابة أسفلها، فصبت آيا تركيزها على الأرض أسفلها محاولة ألا تتنفس.

لكن في نهاية الأمر مرت الظلال من فوقهم، وتبدد صوت الصرير بعيدًا.

وبعد مرور ثوانٍ طويلة على تلاشي الصوت حررت تالي آيا وفريز، وانطوت بذلة التخفي حول جسدها مرة أخرى، وظهرت أجزاء صغيرة من جلد تالي أثناء إعادة تكوين البذلة لأجزائها حول جسد تالي، فلمحت آيا خطوطًا من ندوب صغيرة اصطفت بذراعيها.

قالت تالي: «لهذا السبب لا يمكننا استخدام الرسائل.»

قالت آيا وهي تتنفس متألمة: «ومن المحتمل أيضًا أن يكونوا قد رأوك وأنت توسعين عمالهم ضربًا.» لقد شعرت آيا بأنها ورقة متجعدة إثر قبضة تالي القوية حولها.

ابتسمت تالي وقالت: «أصبت، لكنهم يعرفون أننا في مكان ما في هذا النطاق، علينا أن نمكث هناك حتى تتوارى تلك السيارات عن الأنظار.»

تحرك الثلاثة إلى حيث أشارت تالي وهم يستمعون إلى الطنين المستمر لحشرات الغابة، وبدأت آيا تتكيف أكثر مع عدة الكرة الطائرة، فقد تدربت على تحريك يديها في الهواء كما فعلت المخلوقات الغريبة وهي تتحرك في النسيم البارد عند قمم الأشجار.

كانت الغابة أقل وحشة بكثير عند أعلى طبقة من الأشجار، حيث أنبتت النباتات المعترشة زهورها وأضاءت أشعة الشمس ألوان أجنحة الحشرات قزحية اللون، ورفرف سرب من طيور ذات أعراف قرنفلية اللون أعلاهم مباشرة، كانت تصيح بصوت حاد وتتشاجر معًا للوقوف على أفضل الأغصان، كاشفة عن بطون بيضاء تغطيها الأجنحة الخضراء، وحدق أحدها بارتياب إلى أسفل نحو آيا وكان له منقار أصفر لامع بين عينين خرزيتي الشكل.

على أي حال، لم تكن الغابة سيئة للغاية، بمجرد أن تستطيع التحرك بسهولة فوق الطين والوحل، ومما لا شك فيه أن روعة الغابة زادت من شعور آيا بافتقادها لكاميرتها.

قال فريز بصوت خافت: «هل يمكنني أن أطرح عليك سؤالًا يا تالي-وا؟»

– «وهل يمكنني منعك من ذلك؟»

قال فريز: «لا على الأرجح. ماذا لو لم تكن الأسطوانات التي عثرت عليها آيا أسلحة في حقيقة الأمر؟»

سألت آيا: «وماذا قد تكون غير ذلك؟»

صمت فريز لحظة وهو يحدق في الأسلاك المشدودة حولهم، ثم قال: «ماذا لو لم تكن سوى معدن؟ هذا كل ما في الأمر، أليس كذلك؟»

قالت آيا: «لكنها كانت تحوي مادة ذكية يا فريز، أتذكر ذلك؟ وهذا ما أثبت أنها كانت أسلحة!»

هز فريز رأسه بالنفي وقال: «هذا أثبت أن بها نظام توجيه، لكن ماذا لو كانت مبرمجة لتطير إلى هذه الجزيرة؟»

سألت آيا: «ولماذا سيفجر أناس أنفسهم؟»

قال فريز: «ليسوا مضطرين إلى استهداف المباني.»

قالت تالي: «هذا صحيح، فهذه جزيرة في النهاية، قد تسقط الأسطوانات في المحيط، وهذا سيبردها بعد الدخول مجددًا إلى الغلاف الجوي للأرض، ومن ثم يمكن استخدام المعدن لأغراض أخرى.»

استدار فريز في الهواء لمواجهتها محركًا بيديه أغصان نبات السرخس من حوله، ثم قال: «وأنت قلت إنهم يستولون على المعادن من بين الأطلال في كل مكان، ومن ثم قد تكون النواقل الدفعية للكتل المعدنية ليست سوى وسيلة لنقل المعادن إلى هنا.»

قالت تالي: «وهذا أيسر من تهريبها بين البلدان في كل أنحاء العالم، وربما تكون كل تلك الجبال الفارغة التي وجدناها قد أطلقت بالفعل كل المعدن الموجود بداخلها.»

أومأ فريز برأسه وقال: «وهذا قد يفسر لماذا كانوا ينقلون أغراضهم من المكان الذي وجدته يا آيا-تشان، فهم كانوا على وشك إرسال الأسطوانات إلى هنا.»

صاحت آيا: «لماذا تنحاز إلى صفها يا فريز؟»

هز فريز كتفيه وقال: «إن الأمر لا يتعلق بالانحياز إلى صف أحدنا يا آيا، بل يتعلق بالحقيقة.»

قهقهت تالي وقالت: «ما الأمر يا آيا-لا، أتخشين ألا تستمر قصتك الصغيرة في جذب الاهتمام إليها؟ لن أندهش إذا أسأت فهم الأمر، فإذا رأيت كل شيء من خلال عيون الكاميرات الطائرة وقصص المدونات، فسينتهي بك المطاف وأنت لا تستطيعين رؤية الحقيقة الماثلة أمامك مباشرة.»

حاولت آيا أن تجيبها، لكنها وجدت نفسها تلفظ الكلام بسرعة، ثم حملقت في فريز بغضب.

تنحنح فريز وقال: «حسنًا، ما زلنا لا نملك دليلًا يوضح سبب احتياجهم إلى هذه الكميات من المعدن.»

قالت آيا: «إنهم لا يبنون أي شيء هنا، لم نر سوى بضعة مصانع وبعض المخازن.»

استغرقت تالي في التفكير لحظة.

قالت آيا: «أسمعت ما قاله أودزير عن تقديم التضحيات؟ ألا يبدو هذا نذير شؤم لك؟»

تنهدت تالي وقالت: «قال إنهم يريدون إنقاذ البشرية، ومن الناحية التاريخية هذا قد يعني أي شيء بدءًا من الطاقة الشمسية وحتى الجراحات التي تتلف المخ والتي تجرى في كل أنحاء العالم.»

قالت آيا: «أو دمار عالمي!»

هزت تالي رأسها بالنفي ثم قالت: «مع توسع المدن بصورة جنونية تتجاوز الحدود، استهوتني أنا وديفيد فكرة أن ننتهج التدمير قليلًا، وأحيانًا يبدو الأمر وكأننا نعود إلى الوراء للعصر القديم.»

قال فريز بهدوء: «لكن لا يمكنك أن تكوني من سكان العصر القديم دون وجود معدن.»

نظرت تالي إليه وقالت: «أتعتقد أن المخلوقات الغريبة تحاول إبطاء حركة توسع المدن؟»

هز فريز كتفيه وقال: «على أي حال نحن نحتاج المعدن لتشييد المباني وصنع القطارات المغناطيسية المعلقة.»

قالت تالي: «وفي حالة غياب شبكة معدنية لن يطير أي شيء، سواء أكان سيارات أم ألواحًا أم قصورًا فاخرةً متحركةً.»

سألت آيا: «ألن يبدأ الجميع وقتها في تجريد المناجم من معادنها مرة أخرى فحسب؟»

قالت تالي بهدوء: «إن تفجير جهاز استخراج المعادن الآلي أيسر من تفجير أحد القصور.»

رفعت آيا حاجبها.

هزت تالي كتفيها وقالت: «إذا كان تدمير الأشياء هو ما تنزعون إليه ... في ظروف خاصة. وإذا كان ذلك هو ما تعتزم المخلوقات الغريبة فعله، فقد يصل بي الأمر إلى أن أنحاز إلى صفها، حالما تتوقف عن اختطاف الناس.»

حدقت آيا إلى أوراق الشجر التي امتدت حول مجموعة الأطلال شاهقة الارتفاع التي يتم تفكيكها، وقد اجتاحتها حالة من الذهول من فكرة أن فريز وتالي قد يكونان على صواب.

إذا لم تكن النواقل الدفعية للكتل المعدنية أسلحة، فهذا يعني أن العالم لا يتجه نحو عصر جديد مفزع من الحروب، وإذا كانت المخلوقات الغريبة توصلت إلى طريقة تُوقف بها المدن عن تدمير البرية، فهذا يعني أن بعض الأشخاص كانوا عقلانيين حقًّا، وأن توشي باناما ومن هم على شاكلته سيلزمون الصمت إلى الأبد.

لكن لسوء الحظ هذا يعني أيضًا شيئًا آخر؛ وهو أن فتاة حمقاء في الخامسة عشرة من عمرها تدعى آيا فيوز أفسدت تمامًا أضخم قصة منذ حدوث ثورة العقول.

التشبه بالقردة

تنقل ثلاثتهم عبر قمم الأشجار، وقد أمسكت آيا بإحدى يدي تالي في حين أمسك فريز باليد الأخرى.

طارت أسراب رائعة من الطيور فجأة من الغابة أثناء مرورهم بها، وأطلقت القردة البرية صيحاتها نحوهم من الأسفل، واضطرت تالي إلى سحبهما بين الأشجار للاختباء من السيارات الطائرة، فانخفضوا مرة أخرى بين مجموعة متلألئة من الفراشات التي كانت أجنحتها البرتقالية الزاهية أكبر من يد آيا.

لكن نادرًا ما استطاعت آيا أن ترى أيًّا منها.

بدت قصة الأسلحة الفتاكة بالمدن منطقية للغاية: إذ تم تجويف جبل كامل، ليشبه مقرات القيادة في العصر القديم منذ ثلاثة قرون. وكذا هناك ناقل دفعي للكتل مصوب نحو السماء في وضع الاستعداد لإطلاق الأسطوانات الممتلئة بالمادة الذكية والفولاذ.

لكن ماذا لو أنها أساءت فهم الأمر؟

حاولت آيا أن تتذكر بالضبط اللحظة التي تيقنت فيها من أنها لا تحتاج إلى أي إثباتات أخرى.

أكانت عندما أدركت مدى الشهرة التي سيحققها وجود سلاح فتاك بالمدن؟

على الرغم من ذلك فقد كانت القصص الأكثر ضخامة هي دومًا القصص الأكثر إثارة للسخط، ولقد تعلمت آيا ذلك من توشي بانانا، الذي كان يوجه انتقادات لاذعة للجماعات الجديدة وتصفيفات الشعر التي تشبه شعر كلب البودل، لهذا السبب كانت كل مدونة بالمدينة تهاجم قصتها بالتأكيد، وبالطبع هي ستهاجم آيا بسعادة إذا ثبت خطؤها.

لن يقارن ما شعرت به آيا بعد تتويجها ملكة الوحل مدة يوم واحد بقدر الإذلال والمهانة الذي ستتعرض له. وعلى الرغم من أن شبكة اتصال المدينة ربما لا تهتم بسبب تحدث الناس عن المرء — سواء لأنه موهوب أو جميل فحسب أم لأنه حاذق أم لأنه فقط شخص مجنون مهتم بكوكب الأرض أم حانق حيال لا شيء على الإطلاق — فهذا الأمر يثير اهتمام آيا.

لم ترد آيا أن تحظى بشهرة بسبب إنذار كاذب.

أمضوا الثلاث ساعات القليلة التالية في اجتياز شبكة الأسلاك مختبئين من روافع البناء والسيارات الطائرة، وعائدين أدراجهم من حيث أتوا متى يصلون إلى طريق مسدود.

لم تكن تلك الرحلة أكثر رحلات آيا سعادة؛ فقد كان غياب موجل يزعجها باستمرار وكأنه ألم مستمر في الأسنان، وكذلك كان الهواء الضبابي الرطب يجعلها تشعر بضيق شديد في التنفس. وكان رداؤها مبتلًّا تمامًا بالعرق.

وعندما تذمرت آيا من أنها وفريز لم يتناولا أي طعام منذ الليلة السابقة، أخرجت تالي قطع حلوى للحالات الطارئة من جيوب بذلة تخفيها. وفي أثناء تناولهما لها، عثرت تالي على مجموعة من ثمار الموز بالغة الصغر وخضراء، بدت غير صالحة للأكل تمامًا ثم التهمتها، فمن الواضح أن معدتها ذات السمات الخاصة تستطيع هضم أي شيء.

تقدموا تدريجيًّا نحو مجموعة من ناطحات السحاب، وتدفق من الأبراج موكب ثابت من آلات الرفع المحملة بالركام المعدني متجهة إلى الخارج وهي تميز الطريق بعلامات تدل على سيرها.

لم يتبق أمامهم سوى بضعة كيلومترات، فسحبت تالي آيا وفريز إلى أسفل داخل الغابة.

– «علينا أن نظل بمنأى عن الأنظار باقي الطريق.»

قالت آيا متأوهة: «هل هذا يعني أننا سنضطر إلى السير مرة أخرى؟»

قالت تالي: «ليس أمامي وقت لانتظارك وأنت تزحفين في الطين، كل ما عليك هو ضبط عدة الكرة الطائرة على وضع انعدام الجاذبية والبقاء على مقربة من الأسلاك.»

دفعتهما تالي بقوة إلى أسفل أكثر في الغابة، حتى اختفت شمس الأصيل المائلة نحو المغيب وراء الكتلة المتشابكة من النباتات المعترشة والأغصان.

سألت آيا: «ألن تسحبينا؟»

قالت تالي بسخط: «إن المكان مزدحم للغاية هنا بالأسفل؛ بما يجعل من الصعب علي أن أمسك بيديكما، افعلا كما تفعل القردة فحسب.»

وكي توضح لهما، أمسكت تالي بغصن قريب وجذبته بقوة ثم انطلقت به لتجعله يقذف بها بعيدًا بين النباتات الكثيفة، وبسطت ذراعها لتتعلق بسرعة بجذع شجرة يمر بجانبها وتأرجحت حتى توقفت.

– «أتريان؟ إن الأمر سهل عندما يكون الإنسان منعدم الوزن.»

نظرت آيا إلى فريز بطرف عينها، وبادلها النظرة، ثم تنهدت ونظرت حولها بحثًا عن أي شيء تُمسك به، فرأت ساقًا لنبات الخيزران بالقرب منها بدت قوية بما يكفي لحملها، وبينما كانت تنطلق في الهواء بالقرب منه رأت حشرة بأرجل كثيرة تزحف فوق الساق، فبسطت آيا يديها بحذر شديد لتتجنب الحشرة الزاحفة ثم جذبت ساق الخيزران إليها بقوة.

دفعها الجهد بضعة أمتار قبل أن يخفف الهواء الاستوائي الكثيف من حركتها حتى توقفت بجانب جذع شجرة مغطى بنبات الأشنة، والتوت آيا بجسدها واستخدمت الساق لدفع نفسها تجاهه، فحظيت بدفعة إلى مسافة أطول وسط الغابة المتشابكة.

كان شعورًا غريبًا، فعلى الرغم من أن عدة الكرة الطائرة كانت تحمل وزن آيا، فقد كان لا يزال لها قدر وافر من الوزن والقصور الذاتي، وكان عليها أن تبذل جهدًا كبيرًا كي تدفع نفسها، خاصة في الهواء الرطب، ولكن بازدياد سرعتها، أضحى الوقوف — أو حتى تغيير الاتجاه — صعبًا بنفس القدر.

وفي هذه الرحلة لم يكن مجديًا لآيا أن يبدو كل سطح تمر به إما طينيًّا أو لزجًا أو مغطى بالحشرات، أو أن كل النباتات كانت لا تزال مثقلة بأمطار العاصفة، وفي كل مرة كانت آيا تندفع بسرعة بين أوراق السرخس، كانت تدفع من فوق ملابسها رذاذ المياه الذي تشبعت به. لكن آيا اكتسبت تدريجيًّا مهارة التحليق بسيقان الشجر، فتعلم عقلها كيفية أداء مهام كثيرة بسرعة في آن واحد كتحديد المسارات الخالية في طريقها ذي العقبات، والتحقق من الشيء التالي الذي ستستخدمه لدفع نفسها في الهواء، وتجنب بيوت العنكبوت اللزجة وأوراق السرخس الغارقة بالمياه.

وأثناء مرور آيا بين أغصان الأشجار الكثيفة اندهشت من مدى ثراء الغابة وتشابكها، وأنها أكثر تعقيدًا من أن تُعرض في قصة بمدونة تستغرق عشر دقائق، وتساءلت عن قدر الصعوبة التي يعانيها المرء كي يكون حارسًا للغابة، فعلى الأقل ستقوم حينها بشيء مفيد، ألا وهو حماية مكان جميل بدلًا من إثارة كوارث مزيفة لمجموعة من المغمورين الذين يشعرون بالضجر.

بعد مرور نصف ساعة من دفع آيا نفسها بين النباتات المعترشة وجذوع الأشجار والأغصان، أدركت أنها تحت المراقبة.

كان هناك قطيع من القردة حمراء الوجه يجلس فوق الأشجار القريبة ويشاهدها هي وفريز في صمت أثناء ارتطامهما بالنباتات المعترشة وأوراق السرخس. ولم يسع آيا أن تلوم القردة على نظراتها الحائرة؛ إذ كانت تدرك على نحو أليم عصور التطور التي ميزتها عنها، والصفات التي تميز القردة عنها كردود أفعالها اللاإرادية و... أصابعها المنحنية التي تمكنها من الإمساك بالأشياء.

أمسكت آيا بالنبات المعترش التالي لكي تتوقف.

سألها فريز وهو يميل بانزلاق لكي يقف بجوارها: «هل أنت بخير؟»

أومأت آيا برأسها وقالت: «أجل، لكنني أعتقد أنني فهمت لتوي التعديلات الجسدية الغريبة التي تتصف بها.»

سألها فريز: «أتقصدين المخلوقات الغريبة؟» ثم أطلق ضحكة وأردف: «أتقصدين أنه كان بإمكانك التفكير بتركيز أثناء تأرجحنا هكذا كال ...» ثم خبا صوته وصمت ونظر إلى الوجوه الصغيرة التي تشاهدهما من بين أوراق الشجر ثم استأنف حديثه قائلًا: «القردة.»

أومأت آيا برأسها ثانية. وتدلى أحد القردة من قدميه، وقد التفت أظافر قدميه الطويلة حول الغصن كالأصابع.

قالت آيا: «حتى هيرو لاحظ ... أن المخلوقات الغريبة تشبه القردة، وذلك عندما كنا مختبئين في انتظار تالي-وا.»

حينئذ صاحت تالي التي كانت تتقدم عليهما بنفاد صبر: «بماذا تثرثران؟ أوشكنا على الوصول!»

أدركت آيا أنهما كانا يتحدثان باليابانية، فأحنت رأسها قليلًا لتالي وقالت: «معذرة يا تالي-وا، لكنني أعتقد أنني قد توصلت إلى شيء ما: وهو أنه إذا ما

كان عليك أن تسيري في الغابة وأنت ترتدين أجهزة مضبوطة على وضع انعدام الجاذبية، فالتمتع بيدين أخريين أصلح كثيرًا من الاستعانة بقدمين.»

فكرت تالي لحظة: «كالمخلوقات الغريبة؟» وأخذت تقترب منهما بعدة الكرة الطائرة التي ترتديها، ثم أردفت: «أعتقد أنه من المنطقي أن يكون لديك عدد أكبر من الأصابع إذا كنت لن تطئي الأرض بقدميك أبدًا.»

قالت آيا: «إذن هم ربما يجمعون المعادن لعمل شبكة معدنية ضخمة، أتعتقدين أنهم يريدون أن يتخلى الناس عن العيش في المدن من أجل العيش في الغابات، كأنهم قردة طائرة مثلًا؟»

رفعت تالي حاجبها وقالت: «ونعود ملايين الأعوام إلى الوراء؟ هذه طريقة متطرفة إلى حد بعيد للتوافق مع الطبيعة.»

قال فريز: «التطرف هو كل ما تدور حوله ثورة العقول يا تالي-وا؟»

تنهدت تالي وقالت: «لماذا يقول الجميع ذلك وكأن الأمر برمته خطئي؟»

نظر فريز إليها وهز كتفيه ثم قال: «في الواقع أنت من بدأه.»

– «لا تلومني، لم أقل لجميع الناس في العالم أن يفقدوا صوابهم!»

سألتها آيا: «ولكن ألم تتوقعي أن تحدث بعض الأمور الغريبة؟»

أشاحت تالي بعينيها مستنكرة ثم قالت: «لم أتوقع أن يحول أي شخص قدميه إلى يدين إضافيتين، أو أن يجعل كاميرات طائرة تتعقبه طوال اليوم، أو أن يجري جراحة للمخ فقط لكي يقول الحقيقة!»

هز فريز رأسه بالنفي ثم قال: «لكننا فقدنا الكثير في عصر الحسن، لقد تبددت الأسس جميعها؛ لذا فإنه لزامًا علينا إصلاح الأمور أثناء مسيرتنا في الحياة!»

أطلقت تالي ضحكة وقالت: «وما الجديد في ذلك يا فريز؟ فالحياة لا يصاحبها كتيب تعليمات؛ لذا لا تخبرني أنني المسئولة عن فقد الناس لصوابهم.» ثم استدارت في مكانها وأشارت إلى أعلى عبر الأشجار وأردفت: «على أي حال، لقد كدنا نصل إلى ناطحات السحاب تلك، وعلى الأرجح شاي وفاوستو وصلا إلى هناك بالفعل.»

ومن بين الأشجار تلألأت الهياكل المعدنية المجوفة للأبراج أعلاهم تحت ضوء شمس المغيب، وكانت أجزاؤها العلوية مكتظة بروافع البناء التي دوى صرير احتكاك نصولها القاطعة للمعدن في أرجاء الغابة.

سألت آيا: «لكن إذا كنا لا نستطيع استخدام الرسائل، فكيف سنعثر عليهما؟»

هزت تالي كتفيها وقالت: «سنسوي الأمر خلال مسيرتنا.»

الركام المعدني

كان المكان حول قاعدة الأبراج خاليًا من الأشجار، لكن الشوارع العتيقة للمدينة ذات الأطلال كانت متكدسة بركام المعادن المتشابك المأخوذ من الأطلال.

وذكَّر ركام المعادن آيا بلعبة كان يلعبها الأطفال الصغار، حيث كان الطفل يُسقط من يديه مجموعة من أعواد تناول الطعام على الأرض، ثم يحاول أن يلتقط أحد الأعواد دون تحريك الباقي، لكن لم يكن ما تراه أعوادًا لتناول الطعام بل كان عوارض معدنية ضخمة مغطاة بطبقة من الأسمنت القديم للغاية والسلوك الصدئة.

لم يكن هناك أي أثر لوجود المخلوقات الغريبة بالطابق الأرضي، إذ كان طاقم عمل تفكيك الأبراج موجودًا أعلى البرج ليقطع المزيد من المعادن ويضعها فوق الركام.

قالت تالي وهي تشير بيدها: «أتريان أطول برج؟ ابقيا بعيدين عن الأنظار حتى نصل إلى هناك.»

نظرت آيا إلى فريز وقالت: «أتقصدين أن نزحف بين هذا؟» ثم أردفت: «لكنني سمعت أن بعض الأطلال بها هياكل عظمية بشرية باقية من العصر القديم.»

أطلقت تالي ضحكة وقالت: «هذا في الجهة الشمالية، أما هنا في المنطقة الاستوائية، فالغابة تلتهم كل شيء.» ثم انطلقت تالي بين الركام المعدني وشقت طريقها بين الأنقاض والفولاذ.

قالت آيا: «يا له من شيء رائع!» ثم تبعتها.

كان التسلل بين المباني المفككة يشبه بدرجة ما السير في الغابة، إذ كانت العوارض المعدنية مبتلة وزلقة بفعل الأمطار، وكذلك نما نبات الأشنة فوق جوانبها الصدئة.

على الرغم من ذلك كان الفولاذ الصلب أصعب مراسًا من أوراق السرخس ولحاء الشجر؛ إذ لاحقت الخدوش آيا وفريز أثناء سيرهما وراء تالي، نتيجة لاحتكاكهما بالعوارض المعدنية وقطع الأسمنت المسننة، وكأنهما يسيران بين أجمة شجيرات مليئة بالأشواك.

قال فريز وهو يفحص براحة يده خدشًا ملطخًا بالدماء: «ذكريني أن أتناول بعض أدوية الكزاز عندما نعود إلى وطننا.»

سألت آيا: «ما الكزاز؟»

– «إنه مرض يتسبب فيه الصدأ.»

صاحت آيا وهي تجذب يديها بعيدًا عن عارضة فولاذية عتيقة موجودة أمامها: «هل يتسبب الصدأ في أمراض؟ لا عجب إذن أن سكان العصر القديم قد انقرضوا.»

همست تالي بغضب: «اصمتا! هناك شيء قادم.»

حينئذ مرت ظلال من حولهم، ومر من فوقهم جسم ضخم.

ولمحت آيا من بين الكتل المعدنية المتشابكة الشكل المخلبي لهذا الجسم، إذ كانت توجد رافعة بناء ضخمة تحمل كتلة عملاقة مفصولة من ناطحة سحاب، فبدت وكأنها قفص صدري فولاذي لإنسان عملاق مات منذ زمن بعيد واقعًا بين فكي حيوان مفترس. ولمعت حواف كتلة الفولاذ المقطوعة حديثًا في ضوء الشمس.

قال فريز بصوت خافت: «ترى أين يخططون لوضع هذه الكتلة الفولاذية الضخمة؟»

توقفت آلة الرفع فوقهم مباشرة، وشعرت آيا باهتزازة تسري عبر الركام المعدني، ولمعت العوارض المعدنية حولها، ووقعت المجالات المغناطيسية تحت ضغط وزن أطنان من المعادن العتيقة.

وفجأة توقف الاهتزاز ...

قال فريز: «يا إلهي!»

سقطت القطعة الفولاذية المأخوذة من ناطحة السحاب من بين مخالب الرافعة.

أمسكت آيا بأقرب عارضة معدنية وجذبتها بقوة وجاهدت للتحرك بعيدًا.

وقع الهيكل الحديدي المتساقط وسط الركام المعدني فوق آيا، وارتطم الهيكل المعدني بما حوله فدوى صوت صرير عال، وصاحب الارتطام صوت رنين سرى

في الركام بأكمله. وانهمر فوق آيا سيل من الصدأ والأسمنت المتهشم، وانبعثت أعلاها سحب ترابية مؤلمة للعين، ورأت آيا العوارض المعدنية من حولها وهي تنثني وتلتوي بفعل وزن الكتل المعدنية الملقاة.

سمعت آيا صياح فريز: «آيا!»

استدارت آيا، كانت سترته الرسمية الأنيقة مشتبكة بمجموعة من الأسلاك العتيقة، وكانت رءوسها الملتوية تشبه خطافات صغيرة ممتدة وسط سترة من الحرير. وبينما كان يحاول فريز جاهدًا تحرير ذراعيه، انقلبت أكمام سترته، وانحشرت يداه بداخلها.

دارت آيا بسرعة ودفعت نفسها إلى الوراء تجاهه وبسطت ذراعيها لكي تمسك بكتفيه وجذبتهما إليها بأقصى قوة لها فتحرر فريز من هذا التشابك، وسرى صوت تمزق؛ إذ تمزقت سترته تمامًا.

كان الهيكل الفولاذي لا يزال يستقر وسط الركام فوقهما والحطام ينهمر فوق رأسيهما. وتدلى الركام الحديدي المتشابك من حولهما، لتنبثق قشور من الصدأ القديم من فوق العوارض العتيقة وهي تلتوي في أشكال جديدة.

انطلقت آيا وفريز إلى الأمام وهما شبه مغمضي العينين بين الأسمنت المتهشم والصدأ وكانت العوارض تنضغط أكثر من حولهما. ومن بين السحب الترابية رأت آيا تالي تقف في انتظارهما، كانت تسند ظهرها إلى قضيب فولاذي بقدر ما أتاح لها طولها، وكان القضيب مثبتًا بين عارضتين وكأنه عود أسنان يقف بالطول بين فكي أحد العمالقة ليبقي فمه مفتوحًا ...

وكان القضيب يلتوي ببطء تحت ثقل الضغط.

صاحت تالي: «هلم بنا!»

دفعت آيا نفسها بقوة عند أقرب عارضة، ومرت هي وفريز من جانب تالي.

ثم وثبت تالي في أعقابهما وتركت القضيب الفولاذي الذي انزلق نحو جانب واحد مصدرًا صوت صرير وكأنه أظافر تخدش سطحًا معدنيًّا. وبعدها انثنى القضيب والتوى ثم تهاوى وارتد إلى الوراء وسط الركام.

انهار الهيكل الضخم بأكمله، ودوى صوت صرير أسنان معدنية مدببة في المكان الذي خرجت منه آيا وفريز لتوهما، واهتزت الإضافة الجديدة ببطء لتستقر فوق كومة الركام الأصلية مثيرة المزيد من الأتربة الأسمنتية في الهواء.

انطلق ثلاثتهم نحو الهيكل المعدني الشبكي المنظم لأطول برج.

تمتمت آيا: «يا إلهي، لقد كدنا أن نموت!»

قالت تالي وهي تدعك كتفيها: «على الرحب والسعة.»

تذكرت آيا الإعجاب الذي خالجها عندما وقعت عيناها على تالي لأول مرة آنذاك، وهو ما لم يكن بسبب قوتها فحسب، فقد استشعرت تالي بطريقة أو بأخرى ديناميكية الركام المعدني. ثبتت قطعة حديدية في المكان المناسب تمامًا مما منح فريز الثواني الطويلة التي احتاجها للهرب.

كانت تالي مميزة بالفعل، حتى وإن لم تكن موجل موجودة هنا لتصوير اللقطة.

انحنت آيا قليلًا لتالي ثم قالت: «شكرًا لك يا تالي-ساما.»

وما كان من فريز سوى أن حدق في الركام المنهار بذهول في صمت، وكان وجهه المغطى بالثرى أبيض اللون كالأشباح، وكأنه ممثل يضع مسحوق الأرز على وجهه.

أومأت تالي برأسها باستحسان ثم قالت: «لا عليك، لقد نجحتما أنتما الاثنان في النجاة بحياتيكما.»

نظرت آيا أعلاها إلى رافعة البناء الراحلة وقالت: «هل كانوا يحاولون قتلنا؟»

قالت تالي: «إنهم حتى لم يرونا.»

قال فريز بصوت خافت: «لقد أنقذت حياتي يا آيا.»

وأجابته آيا: «لم أفعل ذلك وحدي ...» ولم تكمل كلامها إذ أمسك فريز بكتفيها وجذبها إليه ليقبلها، فاستشعرت آيا في شفتيه مذاق تراب الأسمنت والعرق.

وعندما ابتعد أحدهما عن الآخر، نظرت آيا إلى تالي التي كانت تنظر في دهشة إليهما قائلة: «أنا سعيدة لأنكما بخير.»

قالت آيا: «نحن بخير.» وابتسمت لفريز ثم نظرت إلى خدش موجود بمرفقها وأردفت: «فيما عدا أنني سأصاب بذلك المرض الذي يتسبب فيه الصدأ.»

قالت تالي: «لا تنزعجي، شاي لديها دواء لأي شيء.» ثم نظرت تالي فوقها وقالت: «وها هي ذي قادمة!»

نظرت آيا أعلاها نحو الأجزاء العليا للبرج الهيكلي الذي امتدت أطلاله إلى أعلى نقطة يمكنها رؤيتها وكانت أشعة الشمس تخترق جدرانه المنهارة. سمعت

آيا الأصداء البعيدة لأصوات تقطيع المعادن، وسمعت الحطام وهو يمر من بين الطوابق الفارغة والمحطمة للبرج.

وبينما كانت تحدق إلى أعلى، رأت أشكالًا تلمع في الظلام وكأنها تموجات في الهواء، واتخذت هذه الأشكال هيئة بشر أثناء هبوطها وهي تحيط بآيا وتالي وفريز. وكانت هذه الأشكال واقفة فوق ألواح طائرة ذات أسطح ركوب مغطاة بأكملها بألوان تمويهية.

بعد ذلك سحبت يد متلألئة غطاء الرأس لبذلة تخف وكشفت عن وجه شاي.

– «يا للهول! تبدون في حالة رثة.»

قال هيرو وهو يخلع غطاء رأسه: «كيف وصلتم إلى هنا؟ فوق آلة لطحن الصخور؟»

قالت آيا: «تقريبًا.» ثم أشارت وراءها إلى الركام الذي كان لا يزال يصدر صريرًا وأردفت: «كدنا أن نُسحق أسفل ذلك ...»

صمتت آيا، فقد كان هناك خمسة أجسام مغطاة ببذلات تخف: هيرو ورين وفاوستو وشاي ... وشخص آخر.

عندئذ نزع فتى غطاء رأسه ليكشف عن وجه قبيح مليء بالندوب.

قالت تالي بصوت خافت: «لقد عثرت علينا.»

هز الفتى كتفيه وقال: «كان الأمر صعبًا قليلًا، بعد أن هربتم قبل الميعاد المتفق عليه، لكنني حسبت أنكم ستأتون إلى المكان المعتاد.»

استدارت تالي إلى آيا وفريز وقد علت وجهها ابتسامة.

– «هذا ديفيد، لقد جاء إلى هنا لإنقاذنا.»

المكان المعتاد

كان ديفيد هو من أحضر لهم الألواح الطائرة، وكذلك أحضر طعامًا حقيقيًّا مصنوعًا في المدينة. وسرعان ما سرت في الهواء الأصوات المزعجة لتناولهم الطعام والشراب، وكذلك تعبق الهواء برائحة الوجبات ذاتية التسخين.

كانت آيا والآخرون في منتصف طريقهم إلى أعلى ناطحة السحاب العتيقة، في طابق لم يصب بدمار في أغلب أجزائه، وكان أقرب طاقم عمل لتفكيك البرج على مسافة مائة متر أعلاهم وأصوات نصول آلات الرفع القاطعة للمعادن تطلق طنينها في الخلفية. لكن لم يكن هناك فرصة محتملة لأن يكتشفهم أحد، فقد تضمنت معدات الإنقاذ التي أحضرها ديفيد الكثير من بذلات التخفي. وشعرت آيا بنعومة بذلة التخفي التي ترتديها على بشرتها وكأنها ترتدي بيجامة من الحرير، على الرغم من أن القشور الخارجية لها كانت صلبة كالفولاذ. وكانت كل أعضاء أجساد الجميع مختفية تقريبًا من العنق حتى أسفل الجسد، إذ كانت أجسادهم تمتزج مع الجدران غير المكتملة للبرج ورءوسهم تهيم على نحو مريب أثناء تناولهم للطعام.

شرحت تالي وهي تتناول المكرونة بالكاري: «لقد تعقبنا ديفيد إلى هنا، في حال إن لم نستطع الهرب بأنفسنا.»

نظرت آيا إلى ديفيد وتذكرته من فصل ثورة العقول بالطبع، فقد ذُكر اسمه في البيان الرسمي الشهير الذي أصدرته تالي، عندما أعلنت خطتها لإنقاذ العالم. أثناء عصر الحسن، كان ديفيد من سكان مدينة الضباب، وهم مجموعة من الناس الذين عاشوا في البرية، وحاربوا الأشرار من أفراد السلطات الخاصة، وساعدوا الهاربين من المدن. لذا كان من الطبيعي أن تريده تالي بجوارها، بعد أن أصبحت هي أيضًا تعيش في البرية، ولكن لم تفهم آيا لماذا كان ديفيد يرتدي قناعًا قبيحًا.

قال ديفيد: «بالطبع ليس بمقدور أي شخص احتجازكم أنتم الثلاثة، لذا كانت مهمتي الحقيقية هي إحضار معدات إضافية وسيارة طائرة.»

سألته تالي: «هل واجهتك أي مشكلات في تعقبنا؟»

هز ديفيد رأسه بالنفي ثم قال: «لم أبعد عنكم أكثر من خمسين كيلومترًا، وكانت الخطة ستنجح تمامًا إذا لم تقرروا أن تقفزوا.» ثم نظر إلى فريز.

قال هيرو وهو يأكل المكرونة محدثًا صوتًا مزعجًا: «لا بأس، لقد شرحت لهم قضية الصدق المطلق بالفعل.»

تمتم ديفيد متذمرًا: «ما سر هوسكم بالعمليات الجراحية يا أبناء المدينة؟»

سألت آيا: «لكن كيف عثرتم بعضكم على بعض؟ خلت أنه لا يمكننا استخدام الرسائل.»

أطلق ديفيد ضحكة وهو ينظر عبر الجدار المنهار إلى الشرارات المضيئة المتساقطة بمحاذاته، ثم قال: «عندما وصلت إلى البلدة، بدت هذه الأطلال كما لو أن في قمتها شعلات محترقة، لقد اعتقدت أنكم تبعثون بإشارة لي!»

عقبت شاي موضحة: «هكذا كنا نتواصل مع ديفيد في الماضي.»

قال ديفيد: «وبعد أن أدركت ماهية تلك الشرارات انتظرت هنا، فربما قررتم أن تأتوا إلى المكان المعتاد.»

قالت تالي وعلى وجهها ابتسامة رقيقة: «أنت تعرف دومًا كيف تجدني.»

قطبت آيا جبينها وقالت: «ثمة شيء واحد لا أفهمه يا ديفيد، وهو لماذا ترتدي قناعًا تنكريًّا؟»

– «أستميحك عذرًا!»

بدأت آيا سؤالها قائلة: «لماذا ما زلت ترتدي ...؟» ثم استأنفته: «يا إلهي! أليس هذا من مادة البلاستيك الذكي؟ هل أنت قبيح في الواقع؟»

نظر ديفيد إليها مستنكرًا، وقالت شاي بصوت خافت: «لم يجر ديفيد أي عملية جراحية على الإطلاق، ولكنني لو كنت مكانك ما كنت لأنطق بكلمة قبيح، فقد تلتهمك تالي.»

بدأت آيا قولها: «لقد خمنت فحسب أنه من الجارحين، لكنه يرتدي ...» إلا أنها صمتت تحت تأثير نظرة تالي المحدقة المريعة.

عادت آيا مرة أخرى إلى التهام وجبتها من الأرز التايلاندي بصوت مزعج، وتمنت لو كانت قد انتبهت أكثر إلى مادة تاريخ ثورة العقول.

أشار ديفيد إلى طبق قمر صناعي لامع موضوع على الأرض، ثم قال: «نحن مهيأون لطلب المساعدة إذا أردت يا تالي، فهذا الهوائي موجه نحو قمر صناعي للاتصالات، ويرسل الاتصالات مباشرة كالليزر، لن يسمع أي شخص آخر شيئًا.»

نظر الجميع إلى تالي التي توقفت عن تناول الطعام وأعواد تناول الطعام في منتصف فمها.

قالت تالي: «لا أحتاج إلى أي مساعدة بعد، ما زلنا لا نعرف ما تنوي تلك المخلوقات الغريبة فعله، وقد بدأت أظن أن قصة آيا-لا عن الأسلحة الفتاكة بالمدن قد تكون إنذارًا كاذبًا.»

تحولت نظراتهم المحدقة إلى آيا التي كانت تمضغ ملء فمها من المكرونة، فابتلعتها ببطء وتمنت أن تستمر تالي في حديثها؛ إذ بدا الأمر مخجلًا ملايين المرات أن تشرح الخطأ بنفسها.

وأخيرًا قالت آيا: «أجل، قد لا تكون تلك النواقل الدفعية للكتل المعدنية أسلحة.»

سأل هيرو: «وماذا قد تكون غير ذلك؟»

قالت تالي: «طريقة لإبطاء توسعات المدن، من خلال تجريد العالم من المعادن وإرسالها إلى هنا، ومن ثم لن يكون هناك معادن رخيصة، ومن ثم لن يكون هناك مزيد من التوسعات.»

صاحت شاي: «لا بد أنك تمزحين! أتقصدين أن غرباء الأطوار هؤلاء في صفنا ويؤيدوننا؟»

قال فاوستو: «إن الأمر منطقي، فبإمكانهم حتى أن يتخلصوا من المعادن إلى الأبد، بمجرد إطلاقها في المدار، فما من ضرورة لأن تعود تلك الأسطوانات إلى الأرض ثانية.»

تنهد هيرو باستياء ثم قال: «أتقصدين أنك أسأت فهم هذه القصة يا آيا؟»

صاحت آيا: «أنا من أسأت فهم القصة؟ إنه أنت ورين من فكرا في نظرية الأسلحة الفتاكة بالمدن.»

قال هيرو: «لكنها كانت قصتك يا آيا، لم نقدم لك سوى فكرة!»

– «لكن قبل أن تشرعا في الحديث عن سرعات عودة القذائف إلى الغلاف الجوي للأرض ومادة التي إن تي، كل ما أردته هو أن أنشر قصة عن ركوب الفتيات الماكرات فوق سطح القطارات المغناطيسية المعلقة!»

قطب فريز جبينه ثم قال: «خلت أنك قلت إنك لن تنشري تلك القصة!»

قالت تالي بصوت غلبته الغلظة والحدة على نحو مفاجئ: «هل يمكنكم أن تهدءوا أيها الفطريون؟ هل تريدون أن تسمعنا المخلوقات الغريبة بالأعلى؟»

صمتت آيا وأخذت تحدق في هيرو، فقيام كل مدونة في المدينة بإلقاء اللوم عليها لقصتها الزائفة كان أمرًا سيئًا بما يكفي، وهي ليست في حاجة إلى أن يعمل شقيقها على زيادة الأمر سوءًا. ورمقت آيا فريز بنظرة وتمنت أن يكون قد فهم ما كانت تقصده.

قالت تالي: «لا تنسوا أننا لسنا واثقين من أي شيء بعد، فهم ربما يقومون هنا ببناء مئات من النواقل الدفعية ويتأهبون لنسف مدن العالم جميعًا، وقد نضطر إلى نسف شيء ما في النهاية.»

قال فاوستو: «نحن عند خط الاستواء تقريبًا.»

هزت تالي رأسها وقالت: «خط الاستواء؟ وما علاقة هذا بالأمر؟»

– «كلما اقتربت من خط الاستواء زادت سرعة دوران الأرض، فتزيد قوة الطرد المركزي.»

دار فاوستو في الهواء رأسًا على عقب ثم قال: «كالمقلاع الذي كان مستخدمًا قبل العصر القديم، كلما كان أطول زادت القوة الدافعة للحجارة. هنا أفضل مكان لإطلاق شيء نحو المدار.»

قالت آيا: «لذا قد يكون هنا نواقل دفعية للكتل المعدنية!» لعل قصتها لم تكن زائفة تمامًا ...

وقف رين وسار نحو أكبر فتحة في الجدار ثم قال: «لا تتحمسي أكثر من اللازم يا آيا-تشان! فأنا لم أر أي جبال في هذه الجزيرة.»

قال ديفيد: «إن أقرب جبال رأيتها كانت تبعد عن هنا بمسافة تزيد عن مائة كيلومتر جهة الشمال.»

قال رين: «إذا حُفر ممر مجوف للناقل الدفعي على مستوى سطح البحر، فستنطلق القذيفة بارتفاع منخفض للغاية، وكذلك ستكون الفيضانات أحد دواعي القلق في جزيرة استوائية، وهذا قد يفسد الأمر برمته.»

تنهدت آيا؛ فلم تكن هذه الجزيرة أفضل مكان يتم منه تدمير العالم وكان الإحساس بالذنب يتملكها من جراء تلك الحقيقة التي غمرتها بالحزن. يا ليت تلك المخلوقات غير الآدمية تعتزم شيئًا ما مهددًا للعالم هنا ...

قال فريز: «لماذا إذن هم يستولون على المعادن من تلك الأطلال؟» ثم صمت واستمع لحظة لصرير المناشير الذي يدوي صداه بين الأطلال وأردف: «ولماذا يتبعون جدولًا زمنيًّا محددًا؟ ففي السيارة الطائرة أخبرنا أودزير أنه سيطلق سراحنا قريبًا.»

سألت تالي: «متى قال ذلك؟»

قال فريز: «هذا صحيح، أعتقد أنه قال ذلك عندما كنا نتحدث باليابانية.»

هزت تالي رأسها وقالت: «شكرًا لك لإخباري بذلك! لقد قضيت اليوم بأكمله أعتني بكما وفي تلك الأثناء كانت تلك المخلوقات الغريبة تتأهب لـ ... فعل ما تعتزمه!»

انتصبت تالي واقفة واستدعت لوحها الطائر بطقطقة أصابعها، وهب الجارحون الآخرون وديفيد على أقدامهم.

قالت شاي: «رائع، لقد سئمت من الجلوس هنا.»

وقفت آيا وقالت: «أجل، لنذهب ونبحث عن بعض الأجوبة.»

استدارت تالي إليها وقالت: «إلى أين تظنين أنك ذاهبة؟»

– «معك!»

– «مستحيل! ستبقون أنتم الأربعة هنا.»

صاحت آيا: «هنا؟» فلديها قصة ستعيد نشرها! وأردفت: «لكن ماذا لو لم تعودوا؟ أو عثرت علينا المخلوقات الغريبة؟»

قال ديفيد: «لن يروكم وأنتم ترتدون بذلات التخفي هذه.» ثم أشار إلى طبق القمر الصناعي وأردف: «وإذا لم نأت حتى غروب شمس الغد، اطلبوا المساعدة.»

وقفت تالي فوق لوحها الطائر، ولمع سطحه لحظة ثم تلاشى في الخلفية، ووضع الأربعة أغطية رءوسهم، وسرعان ما تضاءل أثرهم ليزيد قليلًا عن مجرد تموجات في الهواء.

جاء صوت شاي من مكان غير محدد: «أراكم لاحقًا أيها الفطريون!»

ارتفعت ظلالهم الأربعة في الهواء وانطلقوا بخفة من بين الفجوات الموجودة في الجدار المهشم دون أن ينطقوا بأي كلمة أخرى.

صاحت آيا: «انتظري يا تالي-وا ...» ثم خبا صوت آيا.

قال فريز وهو يضع يده فوق كتفها: «لقد ذهبوا بالفعل.»

ابتعدت آيا عنه وذهبت نحو جدار ناطحة السحاب المنهار، ودارت بعينيها في جميع أنحاء الغابة، كانت الشمس قد توارت خلف الأفق فوق الأشجار، ومن مسافة بعيدة كان ميناء السيارات الطائرة مضيئًا، ولمعت هياكل المخازن والمصانع وسط ظلمة الغابة.

ها هي ذي كل أجوبة تساؤلاتها تمثل أمامها مباشرة، وكل ما عليها فعله هو الذهاب والحصول عليها.

نظرت آيا إلى يدها التي كانت مختفية تمامًا في قفاز بذلة التخفي ...

سأل هيرو: «هل تفكرين في ارتكاب حماقة ما يا آيا-تشان؟»

قالت آيا وعلى وجهها نظرة إصرار: «كلا، أنا أفكر في أنني لا أبالي بما تقوله تالي يانج بلود، فهذه القصة لا تزال قصتي.»

فرصة أخرى

قال هيرو: «هل فقدت صوابك؟»

قالت آيا: «انظر هناك، إن قاعدة المخلوقات الغريبة لا تبعد كثيرًا، علاوة على أننا نرتدي بذلات تخف!»

قال رين: «لكن الجارحين أخذوا كل الألواح الطائرة، هل من المفترض أن نذهب إلى هناك سيرًا على الأقدام؟»

قالت آيا: «حسنًا ...» ثم قطبت جبينها ونظرت إلى الأرض وقالت: «لدينا أجزاء من عدة الكرة الطائرة تكفينا نحن الثلاثة، يمكننا بها التحرك بسرعة كبيرة.»

قال فريز: «أتريدين أن نسير هائمين في الغابة ليلًا؟ لقد كان الأمر صعبًا للغاية في وضح النهار!»

أومأ رين برأسه بالموافقة وقال: «هناك حيوانات برية وثعابين وعناكب سامة بالغابة يا آيا-تشان.»

تأوهت آيا وهي تفكر لماذا وهنت عزيمتهم جميعًا فجأة؟

قال هيرو: «كل ما في الأمر هو أنك تشعرين بالخزي من نفسك لأنك أسأت فهم القصة.»

قالت آيا: «هذا ليس سبب ...» ثم رمقت فريز بنظرة وأردفت: «حسنًا، الأمر مخز تمامًا، لكن لا تزال هنا قصة، وما زلنا مدوني أخبار، أليس كذلك؟»

تمتم فريز: «في الواقع أنا مهتم أكثر بتأسيس الجماعات.»

قال رين: «لا يهم مدى أهمية هذه القصة، فنحن لا نملك حتى ...» ثم صمت لحظة وحدق فيها وبعدها سأل: «إممم، أين موجل؟»

صاحت آيا: «لقد توصلت إلى فكرة! تستطيع موجل سحبي بعدة الكرة الطائرة، وربما قد تسحب اثنين منا، ومن ثم نستطيع الطيران فوق الغابة، فوق النباتات المعترشة والكائنات السامة!»

قال فريز: «لكنها لا تزال قابعة هناك عند تلك الأطلال.»

صاح هيرو: «هل أضعت موجل! مجددًا؟»

هزت آيا رأسها وقالت: «إن موجل ليست ضائعة، اتفقنا؟ إنها منتظرة فحسب عند تلك الأطلال التي وجدناها، سنضطر إلى بعث رسالة إليها.»

قال هيرو: «أنت حمقاء لسببين، الأول هو أنه إذا أرسلنا رسالة، فستنقض علينا المخلوقات الغريبة وتأسرنا. والثاني هو أنه لا يمكن للرسالة أن تجتاز مسافة أبعد من كيلومتر هنا، فلا توجد شبكة اتصال تتيح تكرارها، فهذه ليست مدينة، وإنما هي غابة.»

قال رين وهو يبسط يديه: «إنه محق يا آيا، فنحن لا يمكننا فعل أي شيء سوى انتظار تالي.»

تنهدت آيا وجلست على أرضية الطابق.

فإذا لم تتمكن من إعادة نشر القصة بطريقة أو بأخرى، فسيتذكرها الجميع إلى الأبد بالقبيحة التي أفسدت أهم قصة منذ حدوث ثورة العقول، وبمدونة الأخبار عديمة الجدوى التي احتاجت لتالي يانج بلود للبحث عن الحقائق.

سيرتبط اسم آيا فيوز بتزييف الحقائق إلى الأبد.

نظرت آيا إلى أعلى، ولسبب ما كان فريز يزمجر بصوت خفيض من بين أسنانه.

سألته آيا: «هل أنت بخير؟»

فزع فريز ثم قال: «لا شيء ... أقصد أنه لا شيء في الواقع.»

تعرفت آيا على التعبير المتألم الذي يعلو وجهه فابتسمت وقالت: «لديك فكرة، أليس كذلك؟»

هز فريز رأسه وعض على شفته وقال: «إنها خطيرة للغاية!»

استجدته آيا قائلةً: «بربك يا فريز، أخبرني بها!»

قال فريز فجأة وهو يشير إلى طبق القمر الصناعي الذي تركه ديفيد: «الإرسال الخطي.» ثم دعك صدغيه وقال: «علينا فقط توجيهه نحو الاتجاه الصحيح.»

أومأ رين برأسه ببطء وقال: «مثلما قال ديفيد، لن تسمع المخلوقات الغريبة أي شيء على الإطلاق.»

كانت الشمس قد غربت وتجسدت كشافات العمل وشرارات قطع المعادن كنقاط صغيرة في الأفق. وهب أول نسيم بارد في هذا اليوم من جهة البحر محملًا برائحة ومذاق الملح ومياه البحر المالحة.

قال فريز وهو يشير إلى الظلام: «يبدو أن هذا هو المكان المناسب: برجان في منطقة منزوعة الأشجار، أحدهما نصف طول الآخر.»

شاهدت آيا الشرارات المتساقطة من البرج الأكثر طولًا وقالت: «لكن المخلوقات الغريبة هناك مرة أخرى، ألن تسمعنا؟»

نظر رين إلى طبق القمر الصناعي وقال: «سيمر الإرسال بمنطقة صغيرة، وهؤلاء العمال لديهم مهام تفكيك يهتمون بها، فلماذا سينصتون إلى تشويش موجة إرسال عشوائية؟»

قالت آيا: «أظن ذلك.» وحركت أصابعها بتوتر وهي تعبث بأجهزة ضبط بذلة التخفي، وكانت القشور الملحقة بالبذلة تتغير، وبرز نسيج يشبه لحاء الأشجار فوق جسدها، وصارت عدة الكرة الطائرة مختفية تمامًا تحت البذلة.

قال رين: «أترين تلك الرافعة الثقيلة؟» وأشار إلى ماكينة تغادر مكان الأطلال ثم قال: «إذا تبعت موجل خط هذه الأسلاك، ثم استدارت من هناك؛ فستصل إلى هنا في غضون عشرين دقيقة.»

هزت آيا رأسها وهي تتذكر كل مسارات الدوران والانعطاف العشوائية التي مرت بها تالي في طريقها إلى هنا، ففي الغابة وعند قمم الأشجار كانت شبكة الأسلاك غير مرئية، لكن من هذا الارتفاع كانت آلات الرفع والسيارات الطائرة التي تتحرك جيئة وذهابًا تكشف عن شكلها، كما لو كانت خريطة متحركة وامضة تمتد في الظلام.

قال رين: «سأبقى هنا لتوجيه موجل في الوقت الذي تنتظران فيه بالأسفل.» وأشار رين إلى ركام من المعادن العتيقة يتساقط في الغابة ثم أردف: «ضعا أغطية رأسيكما وسأخبر موجل بأن تبحث عن رأسين يتوهجان تحت الأشعة تحت الحمراء.»

قال هيرو: «لكننا سنكون ثلاثة.»

استدارت آيا إليه وقالت: «أنا آسفة يا هيرو، لا تستطيع موجل سحب ثلاثة أشخاص.»

– «أنسيت أنني أجيد الطيران بعدة الكرة الطائرة بالفعل، ولست بحاجة إلى أن أُسحب؟!»

تحرك هيرو في الهواء ودار حول محوره مرة ليبرهن على ما قاله، ثم قال: «ولن أسمح بأن تخطف أختي الأضواء مني مرتين في أسبوع واحد.»

ابتسمت آيا وقالت: «أنا سعيدة لأنك برفقتي يا هيرو.»

حمل رين طبق القمر الصناعي نحو الجدار الخارجي، وجثا على ركبتيه ثم ثبته فوق كومة من الأنقاض ووجه القطع المكافئ المعدني بعناية نحو الأطلال البعيدة.

ظهر وميض عبر أزرار تحكم الطبق، لكن رين كان يحدق بثبات في الأفق، وعدل من وضع الطبق بدرجات طفيفة تدريجيًّا متفحصًا الظلام بالشعاع الخفي للطبق.

مرت دقائق طويلة على هذا النحو وأصابع رين تحرك الطبق ببطء كعقرب الدقائق. وساد الصمت الغرفة فيما عدا صوت المناشير فوقهم.

تمتم هيرو قائلًا: «ما زلت لا أصدق أننا أسأنا فهم القصة.»

ابتسمت آيا وقالت: «شكرًا لاستخدامك صيغة الجمع يا هيرو، لكنك كنت محقًّا، أنا الملومة.»

قال هيرو بصوت أجش: «أنت محظوظة لأنك حصلت على فرصة أخرى.»

– «ربما ...»

قال رين وهو يحدق في أزرار التحكم الوامضة لطبق القمر الصناعي: «لا بالطبع، لقد جاءني رد أخيرًا!»

سألت آيا: «هل موجل بخير؟»

– «تبدو بخير من هنا، حتى إن البطاريات أعيد شحنها، لا بد أنها وجدت مكانًا مشمسًا!»

شعرت آيا بابتسامة تعتلي وجهها؛ فقد أصبح لديها كاميرا طائرة مرة أخرى.

قال هيرو: «لنتحرك الآن.» وانزلق نحو فجوة في الأرضية ونزل من خلالها وتوارى بخفة عن الأنظار، ثم تبعه فريز مستخدمًا يديه ليدفع نفسه إلى الأسفل.

وقبل أن تنزل آيا استدارت إلى رين وقالت: «هل ستكون بخير وأنت بمفردك؟»

– «بالتأكيد، لكن لا تتركونني هنا طويلًا.» وربت فوق طبق القمر الصناعي وأردف: «إذا لم يعد أحد إلى هنا في غضون أربع وعشرين ساعة، فسأنشر القصة في العالم كله.»

مكتبة
t.me/t_pdf

رحلة ليلية

نزل الثلاثة عبر الهيكل الحديدي للبرج ومروا هائمين بالطوابق المتهدمة في الظلام، وكأنهم غواصون يستكشفون حطام سفينة غارقة عتيقة. وتلاشت أصوات النصول القاطعة من أعلاهم وازداد الظلام حول آيا.

الآن وقد صارت موجل في طريقها إليها، ستتمكن آيا أخيرًا من تعويض ساعات أمضتها في اجتياز الغابة بلا كاميرا تسجل لقطاتها، وهذا لا يعني أن صور الطبيعة تصنع شهرة المرء، بل على العكس تمامًا. فحسبما قالت ميكي، إن المغزى من الشهرة هو الوضوح والظهور، في حين أن قدرًا كبيرًا من الغابة مستتر.

ولكن آيا كانت تريد أن تتذكر تلك الروعة الصامتة للغابة.

سأل هيرو عندما هبطت آيا إلى الطابق الأرضي: «هل سنسير من ذلك الطريق؟» وكان يشير إلى كومة من الفولاذ والأنقاض.

قالت آيا: «أجل، ولكن انتظر لحظة، فثمة آلة رفع تهبط تجاهنا.»

وقفوا في الظلال في ترقب حتى أنزلت آلة رفع الأنقاض حمولتها من المعادن العتيقة، ومع سقوط الحمولة الجديدة واستقرارها فوق الكومة دوى الضجيج والتوت المعادن وانسحقت البقايا الأسمنتية لتتحول إلى تراب.

قال فريز: «حسنًا، لنسرع قبل أن تأتي واحدة أخرى.»

كان هيرو قد انطلق بالفعل متسللًا بين المتاهة المتشابكة للأنقاض المعدنية دون أن ينظر إلى الوراء. وعاهدت آيا نفسها بأن تتعلم كيفية استخدام عدة الكرة الطائرة كما ينبغي في يوم من الأيام؛ فمن الأسرع أن يهيم المرء في الهواء في وضع انعدام الجاذبية عن أن يعتمد على الزحف، لكنه بطيء للغاية في وجود أكوام الفولاذ المتساقطة من الهواء والتي قد تسحق عظام المرء.

بدا لها وكأنها ستظل تشق طريقها بين الأنقاض إلى الأبد، وبينما كانت جدران الأبراج تتساقط من خلفهم، ظلت الأسلاك المتناثرة الملتصقة بعوارضها المعدنية تنبثق من الظلام وتتشابك مع بذلة التخفي التي ترتديها آيا، ولم تجد آيا أي حماية إلا في الدرع الواقي ببذلة التخفي الذي حماها من خدوش لا تحصى قد تصيبها بمرض الكزاز. لم تستطع آيا التوقف عن تخيل آلة رفع أخرى تأتي فوقها جالبة كتلة هائلة من الأنقاض المعدنية لتسحقهم جميعًا.

وفي النهاية اقتربت الغابة منهم، إذ زحفت النباتات المعترشة إلى المعادن المتشابكة من حول آيا، وطمس صوت طنين الحشرات الصوت البعيد للمناشير القاطعة للمعادن. وتمكنت آيا بصعوبة من رؤية ما حولها، لكن صياح الطيور الحاد أرشدها إلى حافة الركام.

– «رباه!» جاء صوت فريز من الظلام الدامس: «إن الوضع مختلف تمامًا في الليل.»

كان ذلك صحيحًا، لقد تحولت الغابة، فتبددت الحرارة الشديدة، وامتلأ الظلام بدوي مئات الأصوات غير المعروفة، وتعبق الهواء بالرائحة الذكية للنباتات المزهرة ليلًا، وكذلك تحركت ظلال وامضة على نحو سريع وخاطف أمام النجوم.

قال هيرو: «اخلعا غطاء رأسيكما، فموجل تنتظر أن ترى رءوس ثلاثة أشخاص بالأشعة تحت الحمراء.»

نزعت آيا غطاء رأسها، فتجمع على الفور سرب من الحشرات الطنانة حولها، وكان متلاحمًا بأعداد كبيرة حتى إنه عندما تنفست آيا بدهشة دخلت بعض الحشرات فمها، فبصقتها على الفور، ثم قالت: «هذا البعوض يثير جنوني!»

وجاء صوت صفعة من الاتجاه الذي وقف عنده فريز، ثم قال: «سيكون علينا أن نتناول أدوية الملاريا عندما نعود إلى الوطن.»

سألت آيا: «ما الملاريا؟»

– «مرض ينقله قرص البعوض.»

– «رباه! ألا يوجد شيء في الغابة لا ينقل الأمراض؟»

نادى صوت هيرو من الظلام صائحًا: «لكن كيف تعرف كل هذه الأمور يا فريز؟»

– «عندما كنت أدرس جراحة المخ حضرت بضعة دروس في الطب، ربما أصير طبيبًا عندما يصبح الصدق المطلق عتيق الطراز.»

قال هيرو: «إنه عتيق الطراز بالفعل.»

قالت آيا: «طبيب؟» صفعت آيا وجهها إثر طنين بالقرب من أذنها ثم أردفت: «لم أعرف ذلك.»

ضحك فريز ضحكة خافتة وقال: «على الرغم من أنني من جماعة الصدق المطلق، فهناك الكثير من الأشياء التي لا تعرفينها عني.»

همس هيرو بغضب: «اصمتا! هل تسمعان ذلك؟»

عم الصمت بينهم وجاء صوت عبر الغابة المليئة بالحشرات الطنانة، كان ثمة شيء يسعى كالحية بحذر وتحفظ بين النباتات المعترشة، فبعث بصوت صرير بين الأغصان فوقهم.

كان يقترب منهم ببطء.

قالت آيا بصوت خافت: «إمم ... مرحبا.»

تلألأ ضوء النجوم المنعكس عبر النباتات المعترشة المتشابكة، فتعرفت آيا على الشكل المألوف للعدسات وهو يقفز بسرور في الهواء.

قالت آيا: «مرحبًا، لأول مرة لم تصيبيني بالعمى!» وشعرت بابتسامة تملأ وجهها.

أخيرًا أصبح بحوزة آيا كاميرا طائرة مجددًا.

حلقوا بأجهزتهم الطائرة بسرعة كبيرة، حتى إن البعوض لم يستطع اللحاق بهم.

كانت آيا تلف إحدى ذراعيها حول موجل والأخرى حول فريز، وقد التحم جسداهما معًا بشدة، وسحبتهما الكاميرا الطائرة بمحاذاة قمم الأشجار متتبعة شبكة الأسلاك في طريقها نحو قاعدة تمركز المخلوقات الغريبة. وحلق هيرو بمحاذاتهما، ولم يكن مرئيًّا لهما إلا في اللحظات السريعة عندما حجبت بذلته نجومًا في السماء.

وأثناء انزواء آيا فوق البقعة المظلمة للغابة، تدفقت الرياح العاتية عبر جسدها، وكانت الرحلة تشبه إلى حد بعيد الركوب فوق القطار المغناطيسي المعلق، لكن كان هذا أفضل من أي قطار، فقد كانت التيارات المغناطيسية غير مرئية ولا تصدر أي صوت، فتسنى لآيا أن تسمع صياح الطيور والخفافيش، وكذلك أصوات مخلوقات مجهولة مرت على كلا جانبيها سريعًا.

وتساءلت أين الفتيات الماكرات الآن، على الأرجح هن ما زلن مختبئات في انتظار تلاشي شهرتهن غير المرغوب فيها، وشعرت آيا بافتقادها لهن، وعلى نحو غريب كانت تالي تذكرها بالفتاة الماكرة لاي، أو أيًّا كان اسمها الآن. فمثلما كانت لاي في حالة حرب مع رتب الشهرة ونقاط الاستحقاق، صارعت تالي قيود البرمجة الخاصة بأفراد السلطات الخاصة التي تكبل عقلها، وكلتاهما أرادتا الاختفاء، ومع ذلك استمرت كلتاهما في فعل الأمور التي تحقق لهما شهرة واسعة.

وكذلك كانت كلتاهما على حافة الجنون، وتذكرت آيا النظرة المحدقة المريعة التي وجهتها إليها تالي لأنها نعتت ديفيد بالقبيح. وكيف يفترض أن تصفه بخلاف ذلك؟ بالجميل؟

هل كانت تالي معجبة به؟ لكنها قالت إنها لم تقبل أي شخص منذ ...

جاء صوت هيرو من جانبها: «آيا»، وأردف يقول: «نحن نقترب.»

تفحصت آيا الأفق المظلم، ورأت سيارات طائرة وآلات رفع ثقيلة في جميع الاتجاهات وأضواؤها تأتي من كل حدب وصوب، لتلتقي عند قاعدة تمركز المخلوقات الغريبة.

ومض جسد هيرو أمامهما لحظة وكانت يده المصطبغة بلون السماء المظلمة تلوح لهما لينخفضا إلى الجزء العلوي من الغابة.

انخفضوا جميعًا وأبطأت موجل من سيرها، والتف ظلام الغابة حولهم. ثبتت آيا غطاء رأسها بإحكام حتى لا تتسلل أي حشرة بداخله وأخذوا ينزلقون إلى أن توقفوا.

قال هيرو: «أترين آلة الرفع تلك؟»

كانت آلة رفع ثقيلة تقترب من خلفهم مطبقة بفكيها على حمولة من الأنقاض، ودوت أصوات الصرير والعويل في الغابة التي كانت متذمرة من ضغط أطنان المعادن فوق الأسلاك المتناثرة عبر الجزء العلوي من أشجارها. وأثارت الصيحات المضطربة للطيور وأجنحتها المرفرفة الهواء الرطب ذا الرائحة النفاذة من حولهم.

قالت آيا: «من الصعب للغاية تجنبها.» وكانت أسراب كبيرة من الحشرات تتحرك في نطاق أضواء الكشافات المصاحبة لحمولة الأنقاض، وتساءلت آيا هل الطلاء التمويهي لموجل يجعلها خفية مثلما تفعل بذلات التخفي. قالت آيا: «ربما ينبغي لنا الهبوط أكثر.»

قال هيرو: «لا، ينبغي لنا تعقبها.»

– «تعقبها؟»

– «أيًّا كان ما ينوون فعله، فهو يتعلق كلية بالمعادن، أليس كذلك؟ لنرَ إلى أين يأخذون هذه الأنقاض.»

شاهدت آيا الخطى الثابتة التي كانت تقترب بها الآلة نحوهم؛ إذ تدلت عوارض معدنية ضخمة من بين فكيها، بالإضافة إلى ما حوته من أسلاك وأنابيب، أي كل الأجزاء الداخلية لمباني العصر القديم، وبدا المشهد وكأن ثمة وحشًا ضخمًا يلتهم وجبة غير مرتبة من النفايات.

قال فريز: «حسنًا، علينا توخي الحذر حتى ونحن نرتدي بذلات التخفي.»

قال هيرو: «لا بأس، أتريان أضواء الكشافات الممتدة حول حافة القاعدة من كل مكان، تلك المندفعة إلى الخارج؟ إذا همنا في الهواء أسفلها، فسنكون في منتصفها تمامًا.»

أومأت آيا برأسها وقالت: «وهذه الأضواء ستحجب رؤية أي شخص ينظر إليها.»

وبينما كانت الغابة تمتلئ تدريجيًّا بالظلال المنحرفة للأنقاض، جذبت آيا نفسها لتقترب أكثر من أقرب جذع شجرة، وشعرت بأن بذلة تخفيها تحاكي اللحاء الخشن، وكانت الأسلاك قد تدلت من حولها، في حين انحنت الأغصان مطلقة صوت صرير شديدًا، فاهتزت عدة الكرة الطائرة الخاصة بآيا وسط التيارات المغناطيسية.

شعرت آيا بضيق حلقها أثناء مرور فكي آلة الرفع من فوقهم، وسقط التراب الأسمنتي فوقهم متناثرًا من آلة الرفع، وأخذت آيا تبث الطمأنينة داخلها بتذكير نفسها بأن المخلوقات الغريبة لن تُسقط الأنقاض المعدنية عشوائيًّا في الغابة.

أو على الأقل تمنت ألا تفعل ذلك.

وأخيرًا أصبح حد أضواء الكشافات فوقهم مباشرة.

قال هيرو وهو ينطلق إلى أعلى: «الآن!»

أمسكت آيا بموجل وقالت: «هيا بنا يا فريز!»

جذبتهما الكاميرا الطائرة إلى أعلى في خط عمودي، ومرت لحظة عجزت فيها آيا عن رؤية ما حولها، ولكن بعد مرور ثوان معدودة وصلت هي وفريز إلى الظلام في الجانب المختفي وراء آلة الرفع. كانت أضواء الكشافات موجهة إلى الخارج في كل الاتجاهات، تنشر طنينًا قويًّا وتبعث بحرارة يموج بها هواء الليل البارد.

قال هيرو: «مشهد رائع، أليس كذلك؟»

نظرت آيا إلى الغابة المتوهجة أسفلهم.

كان اقتراب آلة الرفع يفرق أسراب الطيور، وكذلك تكدست مجموعات كبيرة من الحشرات في مسارها، وبرقت أجنحتها باللونين الأزرق والبرتقالي المضيئين، في حين حدقت العيون الوامضة للحيوانات الليلية التي كان يملؤها الرعب إلى أعلى في الآلة الغريبة التي تحلق فوقها.

قالت آيا هامسة: «أرجو أن تصوري ذلك يا موجل.»

قال فريز: «ها هي ذي!»

ظهر أمامهم خط ساطع في الأفق؛ إذ كانت قاعدة المخلوقات الغريبة تبعد عنهم بضعة كيلومترات.

الإنتاج الكمي

توارت الغابة خلفهم تدريجيًّا لتنتهي بخط حدودي لمنطقة منزوعة الأشجار، وكذلك وصلت الشبكة المغناطيسية إلى نهاية مفاجئة لها.

لم يعد هناك حاجة إلى الأسلاك، حيث كان الوحل الصلب والمتماسك متوجًا بقطع ضخمة من الفولاذ. وكل بضعة أمتار كانت تبرز من الأرض عوارض معدنية وكأنها شموع منحنية في كعكة عيد ميلاد لا نهاية لها.

قال فريز: «انظرا إلى الشبكة المعدنية الطائرة، يا له من تبديد للمعادن!»

قال هيرو: «إنها بدائية للغاية، فهذه العوارض ما زالت صدئة، وكأنهم اقتلعوها مباشرة من الأطلال.»

قطبت آيا جبينها، فحتى الآن لم يروا أي ممرات أو مجازات طائرة، لا يوجد سوى قنوات تصريف ممتلئة جزئيًّا بمياه الأمطار التي جلبتها العاصفة التي هبت ذلك الصباح، فقالت آيا: «يبدو وكأنهم جاءوا إلى المكان منذ بضعة أيام وحسب.»

قال هيرو: «أو كأنهم على وشك مغادرته.»

قال فريز: «صمتًا.» ثم أشار إلى أسفل.

تحركت أسفلهم مخلوقة غريبة، كانت تدفع نفسها من عارضة لأخرى، وكأنها طائر ينسل من غصن لآخر.

قال هيرو هامسًا: «لا بد أنها حديثة العهد بذلك الأمر، أتريان كيف تدفع نفسها؟ هذا ليس أسلوبًا بارعًا للتحليق بعدة الكرة الطائرة، فهي في وضع انعدام الجاذبية مثلكما.»

قالت آيا: «لا أدري.» كانت آيا ترى أن المرأة تطير برشاقة، وكأنها حركة رقص تدربت عليها طويلًا، ثم أردفت: «لقد رأيت مجموعة من المخلوقات الغريبة من أعلى وأنا في السيارة الطائرة، وكانوا جميعًا يتحركون بهذه الطريقة.»

قال هيرو بازدراء: «لماذا يرتدون أجهزة كرة طائرة إذا كانوا لن يستخدموها كما ينبغي؟»

قال فريز بصوت خافت: «سؤال وجيه.»

حينئذ استدارت آلة الرفع الثقيلة وسارت بمحاذاة صف من المباني منخفضة الارتفاع، كانت جميعها متماثلة فيما عدا الرسومات التمويهية التي تزركش أسطحها.

شعرت آيا بدفء ينبعث من تلك المباني، وأدركت أن قممها تتموج وتتلاطم كالأشرعة.

همس فريز: «ليست سوى خيم ضخمة.»

قال هيرو: «إذن هذا المكان مؤقت بالفعل، إنه ليس بمدينة على الإطلاق.»

انزلقت آلة الرفع الثقيلة حتى توقفت، وفكاها يستقران مباشرة فوق كومة من الأنقاض، كانت طائرات رفع أصغر حجمًا تتحرك سريعًا إلى الداخل والخارج تنقل بعيدًا عوارض فردية وكتلًا متشابكة من الأسلاك.

وبإشارة ما غير مسموعة تفرقت طائرات الرفع على الفور.

قال فريز: «احترسا لما أسفلكما.»

انفتح فكا آلة الرفع، وسقطت كتلة من الأنقاض فوق كومة المعادن، وارتطم المعدن بعضه ببعض بصوت غاضب، وتلألأ في ضوء الكشافات وهو ينثني ويستقر فوق الكومة. بدأت آلة الرفع تدور فوق رءوسهم، متجهة نحو الغابة مرة أخرى.

قالت آيا: «سننطلق من هنا، هل تريان أي شخص من حولكما؟»

قال هيرو: «أي شيء بهذه الخطورة يعمل آليًّا على الأرجح، علاوة على أننا نرتدي بذلات تخف، اضبطي فقط عدة الكرة الطائرة على وزن أكبر من الصفر، ومن ثم ستبقين على مقربة من الأرض.»

انخفض هيرو وكان ظله واضحًا في ضوء الكشافات.

همس فريز بغضب: «كن حذرًا يا هيرو!»

ضبطت آيا جهازها: «هيا بنا يا موجل!»

انطلقت آيا من الجانب المختفي وراء آلة الرفع وانخفضت نحو الأرض بهدوء بجانب كومة المعادن، وجثم الثلاثة جميعهم بالأسفل، وامتزجت ألوان بذلات تخفيهم بألوان الأنقاض المتشابكة أثناء رجوع آلة الرفع الثقيلة إلى الغابة مرة أخرى، وابتعدت حافة أضواء كشافاتها، وحل الظلام من حولهم.

قال هيرو: «ألم أخبركما؟ لا توجد أضواء كشافات هنا، كل شيء آلي.»

بدأ هيرو يتحرك في اتجاه مباني المصانع.

صاحت آيا: «إن طائرات الرفع الصغيرة تعود يا هيرو!»

كانت طائرات الرفع الصغيرة التي رأوها أسفلهم تقترب من كل حدب وصوب، واتجهت نحو كومة الأنقاض، كانت تشبه أيادي عملاقة هائمة، وكل إصبع حديدي لها يماثل في طوله طول آيا.

اتجهت إحدى الطائرات نحو هيرو مباشرة وأجزاؤها الناتئة تنبسط ...

اندفع هيرو إلى أعلى ومرت الطائرة أسفله مباشرة وهي لا تزال متوجهة إلى كومة المعادن.

قال هيرو: «أرأيتما؟ إنها لا تراني!»

قفز هيرو في الهواء عدة مرات كالبهلوان وتحركت بذلة تخفيه كأنها ريح دوامية عندما مرت طائرة رفع أخرى أسفله.

ضحك فريز وقال: «لا بد أنها لا ترى إلا بالأشعة تحت الحمراء، نحن غير مرئيين تمامًا!»

قطبت آيا جبينها، فسواء أكانوا غير مرئيين أم لا، كان هيرو يبالغ في الاستمتاع ببذلة تخفيه. لم تكن الخيم الضخمة بعيدة عنهم، وكذلك كانوا قد رأوا بالفعل مخلوقًا غريبًا في الظلام حيث كانوا.

انزلقت إحدى طائرات الرفع وصارت بجوار آيا، لكنها تجاهلتها واتجهت نحو كومة الأنقاض، وفرت موجل من حيز قبضة الطائرة الرافعة، ولكن الطائرة الرافعة كانت منهمكة للغاية في عملها حتى إنها لم تلحظ موجل، فقد كانت تفرز المعادن المتشابكة بعناية، حتى عثرت أصابعها الضخمة على إحدى العوارض المعدنية، فانقضت عليها وجذبتها، وسحبت معها كتلة متشابكة من الأسلاك كادت قدما آيا تتعثران بسببها.

قالت آيا: «انتبهي!» لكن طائرة الرفع لم تعرها انتباهًا وسحبت العارضة المعدنية نحو الخيم منخفضة الارتفاع.

قال فريز وهو يجذبها بعيدًا بخطوة واثبة في وضع انعدام الجاذبية تقريبًا: «هيا بنا، قد ترتطم بك هذه الأشياء حتى دون أن تدرك ذلك.»

أومأت آيا برأسها مؤيدة ما قاله، ثم قالت: «أعتقد أن التخفي أمر محفوف ببعض المخاطر.»

وبوثبة طويلة أخرى قاما بها صارا عند حافة أقرب خيمة، حيث كان هيرو وموجل ينتظرانهما، وهما ينعمان النظر من الفجوة الواقعة بين الخيمة والأرض.

كانت الخيمة تغطي حفرة يبلغ عمقها عشرة أمتار تقريبًا، وكانت مضاءة جيدًا. وفي كل مكان كانت العوارض الصدئة متناثرة ومتلألئة تحت ضوء كشافات العمل، وكان مخلوق غريب يرتدي قناع تنفس يهيم في الهواء أعلاهم منهمكًا في نثر مادة لزجة من نوع ما فوق كومة من الأنقاض المعدنية، وكانت تلك المادة تشبه الرغوة التي تنشرها مطفأة الحريق، لكنها كانت فضية اللون وفوارة.

بدأت المادة اللزجة في الفوران، فأخذ المعدن يتمعج ويلتوي وزال عنه الصدأ والكتل الأسمنتية، وارتفعت سحب ترابية في الهواء ملأته بصوت حفيف.

همس هيرو مخاطبًا آيا: «أتذكرين القصة المضجرة للغاية التي نشرتها عن إعادة التصنيع منذ عام؟»

أجابته آيا: «أجل.» وحينئذ تسللت إلى أنفها رائحة تشبه رائحة مطر وشيك ثم أردفت: «لا بد أن هذه المادة هي جزيئات النانو، إنها مثل المادة الذكية، لكنها ليست في ذكائها. يمكنك تنظيف المعدن العتيق باستخدامها أو مزجها بخليط معدني أقوى.»

قال هيرو: «يمكن لجزيئات النانو أيضًا أن تلتهم مباني كاملة وتدمرها في حالة عدم توخي الحذر، ولهذا السبب هم يعملون في حفرة تحسبًا لخروج الأمر عن السيطرة.»

قالت آيا: «إذن فالمخلوقات الغريبة تستخدم جزيئات النانو كأسلحة أيضًا، أليس كذلك؟»

قال هيرو بازدراء: «أيًّا كان ما يرضي شقيقتي الصغرى.»

تمتمت آيا: «أنا فقط أقول إنهم لا يصنعون السوشي هنا بالأسفل. أرجو أن تلتقطي بعض الصور يا موجل.»

سبح المخلوق الغريب في الهواء تجاه عارضة صدئة كانت إحدى الطائرات الرافعة الصغيرة قد أحضرتها لتوها، ثم نثر فوقها جزيئات النانو الفضية فانبعثت من الخيمة موجة أخرى من الحرارة.

شقت الطائرة طريقها بعيدًا عن كتل المعادن المتمعجة متجهة نحو كومة الأنقاض المعدنية التي عولجت بالفعل، إذ كانت جزيئات النانو الفوارة تهدأ

تدريجيًّا مخلفةً كتلة فولاذية لامعة، فأطبقت الآلة أصابعها الضخمة على الكتلة المعدنية وجذبتها إلى خارج الخيمة.

قال هيرو: «لنرَ ماذا يحدث بعد ذلك.»

كانت حفرة أخرى تقبع أسفل الخيمة التالية. وفي أحد طرفي الخيمة كومة من الكتل الفولاذية المزال عنها الصدأ، وفي طرفها الآخر عشرات الأشكال المتقوسة المصنوعة من خطوط رفيعة ومتقاطعة كهيكل عظمي مصنوع من الأسلاك.

قال هيرو: «إنها إطارات النانو.»

أومأت آيا برأسها وقالت: «لقد ذكرتَها في قصة الكوة الذكية التي نشرتها، أليس كذلك؟»

– «أجل، لكنني نشرت تلك القصة منذ سنوات عديدة.» ثم صمت هيرو لحظة وشاهدوا إحدى الطائرات الرافعة وهي تسحب كتلة معدنية عبر الحفرة. وكان مخلوق غريب آخر يوجه حركتها بإشارات من أصابعه.

قالت آيا وهي تلتفت لتتأكد من أن موجل تلتقط صورًا لما يجري: «هذا ممتع، أتريان كيف تمتثل تلك الطائرة لأي حركة من يديه؟»

كان إطار جزيئات النانو يتوهج الآن متحولًا إلى اللون الأبيض الساطع. وكان طوله خمسة عشر مترًا تقريبًا، وبه منحنيات منتفخة مثل بدن المركب.

شرح هيرو قائلًا: «إطارات النانو هي القوالب الموجودة داخل الكوات الموجودة بالجدران.»

قال فريز: «حقًّا! لطالما أثار هذا الأمر حيرتي.»

بدأت كتلة المعدن الموجودة داخل إطار النانو تتحول إلى اللون الأحمر، وبدأت حوافها تلين مثل مكعب الثلج عندما يذوب، ثم انبعثت موجة حرارية من الخيمة إلى الخارج.

ضيقت آيا عينيها إذ شعرت بألم فيهما. لقد بدا الأمر وكأنها تقف على مقربة شديدة من حريق.

قال فريز: «يا للهول! كيف لم تصل الكوة الذكية لديّ إلى هذه الدرجة من السخونة؟»

قال هيرو: «لأنك لم تصنع أي شيء بهذه الضخامة قط.»

بدأت الكتلة المعدنية تتحرك الآن متدفقة فوق إطار النانو كسائل لزج متخذة الشكل الذي كان عليه، وغطت الفراغات بين الأسلاك، كجلد يكسو هيكلًا عظميًّا. وعندما امتدت فوق الإطار بأكمله، بدأ الفولاذ يبرد ليتحول إلى الصلابة مرة أخرى. وكان المخلوق الغريب حينها يوجه طائرة الرفع لتدفع بكتلة معدنية أخرى داخل إطار النانو التالي.

قال فريز: «السؤال الآن هو ما الذي تُشكله كل تلك الأشكال عندما تُوضع معًا؟»

نظرت آيا إلى ركام الكتل المعدنية، كانت جميعها متقوسة برفق، لكنها لم تستطع أن تتبين كيف تتوافق وتتشكل معًا.

قالت آيا: «إنها تبدو كأبدان السفن.»

قال هيرو بازدراء: «تقصدين القوارب الطويلة الشهيرة المصنوعة من الفولاذ الصلب.»

قالت آيا: «قلت إنها مثل أبدان السفن.»

قال فريز: «لا طائل من التخمين، لنواصل التحرك حتى النهاية.»

كانت الخيمة التالية أكبر حجمًا كثيرًا، إذ كانت في اتساع ملعب كرة قدم.

وبلغ عمق الحفرة التي تغطيها أربعين مترًا على الأقل، وكانت الحفرة ممتلئة بأشكال معدنية مكتملة وكتل متشابكة من الدوائر الكهربية، وكذلك كان هناك عدد من المخلوقات الغريبة التي تهيم في الهواء داخل الخيمة، وكل واحد منها يعمل مع زوج من طائرات الرفع التي اتخذت شكل الأيدي. وامتلأ المكان داخلها بأصوات صليل وحفيف ارتطام المعادن الساخنة وانصهارها.

وعندما زحفت آيا بطول الخيمة لاحظت كيفية سير العمل داخلها، إذ كان كل مخلوق غريب يضيف قطعة جديدة ثم يمررها إلى آخر، ونادرًا ما يتوقف قبل أن ينتقل إلى العمل في أخرى.

قال فريز: «إنه خط تجميع، مثلما يجري العمل في المصانع القديمة التي تعود إلى العصر القديم.»

قال هيرو: «باستثناء أنه أضخم كثيرًا بفضل تلك الطائرات الرافعة.»

أومأت آيا برأسها وهي تتذكر المصطلح الذي كان يطلق على هذا النمط من التجميع، وهو الإنتاج الكمي. فبدلًا من صنع الأشياء فقط عندما يحتاجها الناس،

كما تفعل الكوة الذكية، كانت مصانع العصر القديم تنتج كميات كبيرة من الأشياء، إذ كان العالم بأسره في خضم منافسة كبيرة لاستهلاك الموارد بأسرع ما يمكن.

كانت الأعوام المائة الأولى من الإنتاج الكمي قد أسفرت عن إنتاج آلات ودمى أكثر مما أُنتج على مدار التاريخ بأسره، لكنه أيضًا أغرق كوكب الأرض بالخردة، واستنزف موارده. والأسوأ أن ذلك كان الطريقة الأساسية التي حولت الناس إلى مغمورين ومهمشين، يقضون اليوم بأكمله في عمل الشيء نفسه مرارًا وتكرارًا، وأصبح كل عامل جزءًا صغيرًا من عمل آلة كاملة، فأصبح شخصًا مجهولًا محجوبًا.

وعندما اقتربوا من نهاية الخيمة بدأ شكل القطع المجمعة يتضح تدريجيًّا.

كانت قطعة مكتملة تقف هناك، طولها يماثل عمق الحفرة تقريبًا، ولها جوانب متقوسة منتفخة باعتدال في منتصفها. كانت القطعة مصقولة وذات شكل انسيابي، وتتناقص قمتها تدريجيًّا حتى تصل إلى رأس مستدقة الطرف. وكذلك نتأت من جوانبها أسطح لتوجيه خاصية الطيران مثل زعانف سمك القرش.

تذكرت آيا درس التاريخ ذا الصلة أيضًا، الذي لا يسع أحد نسيانه، وأدركت أن خطط المخلوقات الغريبة لا تتطلب في الواقع نواقل دفعية للكتل المعدنية أو مادة ذكية أو أي شيء آخر أكثر تقدمًا من التكنولوجيا التقليدية للعصر القديم.

كان الشيء المريع الماثل أمامها صاروخًا، وهو من الأسلحة الفتاكة بالمدن عتيقة الطراز، كان صاروخًا في صورته الخالصة.

وكل بضع دقائق كان خط التجميع ينتهي من تجميع صاروخ آخر.

الصواريخ

تمتمت آيا: «لقد كنت محقة بالفعل.»

أومأ هيرو برأسه ببطء ثم قال: «بطريقة أو بأخرى، تمنيت ألا تكوني محقة.»

قال فريز: «لكن هذا مناف للمنطق، لماذا يبنون كل تلك النواقل الدفعية للكتل المعدنية ثم يستخدمون صواريخ عتيقة الطراز؟»

قال هيرو: «قد لا تكون كتل الفولاذ المتساقطة كافية في نظرهم. فكر في كل الأشياء التي حملتها صواريخ العصر القديم، جزيئات النانو والجراثيم البيولوجية وحتى الأسلحة النووية.»

ابتلعت آيا ريقها وقالت: «إذن هذا لا يتعلق باستنفاد كمية المعادن أو حتى بتدمير بضع مدن، فالأمر يتعلق ...»

أكمل هيرو قائلًا: «بقتل الناس جميعًا.»

قال فريز: «إذن هم يجردون الأطلال من المعادن في كل أرجاء العالم، ويطلقون المعادن إلى هنا ثم يطلقونها علينا مجددًا!» وهز فريز رأسه ثم أردف: «أليس ذلك الأمر معقدًا قليلًا؟»

قال هيرو: «لقد سمعتما ما قاله فاوستو، فخط الاستواء هو أيسر مكان لإطلاق الصواريخ.»

أومأت آيا برأسها ويخالجها شعور ارتياح مشوب بشعورها بالذنب؛ إن قصتها حقيقية فيما عدا أنها كانت متفائلة أكثر مما ينبغي، أسلحة نووية وجزيئات نانو وجراثيم، أيًّا كان ما تحمله هذه الصواريخ لا بد أنه أسوأ ملايين المرات من المعدن المتساقط.

قال فريز: «ولكن صاروخًا واحدًا من صواريخ العصر القديم كان كفيلًا بتدمير مدينة كاملة، فلماذا يصنعون الكثير منه؟»

قالت آيا وهي ترتجف: «لقد نجت البشرية من الكارثة البترولية، لعلهم يريدون التأكد من قتل الناس جميعًا هذه المرة.»

قال هيرو: «علينا تحذير تالي.»

سألته آيا: «كيف ذلك؟ إنها تبعد عنا بأكثر من كيلومتر على الأرجح، وستقبض علينا المخلوقات الغريبة إذا حاولنا حتى مراسلتها.»

– «علينا إذن العودة إلى البرج المتهدم، واستخدام جهاز الإرسال لنشر هذه القصة للعالم أجمع.»

– «لكن تالي أمرتنا بأن ننتظر!»

قال هيرو: «كانت تعتقد أن المخلوقات الغريبة في صفها، لكن يبدو أنها ليست في صف أحد.»

هز فريز رأسه وقال: «لكن ماذا لو كنا مخطئين؟ هل تريدين ارتكاب الخطأ نفسه مرتين يا آيا؟»

كان فريز يحدق إليها وكذلك هيرو، كما لو كانت مسئولة عن سلامة العالم بأسره، ولكن القصة لا تزال قصتها وهذا ما افترضته. وسواء أكانوا على صواب أو على خطأ سيذكر التاريخ أن آيا فيوز هي من نشرت هذه القصة.

أطلقت آيا تنهيدة وقالت: «حسنًا، قبل أن نفعل أي شيء، يجب أن نكون متيقنين تمامًا، علينا أن نلقي نظرة عن قرب.»

كان هناك ثلاث طائرات رفع في أسفل الحفرة متجمعة حول الصاروخ الذي جُمِّع حديثًا.

بسطت طائرات الرفع أصابعها المعدنية وأمالت الصاروخ برفق على جانبه ثم حملته خارج المصنع نحو الظلام.

تفحصت آيا الظلام بعينيها لكنها لم تر شيئًا سوى الأشكال المتقوسة للعوارض المعدنية الناتئة من الأرض، ثم قالت: «لا أحد هناك.»

قال هيرو: «لا بد أن هذه الطائرات آلية.» وأشار بإصبعه السوداء بلون الليل ثم قال: «انظرا إلى أين تتجه.»

ظهر مبنى عال على مسافة بعيدة، كان أكثر صلابة من الخيم ويلفه الظلام.

تحرك هيرو إلى الأمام وأمسكت آيا وفريز بموجل، وسحبتهما الكاميرا الطائرة من بين العوارض المعدنية وهي على ارتفاع منخفض من الأرض.

قال فريز: «من الغريب أننا لا نرى إلا عددًا قليلًا منهم.»

قالت آيا: «أعتقد أن البعوض هو السبب في ذلك، فلولا بذلات التخفي التي نرتديها، لكان قد التهمنا الآن.»

– «ربما يكون الأمر كذلك، لكن ألا تعتقدين أن أي شخص يخطط لتدمير العالم بقنابل نووية لن يمانع في استخدام بعض البخاخات لمكافحة البعوض.»

تذكرت آيا ما شاهدته من السيارة الطائرة، حيث كان هناك الكثير من المخلوقات الغريبة التي تواجه الرياح والأمطار وتشق طريقها بين العوارض المعدنية، لكن في هذه الليلة الهادئة لا يوجد أحد بالخارج، هل كان الجميع منشغلًا بصنع الأسلحة؟

وعندما اقتربوا من المبنى المظلم، كانت طائرات الرفع تعيد الصاروخ ببطء إلى الوضع العمودي، وانفتح بابان ضخمان كاشفان عن مساحة شاسعة بداخلهما، ثم تدفقت أضواء كشافات العمل البرتقالية من خلفهما إلى الخارج فوق الأرض الطينية المتماسكة الصلبة.

وحملت طائرات الرفع الصاروخ إلى الداخل.

هام ثلاثتهم في الهواء حتى حافة المدخل الضخم وأنعموا النظر فيما بداخله.

قال هيرو بصوت خافت: «لا يوجد شيء سوى بضع قطع، لا يوجد أشخاص حسبما أرى.»

بدأت مصاريع البابين تتمايل حتى ينغلق البابان.

سأل فريز: «ماذا سنفعل؟»

قالت آيا: «علينا أن نلقي نظرة عن قرب على ذلك الشيء.» وتسللت آيا خلف باب ينغلق ببطء وتبعها فريز وهيرو، ودخلوا قبل أن يلتقي مصراعا الباب معًا، ليدوي بعدها صوت الانغلاق في أرجاء المبنى.

همس فريز: «رائع، لقد أصبحنا محتجزين هنا.»

كان الصاروخ ماثلًا أمامهم ولا تزال طائرات الرفع ملتصقة به.

حلقت في الهواء عشرات من الحوامل الصغيرة في الهواء وكأنها طائرات تقديم الخدمة في الحفلات ولكنها في حالة سكون. كانت تحمل آلات وأدوات وقطع إلكترونية وأشياء أخرى وجدتها آيا غامضة للغاية.

قالت آيا لموجل: «صوري هذه الأشياء يا موجل.»

قال هيرو: «لا بد أن هذه هي المرحلة التالية من خط التجميع، حيث ينجزون كل المهام التفصيلية يدويًّا.»

سأل فريز: «أين هم إذن؟ لم نر أي شخص منذ أن كنا في الخيمة الأخيرة.»

قال هيرو: «أعتقد أن هذا مثير للتوتر قليلًا.»

امتلأت الغرفة بصوت صفير.

أومأ رين برأسه ثم قال: «إنه مثير للتوتر قطعًا.»

نظرت آيا إلى أعلى، كان هناك ندف صغيرة تتساقط من أعلى كالثلوج، ولكنها كانت تتوهج على نحو خافت، إذ كان هناك سرب من طائرات الرفع الصغيرة تقف بالقرب من السقف وتنثر سحبًا بيضاء لامعة. أمسكت آيا بندفة ثلجية وراقبتها وهي تذوب فوق راحتها إلى بقعة بيضاء لامعة على نحو خافت، ولكنها لم تستطع وهي ترتدي قفاز بذلة التخفي أن تعرف هل هي دافئة أم باردة.

قال هيرو: «لعل هذا نوع من رغوة مكافحة الحرائق.»

قطبت آيا جبينها وقالت: «ولكن لا يوجد شيء يحترق.»

تمتم هيرو: «ربما يهتمون بخاصية ضمان السلامة.»

قال فريز: «لا أعتقد أن الأمر يتعلق بالسلامة، انظر إلينا!»

استدارت آيا إلى فريز واتسعت عيناها، فقد ظهرت بقع لامعة فوق كل أجزاء بذلة تخفيه.

شاهدت آيا ندفة أخرى ترتطم بكتفه وتذوب إلى علامة بيضاء خافتة، وامتلأت ذراعاها بنقاط مضيئة.

قال هيرو: «أصبحتما مرئيين تمامًا الآن!» ثم نظر إلى نفسه وقال: «وأنا أيضًا!»

هز فريز رأسه وقال: «كانوا يعلمون أننا نرتدي بذلات تخف.»

قالت آيا: «هذا يعني أنهم يعلمون مكاننا الآن ...» ثم خبا صوتها وهي ترى طائرات الرفع الثلاثة تتحرك بعيدًا عن الصاروخ وتستدير معًا كوحدة واحدة وتتجه في الهواء نحوهم.

كانت أصابعها الضخمة منبسطة ...

المطاردة

صاحت آيا: «موجل، أحتاج إليك!»

كان هيرو يطير بالفعل بسرعة باتجاه السقف، فانحرفت إحدى الطائرات الرافعة في إثره، بينما اتجهت الطائرتان الأخريان مباشرة نحو آيا وفريز.

قال فريز: «اقفزي!» وأمسك بيد آيا واندفع بقوة من فوق الأرض.

انطلقا في الهواء وأخذا يدوران بشدة أحدهما حول الآخر كزوج من عدة الكرة الطائرة مربوط معًا.

ودارت ندف الثلج حولهما كعاصفة ثلجية ثائرة.

صاح فريز: «اتركي يدي ... الآن!»

انزلقت يده من قبضتها وانطلقا في اتجاهين متعاكسين، ومرت طائرتا الرفع من بينهما على بعد سنتيمترات قليلة منهما.

وبينما كانت آيا تتقلب رأسًا على عقب في الهواء رأت سطح جدار شاسع يقترب منها، فأحنت ركبتيها ودفعت بقدميها الجدار بأقصى قوة لها، فأصدر الجدار المعدني طنينًا واهتز من تأثير التصادم وهي ترتد بعيدًا.

صرخت آيا مرة أخرى: «تعالي إلى هنا يا موجل!»

التفت الكاميرا الطائرة في الهواء أسفلها وكان طلاؤها التمويهي ذو اللون الأسود ملطخًا بنقاط بيضاء، وكانت تدور وتنعطف في حيرة، وكأن الندف اللامعة أثرت على رؤيتها.

صاحت آيا: «في هذا الاتجاه! تتبعي صوتي!»

كانت إحدى الطائرات الرافعة تتجه نحوها وأصابعها منبسطة وممتدة إليها ...

انطلقت موجل بسرعة نحو آيا وارتطمت بها كلكمة مسددة إلى البطن، فدفعتها بقوة بعيدًا عن قبضة الطائرة.

انحنت آيا بجسدها بصوت متألم والتف ذراعاها حول الكاميرا، وتدافعت أصابعها لتتشبث بأي شيء بسطحها الأملس، في حين غيرت اليد العملاقة للطائرة اتجاهها كي تتبع آيا، لكن جسم الطائرة كان يدور ببطء إذ كان مصممًا لحمل الأوزان الثقيلة وليس لمطاردة الأشخاص.

صاحت آيا: «اصعدي بسرعة!»

امتثلت الكاميرا الطائرة لأمرها واندفعت إلى أعلى نحو السقف، ولم تجد أصابع الطائرات التي تطارد آيا شيئًا تسحقه سوى الهواء أسفل قدميها المتدليتين.

مر هيرو من جانبها متجهًا إلى أسفل وهو يندفع بيديه ملتصقتين معًا كالغواص، وكانت بذلة تخفيه مكسوة باللون الأبيض، وكأنها كوكبة من النقاط اللامعة أخذت شكل جسده، فتعقبته طائرة أخرى من كثب مخلفة دوامات من الثلج اللامع في إثرها.

صاحت آيا وهي تنظر حولها: «فريز»، فرأته يتقلب في الهواء رأسًا على عقب، ويد عملاقة وراءه بأمتار قليلة.

صاحت آيا: «اسلكي هذا الطريق يا موجل!» ارتجفت الكاميرا الطائرة بين ذراعيها والتفت في اتجاهات عشوائية، وكادت أن تفلت من بين يدي آيا، ثم اتجهت عموديًّا نحو السقف. «لا، ليس إلى أعلى!»

سمعت آيا صوت صراخ فريز أسفلها فنظرت إلى أسفل، لقد ارتد من سطح أحد الجدران فاتجه مباشرة نحو أصابع طائرة الرفع، وأثناء مقاومته التفت يد الطائرة حوله.

صرخت آيا: «هيرو، عليك مساعدة فريز!»

أجابها هيرو وذراعاه وساقاه ترتعش بعنف: «لا أستطيع! ثمة خطب ما في جهازي!»

صرخت آيا بنبرة يعتريها الإحباط: «انزلي إلى أسفل يا موجل! الآن!»

وأخيرًا انصاعت الكاميرا الطائرة لأمرها، وجذبتها إلى أسفل في هبوط مفاجئ. تحركت قدما آيا بعنف من ورائها وارتطم كاحلها براحة اليد المعدنية لطائرة الرفع التي تطاردها محدثة رنينًا، فتناثرت بقع حمراء اللون غشت رؤيتها.

وعندما استطاعت آيا أن تبصر ما حولها مرة أخرى، كانت موجل لا تزال تهبط إلى أسفل متجهة مباشرة نحو الأرض.

– «أبطئي السرعة قليلًا يا موجل!»

بيد أن الكاميرا الطائرة أصبحت فجأة قطعة معدنية هامدة بين يديها، فلقد فقدت السيطرة تمامًا، وجذبت آيا إلى أسفل كمرساة تتجه إلى أرض صلبة.

صاحت آيا: «موجل! استيقظي!»

لم تستجب موجل فتركتها آيا، وحاولت أن تدور من حولها لتستقيم قدماها أسفل موجل وتستعد لكي تثب مرة أخرى في الهواء، ولكن بطريقة أو بأخرى لم تعد آيا منعدمة الوزن، فقد أصبحت وسادات عدة الكرة الطائرة هامدة تمامًا مثل موجل.

حملتها القوة الدافعة إلى الأسفل بسرعة متزايدة، واقتربت الأرض منها كقبضة قوية، وارتطم جسدها بالأرض محدثًا دويًّا مكتومًا.

ولبرهة طويلة رأت آيا الظلام يحيط بها من كل جانب ...

صديق قديم

كان ثمة شيء صلب وضخم يضغط على جسدها بقوة ويسحق رئتيها، أدركت أنه الأرض. كانت ترقد فوق أرض صلبة، ولم تعد بلا وزن وكل نفس تأخذه يؤلمها كالسكين بين ضلوعها.

– «آيا؟»

فتحت آيا عينيها وانقلبت على ظهرها والألم يعتصرها، رأت وجهًا بلا ملامح ينظر إليها، وجهًا ذا خطوط رمادية في المواضع التي يفترض أن يوجد بها الفم أو الأعين، كان الوجه ملطخًا بنقاط بيضاء ... لقد علا الوجه قناع بذلة تخف.

قالت آيا: «فريز؟» ثم لهثت، فقد اتضح لها أن محاولتها التحدث مؤلمة أيضًا.

أردفت: «ماذا حدث؟»

– «يبدو أنهم أوقعوا بنا.»

– «صحيح.» وتذكرت آيا الدقائق القليلة الأخيرة وهي تلتقط أنفاسها مذعورة، فعاد في ذهنها تصور لكل مواضع الألم في جسدها: ضلوعها وكتفيها وكاحلها الأيسر. وشعرت بأن بذلة تخفيها تومض بأنسجة عشوائية تعرضت للتلف إثر السقوط، ولكن درعها الواقي على الأرجح قد أنقذها من جروح أسوأ كثيرًا: «هل أنتما بخير؟»

قال هيرو: «نحن بخير، ولكنك سقطت سقوطًا عنيفًا إلى حد بعيد.»

قالت آيا: «حقًّا!» ثم تأوهت بألم وأردفت: «أعتقد أن عطلًا ما ألم بموجل.»

أومأ فريز برأسه وقال: «لقد توقفت بذلة هيرو عن العمل أيضًا.»

جاء صوت غريب يتحدث بالإنجليزية: «إن كاميرتك الطائرة سليمة.»

ساعدت آيا نفسها على النهوض ونظرت حولها بحثًا عن مصدر الصوت، لكنها لم تر أي شخص سوى فريز وهيرو.

ومن موقعها على أرضية المبنى المضاء بأضواء برتقالية اللون، رأت آيا الصاروخ غير المكتمل ممتدًّا فوقها كناطحة سحاب. وكانت طائرات الرفع الثلاث ملقاة على الأرض الصلبة من حولهم، وأصابعها العملاقة تتدلى في الهواء وكأنها أرجل لعناكب ميتة.

وعلى الرغم من أن الثلج اللامع قد توقف عن التساقط كانت الأرض تتلألأ على نحو واهن، مثل ذراعيها ويديها وكذلك بذلتي تخفي فريز وهيرو. فقد أضحوا لامعين كالخنافس المضيئة بعد أن كانوا غير مرئيين.

همس هيرو قائلًا: «لقد عطلت المخلوقات الغريبة نظام الرفع المغناطيسي بالمكان، لم نعد منعدمي الوزن.»

قالت آيا: «هذا ما لاحظته.» وشعرت آيا بأن وزنها أضحى آلاف الكيلوجرامات بعد أن أمضت يومًا كاملًا تهيم في الهواء بعدة الكرة الطائرة.

جاء الصوت الغريب مجددًا: «نعتذر إذا كان هناك أي إصابات، لكننا نعلم مدى الخطورة التي قد تشكلونها.»

طرفت آيا بعينيها فاكتشفت في النهاية مصدر الصوت، كان ملقى على الأرض ويبعد عنها بأقل من متر.

قالت آيا بصوت خافت: «موجل؟»

قالت موجل بصوتها الجديد الغريب وغير المتوقع: «معذرة لإدخالنا بعض التعديلات على كاميرتك الطائرة، لقد وجدناها تالفة في الغابة، وأثناء إصلاحها ثبتنا شريحة الصوت هذه.»

تأوهت آيا وهي تتذكر اللقاء الذي لم شملها بموجل مرة أخرى بالقرب من الأطلال، فتلك كانت المرة الأولى التي لم تومض الكاميرا الطائرة في عينيها بأنوارها الليلية التي كانت تحجب رؤية آيا، وهذه ليست طبيعتها على الإطلاق.

أردف الصوت: «رجونا أن تجتمعي ثانية بكاميرتك الطائرة ويتسنى لنا فرصة التحدث معك مباشرة.»

صاحت آيا: «أكنتم تراقبوننا طيلة الوقت؟!»

– «نعتذر عن خداعكم، وعن إصاباتكم، فقد كان من الضروري إيقاف نشاطكم مؤقتًا وإحضاركم إلى مكان تحت السيطرة.»

قالت آيا بسخط: «مكان تحت السيطرة؟ أتقصد سجنًا؟»

قالت موجل بصوتها الجديد: «لا بالطبع! إنه لأمر يشرفنا أن نستضيفكم هنا، وبالمناسبة، تعبر زميلتنا في العمل عن عميق شكرها لكم؛ فلقد أنقذت كاميرتك الطائرة حياتها عندما سقطت من فوق الأطلال.»

قالت آيا: «أهكذا تعربون عن شكركم؟!» واستقامت في جلستها أكثر وشعرت بآلام حادة تنتشر في جسدها.

– «إذا سمحت لنا بتفسير الأمر، نظن أنك ستكتشفين أن أهدافنا وأهدافك يكمل بعضها بعضًا.»

أطلقت آيا ضحكة ثم قالت: «معذرة، لكن ليس من بين أهدافنا تدمير العالم!»

صمت الصوت لحظة ثم أجاب: «إنه لأمر مؤسف، لكن أطفالًا حمقى ضللوك، ربما ستصغين إلى صديق قديم.»

قطبت آيا جبينها. صديق قديم؟ ما الفكرة التي يحملونها عنها؟ ولماذا يتحدثون إليها بالإنجليزية؟

سرى صوت هدير في المبنى وانشق بابه الضخم، ورأت آيا عبر الفتحة التي كشفت عن الباب عدة مخلوقات غريبة تحلق في الهواء بتوتر، وأصابعها الإبرية تستعد للانقضاض في أي وقت.

وقف أمامها رجل غريب الشكل شعره أشعث ويرتدي ملابس رثة غريبة، وانسل الرجل بخفة من بين شقي الباب الذي انغلق وراءه بسرعة.

طرفت آيا بعينيها، فهي لم تر أحدًا قط بهذه الدرجة من القبح. فقد أحرقت الشمس بشرته وكانت ملامحه مجعدة، وحينما ابتسم في وجهها ابتسامة مبتهجة ظهرت أسنانه من خلفها معقوفة وغير سوية.

أطلق الرجل ضحكة وقال بالإنجليزية: «عرفت أنك ستأتين من أجلي يا يانج بلود!»

قالت آيا: «إمم ... لا أعتقد أننا تقابلنا من قبل، وبماذا دعوتني لتوك؟»

أجابها: «إن صوتك ...» ثم اقترب منها أكثر ودار بعينيه في وجوه ثلاثتهم بنظرات حادة وقال: «هل من الممكن أن تكشفي عن وجهك يا يانج بلود؟»

من غير قصد خرجت من بين شفتيها ضحكة قصيرة أيقظت أوجاعها. قالت: «أتعتقد أنني ...؟»

قال فريز بقوة: «إنها ليست تالي يانج بلود!» ثم استدار إلى آيا وقال: «إن المخلوقات الغريبة تعتقد أننا جماعة الجارحين.»

بسط فريز ذراعه لكي ينزع غطاء رأسه، وحذت آيا حذوه، وبعد أن تردد هيرو لحظة، أطلق تنهيدة ثم حذا حذوهما.

حدق الرجل في ثلاثتهم وهو في حالة من الذهول.

قالت آيا: «هل تأكدت؟ لا أعتقد حقًّا أننا تقابلنا من قبل.» وانحنت بقدر ما مكنتها ضلوعها المتألمة من ذلك ثم قالت: «اسمي آيا فيوز.»

تلعثم الرجل قائلًا: «لكنكم ...» وأخذ يلمس ملابسه الرثة المتسخة بأصابعه ثم قال: «ترتدون ملابس سايشال وكذلك قال الأشخاص الهائمون إنكم جئتم لإنقاذي، لكن وجوهكم ليست مثل سايشال!»

جاء صوت موجل الجديد بالموافقة: «حقًّا، يبدو أننا ارتكبنا خطأ.»

أومأت آيا برأسها ببطء ثم قالت: «لسنا من جماعة الجارحين، لكننا أصدقاء تالي.»

ابتسم الرجل غريب المنظر قائلًا: «إن تالي صديقة قديمة لي أنا أيضًا!» ثم ربت على كتفها وقال: «اسمي أندرو سيمبسون سميث.»

ضرب عصفورين بحجر واحد

بدأت الأمور تتضح قليلًا.

بعد أن وصلت السيارة الطائرة ببطء إلى مقرها بقيادة جهاز الطيران الآلي، لا بد أن المخلوقات الغريبة أدركت أن تالي يانج بلود قد وصلت. فمن غير أفراد السلطات الخاصة سيقطع المسافات عبر الغابة على هذا النحو؟ بالإضافة إلى ذلك كان فريز قد أعلن عن اسم تالي أمام أودزير، وهذا يفسر لماذا سمحت المخلوقات الغريبة لآيا وفريز وهيرو بأن يجوبوا معسكرهم، فكانوا يخشون مواجهتهم، وانتظروا حتى وقعوا في الشرك قبل أن يهاجموهم، فقد بدوا في بذلات التخفي كالجارحين تمامًا.

لكن كان هناك أمر واحد لم تستطع آيا فهمه ...

– «كيف عرفت تالي؟ وماذا تفعل هنا؟»

ابتسم أندرو سيمبسون سميث بفخر ثم قال: «سقطت تالي من السماء بالقرب من قريتي، منذ ثلاث سنوات ونصف.»

كررت آيا ما قاله: «سقطت من السماء، بالقرب من قريتك؟»

أومأ أندرو برأسه ثم قال: «إنها بعيدة للغاية عن هنا، فهي تقع بين الأقزام.»

سألته آيا: «الأقزام؟» ونظرت آيا إليه من كثب. هل أجرى عملية جراحية لأسنانه كي تبدو معقوفة ومنحنية بتلك الطريقة؟ كذلك كان هناك قطع فراء مهلهلة عالقة بملابسه، كما لو كانت مصنوعة من حيوانات ميتة. وأردفت: «هل أنت عضو في جماعة ما تعيد إحياء سلوكيات ما قبل العصر القديم؟»

ظهر الارتباك على وجه أندرو ثم قال: «لست أفهم ما تقولينه، ربما أنت لا تتحدثين بلغة الآلهة مثلي؟» ثم مال أكثر ناحيتها وقال: «كثير من الهائمين لا يجيدون التحدث بها أيضًا.»

أطلقت آيا تنهيدة وقررت أن تلتزم بالتحدث بالمفردات الإنجليزية المبسطة: «هل أنت من مدينة تالي؟»

قال أندرو بحزم: «إن جماعتي تعيش في البرية، لكننا نعلم الآن نظم الرفع المغناطيسي وغير ذلك من الأشياء السحرية، نحن نساعد تالي يانج بلود في مراقبة المدن لكي نضمن أنها لا تضر بكوكب الأرض، وهكذا قابلت الهائمين.»

أومأت آيا برأسها ببطء ثم قالت: «لقد ذكرت تالي أن لديها صديقًا تعرض للاختطاف من قبل المخلوقات الغريبة، هو أنت، أليس كذلك؟»

أجابها قائلًا: «أجل.» وأردف بهدوء: «لا يحب الهائمون أن يتجسس أحد عليهم.»

رفعت موجل صوتها مجددًا: «ربما بإمكانك يا أندرو أن تشرح لهم ما عرفته عنا.»

نظرت آيا في دهشة إلى الكاميرا الطائرة، أتعتقد المخلوقات الغريبة أن ذلك الشخص غريب الأطوار الذي يشبه إنسان ما قبل العصر القديم يمكنه أن يقنعها بأي شيء؟

ولكن كان الرجل يومئ برأسه بتعقل وحكمة: «هل تعرفين شكل الأرض يا آيا؟»

– «أستميحك عذرًا.»

– «إنها ليست مسطحة كما تبدو، إنها مستديرة كالكرة.»

أطلق هيرو ضحكة باندهاش، أما فريز فقد انحنى وقال: «أجل، لقد سمعنا بهذا الأمر من قبل.»

– «أنتم من الحكماء إذن.» ثم جلس أندرو القرفصاء فوق الأرض بالقرب من موجل، ووضع أحد أصابعه المتسخة فوق سطحها المتقوس المطلي باللون الأسود التمويهي، ثم أردف: «جميعنا نعيش فوق سطح هذه الكرة، في ازدياد مستمر طوال الوقت، وكلما زادت أعداد الناس والمدن تناقصت البرية.»

جلس فريز القرفصاء بالقرب منه ثم قال: «نحن نعلم هذا، ونطلق على ذلك التوسع.»

أومأ أندرو برأسه قائلًا: «التوسع.» وأردف: «هذه هي الكلمة التي يطلقها الآلهة على مفهوم الازدياد، ولكن الكرة الأرضية لا تزيد في حجمها.»

قال فريز: «أجل، أعتقد أنه لا حيلة لنا في هذا الأمر.»

ابتسم أندرو وقال: «وهنا أبرز الأشخاص الهائمون ذكاءهم وبراعتهم. ماذا لو بنينا مدينة جديدة ... هنا.»

رفع أندرو إصبعه من فوق موجل وحركه في الهواء على بعد بضعة سنتيمترات من الكاميرا.

صمت فريز بضع لحظات ثم قال: «في الفضاء؟»

أومأ أندرو برأسه ببطء، وبسط يديه كما لو كان يدفئهما فوق سطح موجل، ثم قال: «هناك مكان ثابت فوقنا يسمى المدار، وهو حلقة تطوق العالم.»

قال هيرو بصوت خافت: «لا أصدق هذا.»

قهقه أندرو ثم قال: «أعرف أن الأمر صعب تفهمه في البداية، لكنني تعلمت من تالي يانج بلود أن العالم ليس له حافة أو نهاية، يجب عليك أن تتعلم كيف تتجاوز نظرتك ما هو أبعد من الأقزام.»

سأل هيرو: «الأقزام؟»

نظر فريز أعلاه ناحية الشكل المعدني شاهق الارتفاع الذي علا رءوسهم ثم قال: «اتضح أنك كنت على حق يا آيا، عندما رأيناهم وهم يصنعونه، قلت إنه يشبه السفينة!»

نظرت آيا إلى الصاروخ، أو السفينة، أو أيًّا ما كان، وهزت رأسها ثم قالت: «لكنه يشبه تمامًا أحد الأسلحة التي استخدمها سكان العصر القديم.»

جاء صوت المخلوق الغريب قائلًا: «لقد راود سكان العصر القديم أكثر من حلم واحد.»

أدركت آيا أن الصوت لم يصدر من موجل فالتفتت حولها ورأت أودزير وبرفقته مخلوقان غريبان يهيمون فوقها في الهواء.

أردف أودزير: «بعد أن تم ابتكار أول أسلحة بدائية فتاكة بالمدن، أُعيد تصميمها كي ترسل الناس إلى الفضاء، وهو ما يجمع بين الموت والأمل في آلة واحدة.»

سألت آيا بصوت خافت: «هل هذا كل ما في الأمر؟ الفضاء؟»

صاح هيرو: «لهذا السبب أنتم جميعًا عاجزون عن استخدام عدة الكرة الطائرة ببراعة! أنتم لا تستخدمونها للتنقل بسرعة بل للتدرب على الحركة في وضع انعدام الجاذبية!»

قال أندرو بسعادة: «أنت تؤمن إذن بوجود المدار! إنه مكان سيهيم فيه الناس جميعًا.»

أغمضت آيا عينيها وهي تتذكر رحلتها عبر الغابة، ثم قالت: «ولهذا السبب أجريتم جميعًا عمليات جراحية لتبدوا كمخلوقات غريبة، فلا فائدة من وجود أقدام في حالة السير في وضع انعدام الجاذبية، لديكم جميعًا أيادٍ إضافية.»

قطّب أودزير جبينه وهو يسبح في الفضاء ثم قال: «لسنا مخلوقات غريبة يا آيا فيوز، إن كل تعديل أجريناه يهيئنا بصورة أفضل للتكيف مع وطننا المستقبلي، إننا أول سكان للفضاء الخارجي.» ثم انحنى وقال: «نحن نطلق على أنفسنا مغموري الفضاء الخارجي.»

تمكنت آيا بصعوبة من كبت ضحكتها داخلها.

قال أودزير بحزم: «أؤكد لك أننا جادون للغاية بشأن وطننا الجديد.»

– «أنا آسفة، كل ما في الأمر هو أن كلمة «مغمور» لها دلالات أخرى في مدينتي ... حسنًا، لا عليك.»

قال فريز: «إذن أنتم تقفون في صف القضية نفسها التي تناصرها تالي، وستغادر كل هذه المعادن الأرض إلى الأبد.»

أومأ أودزير برأسه وقال: «نحن نضرب عصفورين بحجر واحد، فيمكننا إبطاء حركة التوسع فوق الأرض، وكذلك نعيد توجيهها إلى الفضاء، فلقد حان الوقت للبشرية لأن تترك كوكب الأرض قبل أن ندمره.»

سأل فريز: «وهل ستمكثون في المدار؟ ألن تذهبوا إلى كوكب آخر؟»

قال أودزير: «سنكون سكانًا دائمين للمدار، وسنكون على مقربة كافية من الأرض كي ننقل المزيد من المؤن بواسطة النواقل الدفعية للكتل المعدنية، وسنكون على مقربة كافية من الشمس كي نحصل على طاقة شمسية وفيرة، وكذلك سيكون لدينا نظم بيولوجية صغيرة لإعادة تدوير المياه والأكسجين.»

قال شخص آخر من سكان الفضاء الخارجي: «لم يتمكن سكان العصر القديم قط من إنقاذ أنفسهم بمثل هذه الطريقة، فقد قهرتهم أعدادهم الضخمة وحروبهم، أما الآن فقد أصبحت البشرية أصغر عددًا وأكثر اتحادًا، وقد حظينا بفرصة أخرى.»

أضاف أودزير وهو يستدير ناحية آيا: «إلا إذا أوقفتنا تالي يانج بلود وجماعة الجارحين، وهذا الاحتمال قائم، وأنت من تسببت فيه.»

قالت آيا: «أنا؟ لماذا لم تخبروا الناس جميعًا ببساطة بما تفعلون؟ لو لم تختبئوا هنا وتخطفوا الناس، أؤكد لك أن تالي-وا كانت ستنحاز إلى صفكم قلبًا وقالبًا!»

قال أودزير: «نحن نضمر احترامًا كبيرًا لتالي يانج بلود، لكن لم يكن بوسعنا الإفصاح عن خططنا، هل تظنين أن المدن كانت ستسمح لنا بتجريد الأطلال من المعادن؟ أو بأن نبني أسطولًا من السفن يمكن تحويله بسهولة إلى أسلحة فتاكة بالمدن؟»

قال فريز: «يجدر بك مراسلة تالي الآن وشرح الأمر لها، هي قد تكون على الأرجح هنا بالفعل، وإذا رأت هذه السفن فستفكر مثلنا تمامًا.»

قال أودزير: «هي لم تستمع إلينا حتى الآن، ونتمنى أن تحاولي أنت ذلك يا آيا فيوز.»

أومأت آيا برأسها ببطء، فقد تلاشت شكوكها الأخيرة، لم يكن سكان الفضاء الخارجي يحاولون تدمير العالم، بل كانوا يسعون إلى إنقاذه، وأخيرًا تجمعت خيوط القصة معًا وبدت منطقية، بدءًا من أجهزة التحليق التي في وضع انعدام الجاذبية وأصابع القدم التي تشبه أصابع القردة، حتى السفينة الفضائية التي تعلوها.

إنها أهم قصة منذ ثورة العقول ...

قالت آيا: «سأحاول، ولكن بشرط واحد، أعيدوا إلي كاميرتي الطائرة.»

أطلق أودزير تنهيدة وقال: «كان علي توقع ذلك.»

لوح أودزير بيده ثم شعرت آيا بخفة وزن في أطرافها؛ إذ عادت عدة الكرة الطائرة التي ترتديها إلى العمل مرة أخرى، وهام هيرو في الهواء وكذلك ارتفعت موجل من فوق الأرض بقدر من الحيرة والتردد.

سألتها آيا: «هل هذا أنت حقًّا؟»

أرسلت موجل وميض أنوارها الليلية.

ابتسمت آيا وهي تطرف عينيها حتى تزول آثار الضوء البراق التي شابت رؤيتها وتشغل عدسة عينها ثم قالت: «تالي وا؟ هل أنت في الجوار؟ أحمل إليك بعض الأخبار؟»

لم يكن هناك جواب.

هزت آيا رأسها وقالت: «لا بد أنها تبعد عن هنا بمسافة أبعد من كيلومتر، هل يمكنك تعزيز إشارتي؟»

قال أودزير: «يمكننا المحاولة، لكن إذا خرجت رسالتك عبر شبكتنا، فقد لا تصدق تالي أنه أنت في الواقع من ...» ثم خبا صوته. إذ سرى بالخارج صوت هدير

منخفض يتدفق في سماء الليل كالرعد البعيد، وشعرت آيا به عند أخمص قدميها، وكذلك كانت جدران المبنى تهتز من حولهم، وسمعت آيا صراخ إنذار بعيد.

قال أندرو بصوت خافت: «يبدو أن تالي قد وصلت.» وأومأت آيا برأسها بالموافقة.

كانت تالي تفجر شيئًا ما في الخارج.

مكتبة
t.me/t_pdf

قال هيرو وهو يبسط ذراعه لآيا: «هيا بنا يا آيا، أنا أسرع شخص هنا.»

أومأت آيا برأسها وهي تمسك بيده المغطاة بالقفاز وتصيح: «موجل، أحضري فريز!»

كانت الأبواب الضخمة تنفتح بالفعل، وجذب هيرو آيا إلى أعلى من قدميها وانطلق نحو فتحة الباب، فاعتصرت الآلام ضلوعها المجروحة، بينما تأرجحت قدماها من ورائها.

قالت آيا لاهثة: «أبطئ السرعة!»

قال هيرو: «آسف يا شقيقتي الصغيرة، ليس أمامنا متسع من الوقت.»

انطلق هيرو نحو الظلام، ومر بمنعطف حاد تاركًا آيا تلهث إثر شعورها بأن ضلوعها تتهشم داخلها.

قالت آيا بصوت خشن: «ربما ينبغي لك مواصلة الانطلاق؛ فستصل إلى هناك بسرعة أكثر من دوني.»

– «أنت تتحدثين الإنجليزية أفضل مني، وستصغي تالي إليك!»

– «لكنها تبغضني! أو تعتقد أنني حمقاء على أي حال.»

ضحك هيرو وقال: «أشك في ذلك يا آيا، وكذلك عليها أن تصدقك في هذا الصدد، فأنت لن تغيري رأيك بشأن المخلوقات الغريبة ما لم تكوني متأكدة قطعًا من ذلك الأمر.»

صاحت آيا: «لأن هذا يعني أن قصتي زائفة تمامًا؟»

قال هيرو: «بالضبط.» ثم أشار بيده الأخرى غير المنشغلة بحمل آيا وأردف: «يا إلهي!»

كان الأفق يتلألأ أمامهما بسلسلة متتابعة من الأضواء الوامضة، وتأخر دوي هدير التفجيرات المصاحب لها عن ملاحقتها ثوانٍ معدودة، وارتفعت في الهواء سحب بعيدة من الدخان تومض باللون الأحمر جراء الحرائق المنتشرة على الأرض أسفلها. وكاد المشهد يبدو تمامًا كقصر مخصص لإقامة الاحتفالات، ولكن صوت الهدير المدوي كان أقوى من صوت فرقعة الألعاب النارية الآمنة.

قال هيرو: «أعتقد أن ذلك هو مكان السفن التابعة لسكان الفضاء الخارجي.»

لم تتمكن آيا إلا من التأوه بصوت خشن، بينما هيرو يشق طريقه متمايلًا بين الأشكال الهائمة لسكان الفضاء الخارجي الذين اندفعوا إلى الخارج المظلم، وهو يجذبها في اتجاه ثم في الاتجاه الآخر، والتوى رسغها في يده، وضلوعها تصرخ مع كل انعطاف يقوم به.

ارتفعت السيارات الطائرة في الهواء من حولهما، ومر عدد قليل منها فوقهما، فحركت مراوحها الرافعة الهواء بعنف، وأطلقت صراخها وهي تتجه مباشرة نحو الأضواء الوامضة في الأفق.

قال هيرو: «قد يسوء الوضع وتعم الفوضى وتتحول إلى معركة إذا لم نستطع إيقافها سريعًا.»

أومأت آيا برأسها وهي تثني بنصرها: «تالي-وا! أنا آيا!»

صاح هيرو وهو يهبط بالقرب من العوارض المعدنية المنبثقة من الأرض: «ما زلنا بعيدين عنها كثيرًا.» شعرت آيا بمرورها بجوار تلك العوارض، حيث كانت القوى المغناطيسية بعدة الكرة الطائرة التي يرتديها هيرو تدفع انجذابها نحو المعدن الموجود بالعوارض، ومع كل دفعة مسرعة مفاجئة كاد كتف آيا ينخلع من محجره.

تجاوزت آيا وهيرو المباني وخيم المصانع، حيث كان هيرو يجذبها عبر منطقة واسعة منبسطة منزوعة الأشجار، كانت خالية تمامًا من أي شيء فيما خلا العوارض المعدنية.

قال هيرو: «انظري!» وأشار بيده الأخرى الطليقة إلى أسفل، حيث آثار احتراق هائلة تُعتم الأرض وتسللت إلى أنف آيا رائحة تفحم.

صاحت آيا: «لا بد أنهم اختبروا الصواريخ هنا.»

- «أتمنى أن يكون ذلك إشارة على أننا نقترب منهم!»

اهتز الهواء نفسه من حولهما في تلك اللحظة، وشعرت آيا بهدير الانفجارات يسري في جسدها. وألقت الأضواء الوامضة بظلال طويلة امتدت من العوارض المعدنية وغشى الدخان نصف سماء الليل المظلمة.

حينئذ تردد صوت فريز في أذن آيا قائلًا: «آيا؟ أنا وموجل خلفك تمامًا.» ثم صمت لحظة وأردف: «ربما لسنا وراءك تمامًا، فهيرو ينطلق بسرعة جنونية، لكننا سنلحق بك بأقصى سرعة ممكنة لنا.»

– «حسنًا يا فريز، احرص فقط على أن تلتقط موجل بعض الـ ... سحقًا!»

كان هيرو يجذبها نحو صعود مفاجئ مزق ضلوعها المتألمة إربًا، وامتد أمامهما جدار أسود شاسع يصل في عرضه إلى ما استطاعت آيا أن تحصره بعينيها، فمرا بخفة فوق قمته ثم أصبحا فجأة يحلقان فوق ما بدا أنه رقعة فسيحة تحترق من الجزء العلوي لأشجار الغابة، وكانت قمم الأشجار تتموج بعنف وسط ألسنة اللهب الآخذة في الانتشار ...

أدركت آيا أن هذه ليست بغابة على الإطلاق، إذ امتدت شبكة تمويهية أسفلهما بلا نهاية، وكان نسيجها من النباتات المعترشة والسرخس المزهر وكأنها بذلة تخف ضخمة. ومع ذلك كانت ألسنة اللهب حقيقية، إذ كانت صفائح النار ترسل زئيرها في أرجاء المنطقة المظلمة، واندفعت في الهواء عاصفة حرارية ودخانية مسيلة للدموع.

وفي المكان الذي دمره الحريق من شبكة التخفي بالفعل، رأت آيا رءوس سفن سكان الفضاء الخارجي تبرز منها، سوداء كالرماد، وقد انصهر جزؤها الأمامي مخروطي الشكل المدبب.

ارتفعت هي وهيرو في الهواء إلى أعلى فوق أقرب ألسنة لهب منهما، ولثوان طويلة حملتهما القوة الدافعة لصعودهما، ولكن سرعان ما شرعا في الهبوط.

صاحت آيا: «بذلة التخفي!» وتدافعت يدها الحرة لكي ترتدي غطاء رأسها، ورأت هيرو يمد ذراعه ليفعل مثلها.

انخفضت آيا وهيرو تجاه الحريق، وأخذا يتحركان بخفة بين السفن المعدنية بوثبات منخفضة بينما السحب الدخانية تدور في أعقابهما. أحرق الهواء القائظ رئتي آيا، واشتمت رائحة احتراق خصلات شعرها الأشعث الخارج عن غطاء رأس بذلة التخفي. وعلى الرغم من وجود الدرع الواقي لبذلة التخفي الذي كسا جلدها، فقد تبثر جلدها من شدة الحرارة.

بيد أن هيرو كان يجذبها بالفعل بعيدًا عن النيران ثانية، وهو يثب في وضع الطيران بعيدًا عن الفولاذ واللهب. نظرت آيا حولها، كان هناك المئات من السفن، حيث كان أسطول كبير منها يمتد في جميع الاتجاهات.

حلقت عشرات من سيارات سكان الفضاء الخارجي فوق الحريق الهائل وهي ترش رغوة مكافحة الحرائق في كل الاتجاهات، لكن كانت الحرائق الجديدة تنشب أسرع كثيرًا مما يمكنها إخماده.

ودوى صوت انفجار عبر حقل العمل اهتز معه جسد آيا، ورأت آيا الموجة التصادمية وهي تأخذ في الانتشار، إذ كانت هناك دائرة تتسع من الدخان وألسنة اللهب المهتاج، وفي منتصفها ظهر حطام إحدى السفن، وقد تمزق والتوى برج من الفولاذ من داخله وأخذ يسقط ببطء ...

انهار الحطام على الأرض فدوى في الهواء صوت ارتطام المعدن وانبثقت صفائح جديدة من ألسنة اللهب في أرجاء الأرض، ثم أحاط وقود الصاروخ المحترق بقاعدة السفينة التالية، وتسلق جانبها كفتيل متحرك مشتعل.

أشاحت آيا بوجهها بعيدًا وطوت إصبعها وهي تصرخ: «تالي!»

خرج الاسم بنبرة صوت أجش من بين رئتي آيا الممتلئتين بالدخان، وكان مسموعًا بالكاد، غير أنه بعد مرور لحظة قصيرة جاءتها إجابة وسط أصوات الهدير والزئير ... «آيا؟»

قالت آيا بصوت أجش: «تالي-وا! إنه أنا!»

– «لماذا لست موجودة عند البرج المتهدم؟ إن الوضع خطير هنا!»

سعلت آيا: «لقد لاحظت ذلك!»

كانت هي وهيرو يهبطان مجددًا كحجر ينزلق فوق سطح المياه، ويغوصان مجددًا في بحر من الدخان واللهب.

قالت آيا بسرعة: «عليك أن تتوقفي! لقد كنت مخطئة بشأن ...»

أحاط الحريق بآيا مجددًا متسببًا في انخراطها في نوبة من السعال، ولم تتمكن من رؤية شيء سوى الدخان والأشكال السوداء لسفن سكان الفضاء الخارجي التي تحيط بهما، وكانت بذلة تخفيها تتصلب حول جسدها وتعطل درعها الواقي عن العمل وسط شدة الحرارة.

جاء صوت تالي قائلًا: «أين أنت يا آيا؟» وأصبحت الإشارة أقوى الآن.

شعرت آيا بقبضة هيرو وهي تشتد حول يدها ثم جذبها إلى أعلى بعيدًا عن الدخان مرة أخرى.

– «أنا أحلق فوق السفن الآن!»

– «أي سفن؟»

سعلت آيا مجددًا وهي تلعن غباءها ثم قالت: «أقصد الصواريخ! أنا فوقها مباشرة لكنها ليست صواريخ حقًّا!»

صرخت تالي: «هل أصابك الجنون؟ اخرجي من هناك!»

قال هيرو وهو يجذب آيا بعنف نحو منعطف كاد أن يخلع كتفها: «أعتقد أننا نستطيع الوصول إليها عبر هذا الطريق.» وانعطفا مباشرة فوق الأجزاء الأمامية مخروطية الشكل للسفن، في توازن وثبات، فأخيرًا أصبح وثب هيرو في وضع الطيران تحت السيطرة.

دوى صوت انفجار آخر يصيب بالصمم، ولأنه كان أقرب هذه المرة فقد سلب آيا أنفاسها. وفلتت يدها من بين قبضة هيرو وانطلقت بعيدًا عنه في مسار متمايل وهي في وضع انعدام الجاذبية، تتقاذفها العواصف المنبعثة من الجحيم الثائر والمجالات المغناطيسية للسفن.

صاحت آيا: «عليك أن تتوقفي يا تالي!» وأخذت تميل يديها كفتاة ماكرة تركب فوق قطار مغناطيسي معلق، لكي توجه نفسها نحو هيرو مجددًا، ثم أردفت: «انتظري حتى نأتي إليك، وسأشرح لك الأمر.»

قالت تالي: «بعض هذه الصواريخ بها وقود بالفعل، قد يبدءون في إطلاقها لحظة توقفنا عن تدميرها!»

– «لكنها ليست صواريخ يا تالي! إنها سفن! توقفي عن تفجير الأشياء ودعيني أفسر لك الأمر!»

صاحت تالي: «مستحيل! إذا اقتصر الأمر حتى على إطلاق صاروخ واحد فقط من هذه الصواريخ فستتعرض مدينة كاملة للتدمير، اخرجي من هناك حالًا!»

اتجه هيرو مسرعًا نحو آيا وبسط ذراعه إليها، لكنها انحرفت بعيدًا عنه فمر من جانبها صفر اليدين.

قالت آيا بإصرار: «إذا لم تعدينا أن تتوقفي، فسأبقى هنا، ويمكنك أن تفجرينا أيضًا!»

قالت تالي: «لا أستطيع أن أضحي بمدن كاملة من أجلك، وأنا أعرفك يا آيا-لا، فأنت لن تعرضي نفسك للأذى وستهربين، أمامك عشر ثوان.»

صاحت آيا: «لن أتزحزح عن قراري.»

– «أشك في ذلك.»

في تلك الأثناء استدار هيرو وغير اتجاهه عائدًا إلى آيا وبسط ذراعه إليها ثانية، فتنهدت آيا بإحباط، من سيصدق أن فتاة قبيحة تهوى الحياد عن الحقيقة مثلها ستضحي بنفسها؟

جاء صوت آخر: «أنا هنا أيضًا، ولن أغادر.»

قالت تالي: «فريز؟ هل فقدتم صوابكم جميعًا؟»

قال فريز بحزم: «لا يحاول سكان الفضاء الخارجي قتل أحد.»

صاحت تالي: «ولكن ماذا لو كنت مخطئًا؟»

قال فريز: «أنا واثق من ذلك، وأنت تعلمين أنه ليس بمقدوري الكذب يا تالي.»

أمسك هيرو بيد آيا وجذبها إلى أعلى بعيدًا عن ألسنة اللهب، والتوت آيا في قبضته وهي تبحث عن فريز. كان فريز هناك يتشبث بموجل بالقرب من منتصف حقل العمل وبذلة تخفيه المتوهجة مرئية على نحو هزيل وسط ألسنة اللهب.

تنهدت آيا: «رجاءً يا تالي، إنه جاد فيما قال!»

أطلقت تالي تنهيدة طويلة ثم قالت: «ابدئي في الحديث يا آيا-لا، أمامك دقيقتان لإقناعي.»

حينئذ برز ضوء وامض وحيد في الأفق واتجه هيرو نحوه.

إعادة نشر القصة

كان هناك هيئتان لشخصين يرتديان بذلتي تخف في انتظارهم عند الحد الخارجي للغابة، وكانا يجلسان فوق حافة الجدار العالي الذي يطوق أسطول سكان الفضاء الخارجي.

نزعت تالي غطاء رأسها أثناء هبوط آيا وهيرو، وكانت عيناها السوداوان تلمعان في ضوء النيران المشتعلة.

– «ينتظر فاوستو وشاي إشارة منا، وفي غضون تسعين ثانية من الآن سيطلقان المزيد من القنابل، إلا إذا أمرتهما بغير ذلك؛ لذا ابدئي في تفسير الأمر.»

ابتلعت آيا ريقها وقالت: «إن سكان الفضاء الخارجي ... أقصد المخلوقات الغريبة ليست كما حسبنا.»

قال ديفيد وهو ينزع غطاء رأسه: «إذن فيم تستخدم كل هذه الصواريخ؟»

قالت آيا: «إنها ليست صواريخ، إنها سفن.»

قطبت تالي جبينها ثم قالت: «سفن؟»

– «الأمر منطقي تمامًا يا تالي-وا، كل ما عليك هو أن تنصتي إلينا! إنهم يأخذون المعادن من جميع أنحاء العالم! ويهيمون في الهواء! أما عن أياديهم الإضافية ... فذلك لأنهم لا يحتاجون إلى أقدام هناك!»

أمسك هيرو بيدها وتمتم قائلًا: «تحدثي ببطء يا آيا.»

قالت تالي: «أو على الأقل قولي كلامًا مفهومًا، لم يتبق أمامك سوى سبعين ثانية.»

أغمضت آيا عينيها وهي تحاول تجميع أجزاء القصة في رأسها، وبدأت أجزاء جديدة تطرأ في ذهنها، وتراءت لها كل الخيوط التي كانت تتبعها منذ أن خطت للمرة الأولى داخل الجبل المجوف في بلدها.

– «عندما اختبرت الأسطوانة من أجل نشر قصتي، كانت المادة الذكية مبرمجة لتوجيهها إلى أعلى ... وليس لتعود إلى أسفل مرة أخرى. أتذكرين ما قاله فاوستو؟ وكيف تكون النواقل الدفعية للكتل المعدنية مناسبة تمامًا لإطلاق الأسطوانات نحو المدار إلى الأبد؟ هذا ما تفعله المخلوقات الغريبة بالضبط، فيما عدا أنها لا تسعى إلى التخلص من موارد العالم، بل ترغب في استخدامها في الفضاء.»

سألت تالي: «فيم تستخدمها؟»

– «من أجل العيش هناك، لقد شرح لنا صديقك أندرو الأمر! سيبنون منازل في المدار باستخدام تلك المعادن والمادة الذكية. والغرض الرئيسي من تلك النواقل الدفعية للكتل المعدنية هو إطلاق المواد الخام.»

قال ديفيد ببطء: «كانت كل الجبال التي عثرنا عليها فارغة، لأن المعادن قد وجهت إلى الفضاء بالفعل؟»

أومأت آيا برأسها وهي تشير إلى حقل العمل المحترق ثم قالت: «وكل هذه سفن، صواريخ لإرسال الناس إلى الفضاء، وقد تؤدي النواقل الدفعية إلى هلاكك إذا حاولت ركوب أحدها وهي تتحرك بأقصى سرعة، هذا ما قالته الفتيات الماكرات. لهذا السبب أنشئت هذه القاعدة عند خط الاستواء، فهو يوفر أيسر مكان للانطلاق إلى المدار.»

بنبرة بطيئة نطق هيرو بكلمات إنجليزية على نحو مثير للاستفزاز: «أما بالنسبة لعدة الكرة الطائرة التي ترتديها تلك المخلوقات فهي تتدرب على وضع انعدام الجاذبية.»

قال ديفيد: «يدان إضافيتان تكونان أكثر نفعًا من القدمين في المدار.» ثم استدار إلى تالي وقال: «لم يتبق سوى خمس وعشرين ثانية.»

رأت آيا نظرات الارتياب تعلو قسمات وجه تالي ذي الجمال القاسي، ووفقًا لما قاله فريز لم تعالج تالي البرمجة التي أجريت في رأسها؛ فلقد تمت برمجتها بحيث تُكن مشاعر الازدراء لأي فرد لا ينتمي إلى السلطات الخاصة، وأن تفكر أن الإنسانية تحاول دائمًا تدمير العالم، فماذا لو لم تسمح لها الجراحة المخية برؤية ما يخطط له سكان الفضاء الخارجي في الحقيقة؟

ومثلما قال أودزير، تحمل الصواريخ الموت والأمل معًا في آلة واحدة، والأمر يتوقف كلية على الطريقة التي تنظر بها تالي إليها، ولم تكن آيا حتى من السلطات الخاصة، ومع ذلك كانت ترتاب في الأمر قبل أن يفسر لها أندرو، ونظرًا لظروف

تنشئتها وقصتها الزائفة، كانت مقتنعة بأن سكان الفضاء الخارجي يمثلون تهديدًا للعالم.

فما إن تقص على نفسك قصة مرات كثيرة، حتى يكون من السهل عليك الاستمرار في تصديقها.

هزت تالي رأسها وأغمضت عينيها بقوة: «إذا توقفنا، ولو حتى بضع دقائق، يمكنها أن تطلق من هذه الأشياء ما يكفي لتدمير العالم.»

وضع ديفيد يدًا فوق كتفها ثم قال: «ولماذا ستفعل ذلك؟ فحتى سكان العصر القديم استطاعوا ألا يفعلوا ذلك، ربما بنوا الصواريخ ووجهوها ...»

فتحت تالي عينيها ثم قالت: «لكنهم لم يطلقوها قط. شاي! فاوستو!»

جاء صوت شاي: «أجل، لقد سمعنا، لن نطلق المزيد من القنابل اليوم.»

أطلقت آيا نفسًا طويلًا وهي ترتجف.

واستدارت تالي لكي تنظر إلى أسطول سكان الفضاء الخارجي، وقد بدأ اللين يكسو ملامحها. كانت الشبكة التمويهية لا تزال تحترق، وبدت كل سفينة متفحمة ومحترقة، ولكن الدمار التام لم يلحق إلا بحفنة قليلة منها؛ إذ سقطت على جانبيها، وكان وقود الصواريخ المحترق يندفع منها وكأنه أنهار من النيران متدفقة في الظلام.

كان لا يزال هناك المئات من السفن واقفة، وربما آلاف السفن التي كانت تكفي لنقل مدينة كاملة إلى الفضاء.

قالت تالي بنبرة كشفت عن شعورها بالإرهاق: «حسنًا أيها الجارحون، ربما ينبغي أن نساعدهم في إخماد هذه الحرائق.»

قالت شاي: «ولم لا؟ فمكافحة الحرائق ممتعة للغاية تمامًا كإشعالها!»

أعادت تالي غطاء رأسها فوق وجهها ثم خطت فوق لوحها المنتظر، وتحولت بذلة تخفيها إلى اللون البرتقالي الناصع، كالزي الذي يرتديه رجل الإطفاء، وانطلقت فوق حقل العمل المشتعل.

رأت آيا لوحين آخرين يرتفعان من غابة الأشكال المعدنية، وانضما إلى السيارات الطائرة الخاصة بسكان الفضاء الخارجي في إخماد الآثار المشتعلة من الشبكة التمويهية بكميات كبيرة من رغوة إطفاء الحرائق، وكانوا يرشونها فوق أي سفينة على مقربة من تدفقات وقود الصواريخ المشتعل الأمر الذي كان يمثل خطورة على هذه السفن.

قال ديفيد: «لقد أخلوا الغابة هنا، وعندما تتلاشى الشبكة التمويهية، لن تجد النار الكثير من الوقود.» ثم نزع غطاء الرأس من فوق وجهه وأردف: «ومع ذلك، ستمكثان أنتما الاثنان هنا، تبدوان وقد تأثرتما بالنار بما يكفي لليلة واحدة.»

أومأت آيا برأسها دون أن تنبس ببنت شفة، فقد كانت بذلة التخفي تتشقق عندما تتحرك وانصهرت قشورها كلية وثبت لونها إلى الأبد على اللون الرمادي المائل إلى الاحمرار، كلون الدخان وألسنة اللهب.

قالت آيا لديفيد: «أخبر تالي أن هذا ليس خطأها، لقد ظننا الشيء نفسه.»

استدار ديفيد إليها ثم هز كتفيه وقال: «لا عجب في ذلك، لقد نشأنا جميعًا في عالم دمره سكان العصر القديم إلى حد بعيد، ومن الصعب تذكر أي شيء آخر فعلوه بخلاف محاربة بعضهم بعضًا، ولكن شكرًا لك.»

– «لماذا تشكرني؟ لأنني حدت عن الحقيقة، ومن ثم جئت بكم جميعًا إلى هنا متوقعين وجود وحوش تسعى لتدمير العالم؟»

– «كلا، لأنك ساعدت تالي في إعادة برمجة عقلها قليلًا.» ثم ارتفع ديفيد في الهواء وانطلق لوحه الطائر فوق الحريق الهائل.

قال هيرو: «لقد أحسنت التصرف إلى حد ما يا آيا-تشان ...»

نظرت آيا إلى أخيها وقالت: «هل تمازحني؟»

هز هيرو رأسه بالنفي وقال: «أنا جاد فيما قلت، لقد تعلمت أخيرًا كيف تنقلين قصة دون أن تستغرقي وقتًا أطول مما ينبغي.»

أطلقت آيا ضحكة قصيرة أيقظت نوبة آلام جديدة بين ضلوعها، فتأوهت وهي تدعك خاصرتيها. وكانت كتفها اليمنى ملتوية جراء سحبها بسرعات عالية بعدة الكرة الطائرة، وكذلك شعرت بأوجاع في رسغها وكأنه قد انسحق داخل ماكينة تحضير السوشي.

قال هيرو: «انظري.»

كانت موجل تشق طريقها بين بقايا الشبكة التمويهية الخامدة التي ينبعث منها الدخان وبرفقتها فريز، وكان الدخان يدور في دوامات من حولهما.

بعثت آيا إليه برسالة: «هل أنت بخير؟»

قال فريز: «محترق قليلًا، لكننا التقطنا صورًا مذهلة.»

هزت آيا رأسها، فللمرة الأولى لم تعبأ بما إذا كانت تلك الأحداث قد سُجلت أم لا، فعلى الأقل تجمعت خيوط أحداث الأسبوعين الماضيين وأصبحت منطقية، وتجمعت

أجزاء الحقيقة كما لو كانت سفينة من سفن سكان الفضاء الخارجي قد جُمعت من قطع متناثرة من الأنقاض المعدنية. شعرت آيا بالارتياح، فلم تعد مضطرة إلى الصراع مع حقائق لا يسهل التعامل معها ومع افتقارها التام إلى الصدق المطلق.

وعندما هبط فريز وجذبها برفق بين ذراعيه سرى بجسدها المتألم شعور بالهدوء والطمأنينة، كأن الأمور جميعها عادت إلى نصابها الصحيح.

أخيرًا فهمت آيا القصة على النحو الصحيح.

حفل الشخصيات الألف الأكثر شهرة

قالت تالي: «ذكريني مرة أخرى لماذا أفعل ذلك.»

قالت آيا: «لتُظهري دعمك.» وضبطت آيا القطع المعدنية المتلألئة بفستان تالي، ثم خطت خطوة إلى الوراء لتنظر إليها بإعجاب، ثم أردفت: «أنت أشهر شخص في العالم يا تالي-وا، وإذا أخبرت الجميع بأنك تساندين سكان الفضاء الخارجي، فسيحصلون على المزيد من المتطوعين.»

أضاف فاوستو: «وستقل المشاحنات التي ستدور حول كميات المعادن التي استولوا عليها.» ثم ضبط ربطة عنقه وأردف: «ولاختطافهم لكل من رآهم.»

قالت شاي وهي تسوي شعرها: «هذا إلى جانب أننا لم نحضر أي حفل منذ زمن طويل يا تالي-وا.»

زفرت تالي وهي تنظر إلى نفسها بارتياب في الشاشة الجدارية العملاقة الخاصة بآيا. كان فستان الحفل مخمليًّا ويتموج بالمادة الذكية، كان أسود اللون كالليل ومتلألئًا كضوء النجوم، وكان مناسبًا تمامًا لحفل الشخصيات الألف الأكثر شهرة.

قالت شاي: «لا تتجهمي هكذا، لقد كنت معتادة على ارتداء أشياء كهذه طيلة الوقت.»

– «أجل، عندما كنت مشوشة الذهن.»

حاولت آيا أن تتصور تالي وهي سعيدة ولا تعي شيئًا مما حولها طوال الوقت، ثم هزت رأسها. فحتى وهي ترتدي فستانًا أنيقًا بدت تالي قاسية الملامح مثل أفراد جماعة الجارحين، وكان وجهها ملطخًا بالوشوم المتحركة والندب وكذا ذراعاها العاريتان.

قالت آيا بصوت خافت: «أتعلمين أنه لا يزال لدينا متسع من الوقت لمعالجة هذه الأشياء إن أردت ذلك.»

أجابتها تالي: «مستحيل.» ومررت إصبعها فوق ذراعها ثم أردفت: «فهي تذكرني بأشياء لا أريد نسيانها.»

قال ديفيد: «تبدين فاتنة.» وكان يرتدي إحدى سترات هيرو الحريرية عتيقة الطراز بعد أن أعلن أن أي شيء تصنعه الكوة الذكية يثير توتره. كان ديفيد عصبي المزاج منذ أن جاء هو وتالي من سنغافورة تلك الظهيرة، كما لو كانت المدينة تقيد حركته بدرجة تشعره بالضيق.

كان جناح آيا مزدحمًا قليلًا تلك الليلة، فقد ضم التسعة جميعهم؛ آيا وفريز وهيرو ورين وأندرو وديفيد والجارحين الثلاثة، جميع من تضمنتهم قصة الرحيل عن الوطن. وكانت القصة قد نشرت منذ يومين، وأصبح جميعهم ضمن الشخصيات الألف الأكثر شهرة، ولم يكن هناك مكان أكثر أمانًا من القصر المتحرك يمكنه إبعاد كاميرات مصوري المشاهير.

على الأقل كان هناك غرفة لكل فرد بالجناح، فلدى عودة آيا إلى الوطن، وجدت الجناح قد تزايد في حجمه إلى ضعف ما تركته عليه، فقد توسع بالتناسب مع شهرتها. ربما لم تكن رتبة الشهرة هي كل شيء يحصل عليه صاحبها، فهناك بعض المزايا التي يحصل عليها المرء عندما يكون ثالث أشهر شخص بالمدينة.

قالت تالي: «ما زلت لا أفهم سبب اضطرارنا إلى الذهاب إلى تلك الحفلة الحمقاء، ألا يمكنني إصدار بيان ما للمدونات؟»

قطبت آيا جبينها وقالت: «لن يكون هذا ممتعًا على الإطلاق، ولن يساعد سكان الفضاء الخارجي بالقدر الكبير نفسه.»

قال ديفيد: «إضافة إلى أننا ندين لهم بأربع وعشرين سفينة فضائية.»

– «أظن ذلك.» ثم حدقت تالي في فستانها مرة أخيرة بتجهم.

قهقهت شاي: «إنهم محظوظون لأننا لم نستخدم جزيئات النانو.»

وعندما خرجوا من الجناح وجدوا أسرابًا من الكاميرات الطائرة في انتظارهم.

قالت تالي: «يا إلهي، أعترف بأنني أمقت هذه المدينة!»

أخذت آيا نفسًا عميقًا لكنها لم تشعر برغبة في الجدال معها، فقد أصبح الأمر مزعجًا أن تُطارد في كل مكان وأن تنهال عليها الرسائل باستمرار، وتحتشد

الكاميرات من حولها، وأن يقلد الصغار تصفيفة شعرها، وأن تسخر مدونات هواة الانتقاد من أنفها، وكانت آيا تتساءل أحيانًا هل ستحظى بالخصوصية مرة أخرى.

وصل الأمر إلى حد أن كاميرتها الطائرة كانت تثير توترها قليلًا تلك الأيام، فعلى الرغم من أن رين قد فككها وأزال جميع التعديلات التي أدخلها سكان الفضاء الخارجي، فقد كانت الكوابيس المليئة بالخيانة التي ترى فيها آيا أسرابًا ناطقة من الكاميرا موجل لا تزال تراودها.

لكن لم يكن هناك جدوى من أن تتظاهر بعدم الاستمتاع برتبة شهرتها التي أضحت مكونة من رقم واحد، فعلى أي حال، أصبحت برفقة أصدقائها المشهورين متوجهين جميعًا إلى حفل نانا لاف بابتسامة على وجهها وموجل برفقتها لتسجل كل ثانية من الحفل.

سألت تالي: «كيف سنمر من بين هذه الأشياء؟»

اقترح فاوستو قائلًا: «بالقنابل الوامضة؟»

صاحت شاي: «بجزيئات النانو!»

قالت آيا: «لا هذا ولا ذاك، لست مضطرة دائمًا إلى نسف الأشياء يا تالي-وا، في هذه المدينة يكون لديك هالة من الشهرة.»

– «ماذا؟»

– «ابدئي في السير فحسب، وسوف تفسح لك تلك الأشياء مساحة للحركة.»

خطت تالي بضع خطوات إلى الأمام، فانحنت الكاميرات الطائرة المصطفة بعيدًا وراء حاجز الخمسين مترًا الخاص بالقصر المتحرك. وأمسك ديفيد بذراع تالي وجذبها مسافة أبعد، وسرعان ما اتجهوا نحو الظلام تحيط بهم دائرة كاملة تقريبًا من الكاميرات الطائرة.

قال أندرو سيمبسون سميث: «هذا أمر غريب حقًّا، هل المدن كافة كهذه المدينة؟»

أجابت تالي: «هي ليست كذلك في الواقع، فبعد ثورة العقول أصيبت هذه المدينة على وجه التحديد بالجنون والهوس؟»

قال هيرو: «ليس اقتصاد الشهرة جنونًا!» وكان هيرو يتدرب على التحدث بالإنجليزية مع أندرو سيمبسون سميث على مدار الأيام القليلة الماضية، واستمتع كثيرًا بالإسهاب بجمل طويلة. وأردف: «إن السعي وراء الشهرة يحفز الأفراد، وهذا يجعل العالم أكثر متعة وإثارة!»

قالت تالي بازدراء: «رأيت ذلك الحافز في الواقع يا هيرو، فهو يؤدي إلى قدر من الحياد عن الحقيقة أيضًا.»

أطلقت آيا تنهيدة وهي تتساءل متى ستنسى تالي الأمر، فقد تناست معظم المدونات بالفعل الأخطاء الموجودة بقصة الأسلحة الفتاكة بالمدن التي نشرتها، فقد أصبح لديها أشياء أفضل لنشرها بعد أن قدمت لها آيا فيوز مستقبلًا جديدًا تفكر فيه، مستقبلًا به دربًا جديدًا كلية من الحياة، بعيدًا عن الأرض.

كما أنها لم تدمر أي شيء مثلما فعل أشخاص بعينهم.

* * *

كان قصر نانا لاف مكتظًّا بمناظر تسحر الأعين.

فقد حضر هواة ابتكار الأطعمة الجديدة بأعداد كبيرة يعرضون بتباهٍ فقاعتهم الغازية الجديدة الصالحة للأكل، المصنوعة من المادة الذكية في الوقت نفسه، وطفت الفقاعة الغازية فوقهم وهي تغير شكلها ونكهتها طوال الليل، وتتزاحم مع الكاميرات الطائرة للحصول على أفضل مكان في الجو.

أما قردة الجراحات التجميلية فقد غيروا من هيئاتهم على غرار سكان الفضاء الخارجي، فكان لهم أعين واسعة وبشرة شاحبة، على الرغم من أن معظمهم لم يتطرف إلى حد اتخاذ أصابع قدم ملتفة قادرة على الإمساك بالأشياء. كذلك أصبحت عدة الكرة الطائرة المضبوطة على وضع انعدام الجاذبية من صيحات الموضة، على الرغم من أن هيرو ظل يتمتم بتذمر عن مدى احتياج الجميع لقدر من التدريب على استخدامها.

وفي كل مكان انتشرت كاميرات وامضة اخْتُرِعَت حديثًا لهذا الحفل، وكانت تحلق عند مستوى العين كخنافس مضيئة فضولية، ولم تسجل كل كاميرا سوى عدد قليل من البكسلات، كانت شبكة اتصال المدينة تجمعه لبث صورة مستمرة، حيث يتمكن جميع أهل المدينة من مشاهدة الحفل كما لو أنهم أرسلوا كاميرات طائرة خفية خاصة بهم.

لم يمر وقت طويل قبل أن تنزعج تالي من الكاميرات الوامضة، فضربت بعضها بعنف وأسقطتها على الأرض، وتراجعت بقية الكاميرات بدرجة كافية عند حد هالة الشهرة، وبعد وقت قصير اختفت تالي في الأماكن المخصصة للاستراحة في قصر نانا لاف وبصحبتها الجارحون الآخرون.

جاء صوت مألوف يقول: «مساء الخير يا آيا.»

نظرت آيا أعلاها فوجدت أودزير هائمًا بجوار موجل، وكان يرتدي الساري الرسمي ويمسك بكأس من الشامبانيا بمجموعة من أصابع قدمه المنحنية.

انحنت آيا له احترامًا وهي تحاول إخفاء تعبير وجهها، فلا يزال سكان الفضاء الخارجي يثيرون قلقها وخوفها، حتى بعد أن شرح لها أودزير العملية الجراحية التي أجريت لهم بالتفصيل. فقد كان الهدف من بشرة سكان الفضاء الخارجي الشاحبة هو أن تساعد على إفراز فيتامين «د» من أضعف شعاع لضوء الشمس، وحتى أعينهم المتباعدة فقد كان لها تفسير منطقي، إذ إن أوائل سكان المدار سيدورون في نطاق محدود للغاية ومن ثم ليسوا بحاجة إلى القدرة العادية على إدراك عمق الأهداف المرئية.

مع ذلك كان الانطباع في المجمل مثيرًا للتوتر.

قالت آيا: «أرجو أن تكون مستمتعًا بالحفل.»

– «بلا أدنى شك، وإنه لمن دماثة خلقك أن ترتبي أمر إرسال الدعوة إلي.»

قالت آيا: «ليس أنا من رتب له.» فنظرًا لأن أودزير يعتبر الوجه الجديد للبشرية التي ستسكن الفضاء الخارجي وصلت رتبة شهرته إلى المائة. ومزح الجميع بشأن كونه من المغمورين، على الرغم من أنه ليس مغمورًا على الإطلاق إذا ما تحرينا الدقة في التعبير عن الكلمة.

– «بطريقة أو بأخرى يا آيا، قصتك هي سبب وجودي هنا.» وانحنى لها قليلًا في الهواء، ثم قال: «لقد خدمت قضيتنا بطريقة هائلة.»

– «أنا سعيدة لأن الأمور اتضحت قبل أن تحرق تالي-ساما أسطولك بالكامل.»

قال أودزير: «كذلك نحن، ولكن حسبما اتضح لنا، أثبتت واقعة إنقاذنا أنها أكثر قيمة من السفن التي خسرناها، فقد جلبت الشهرة، يا له من أمر غريب!»

– «بالتأكيد، هل تحصلون على عدد كبير من المتطوعين؟»

أجابها: «بالطبع.» ثم نظر إلى آيا وأردف: «حتى إنه يوجد القليل منهم الليلة.»

– «مرحبًا أيتها الفضولية؟»

استدارت آيا وفغرت فمها ثم قالت: «لاي؟ كيف تمكنت ...؟»

أكملت لاي: «من الحضور إلى هنا؟» ثم ابتسمت وأردفت: «بالطريقة نفسها التي حضرت بها إلى هنا، فلقد حصلت على دعوة.»

طرفت آيا بعينيها، فهي لم تفكر في تفقد رتب شهرة الفتيات الماكرات مؤخرًا، ولكن لا شك أنه بعد نشر نسخة جديدة كاملة من القصة ...

أضافت لاي: «تسعمائة وسبعة وخمسون، بما أنك كنت على وشك السؤال عن رتبتي.»

– «يا إلهي! لا بد أنك تمقتين هذا الأمر.»

هزت لاي كتفيها وقالت: «لن يهم الأمر كثيرًا في المدار.» ثم رمقت بنظرها أودزير الذي استدار للتحدث مع شخص آخر، وأردفت: «أرجو فقط أن يدرك هذا المخلوق الغريب الشهير أنه لا وقت للشهرة في هذه الجبهة الجديدة.»

ضحكت آيا ثم تخيلت لاي بأربع أيادٍ وعينين كعيون الأسماك، فارتجفت وهي تصرف الصورة عن ذهنها، ثم أردفت: «ما زلت أشعر بالأسف لالتقاطي كل هذه الصور لك خلسة.»

– «وأنا آسفة لإطلاقك من الناقل الدفعي للكتل المعدنية.» ثم صمتت لحظة وقالت: «انتظري لحظة، كلا، أنا لست آسفة، فقد كان ذلك ممتعًا.»

ضحكت آيا مجددًا ثم قالت: «أعتقد أنه كان كذلك. حسنًا، كيف حال الفتيات الماكرات؟»

– «هن على الأرجح يشاهدن هذا الحفل على شاشاتهن الجدارية.»

تجهمت آيا ثم قالت: «حقًّا؟ ولكن لا يبدو حفل الشخصيات الألف الأكثر شهرة ضمن اهتماماتهن.»

هزت لاي كتفيها ثم نظرت إلى أعلى حيث كانت موجل، واقتربت أكثر من آيا وقالت: «حسنًا، هل تريدين مفتاحًا لقصة جديدة؟»

سألتها آيا: «قصة؟» فلم تفكر آيا كثيرًا في القصة التالية لها، فبعد نهاية العالم ومولد عالم جديد بدا كل شيء محبطًا، إلا أنها كانت لا تزال تفكر أحيانًا في الانضمام إلى حراس الغابات. قالت: «أعتقد ذلك.»

– «حسنًا، لكن عليك أن تعديني أنك لن تخبري أي شخص قبل تقطيع الكعكة.»

رفعت آيا حاجبها، فمن بين تقاليد حفل الشخصيات الألف الأكثر شهرة أن تقدم نانا لاف كعكة ضخمة قرنفلية اللون عند منتصف الليل تمامًا، ويتجمع كل المشاهير حول الكعكة عندما تفعل ذلك، ويتقاسمون قطعًا من كعكة الشهرة.

– «إمم، حسنًا.»

لوحت لاي بيديها بعيدًا لإبعاد بعض الكاميرات الوامضة، ثم ألصقت شفتيها عند أذن آيا تقريبًا وانخفض صوتها إلى همس خفيض للغاية، وقالت: «لقد حقنت الكعكة بالمادة الذكية التي أعدتها إيدن، وهي تنتشر الآن أثناء حديثنا لتجعل السكر ... غير مستقر نوعًا ما؟»

– «غير مستقر؟»

قهقهت لاي قائلة: «صمتًا!» ثم أردفت: «عندما تقطع نانا الكعكة، ستنفجر، ليس بطريقة قاتلة ... ولكن ستتناثر أجزاؤها.»

تملك آيا الذهول وهي تحاول تخيل الوجوه الشهيرة بالمدينة مغطاة بطبقة الكريمة القرنفلية. «لكن ذلك ...»

قالت لاي: «تصرف عبقري صرف؟ أوافقك الرأي.» واستدارت بعيدًا بابتسامة تعلو وجهها ثم أردفت: «لا تنسي أنك وعدتني أيتها الفضولية، أنت مدينة لي بكتمان سر واحد.»

بعثت آيا برسالة لكي تعرف مكان فريز، ثم ذهبت للبحث عنه في الشرفة العلوية، كان يقف وحيدًا ينظر إلى الحدائق المظلمة ذات الخصوصية.

– «لدي سؤال أخلاقي لك يا فريز.»

استدار فريز إليها وعيناه الواسعتان تلمعان بأنوار الألعاب النارية الآمنة أعلاه، ثم قال: «معضلة أخلاقية؟ في هذا الحفل؟»

نظرت آيا حولها، ولم تكن توجد كاميرات وامضة في الأجواء، وكانت موجل الكاميرا الطائرة الوحيدة التي تراها، إذ كانت حديقة نانا لاف منطقة محظورة على الكاميرات تلك الليلة، ولهذا السبب على الأرجح كانت الشرفة فارغة.

– «ماذا لو كنت مدون أخبار يا فريز، وعلمت أن شيئًا ما سيحدث على سبيل المثال في حفل، وهو قد يتسبب في خزي لمضيف الحفل، بل من المؤكد أنه مخز، لكنك قطعت وعدًا بألا تخبر أي شخص عنه؟»

استغرق فريز في التفكير لحظة وقال: «الأمر سيتسبب في الإحراج فحسب، أليس كذلك؟»

– «أجل، لكنه قدر كبير من الإحراج.»

هز فريز كتفيه وقال: «على الأرجح سأفي بوعدي.»

تنهدت آيا وهي تحدق في أرجاء المدينة في النوافذ التي كانت تومض بأضواء المدونات، إذ كان الناس كافة يشاهدون حفل الأكثر شهرة ذوي المرتبة الألف على شاشاتهم الجدارية. قالت: «أحيانًا أتمنى أن أخبرك بالأسرار.»

– «ربما سيمكنك ذلك قريبًا.»

قطبت آيا جبينها ثم قالت: «ماذا تقصد؟»

– «لقد كنت أفكر فيما قالته تالي عن كوني شخصًا جبانًا لعدم قدرتي على إخبار الحقيقة من تلقاء نفسي.» وأشار إلى صدغه ثم أردف: «ربما أصبح الصدق المطلق عتيق الطراز قليلًا.»

قالت آيا: «لكن الجماعة أصبحت أكبر حجمًا من أي وقت مضى!»

– «بالضبط، إنهم ليسوا في حاجة إليّ بعد الآن.»

طرفت آيا بعينيها وهي تحاول أن تتخيل فريز بدون أحاديثه المتهورة المثيرة للإحراج، ثم قالت: «لا أدري يا فريز-تشان، فأنا أحتاج إليك بجواري لتعينني على الصدق.»

لف فريز ذراعيه حول كتفي آيا وجذبها أكثر إليه، ثم قال: «لا تقلقي، سأظل بجوارك، وكذلك أنا لن أتخلى عن الصدق، بل سأتخلى عن جماعة الصدق المطلق فحسب.»

مالت آيا عليه ثم قالت: «ولكن لو لم تكن مضطرًّا لإخبار الحقيقة، فكيف سأعرف أنك لا تزال معجبًا بأنفي الكبير؟ فأنا لن أصلحه، لقد أجبرتني تالي-وا على أن أقطع وعدًا على نفسي بذلك.»

– «أجل، لقد أخبرتني بذلك، ولكن لا تقلقي، لن تغير جراحة مخية صغيرة من رأيي، لا سيما رأيي بشأنك.»

وقف كلاهما في الشرفة وقتًا طويلًا يستمعان لعلو وانخفاض أصوات الضحك والموسيقى بالداخل.

كان الأمر غريبًا أن تكون على مقربة من الحفل، فعلى حد ما استطاعت آيا تذكره، كانت تشاهد تطورات حفل الشخصيات الألف الأكثر شهرة في المدونات وتتخيل نفسها واحدة من بين القلة المباركة، ولكن ها هي ذي الآن قد أصبحت بالحفل بالفعل، وكل ما أرادته هو أن تكون بجوار فريز بمفردهما يحدقان في

المدينة من الحدائق الواسعة لقصر نانا لاف الخالية من الكاميرات، وسعادة كبيرة تغمرهما لعدم وجود شخص آخر يريد التمتع بالخصوصية في الحديقة.

كانت الضوضاء خلفها قادمة فقط من حفل لا أكثر، لقد شغل هذا القصر أجيالًا من مشوشي الذهن الذين ارتدوا الملابس نفسها وتحدثوا بالأشياء نفسها في الأغلب، ولم تُغير الكاميرات الوامضة ورتب الشهرة من ...

حينئذ دوى صوت ارتطام خافت من الأسفل، فنظرت آيا إلى أسفل.

كان ذلك ديفيد يهبط على قدميه، لا بد أنه قفز من إحدى النوافذ.

هبطت تالي يانج بلود خلفه مباشرة برشاقة كزهرة كرز، وكانت تحرك يديها وقدميها بسرعة وهي تمسك بعتبات النوافذ والأطر الزجاجية للنوافذ؛ لتبطئ من سقوطها. هبطت تالي برفق ولفت ذراعها حول ذراع ديفيد، وشقا طريقهما في الحديقة.

اقترب فريز أكثر من آيا ثم قال: «كنت أتساءل بشأن أمر هذين الاثنين.»

همست آيا: «أسمعت ما قالته تالي، فلم يقبلها أحد منذ ...»

لكن تالي كانت تميل بجسدها على ديفيد وتجذبه أكثر نحو الظلام، وتلاحمت كتفاهما في هواء الليل البارد.

بدأت آيا في التساؤل: «موجل، هل تلتقطين هذه الصورة؟» ثم هزت رأسها وقالت: «لا عليك.»

استدارت آيا إلى فريز وأخذته بعيدًا عن الشرفة بابتسامة على وجهها.

«هيا بنا، لقد حل منتصف الليل تقريبًا، لنذهب ونشاهد تقطيع الكعكة.»

مكتبة
t.me/t_pdf

مرت بضع سنوات منذ أن هدمت تالي يانج بلود نظام القبح/الجمال/التمير، وبعد أن زالت هذه الأدوار والقواعد الصارمة، عمت العالم نهضة ثقافية شاملة، يتباهى «مهاويس التكنولوجيا» بأحدث أجهزتهم، وينشر المدونون النميمة وصيحات الموضة، ويسعى «قردة الجراحات التجميلية» وراء عمليات التجميل الغريبة، وكل ذلك مراقب بعدد لانهائي من الكاميرات المختلفة. أصبح العالم أشبه بمسابقة عملاقة: من يثير الاهتمام بصورة أكبر يحصل على العدد الأكبر من الأصوات ... الشهرة والشعبية هما الفيصل والحكم.

فضلا عن كونها في الخامسة عشرة من عمرها — وهو أمر سيئ بما يكفي — كانت رتبة الشهرة لآيا فيوز متدنية للغاية، إنها شخص لا وزن له على الإطلاق. فهي من المغمورين. فرصتها الوحيدة للخروج من عالم المغمورين هو العثور على قصة مهمة لنشرها: قصة مثيرة وغير متوقعة.

تلتقي آيا بجماعة من الفتيات اللاتي يؤدين خدعا مجنونة، لكنهن يتكتمن أمر جماعتهن. لكن الفتيات الماكرات يخفين أمرا أهم من ذلك: اكتشافا مدويًا قد يغير وجه العالم الشجاع الجديد إلى الأبد. إذا نشرت آيا قصتهن فستخرج من مجتمع المغمورين إلى عالم الشهرة والأضواء ... والخطر البالغ: عالم ليست مهيأة له.

٣٩٠ صفحة

ISBN 978-977-5171-30-6

9 789775 171306

كلمات

http://www.kalimat.org